

مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد الخامس - المجلد التاسع - يناير ٢٠١٥م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مجلة الأندلس

للعلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد الخامس – المجلد التاسع – يناير ٢٠١٥م

العدد الخامس – المجلد التاسع – يناير ٢٠١٥م

عنوان المجلة

جامعة الأندلس للعلوم والتقنية

الجمهورية اليمنية – صنعاء – تقاطع شارع الخمسين مع شارع تعز – حي الأندلس

ص.ب: ٣٧٤٤٤ هاتف: ٠٠٩٦٧١ ٦٧٥٥٦٧ فاكس: ٠٠٩٦٧١ ٦٧٥٨٨٥

البريد الإلكتروني:

journal@andalusuniv.net

الموقع الإلكتروني:

www.andalusuniv.net

هيئة تحرير المجلة :

رئيس التحرير:

د. أحمد محمد برقعان

أعضاء هيئة التحرير :

د. عبدالله عبدالرحمن بكير

د. فكري محمد الحميدي

د. علي مقبول الأهدل

مدير التحرير :

أ.ك. عبدالقادر أحمد الحوثيري

سكرتير المجلة والمدقق اللغوي :

د. أحمد هادي باحارثة

التنسيق والإخراج :

م. بكار يحيى مصفر

مساعد سكرتير المجلة :

د. وائل أحمد المذحجي

القواعد العامة وإجراءات النشر

أولاً: القواعد العامة :

- تنشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، في مختلف فروع المعرفة الإنسانية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:
- (١) أن يكون البحث أصيلاً وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على المنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
- (٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة مراعيًا دقة الحروف والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على نظام (IBM) ببرنامج (WORD) ببنت (١٦) ويخط (Traditional Arabic) وألا يزيد عدد صفحات البحث عن ٣٠ صفحة متضمنة الهوامش والمراجع .
- (٣) أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق وحسن استعمال المصادر والمراجع وتبويبها كالاتي: تكتب كنية المؤلف (اسم العائلة) ثم الأسماء الأخرى للمؤلف ويمكن الاكتفاء بالحروف التي تشير إلى أسمائه، ثم يكتب أسماء المؤلفين المشتركين معه - إن وجدوا - يلي ذلك سنة النشر (ثم عنوان البحث واسم المجلة ومكان النشر، المجلد وعدد الصفحات).
- (٤) ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.
- (٥) يرفق بالبحث سيرة ذاتية موجزة مع تحديد التخصص الدقيق الذي ينتمي إليه موضوع البحث المراد تحكيمه ونشره .
- (٦) رسوم النشر تقدر بـ (١٥) خمسه عشر ألف ريال يماني لليمنيين ، و(١٠٠) مائة دولار أمريكي لغير اليمنيين ترسل الى حساب الجامعة عبر حواله بنكية عبر بنك التضامن الإسلامي الدولي (فرع حده) بحساب رقم (203) سويفت كود (TIBKYESA101) ، او عبر تحويل المبلغ عن طريق شبكة (ويسترون يونيون) (Western Union) .

ثانياً: إجراءات النشر:

- ترسل نسختان من البحث على ورق A4 على أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى وجه واحد، ومحفوظة على CD متوافق مع أجهزة (IBM) وذلك إلى عنوان المجلة وترسل نسخة أخرى بالبريد الإلكتروني الخاص بالمجلة ، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي ومكان عمله.
- يرفق بالبحث ملخص للبحث في حدود (100 - 150 كلمة) باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية.
- يخطر الباحث بقرار صلاحية البحث من عدمه خلال شهرين على الأكثر من تاريخ استلام البحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكمين ترسل الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة، على أن تعاد خلال مدة أقصاها شهر.
- للمجلة الحق في إعادة البحث إلى صاحبه إن وجدت حاجة لبعض التعديلات عليه.
- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
- يعلم صاحب البحث بقبول عمله للنشر.
- تلتزم المجلة بإرسال نسخة من العدد إلى صاحب البحث المنشور بعد طبع العدد.
- تؤوّل جميع حقوق النشر للمجلة.

الفهرس

٤ الافتتاحية

البحوث المنشورة :

- ١) استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في منح الحوافز (دراسة ميدانية على مطحن غلال زليتين) د. أسامة حسين شكشك ، د. محمود محمد بن مسعود ٧
- ٢) الرؤية السردية في رواية (الإعصار والمثذنة) لعماد الدين خليل د. طه حسين الحضرمي ٢٧
- ٣) الانحراف عن الكعبة المشرفة، ومقدار الجائز والممنوع منه (دراسة فقهية مقارنة) د. صالح مبارك دعكيك ٦١
- ٤) المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد د. حسين علي حسين الجلحوي ١٠٩
- ٥) العوامل المؤثرة على دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر في المصارف اليمينية د. أحمد عبد الله العمودي ، د. سالم عبد الله بن كليب ١٣٧
- ٦) دور منظمات المجتمع المدني في تنمية المجتمعات المحلية دراسة مسحية ميدانية على عينة من منظمات المجتمع المدني (التموية) بمحافظة حضرموت د. محمد سالم بن جمعان ١٧١
- ٧) منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات د. سعيد عمر عبود بن دحاج ٢١٣
- ٨) الصرّاع بين النّحاة والقراء (قراءة حمزة أنموذجاً) د. أنور محسن أحمد العزاني ، د. خالد صالح محمد العزاني ٢٣٣
- ٩) أثر الموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت د. سالم عبد الله باصريح ٢٦٥
- ١٠) علو الإسلام مظاهره وأسبابه وآثاره وأهم المسائل المترتبة عليه د. إلهام بدر الجابري ٣٠١

الافتتاحية

بِقلم أ.د. أحمد محمد برقعان

رئيس التحرير - رئيس جامعة الأندلس

إن إصدارنا لهذا العدد يأتي ووطننا اليمني يشهد متغيرات هامة تخيم على ربوعه المتعددة، ولاسيما على مستوى الساحة السياسية، وتلك المتغيرات يتوقف عن ما ستسفر كثير من التحولات في مجتمعنا المحلي سواء في استقراره الأمني أو في سلمه الأهلي أو في تنامي نشاطه المجتمعي، وكل ما ينشده المواطنون البسطاء هو استقرار الأجواء السياسية ونقائها من الاضطرابات الفجائية كي يتفرغ كل فرد منهم لحياته العملية ونشاطه الاجتماعي .

ومن بين هؤلاء المواطنين طالبو العلم وأساتذة الجامعات وسائر المعلمين والمربين والباحثين ككل، وهؤلاء هم يعدون حقاً العقل المفكر والأداة العلمية والموجه الأمين والملاذ الأمن لإعادة دراسة وتحليل كل المشكلات التي يواجهها الوطن في مختلف الأصعدة، ثم الخروج برؤية علمية وعملية لحلها بما يحقق أهداف التنمية ويحقق الرفاهية للإنسان باعتباره أداة التنمية وغايتها .

إن جامعتنا جامعة الأندلس للعلوم والتقنية واحدة من تلك الأوعية العلمية التي تحمل على كاهلها مثل هذه القيم والمعاني النبيلة، وهي من خلال منبرها العلمي والبحثي (مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية) تسعى إلى توسيع فرصة قراءتها وتداول محتوياتها من خلال اعتماد نظام النشر الإلكتروني الموسع للإصدارات المتتالية على الموقع الإلكتروني للجامعة ، لكي يسهل على الأكاديميين وجميع المهتمين بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل والتراسل وتحكيم الأبحاث إلكترونياً بما يبسط الإجراءات ويختصر الزمن من أجل إتاحة الفرصة لنشر أكبر قدر من الأبحاث والدراسات العلمية .

وقد تمكنت الجامعة مؤخراً من إدخال تطور تقني مهم جديد، هو تسجيل المجلة بصورة دائمة في الرقم التسلسلي لمعايير النشر العالمية، ونسعى حالياً إلى إنجاز هذا الأمر فعلياً في نظريتها (مجلة الأندلس للعلوم التطبيقية)، وإذا تحقق ذلك قريباً فستجني المجلة فوائد عدة، لعل أبرزها حماية حقوق المؤلفين والناشرين محلياً وعلمياً، وسهولة طلب المجلة والعزو إليها عند النقل منها عن طريق الرقم التسلسلي المعياري الدولي، والتعريف بالناشرين والمؤلفين عربياً وعالمياً.

ويشمل هذا العدد باقة من القضايا الحيوية والبحوث العلمية والدراسات المتخصصة في المجال الإنساني والاجتماعي، والجامعة من خلال مجلتها هذه لتحرص دوماً على استقطاب الدارسين الجادين والباحثين المتميزين، وتوفير منبر علمي لهم يشجعهم على المزيد من الإنتاج العلمي والبحثي باعتباره إحدى المؤشرات الاستراتيجية لنهضة الأمة وتقدمها .

ولا يسعنا في ختام كلمتنا إلا أن نشكر كل تلك الأقسام والأفراد التي لم تأل جهداً حتى ظهر هذا العدد إلى النور .

متمنين لوطننا ولكل مؤسساتنا التعليمية ومراكزنا البحثية مزيداً من العطاء والتقدم والازدهار .

استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في

منح الحوافز

دراسة ميدانية على مطحن غلال زليتن

**Use the results of evaluating the performance of
workers in the granting of incentives**

A field study on the mill yields Zliten

د. أسامة حسين شكشك

د. محمود محمد بن مسعود

الجامعة الأسمرية الإسلامية

كلية الاقتصاد والتجارة – قسم ادارة الاعمال



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في منح الحوافز

دراسة ميدانية على مطحن غلال زليتن

تم تحليلها باستخدام الأساليب الإحصائية المناسبة لها. ومن تم التوصل إلى عدد من النتائج أهمها ما يلي:

(١) اتضح أن تقييم الأداء يساعد على إنجاز الأعمال.

(٢) تبين من خلال البحث أنه يتم استخدام نتائج تقييم الأداء بالشكل المطلوب داخل نطاق المطحن.

(٣) هناك علاقة طردية ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم الأداء ومنح الحوافز.

(٤) اتضح أن هناك بعض الصعوبات التي تواجه عملية تقييم الأداء داخل المطحن.

الملخص : يهدف هذا البحث إلى التعرف على واقع حال كل من نظام تقييم الأداء ونظام منح الحوافز من خلال إجراء دراسة استكشافية على عينة عشوائية من العاملين في المطحن وعددهم (٦٠) مفردة.

وتتلخص مشكلة الدراسة في محاولة الإجابة على السؤال التالي:

س/ ما هو أثر استخدام نتائج تقييم الأداء على الحوافز الممنوحة؟

وتم جمع البيانات بواسطة توزيع استمارة استبيان مكونة من محورين: المحور الأول من (١٠) أسئلة عن تقييم الأداء أما المحور الثاني فيتكون من (٧) أسئلة عن الحوافز،

Abstract : This research aims to identify the reality of the event all of the performance appraisal system and the system of incentives through an exploratory study on a random sample of workers in the mill and the number (60) single.

The problem for the studying an attempt to answer the following questions :

Q/ What is the impact of the use of assessment results on the performance incentives?

Data was collected by distributing a questionnaire consisting of two axes: the axis of the first (10) questions about the performance evaluation the second axis consists of (7) questions about the incentives,

were analyzed using appropriate statistical methods. It was reached a number of results including the following:

- 1) It became clear that assessment of performance helps to get things done.
- 2) Research shows that it is using the results of performance evaluation as required within the mill.
- 3) there is a statistically significant positive correlation between the results of performance evaluation and incentives.
- 4) It became clear that there are some difficulties faced by the performance appraisal process within the mill.

المقدمة :

تعد وظيفة تقييم أداء العاملين من أهم الوظائف التي تمارسها إدارة الموارد البشرية وعلى الرغم من هذه الأهمية إلا أنها أقل الوظائف جاذبية لجميع الإدارات. أسباب ذلك عديدة يأتي في مقدمتها صعوبة تحقيق التقويم الفعال لأن العملية تخضع للحكم الشخصي ولأن الذين يمارسونها على الأغلب غير مدربين جيداً على كيفية إتقانها بفاعلية عالية فضلاً عن أن الكثير منا لا يرغب في سماع الانتقادات بشأن أدائه. ولكن رغم هذه الأسباب فإن التقويم وتحديد المستوى الفعلي لأداء الفرد ومدى التزامه بضوابط وتعليمات المنظمة، ومدى إمكانية الاعتماد عليه مستقبلاً، كل ذلك يشكل في رأينا نقطة أساسية في نجاح منظمات الأعمال بغض النظر عن حجمها أو نوعها.

إن انتقاء وتعيين الأفراد الجيدين ووضعهم في الوظائف التي تتلاءم مع مواصفاتهم وطموحاتهم عمل غير متكامل ما لم تقوم المنظمة بصيانتهم وإشباع رغباتهم ببعض الحوافز والمزايا والخدمات لكي تستطيع الاحتفاظ بهم راغبين في العمل ويؤدون المهام المطلوبة منهم بفاعلية عالية .

فقد تم إعداد هذه الدراسة من أجل معرفة مدى استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في منح الحوافز والأسباب التي تؤدي إلى إمكانية الاستفادة من تقييم الأداء بشكل جيد.

أولاً: مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ١ - هل يتم استخدام نتائج تقييم الأداء بالشكل المطلوب؟
- ٢ - ما هو أثر استخدام نتائج تقييم الأداء في الحوافز الممنوحة؟
- ٣ - ما هي أهم الصعوبات التي تواجه عملية تقييم الأداء داخل المطحن؟

ثانياً: أهداف الدراسة:

- ١ - دراسة واقع كل من نظام تقييم أداء العاملين ونظام منح الحوافز داخل المطحن.
- ٢ - تقديم بعض التوصيات التي يمكن أن يستفاد منها في كل من تقييم الأداء والحوافز.

ثالثاً: أهمية الدراسة:

- ١ - يعالج هذا البحث عنصرين هامين وهما تقييم الأداء والحوافز حيث يؤدي قلة الاهتمام بهما إلى آثار سلبية على المطحن محل الدراسة.
- ٢ - قلة البحوث التي تقام على هذا المطحن وخاصة في موضوع تقييم الأداء وربطه بالحوافز الممنوحة.

رابعاً: فروض الدراسة:

هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم الأداء وعملية منح الحوافز.

خامساً: مجتمع الدراسة:

تستهدف هذه الدراسة العاملين في مطحن غلال زليتن وتم اختياره لكونه يدرس بيئة العمل وكذلك سهولة الحصول على المعلومات والبيانات المطلوبة.

سادساً: عينة الدراسة:

تم اختيار عينة عشوائية تمثل العاملين في مطحن غلال زليتن وهي عينة بسيطة مكونة من (٦٠) موظف وتم توزيع (٦٠) استمارة استبيان استرجعت بالكامل.

سابعاً: حدود الدراسة:

أ - الحدود المكانية:

تتحصر الحدود المكانية للدراسة في مطحن غلال زليتن.

ب - الحدود الزمنية:

تتحصر الحدود الزمنية في الفترة التي تم فيها إعداد الدراسة وهي ما بين الشهر السادس والعاشر ٢٠١٤م.

ج - الحدود الموضوعية:

تتمثل الحدود الموضوعية في دراسة استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في منح الحوافز.

ثامناً: أدوات الدراسة:

قام الباحثان بإعداد أداة للدراسة الحالية تتناسب مع أهدافها وفروضها، وهي استبانة استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في منح الحوافز والتي احتوت قسمين من الأسئلة:

القسم الأول: البيانات الشخصية والوظيفية.

القسم الثاني: عبارات الاستبانة وتنقسم إلى محورين رئيسين هما:

المحور الأول: العبارات المتعلقة بتقييم الأداء ، وكان عدد عباراته (١٠).

المحور الثاني: العبارات المتعلقة بالحوافز ، وكان عدد عباراته (٧).

لقد استخدم الباحثان مقياس ليكرت الخماسي Likert Scale لتقدير درجة الإجابة لعبارات الاستبيان ، حيث منح الدرجات من (١ - ٥) ابتداءً بالبداية (منخفض جداً ، منخفض ، متوسط ، عالي ، عالي جداً) ثم تم توزيع الإجابات إلى خمس مستويات متساوية وتم تحديد طول الخلايا في مقياس ليكرت الخماسي ، من خلال حساب المدى بين درجات المقياس (٥ - ١ = ٤) ومن ثم تقسيمه على أكبر قيمة في المقياس للحصول على طول الخلية أي (٤ ÷ ٥ = ٠.٨) وبعد ذلك تم إضافة هذه القيمة إلى أقل قيمة في المقياس (بداية المقياس وهي واحد صحيح) وذلك لتحديد الحد الأعلى لهذه الخلية ، وهكذا أصبح طول الخلايا كما هو موضح بالجدول التالي رقم (١).

جدول رقم (١) : يوضح التحكيم المعتمد في الدراسة (إجابات الأسئلة ودلائها)

الوزن النسبي (درجة الموافقة)	الوسط (درجة الموافقة)	طول الخلية	القيم (المقياس)	الإجابة على الأسئلة (البديل)
٢٠% - ٣٦%	وسط معبر على منخفض جداً	١.٨ - ١	١	منخفض جداً
٣٦% - ٥٢%	وسط معبر على منخفض	٢.٦ - ١.٨	٢	منخفض
٥٢% - ٦٨%	وسط معبر على متوسط	٣.٤ - ٢.٦	٣	متوسط
٦٨% - ٨٤%	وسط معبر على عالي	٤.٢ - ٣.٤	٤	عالي
٨٤% - ١٠٠%	وسط معبر على عالي جداً	٥ - ٤.٢	٥	عالي جداً

تاسعاً: مصادر جمع المعلومات :

١ - المصادر الثانوية :

١. الكتب والمراجع العلمية.
٢. الدراسات السابقة والبحوث المتعلقة بموضوع البحث.
٣. الدوريات والمجلات العلمية والمهنية المتخصصة.
٤. الوثائق والنشرات والإحصائيات التي لها علاقة بالموضوع.
٥. شبكة الإنترنت.

٢ - المصادر الأولية:

لمعالجة الجوانب التحليلية لموضوع الدراسة لجأ الباحثان إلى جمع البيانات الأولية من خلال الاستبانة كأداة رئيسية للدراسة، لما لها من أهمية في توفير الوقت والجهد، فقد صممت خصيصاً لهذا الغرض.

عاشراً: منهجية الدراسة :

تم الاعتماد في الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى المعرفة الدقيقة والتفصيلية حول مشكلة الدراسة ولتحقيق فهم أفضل وأدق للظواهر المتعلقة بها، وباعتباره أنسب المناهج في دراسة الظاهرة محل البحث، لأنه يعتمد على دراسة الواقع أو الظاهرة كما هي على أرض الواقع ويصفها بشكل دقيق، ويعبر عنها كماً وكيفاً، فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح سماتها وخصائصها، أما التعبير الكمي فيعطي وصفاً رقمياً ويوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها، بالإضافة إلى توفير البيانات والحقائق عن المشكلة موضوع الدراسة لتفسيرها والوقوف على دلالاتها^(١).

الحادي عشر: صدق الاستبيان:

يقصد بصدق الاستبيان أن تقيس أسئلة الاستبانة ما وضعت لقياسه، وقام الباحثان بالتأكد من صدق الاستبيان بطريقتين:

(١) سامي ملحم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، الطبعة الأولى، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠، ص ٢٥.

١ - صدق المحكمين:

عرض الباحثان الاستبيان على مجموعة من المحكمين تألفت من أربعة أعضاء متخصصين في مجالي الإدارة والإحصاء في جامعتي طرابلس (الفتاح سابقاً) والمرقب، وقد استجاب الباحثان لآراء السادة المحكمين وقاما بإجراء ما يلزم من حذف وتعديل في ضوء المقترحات المقدمة، وبذلك خرج الاستبيان في صورته النهائية.

٢ - صدق المقياس :

أولاً: الاتساق الداخلي:

يقصد بصدق الاتساق الداخلي مدى اتساق كل عبارة من عبارات الاستبانة مع المحور الذي تنتمي إليه هذه العبارة، وقد قام الباحثان بحساب الاتساق الداخلي للاستبيان وذلك من خلال حساب معاملات الارتباط بين كل عبارة من عبارات محاور الاستبانة والدرجة الكلية للمحور نفسه.

جدول رقم (٢):

معامل الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور الأول (تقييم الأداء) والدرجة الكلية للمحور

رقم العبارة	العبارة	معامل الارتباط	قيمة الاحتمال P-Value
١.	يساعد على إنجاز الأعمال	٠.٧٠٧	٠.٠٠٠
٢.	يقيس صفات العاملين من حيث الدقة في العمل	٠.٧١١	٠.٠٠٠
٣.	تحسين مستوى الموظفين وزيادة مهاراتهم في العمل	٠.٦١٤	٠.٠٠٠
٤.	يطور سبل الاتصال بين المشرفين والموظفين	٠.٧٥٥	٠.٠٠٣
٥.	يضع معايير محددة للتقييم	٠.٦٤٠	٠.٠٠٠
٦.	هناك تحيز من جانب القائم بعملية التقييم	٠.٨٩٥	٠.٠٠٠
٧.	أعلم بدرجة التقييم التي تعطى لي سنوياً	٠.٧٠٣	٠.٠٠٠
٨.	أعلم بجوانب الضعف والقوة في أدائي بعد عملية التقييم	٠.٧٢٠	٠.٠٠٠
٩.	يستخدم أساليب حديثة في التقييم	٠.٧٥١	٠.٠٠٠
١٠.	يتصف التقييم بالموضوعية والعدالة والمساواة	٠.٧٥٨	٠.٠٠٠

يوضح جدول رقم (٢) معامل الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور الأول (تقييم الأداء) والدرجة الكلية، والذي يبين أن معاملات الارتباط ذات دلالة إحصائية عند مستوي معنوية وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

جدول رقم (٣): معامل الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور الثاني (الحوافز) والدرجة

الكلية للمحور

الرقم	العبارة	معامل الارتباط	قيمة الاحتمال P-Value
١.	ملاءمة الحوافز لإنجاز الأعمال	٠.٧٩٢	٠.٠٠٠
٢.	تقدم الحوافز وفقاً لنتائج تقييم الأداء	٠.٨٤٣	٠.٠٠٠
٣.	تتصف الحوافز الممنوحة بالعدالة والموضوعية والمساواة	٠.٧٦٧	٠.٠٠٠
٤.	تمنح الترقية إلى وظائف أعلى لمستحقيها	٠.٦٩٨	٠.٠٠٠
٥.	هناك حوافز مادية ومعنوية	٠.٧١٨	٠.٠٠٠
٦.	التأخر في منح الحوافز	٠.٨٠٥	٠.٠٠٠
٧.	هناك نظام محدد لمنح الحوافز	٠.٦٩٣	٠.٠٠٠

يوضح جدول رقم (٣) معامل الارتباط بين كل عبارة من عبارات المحور الثاني (الحوافز) والدرجة الكلية، والذي يبين أن معاملات الارتباط ذات دلالة إحصائية عند مستوي معنوية وبذلك يعتبر المحور صادق لما وضع لقياسه.

ثانياً: ثبات الاستبانة:

يقصد بثبات الاستبانة أن تعطي هذه الاستبانة نفس النتيجة لو تم إعادة توزيع الاستبانة أكثر من مرة تحت نفس الظروف والشروط، أو بعبارة أخرى أن ثبات الاستبانة يعني الاستقرار في نتائج الاستبانة وعدم تغييرها بشكل كبير فيما لو تم إعادة توزيعها على أفراد العينة عدة مرات خلال فترات زمنية معينة.

وقد تحقق الباحثان من ثبات استبانة الدراسة من خلال طريقة معامل ألفا كرونباخ وذلك كما يلي:

معامل ألفا كرونباخ Cronbach's Alpha Coefficient:

استخدم الباحثان طريقة ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبانة، وكانت النتائج كما هي مبينة بالجدول التالي:

جدول رقم (٤) : يوضح نتائج اختبار ألفا كرونباخ لقياس ثبات الإستبانة

ت	المحور	معامل ألفا كرونباخ
١.	تقييم الأداء	٠.٨٠٤
٢.	الحوافز	٠.٧١٧
٣.	جميع عبارات الاستبانة	٠.٨٥٥

واضح من النتائج المبينة في جدول (٤) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ مرتفعة لكل محور من محاور الاستبانة. كذلك فإن قيمة معامل ألفا لجميع عبارات الاستبيان كانت من (٠.٨٥٥) وهذا يعنى أن معامل الثبات مرتفعة، وتكون الاستبانة في صورتها النهائية قابلة للتوزيع. وبذلك يكون الباحثان قد تأكدا من صدق وثبات استبانة الدراسة مما يجعلها على ثقة تامة بصحة الاستبانة وصلاحيتها لتحليل النتائج والإجابة على أسئلة الدراسة واختبار فرضياتها.

الثاني عشر: الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث:

قام الباحثان بتفريغ وتحليل الاستبانة، ومعالجة بيانات الدراسة وفقا لبرنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (Statistical Process For Social Science) والذي عبر عنه اختصاراً (SPSS) حيث سيستخدم الباحثان أساليب المعالجة الإحصائية التالية:

- ١ - حساب المتوسط الحسابي.
- ٢ - الانحراف المعياري.
- ٣ - معامل ارتباط بيرسون لقياس صدق الفقرات.
- ٤ - معامل ارتباط سبيرمان لفروق الرتب لمعرفة نوع ودرجة العلاقة بين المتغيرات المراد قياس العلاقة بينها.
- ٥ - اختبار ألفا كرونباخ (Cronbach's Alpha): لمعرفة ثبات فقرات الإستبانة.

الثالث عشر: الدراسات السابقة:

(١) دراسة الزيداني، عوض (٢٠٠٩): دور الحوافز في تحقيق الرضا والأداء الوظيفي لشاغلي الوظائف الإدارية في قطاع الصحة شعبية مصراة:
هدفت الدراسة إلى:

- ١ - التعرف على أهم أنواع الحوافز المادية والمعنوية من وجهة نظر الموظفين الإداريين باللجنة الشعبية للصحة.

٢ - معرفة العلاقة بين نظام الحوافز والرضا والأداء الوظيفي للموظفين الإداريين باللجنة الشعبية للصحة.

وتوصلت إلى:

١ - ضرورة اهتمام اللجنة الشعبية للصحة بالشعبية بالحوافز المادية والمعنوية التي اعتبرها الموظفون الإداريون أكثر الحوافز تأثيراً على رضاهم.

٢ - أن تكون هناك معايير واضحة للحوافز وتكون منطلقة من الكفاءة والأفكار الجديدة والالتزام والمواظبة والإنجاز والإبداع في أداء العمل.

(٢) دراسة شعاب، إبراهيم بدر (٢٠٠٥): الحوافز الإدارية في الفكر الإسلامي: أهم أهدافها:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مكانة الفكر العربي الإسلامي في مجال الحوافز الإدارية، وبيان إمكانية تطبيقه في الواقع المعاصر والاستفادة منه في الأبحاث والدراسات التي تتعلق بجوانب علم الإدارة وتطبيقاته بصورة عامة. وكانت أهم النتائج للبحث ما يلي:

١ - إن نظام الحوافز الإدارية في الإسلام يشمل جميع الجوانب الإنسانية والمعنوية والروحية، في حين تقتصر النظم المعاصرة على الجانبين المادي والمعنوي وحسب.

٢ - تسيطر على المسلم القوى الدافعة للعمل أكثر من القوى المحفزة له.

٣ - إن الحافز الروحي يفترض أن إعطاء العامل أو الموظف المسلم الملتزم بعقيدته ونشاطه وجهوده لا يتغير لتغير الحوافز المادية والمعنوية زيادة ونقصاً، أو بتغير نمط الإشراف والرقابة الذي يخضع له.

(٣) دراسة العتيبي، نجلاء (٢٠٠٦): الحوافز وتأثيرها على الرضا الوظيفي: وهدفت الدراسة إلى:

١ - تقييم المستوى الحالي للحوافز المقدمة للمعلمات في التعليم الأهلي ومدى فاعليتها في تحفيزهن.

٢ - دراسة العلاقة بين تأثير مستوى الحوافز على الرضا الوظيفي.

وتوصلت الدراسة إلى:

١ - وجود علاقة طردية بين اتخاذ العلاقات الشخصية في الحصول على الحوافز وبين انخفاض الروح المعنوية للمعلمات.

٢ - يؤدي عدم وجود نظام سليم للحوافز إلى حصول معلمات أقل كفاءة على الحوافز وهذا يؤدي إلى خفض الروح المعنوية للمعلمات.

٤) دراسة ميلاد، إلهام إبراهيم (٢٠٠٥): كفاءة تقييم أداء العاملين وأثرها على الإنتاج والإنتاجية (شركة الزاوية لتكرير النفط):

وهدفت إلى:

١ - إمكانية التعرف على المشاكل والصعوبات التي تواجه الإنتاج لتحديد الاستخدام الأمثل لتقنية المعدات الحديثة والوصول إلى نتائج ملموسة تساعد على حل المشكلات للنهوض بهذا القطاع الإنتاجي.

وتوصلت إلى :

١ - قلة اهتمام الإدارة العليا بتطوير البرامج التدريبية على التقنية الحديثة في الإنتاج.
٢ - وجود قصور في إدراك الإدارة العليا لأهمية خلف الكفاءات الفنية في الإنتاج بالشركة.

٥) دراسة البشير، الصديق علي (٢٠٠٧): المعايير الشخصية في تقييم الأداء وأثرها على أداء العاملين (مصرف الصحاري ومصرف الأمة):

هدفت الدراسة إلى:

١ - تحديد مدى كفاءة النظام الحالي المتبع لتقييم أداء العاملين في المصرفين وفي تحقيق تقييم حقيقي لأداء العاملين واثار ذلك على أدائهم.

وتوصلت إلى النتائج الآتية:

١ - لا يعتمد على المعايير الموضوعية في تقييم الأداء بمجتمع الدراسة بالرغم من وجود معدلات أداء مقرررة في المصرف حيث يعتمد المقيم على الأداء البارز والمتدني للعمل.

٢ - اعتماد المعايير الشخصية في تقييم أداء العاملين بالمصرف يؤدي إلى تدني أدائهم.

٦) دراسة السبعان، العنود (٢٠٠٧): أثر الحوافز على الرضا الوظيفي للممرضات في المستشفيات العامة:

هدفت إلى:

١ - التوصل إلى معرفة الحوافز المؤثرة على خدمة التمريض والتي تتوقعها الممرضات.

٢ - التوصل إلى معرفة أنواع الحوافز المادية والمعنوية التي تتلقاها الممرضة في المستشفيات العامة.

وتوصلت إلى:

- ١ - يرى أفراد الدراسة أن الحوافز المادية تقدم بدرجة قليلة للممرضات العاملات في المستشفيات العامة.
- ٢ - يرى أفراد الدراسة أن الحوافز المعنوية لا تستخدم إطلاقاً مع الممرضات العاملات في المستشفيات العامة.
- ٣ - هناك علاقة طردية بين تطبيق الحوافز المادية والمعنوية والرضا عن بيئة العمل الوظيفي.
- (٧) دراسة الغامدي، علي بن محمد زهيد (٢٠١٠): تعدد الأساليب لتقويم أعضاء هيئة التدريس بالجامعات طريقنا نحو تحسين جودة الأداء المؤسسي، جامعة طيبة: هدفت الدراسة إلى:
 - ١ - استعراض الأساليب المختلفة المستخدمة في عملية تقويم أداء عضو هيئة التدريس الجامعي، وتوضيح خصائص كل منها، والمميزات التي تتميز بها الأساليب الأخرى وإجراءات تطبيقها.وتوصلت إلى:
 - ١ - أن تنوع أساليب أعضاء هيئة التدريس يضمن التوصل إلى أحكام أكثر دقة وموضوعية.
 - ٢ - لا يمكن الاقتصار على أسلوب من أساليب التقويم بل يفضل أن تتكامل أساليب تقويم الطلاب وتقويم الزملاء وتقويم رئيس القسم أو العميد والتقويم الذاتي مع بعضها البعض.
 - ٣ - إن التقويم الفعال هو الذي يتميز بالاستمرار على مدار العام.
- (٨) دراسة عبد الله، نجمة سوسى (٢٠١٠): تقييم أداء العاملين وتأثيره على دافعيته: هدفت الدراسة إلى:
 - ١ - اكتشاف نقاط القوة والضعف في نظام تقييم أداء العاملين المطبق بالشركة قيد الدراسة، وكذلك تقديم تحليل عن طبيعة العلاقة بين تقييم أداء العاملين ودافعيته في الشركة قيد الدراسة.وتوصلت الدراسة إلى:
 - ١ - قلة الاستعانة بالخبراء والمتخصصين في إعداد معايير تقييم الأداء، وكذلك قلة وجود مرجعية علمية في تقييم الأداء للعاملين.
 - ٢ - معايير التقييم لم يحدث فيها أي تعديل أو تطوير منذ فترة زمنية طويلة.

الإطار النظري للدراسة

أولاً: مفهوم تقييم الأداء:

هناك مجموعة من المفاهيم لتقييم الأداء يمكن أن نحدد منها ما يلي:

- ١ - هو العملية التي تحاول الإدارة من خلالها تقرير مدى صلاحية وجودة الأداء الذي يؤديه الأفراد العاملين في المنظمة وفقاً لما تقرره تلك الإدارة^(١).
- ٢ - هو عملية دورية هدفها قياس نقاط القوة والضعف في الجهود التي يبذلها الفرد والسلوكيات التي يمارسها في موقف معين من أجل تحقيق هدف محدد خططت له المنظمة مسبقاً^(٢).
- ٣ - هو التأكد من كفاءة الموارد المتاحة في تنفيذ الأهداف المخططة^(٣).

ثانياً: أهداف تقييم الأداء:

من بين الأهداف التي تسعى إدارة الموارد البشرية إلى تحقيقها على مستوى المنظمة ما يأتي:

- ١ - خلق مناخ من الثقة والتعامل الأخلاقي عن طريق تأكيد الأسس العلمية في التقويم والموضوعية في إصدار الأحكام مما يبعد عن المنظمة احتمالات شكوى العاملين أو اتهامها بالمحاباة وتفضيل بعضهم على بعض لاعتبارات شخصية وليست عملية أو موضوعية .
- ٢ - النهوض بمستوى العاملين من خلال استثمار قدراتهم الكامنة وتوظيف طموحاتهم بأساليب تؤهلهم للتقدم، وكذلك تطوير من يحتاج منهم إلى تدريب أكثر.
- ٣ - وضع معدلات موضوعية لأداء العمل من خلال دراسة تحليلية للعمل ومستلزماته.
- ٤ - تحديد تكاليف العمل الإنساني، وإمكانية ترشيد سياسات الإنتاج وسياسات التوظيف عن طريق الربط بين التكلفة والعائد^(٤).

(١) محمود محمد المنصوري، دورة مبادئ الإدارة الحديثة الأسس العلمية لتقييم الأداء، بنغازي، المناهل للطباعة، ١٩٩٩، ص ١.

(٢) عادل حرجوش صالح، مؤيد سعيد السالم، إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩، ص ١٠٢.

(٣) Michael Carrll, Frank Kuzmits, and Norbert Albert, Personnel Human Resource management (Ne York: Macmillan Publishing co. inc. 1992), pp. 236-237.

(٤) عادل حرجوش صالح ، مؤيد سعيد السالم، المرجع السابق، ص ١٠٤.

ثالثاً: الخطوات الاستراتيجية لعملية تقييم الأداء:

على الرغم من اختلاف خطوات تقييم أداء العاملين لكننا من الوجهة الاستراتيجية نستطيع وضع الخطوط العامة لعدة خطوات على النحو التالي:

- ١ - تحديد متطلبات التقييم وأهدافه.
- ٢ - اختيار الطريقة المناسبة للتقييم.
- ٣ - تدريب المشرفين.
- ٤ - مناقشة طرق التقييم مع الموظفين.
- ٥ - وضع معايير للمقارنة.
- ٦ - مناقشة نتائج التقييم مع الموظفين.
- ٧ - اتخاذ القرارات الإدارية.
- ٨ - وضع خطط تطوير الأداء^(٥).

رابعاً: من يقيّم أداء الموظف:

فيما يلي أهم الأطراف التي يمكن أن تمارس عملية التقييم:

- ١ - المشرف المباشر.
- ٢ - رئيس المشرف المباشر.
- ٣ - تقييمات الأقران.
- ٤ - اللجان.
- ٥ - التسليم الذاتي.
- ٦ - خبراء إدارة الموارد البشرية^(٦).

خامساً: مفهوم الحوافز:

هناك مجموعة من المفاهيم للحوافز يمكن أن نحدد منها ما يلي:

- ١ - الحوافز هي مجموعة العوامل والمؤثرات التي تدفع العامل سواءً أكان مديراً أم منسقاً نحو بذل أكبر جهد في عمله والامتثال عن الخطأ فيه^(٧).
- ٢ - الحوافز هي إغراء تضعه الإدارة لجعل الأفراد يتصرفون بطريقة معينة^(٨).

(٥) سناء عبد الرحيم العبادي، تقييم فعالية نظام تقييم أداء العاملين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٩٧، ص ٢١ - ٢٢.

(٦) Robert. Math is and Jack Son Jonsi, Human Resource management (New York: Wet publishing Co. 7th. Ed. (٦)

1994), P. 330.

(٧) إبراهيم بدر شهاب، الحوافز الإدارية في الفكر الإسلامي، مجلة الإدارة العامة، العدد الثاني، مايو ٢٠٠٥، ص ٢٤٦.

سادساً: أهمية الحوافز وأهدافها:

(أ) أهمية الحوافز:

يمكن توضيح أهمية الحوافز في الآتي:

- ١ - تحقق نظم الحوافز الكفوة زيادة في العوائد المتحققة للمنظمة من خلال رفع الكفاءة الإنتاجية للأفراد العاملين.
- ٢ - تحسن الوضع المادي والنفسي والاجتماعي للفرد، وتحقق التوازن بين المصالح الذاتية للفرد ومصالح المنظمة.
- ٣ - تقليل كلف الإنتاج لما تحققه الحوافز من دفع الأفراد لابتكار وتطوير أساليب عمل حديثة من شأنها زيادة الكثافة الإنتاجية.
- ٤ - تعمل الحوافز على تنمية روح التعاون بين العاملين^(٩).

(ب) أهداف الحوافز:

إن وجود نظام فعال للحوافز يحقق مجموعة من الأهداف من أهمها:

- ١ - زيادة درجة الرضا بين العاملين ونشر روح التعاون بينهم.
- ٢ - زيادة الثقة والاحترام المتبادل بين الرؤساء والمرؤوسين.
- ٣ - زيادة دخول العاملين وتنمية علاقات طيبة داخل المنظمة.
- ٤ - تنمية روح الابتكار والتجديد لدى العاملين^(١٠).

سابعاً: أنواع نظم الحوافز:

هناك مجموعة من الحوافز أهمها ما يلي:

(أ) حوافز على مستوى الفرد، وتتضمن:

- ١ - حوافز العمال، وتشتمل على نوعين هما:
 - الحوافز بالقطعة.
 - حوافز الوقت.
- ٢ - حوافز المتخصصين والإداريين، وتشتمل على نوعين هما:
 - العلاوة.
 - العمولة.

(٨) سعاد نايف برنوطي، إدارة الموارد البشرية، الطبعة الثانية، الأردن، دار وائل، ٢٠٠٤، ص ٣٤٥.

(٩) صالح عودة سعيد، إدارة الأفراد، طرابلس، الجامعة المفتوحة، ١٩٩٩، ص ٢٩٠.

(١٠) حسين مرسي، الحوافز وأثرها على إعادة الهيكلة، مجلة البحوث التجارية، العدد الثاني، يوليو ٢٠٠٥، ص ١٤٥.

(ب) الحوافز على مستوى المنظمة ككل، وتتضمن :

- المشاركة في الأرباح.

- خطط الاقتراحات.

- ملكية العاملين لأسهم الشركة^(١١).

ثامناً : المراحل الأساسية لتصميم نظام الحوافز:

لكي تتمكن الإدارة من تصميم نظام جيد للحوافز، نقدم هنا دليلاً عملياً للخطوات التي يجب أن تمر بها، وبإمكان الإدارة أن تحل هذه الخطوات بالشكل الذي تراه مناسباً، وهذه الخطوات أو المراحل هي كما يلي^(١٢):

١ - مرحلة الدراسة والإعداد.

٢ - مرحلة وضع الخطة.

٣ - مرحلة تجريب الخطة.

٤ - مرحلة التنفيذ والمتابعة.

تاسعاً: معوقات عملية التحفيز :

هناك مجموعة من معوقات الحوافز منها ما يلي^(١٣):

١ - الخوف أو الرهبة من المؤسسة.

٢ - عدم وضوح الأهداف لدى إدارة المؤسسة.

٣ - عدم المتابعة للعاملين فلا يعرف المحسن من المسيء.

٤ - قلة التدريب على العمل وقلة التوجيه لتصحيح الأخطاء.

٥ - عدم وجود قنوات اتصال بين المديرين والعاملين فيكون كل في واد.

٦ - الأخطاء الإدارية كتعدد القرارات وتضاربها.

٧ - تعدد القيادات وتضارب أوامرها.

٨ - كثرة التغيير في القيادات وخاصة إذا كان لكل منهم أسلوب في العمل يختلف عن سابقه.

(١١) عادل ثابت، سيكولوجيا الإدارة المعاصرة، الأردن، دار أسامة، ٢٠٠٨، ص ٩٩ - ١٠٠.

(١٢) عادل حرحوش صالح، المرجع السابق، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

(١٣) عادل ثابت، المرجع السابق، ص ١٠٣.

الإطار العملي للدراسة

مقدمة:

يتناول هذا الفصل عرضاً مفصلاً للمنهجية والإجراءات التي تم الاعتماد عليها في تنفيذ الدراسة الميدانية، بهدف التعرف على استخدام نتائج تقييم أداء العاملين في منح الحوافز، وتشمل منهجية الدراسة، ووصف لمجتمع وعينة الدراسة، وخصائص هذه العينة، والأدوات الرئيسية للدراسة (الاستبانة)، وفحص مصداقيتها وثباتها، إضافة إلى بيان الأساليب الإحصائية المستخدمة في معالجة نتائج الدراسة.

وصف العينة :

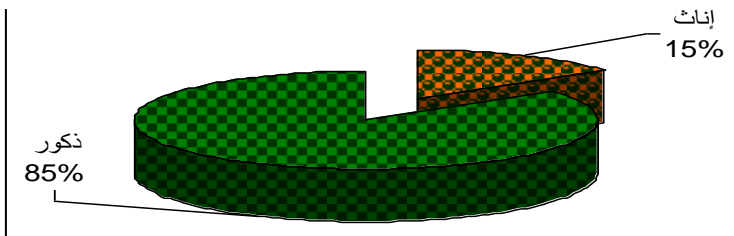
الجدول التالي يبين التوزيع التكراري والنسبي لجنس العينة قيد الدراسة بالمطحن.

الجدول (٥): التوزيع التكراري والنسبي لجنس عينة الدراسة بالمطحن

الجنس	العدد	النسبة المئوية
إناث	٩	١٥.٠
ذكور	٥١	٨٥.٠
المجموع	٦٠	١٠٠.٠

فلقد أظهرت البيانات الواردة بالجدول (٥) أن الغالبية من أفراد العينة (٨٥.٠٪) كانوا من الذكور والنسبة الباقية كانت للإناث بنسبة (١٥.٠٪)، والشكل التالي يبين التمثيل البياني لنتائج الجدول (٥):

الشكل (٢): التوزيع النسبي لجنس عينة الدراسة بالمطحن



أما عن الجدول (٦) التالي فإنه يبين التوزيع التكراري والنسبي للمستوى الوظيفي للعينة قيد الدراسة:

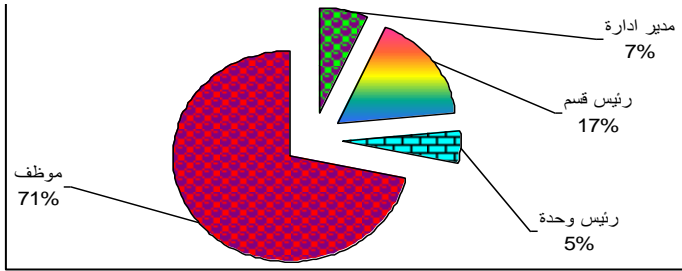
الجدول (٦): التوزيع التكراري والنسبي للمستوى الوظيفي لعينة الدراسة بالمطحن

المستوى الوظيفي	التكرار	النسبة المئوية
مدير إدارة	٤	٦.٧

رئيس قسم	١٠	١٦.٧
رئيس وحدة	٣	٥.٠
موظف	٤٣	٧١.٧
المجموع	٦٠	١٠٠.٠

لقد أظهرت البيانات الواردة بالجدول (٦) أن الغالبية من أفراد العينة (٧١.٧%) كان مستواهم الوظيفي (موظف) ، بينما (١٦.٧%) كان مستواهم الوظيفي (رئيس قسم). و(٦.٧%) مستواهم الوظيفي (مدير إدارة). و(٥.٠%) مستواهم الوظيفي (رئيس وحدة). والشكل التالي يبين التمثيل البياني لنتائج الجدول (٦):

الشكل (٣) : التوزيع النسبي للمستوى الوظيفي لعينة الدراسة بالمطحن



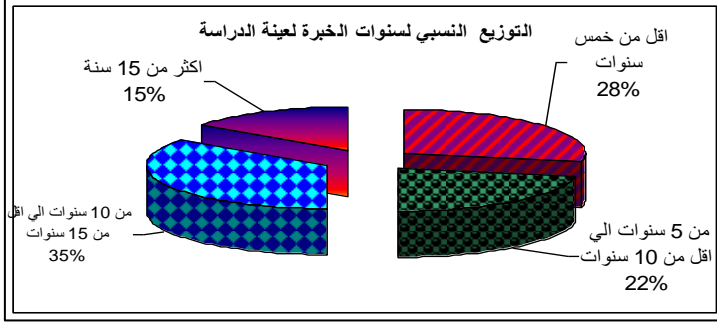
أما عن الجدول (٧) التالي فإنه يبين التوزيع التكراري والنسبي لسنوات الخبرة للعينة قيد الدراسة:

الجدول (٧): التوزيع التكراري والنسبي لسنوات الخبرة لعينة الدراسة بالمطحن

النسبة المئوية	التكرار	مدة الخبرة
٢٨.٣	١٧	اقل من خمس سنوات
٢١.٧	١٣	من ٥ سنوات إلي اقل من ١٠ سنوات
٣٥.٠	٢١	من ١٠ سنوات إلي اقل من ١٥ سنوات
١٥.٠	٩	أكثر من ١٥ سنة
١٠٠.٠	٦٠	المجموع

لقد أظهرت البيانات الواردة بالجدول (٧) أن الغالبية من أفراد العينة (٣٥.٠%) كانت خبرتهم في مجال عملهم الحالي (موظفين بالمطحن) كانت من ١٠ سنوات إلي اقل من ١٥ سنوات ، (٢٨.٣%) كانت اقل من خمس سنوات ، (٢١.٧%) منهم خبرتهم من ٥ سنوات إلي اقل من ١٠ سنوات ، (١٥.٠%) خبرتهم أكثر من ١٥ سنة. والشكل التالي يبين التمثيل البياني لنتائج الجدول (٧):

الشكل (٤): التوزيع النسبي لسنوات الخبرة لعينة الدراسة



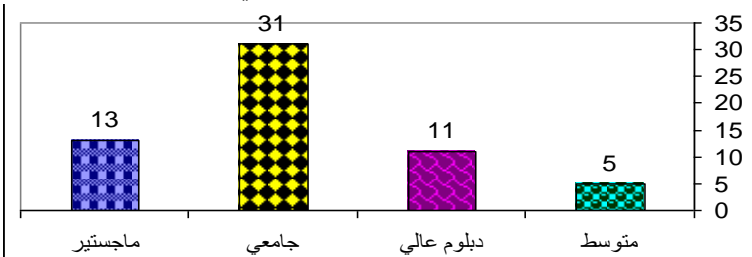
الجدول رقم (٨) يبين التوزيع التكراري والنسبي للمؤهل العلمي لعينة الدراسة العاملة بالمطحن:

الجدول (٨): التوزيع التكراري والنسبي للمؤهل العلمي لعينة الدراسة

النسبة المئوية	التكرار	الفئة
٨.٣	٥	متوسط
١٨.٣	١١	دبلوم عالي
٥١.٧	٣١	جامعي
٢١.٧	١٣	ماجستير
١٠٠.٠	٦٠	المجموع

من الجدول رقم (٨) أظهرت البيانات الواردة بالدراسة أن الغالبية من أفراد عينة الدراسة حاصلين على مؤهل جامعي (٥١.٧٪) ، يليها مؤهل ماجستير بنسبة (٢١.٧٪) . أما أقل نسبة فكانت للحاصلين على المؤهل العلمي متوسط بنسبة (٨.٣٪). والشكل التالي يبين التمثيل البياني لنتائج الجدول (٨):

الشكل (٥): التوزيع التكراري للمؤهل العلمي لعينة الدراسة



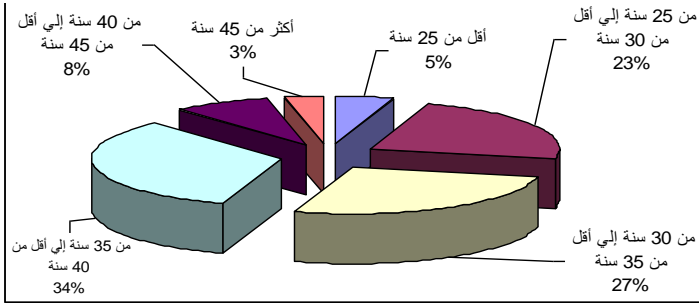
أما عن الجدول (٩) التالي فإنه يبين التوزيع التكراري والنسبي للعمر لعينة قيد الدراسة:

الجدول (٩): التوزيع التكراري والنسبي للعمر لعينة الدراسة بالمطحن

النسبة المئوية	التكرار	العمر
٥.٠	٣	أقل من ٢٥ سنة
٢٣.٣	١٤	من ٢٥ سنة إلي أقل من ٣٠ سنة
٢٦.٧	١٦	من ٣٠ سنة إلي أقل من ٣٥ سنة
٣٣.٣	٢٠	من ٣٥ سنة إلي أقل من ٤٠ سنة
٨.٣	٥	من ٤٠ سنة إلي أقل من ٤٥ سنة
٣.٣	٢	أكثر من ٤٥ سنة
١٠٠.٠	٦٠	المجموع

لقد أظهرت البيانات الواردة بالجدول (٩) أن الغالبية من أفراد العينة (٣٣.٣٪) كان عمرهم من ٣٥ سنة إلي أقل من ٤٠ سنة ، بينما (٢٦.٧٪) كان عمرهم من ٣٠ سنة إلي أقل من ٣٥ سنة و(٢٣.٣٪) من ٢٥ سنة إلي أقل من ٣٠ سنة. و(٨.٣٪) من ٤٠ سنة إلي أقل من ٤٥ سنة و(٥.٠٪) أقل من ٢٥ سنة . و(٥.٠٪) أكثر من ٤٥ سنة ، والشكل التالي يبين التمثيل البياني لنتائج الجدول (٩):

الشكل (٦) : التوزيع النسبي للعمر لعينة الدراسة بالمطحن



تساؤلات الدراسة:

- السؤال الأول : هل يتم استخدام نتائج تقييم الأداء بالشكل المطلوب؟

للإجابة على هذا السؤال قام الباحثان بحساب الوسط الحسابي، والانحراف المعياري والوزن النسبي واختبار (t) حول المتوسط الافتراضي ($\mu = 3$) لتحليل العبارات المتعلقة بتقييم الأداء فكانت النتائج وفق ما هو موضح بالجدول التالي:

جدول رقم (١٠): حساب الوسط الحسابي، والانحراف المعياري والوزن النسبي اختبار (t)

الإيجابية	الترتيب	مستوى المعنوية المشاهد P-Value	قيمة (ت) المحسوبة t- calculate d	الفرضية	الوزن النسبي	σ	μ	العبرة	المحور
عالي جداً	١	0.000	13.245	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٨٦.٤	٠.٧٧٠	٤.٣٢	يساعد على إنجاز الأعمال	تقييم الأداء
عالي	٥	0.000	6.452	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧٥.٦	٠.٩٤٠	٣.٧٨	يقيس صفات العاملين من حيث الدقة في العمل	
عالي	٢	0.000	8.536	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧٩.٦	٠.٨٩٢	٣.٩٨	تحسين مستوى الموظفين وزيادة مهاراتهم في العمل	
عالي	٤	0.000	6.383	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧٦.٦	١.٠١١	٣.٨٣	يطور سبل الاتصال بين المشرفين والموظفين	
عالي	٣	0.000	8.882	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧٩.٤	٠.٨٤٣	٣.٩٧	يضع معايير محددة للتقييم	

عالي	٩	0.038	2.124	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٨٦	١٠٩٣	٣٠٤٠	هناك تحيز من جانب القائم بعملية التقييم
عالي	٧	0.000	4.305	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧٠٤	١٠٩٢	٣٠٥٢	أعلم بدرجة التقييم التي تعطى لي سنوياً
متوسط	١١	0.419	.814	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٦٢	١٠٩٥	٣٠١٠	أعلم بجوانب الضعف والقوة في أدائي بعد عملية التقييم
عالي	٨	0.001	3.390	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧٠	١٠٩١	٣٠٥٠	يستخدم أساليب حديثة في التقييم
عالي	٦	0.000	4.399	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧١٤	١٠٩٧	٣٠٥٧	يتصف التقييم بالموضوعية والعدالة والمساواة
عالي		0.001	4.735	$H_0 : \mu = 3$ VS $H_1 : \mu \neq 3$	٧١٦	١٠٩٠	٣٠٥٨	الدرجة الكلية

يتضح من نتائج جدول رقم (١٠) أن مستوى المعنوية المشاهد (P-Value) لجميع العبارات ما عدا (٨) كان أصغر من مستوى المعنوية المحدد ($\alpha = 0.05$) مما يدل على أن أفراد العينة المبحوثين أعطوا إجابة لهذه العبارات تختلف عن متوسط ، ولمعرفة نوع الاختلاف ما إذا كان بالارتفاع أو بالانخفاض تم المقارنة بين الوزن النسبي لهذه العبارات و درجة الموافقة وفق المحك المعد من قبل الباحثان فكانت نتائج العبارات وترتيبها كما يلي :

العبارة " يساعد على إنجاز الأعمال " حصلت على المرتبة الأولى من حيث درجة الموافقة لمحور تقييم الأداء وذلك لأنها حصلت على متوسط حسابي (٤.٣٢) ووزن نسبي (٨٦.٤) وهو ينحصر بين (٨٤٪ - ١٠٠٪) المعبر على درجة عالي جداً ، ثم تليها في المرتبة الثانية العبارة " تحسين مستوى الموظفين وزيادة مهاراتهم في " حيث حصلت على متوسط حسابي (٣.٩٨) ووزن نسبي (٧٩.٦) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي ، ثم جاءت في المرتبة الثالثة العبارة " يضع معايير محددة للتقييم " حيث حصلت على متوسط حسابي (٣.٩٧) ووزن نسبي (٧٩.٤) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي، ثم جاءت العبارة " يطور سبل الاتصال بين المشرفين والمرؤوسين " في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (٣.٨٣) ووزن نسبي (٧٦.٦) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي ، ثم جاءت في المرتبة الخامسة الفقرة " يقيس صفات العاملين من حيث الدقة في العمل " بمتوسط حسابي (٣.٧٨) ووزن نسبي (٧٥.٦) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي ، ثم جاءت في المرتبة السادسة العبارة " يتصف التقييم بالموضوعية والعدالة والمساواة " بمتوسط حسابي (٣.٥٧) ووزن نسبي (٧١.٤) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي ، ثم جاءت في المرتبة السابعة الفقرة " أعلم بدرجة التقييم التي تعطى لي سنوياً " بمتوسط حسابي (٣.٥٢) ووزن نسبي (٧٠.٤) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي، ثم جاءت في المرتبة الثامنة الفقرة " يستخدم أساليب حديثة في التقييم " بمتوسط حسابي (٣.٥٠) ووزن نسبي (٧٠) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي، ثم جاءت في المرتبة التاسعة الفقرة " هناك تحيز من جانب القائم بعملية التقييم " بمتوسط حسابي (٣.٤٠) ووزن نسبي (٦٨) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي.

أما بالنسبة للعبارة " أعلم بجوانب الضعف والقوة في أدائي بعدم عملية التقييم " فقد كان مستوى المعنوية المشاهد (P-Value) أكبر من مستوى المعنوية المحدد ($\alpha = 0.05$) مما يدل على أن أفراد العينة المبحوثين أعطوا إجابة متوسط لهذه العبارات. مما سبق يتبين لنا أن الأفراد المبحوثين أجابوا بدرجة مرتفعة على أغلب عبارات محور تقييم الأداء، وهذا دليل على إعطاء درجة عالية على استخدام تقييم الأداء في المطحن بشكل يحقق المطلوب منه، وبالمقارنة بين قيمة مستوى المعنوية المشاهد ($P\text{-Value}=0.000$) للدرجة الكلية للعبارات ومستوى المعنوية المحدد ($\alpha = 0.05$) نجد أن ($P\text{-Value}=0.001$) كانت أصغر من ($\alpha = 0.05$) مما يدل على رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل ، أي بمعنى أنه يتم استخدام نتائج تقييم الأداء في المطحن بالشكل المطلوب.

السؤال الثاني: ما هو أثر استخدام نتائج تقييم الأداء على الحوافز الممنوحة؟ إن الإجابة على هذا السؤال هي نفسها الإجابة على الفرضية (أي زيادة استخدام نتائج تقييم الأداء سيبتعها زيادة في الحوافز الممنوحة والعكس صحيح). وللإجابة على هذا السؤال قام الباحثان بحساب الوسط الحسابي، والانحراف المعياري والوزن النسبي واختبار (t) حول المتوسط الافتراضي ($\mu = 3$) لتحليل العبارات المتعلقة بالحوافز فكانت النتائج وفق ما هو موضح بالجدول التالي:

جدول رقم (11): حساب الوسط الحسابي، والانحراف المعياري والوزن النسبي اختبار (t)

تحليل العبارات المتعلقة بالحوافز

المحور	العبارة	μ	σ	الوزن النسبي	الفرضية	t-calculated القيمة الحسوبة (ت)	P-Value مستوى المعنوية المشاهد	الترتيب	الإجابة
الحوافز	ملاءمة الحوافز لإنجاز الأعمال	3.85	0.798	77	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	8.242	0.000	٢	عالي
	تقدم الحوافز وفقاً لنتائج تقييم الأداء	4.20	0.879	84	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	10.57 3	0.000	١	عالي
	تنصف الحوافز الممنوحة بالعدالة والموضوعية	3.52	0.892	70.4	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	4.485	0.000	٤	عالي

عالي	٢	0.000	5.724	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	73	0.879	3.65	تمنح الترقية إلى وظائف أعلى لمستحقيها
متوسط	٧	0.533	-0.627	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	58.4	1.029	2.92	هناك حوافز مادية ومعنوية
متوسط	٦	0.903	0.123	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	60.4	1.049	3.02	التأخر في منح الحوافز
متوسط	٥	0.799	0.256	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	60.6	1.007	3.03	هناك نظام محدد لمنح الحوافز
عالي		0.047	2.488	$H_0 : \mu = 3$ vs $H_1 : \mu \neq 3$	69.2	0.484	3.46	الدرجة الكلية

يتضح من نتائج جدول رقم (١١) أن مستوى المعنوية المشاهد (P-Value) لجميع العبارات ما عدى (٧،٦،٥) كان أصغر من مستوى المعنوية المحدد ($\alpha = 0.05$) مما يدل على أن أفراد العينة المبحوثين أعطوا درجة الصعوبة لهذه العبارات تختلف عن متوسط ، ولمعرفة نوع الاختلاف ما إذا كان بالارتفاع أو بالانخفاض تم المقارنة بين الوزن النسبي لهذه العبارات ودرجة الصعوبة وفق المحك المعد من قبل الباحثان فكانت نتائج العبارات وترتيبها كما يلي :

العبارة " تقدم الحوافز وفقاً لنتائج تقييم الأداء " حصلت على المرتبة الأولى من حيث درجة الصعوبة لمحور الحوافز وذلك لأنها حصلت على متوسط حسابي (٤.٢٠) ووزن نسبي (٨٤) وهو ينحصر بين (٨٤٪ - ١٠٠٪) المعبر على درجة عالي جداً، ثم تليها في المرتبة الثانية العبارة " ملاءمة الحوافز لإنجاز الأعمال " حيث حصلت على متوسط حسابي (٣.٨٥) ووزن نسبي (٧٧) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي ، ثم جاءت في المرتبة الثالثة العبارة " تمنح الترقية إلى وظائف أعلى لمستحقيها " حيث حصلت على متوسط حسابي (٣.٦٥) ووزن نسبي (٧٣) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي، ثم جاءت العبارة " تتصف الحوافز الممنوحة بالعدالة الموضوعية والمساواة " في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي (٣.٥٢) ووزن نسبي (٧٠.٤) وهو ينحصر بين (٦٨٪ - ٨٤٪) المعبر على درجة عالي .

أما بالنسبة للعبارات " هناك نظام محدد لمنح الحوافز " و " التأخر في منح الحوافز " و " هناك حوافز مادية ومعنوية " الباقية فقد كان مستوى المعنوية المشاهد (P-Value) أكبر من مستوى المعنوية المحدد ($\alpha = 0.05$) مما يدل على أن أفراد العينة المبحوثين أعطوا إجابة توسط هذه العبارات من حيث الصعوبة .
مما سبق يتبين لنا أن الأفراد المبحوثين أجابوا بدرجة مرتفعة على أغلب عبارات محور الحوافز، وهذا دليل على إعطاء درجة عالي على الصعوبات التي تواجه عملية تقييم الأداء داخل المطحن، وبالمقارنة بين قيمة مستوى المعنوية المشاهد (P-Value=0.000) للدرجة الكلية للعبارات ومستوى المعنوية المحدد ($\alpha = 0.05$) نجد أن (P-Value=0.047) كانت أصغر من ($\alpha = 0.05$) مما يدل على رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل ، أي بمعنى أن هذه العبارات تعتبر من أهم الصعوبات التي تواجه عملية تقييم الأداء داخل المطحن.

الفرضية الرئيسية :

ليس هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم الأداء وعملية منح الحوافز بالمطحن محل البحث.

لاختبار هذه الفرضية قام الباحثان باستخدام اختبار سبيرمان لفروق الرتب فكانت النتائج وفق ما هو موضح بالجدول التالي:

جدول رقم (١٢): حساب اختبار سبيرمان لفروق الرتب

	العوامل	تقييم الأداء	الحوافز
تقييم الأداء	قيمة معامل الارتباط	١.٠٠٠	٠.٦٥٨
	مستوى المعنوية المشاهد	-	٠.٠٠٠
الحوافز	قيمة معامل الارتباط	٠.٦٥٨	-
	مستوى المعنوية المشاهد	٠.٠٠٠	١.٠٠٠

من الجدول (١٢) نلاحظ أنه أن قيمة مستوى المعنوية المشاهد (P-Value=0.000) كان أصغر من مستوى المعنوية المحدد () مما يدل على رفض فرض العدم وقبول الفرض البديل ، أي إنه هناك علاقة (طرديّة) ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم الأداء وعملية منح الحوافز بالمطحن محل البحث.

النتائج :

- ١ - تبين من خلال الجدول رقم (١٠) أنه يتم استخدام نتائج تقييم الأداء بالشكل المطلوب.
- ٢ - تبين من خلال البحث أن تقييم الأداء يساعد على إنجاز الأعمال بنسبة عالية جداً ويتضح ذلك من خلال إجابة أفراد العينة على الفقرة الأولى من الجدول رقم (١٠).
- ٣ - أظهر البحث أن هناك قصور في إعلام العاملين بجوانب الضعف والقوة في أدائهم بعد إجراء عملية التقييم ويتضح ذلك من خلال إجابة أفراد العينة على الفقرة الثامنة من الجدول رقم (١٠).
- ٤ - من خلال البحث تبين أنه يتم استخدام أساليب حديثة في التقييم بشكل بسيط.
- ٥ - أظهر البحث وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين نتائج تقييم الأداء وعملية منح الحوافز بالمطحن محل البحث.
وكان أوجه الشبه بين هذه الدراسة والدراسات السابقة في أن هناك علاقة بين تقييم الأداء وعملية منح الحوافز كما في الدراسات السابقة وجود علاقة بين الحوافز والرضا الوظيفي مثلاً ووجود علاقة بين العلاقات الشخصية في الحصول على الحوافز وبين انخفاض الروح المعنوية للعاملين.
وأخيراً يمكن القول أن الفرق بين هذه الدراسة والدراسات السابقة أن في هذه الدراسة تم رفض استخدام نتائج تقييم العاملين وعملية منح الحوافز بينما في الدراسات السابقة لم يتم الربط بين هذين المتغيرين وإنما تم الربط بين الحوافز والرضا الوظيفي وتقييم الأداء والإنتاجية.

التوصيات :

- ١ - العمل على إعلام العاملين داخل المطحن بجوانب القوة والضعف في أدائهم بعد إجراء عملية التقييم.
- ٢ - استخدام أساليب حديثة في عملية التقييم داخل المطحن محل البحث.
- ٣ - وضع أسس وقواعد لعملية التقييم للتقليل من عملية التحيز من جانب القائمين على عملية التقييم.
- ٤ - محاولة تحسين نقاط الضعف الموجودة في نظام تقييم الأداء.

المراجع

- ١ - إبراهيم بدر شهاب، الحوافز الإدارية في الفكر الإسلامي، مجلة الإدارة العامة، العدد الثاني، مايو ٢٠٠٥.
- ٢ - حسين مرسي، الحوافز وأثرها على إعادة الهيكلة، مجلة البحوث التجارية، العدد الثاني، يوليو ٢٠٠٥.
- ٣ - سامي ملح، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، الطبعة الأولى، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- ٤ - سعاد نائف برنوطي، إدارة الموارد البشرية، الطبعة الثانية، الأردن، دار وائل، ٢٠٠٤.
- ٥ - سناء عبد الرحيم العبادي، تقييم فعالية نظام تقييم أداء العاملين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، ١٩٩٧.
- ٦ - صالح عودة سعيد، إدارة الأفراد، طرابلس، الجامعة المفتوحة، ١٩٩٩.
- ٧ - عادل ثابت، سيكولوجيا الإدارة المعاصرة، الأردن، دار أسامة، ٢٠٠٨.
- ٨ - عادل حرحوش صالح، مؤيد سعيد السالم، إدارة الموارد البشرية مدخل استراتيجي، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٩.
- ٩ - محمود محمد المنصوري، دورة مبادئ الإدارة الحديثة الأسس العلمية لتقييم الأداء، بنغازي، المناهل للطباعة، ١٩٩٩.
- 10) Michael Carrll, Frank Kuzmits, and Norbert Albert, Personnel Human Resource management (Ne York: Macmillan Publishing co. inc. 1992)
- 11) Robert. Math is and Jack Son Jonsi, Human Resource management (New York: Wet publishing Co. 7th. Ed. 1994 .

**الرؤية السردية في رواية
(الإعصار والمئذنة)
لعماد الدين خليل**

د. طه حسين الحضرمي

أستاذ الأدب الحديث ونقده المساعد

بكلية الآداب/جامعة حضرموت



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

الرؤية السردية في رواية (الإعصار والمئذنة) لعماد الدين خليل

المقدمة :

يشير عنوان هذا البحث الموسوم بـ (الرؤية السردية في رواية الإعصار والمئذنة) للدكتور عماد الدين خليل، مسألتين جوهرتين هما: مادة البحث ومنهجه.
أولاً: أما مادة البحث فتتجلى من خلال الشق الثاني: رواية (الإعصار والمئذنة): وهذا الشق يثير أمراً ذا أهمية قصوى له صلة بما يُسمى بالمدونة المدروسة التي تحيل على أمرين هما:

الأمر الأول: الفن الروائي الذي بدأ في الآونة الأخيرة يستشرف آفاقاً شاسعةً، فانطلق إلى مهامه الإبداع منوعاً في أدواته الإبداعية، مما جعل السرديين يثيرون حوله تساؤلاتٍ تعينهم على الكشف عن أنسجته الداخلية وعلاقات عناصره المتشعبة، فهو عالم لا يهدأ ولا يستكين؛ لهذا أصبح هو والنقد السردى بمنزلة فرسي رهان يتبادلان التأثير والتأثير.

الأمر الثاني: الروائي والرواية: أما الروائي فهو الدكتور عماد الدين خليل علمٌ من أعلام العالم العربيّ جادت به الموصل الحدياء التي وُلد في أرضها الطيبة ونشأ وترعرع في أكنافها الرحبة وكتب أجمل مؤلفاته وهو يتفياً ظلّالها المورفة العبقّة برائحة التاريخ، الشاهدة على أحداث جسام في تاريخ البشرية جمعاء وقد تشربّ الانتماء من رحيق بساتينها الشذية، وتشتّت أذناه بنداء مآذنها الشامخة. هو الأكاديميّ المتخصص في التاريخ والفكر والأديب الذي خاض في مجالات معرفية أشتات، ونظرة خاطفة على مؤلفاته المتنوعة تعطيك انطباعاً عن موسوعيته. ففي مجال التاريخ له القدرُ المعلن وأشهر مؤلفاته فيه (ملاحم الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر بن عبد العزيز ١٩٧٠م) و(التفسير الإسلامي للتاريخ ١٩٧٥م) و(تحليل للتاريخ الإسلامي: إطار عام ١٩٩٠م)، وفي السيرة النبوية ضرب بسهم موفور، ومن أشهر مؤلفاته فيها (دراسة في السيرة ١٩٧٤م) وفي مجال الفكر الإسلامي صال وجال بغير كتاب يشكّل كلّ منها علامة فارقة في الفكر الإسلامي المعاصر ومن أشهر مؤلفاته في هذا المجال (لعبة اليمين واليسار ١٩٧٢م) و(حول إعادة تشكيل العقل المسلم ١٩٨٣م) و(مدخل إلى إسلامية المعرفة ١٩٩١م). كما ورد مناهل الدراسات الأدبية والنقدية تنظيراً وتطبيقاً،

فقد نظر لمفهوم الأدب الإسلامي في غير مؤلف أبرزها: (في النقد الإسلامي المعاصر ١٩٧٢م) و (مدخل إلى نظرية الأدب الإسلامي ١٩٨٧م) و (محاولات جديدة في النقد الإسلامي ١٩٨١م) و (الفن والعقيدة ١٩٩٠م). وامتضى صهوة جواد الإبداع الأصيلة مسرحاً وقصةً وروايةً وشعراً. ففى مجال المسرح كتب مسرحية (المأسورون ١٩٧٠م). وفي مجال القصة القصيرة له المجموعة القصصية الموسومة بـ (كلمة الله ٢٠٠٢م). كما خاض غمار عالم الرواية فسجّل في صحائفها روايتين؛ هما (الإعصار والمئذنة ١٩٨٥م) و (السيف والكلمة ٢٠٠٥م). أما رحاب الشعر فقد كان ميداناً من ميادين إبداعه الذي باشره في مقتبل عمره وصاحبه في كهولته. فله في هذا الميدان ديوانان؛ هما (جداول الحب واليقين ١٩٧٨م) و (ابتهالات في زمن الغربة ١٩٩٨م).

أما رواية (الإعصار والمئذنة) - قيد الدرس - فهي تعتمد التسجيل في تشكيل حبكة^(١)؛ لأنها تركز على مرجعية تاريخية واقعية تمتع من أحداث ثورة الموصل^(٢) القومية العربية على ما قام به عبد الكريم قاسم من انحراف عن مسار أهداف ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨م بتأييد من الحزب الشيوعي العراقي، وقد تسنّم ذرا ثورة الموصل العقيد عبد الوهاب الشواف - حتى وُسّمت الثورة به - ومن خلفه جموع من أهل الموصل وكركوك المتمسكين بهويتهم.

وكان مبدأ اشتعال ذلك الأمر قرار قاسم بعقد مؤتمر أنصار السلام والشيوعيين في مدينة الموصل إزاء بأهلها وهويتهم. فانتفض أهل الموصل بمؤازرة العقيد الشواف الذي أعلن عصيانياً عسكرياً على (الزعيم) عبد الكريم قاسم المنقلب على أهداف ثورة ١٩٥٨م بعد بذل النصح له مراراً وتكراراً. فبدأت الموصل تموج برجالها متحدياً بإرادة حرة هذا المؤتمر. فما كان من قاسم إلا أن سعى بكل قوته إلى كسر شوكة هذه القوة المتحدية بكل الأساليب والطرائق؛ وذلك بتأليب غوغاء الموصل الجهلة ودغدغة مشاعرهم بالحلم الشيوعي من خلال جيوب الشيوعيين المنتشرين في عموم الموصل، ثم بدعمهم عسكرياً معلناً بذلك انتصاره المزعوم على هذه الحركة بعد القضاء على رؤوس الثورة وكلّ من أسهم فيها من علماء ووجهاء وثوار أحرار بوساطة التخريب والسحل ثم بمحكمة هزيلة للقضاء على القادة الذين أشعلوا هذه الثورة؛ معتقداً أنه قد قام باستئصال الهوية من جذورها، ولكن هيهات.

(١) وفقاً لمنطوق النص.

(٢) ينظر: حركة الشواف في الموصل ١٩٥٩، إبراهيم خليل العلاف، <http://www.wallablogspot.com>.

استطاع عماد الدين خليل أن يوظف هذه الحادثة التاريخية سردياً؛ ليجر في عمق الهوية الإسلامية والعربية وإبراز خصائصها العتيقة القائمة على بنين متين من تاريخ هذه الأمة الجلدة المستعينة بربها في الدفاع عن هويتها، متكئاً في تصوير ذلك على شخصيات تخيليه تمثل بؤرة السرد في روايته مع الاستعانة بمرجعيات تاريخية تمثل إطاراً عاماً لها، بيد أن عينه لم تكن على مدينة الموصل فحسب بل إلى كل مدينة عربية تحافظ على مآذنها الصامدة من غزو أعاصير الشرق والغرب.

ثانياً: أما منهج البحث فيتجلى من خلال إشارة الشق الأول من العنوان (الرؤية السردية) إلى أطروحات السردية الحديثة. فدراسة طبيعة الرؤية السردية مرتبطة بالسرد ارتباطاً وثيقاً. وقد حاول الباحث في هذا الدراسة الإفادة من أطروحات السردية الحديثة في هذا المجال وفقاً لطبيعة النص المدروس؛ للولوج إلى عالم رواية (الإعصار والمئذنة)، لاستكناه تجليات الرؤية السردية في طوايا سردها.

جاءت الدراسة في مباحث أربعة - يتقدمها مدخل نظري إلى مفهوم الرؤية السردية وتليها خاتمة - على النحو الآتي:

- ١ - تجليات الرؤية السردية في عتبات الرواية.
- ٢ - تجليات الرؤية السردية في صراع المنظومات.
- ٣ - تجليات الرؤية السردية في موقع الراوي.
- ٤ - تجليات الرؤية السردية في وصف المكان.

مدخل نظري

مفهوم الرؤية السردية

الرؤية السردية مصطلح له خطورته في مجال السردية الحديثة؛ لأنه لا يمكن إدراك المتن الروائي إدراكاً مباشراً وأولياً كما في المسرح مثلاً، وإنما من خلال إدراك سابق له هو إدراك الراوي، الذي يتغير وفقاً لتغير مواقعه المتعددة، ووفقاً لاختلاف أنواع العلاقات التي يقيمها مع شخصيات عالمه الروائي، مما يكون له دون شك انعكاسات بالغة على شكل التلقي، بوصفه تلقياً من الدرجة الثانية^(٣).

وقد وسّع تزفيتان تودوروف الحديث عن الرؤية السردية مطوراً مقولة جون بويون عن الرؤى. فهو يعدّ مصطلح الرؤية رديفاً لمصطلح وجهة النظر^(٤)؛ لأنهما يستندان إلى

(٣) ينظر: مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، عبد العلي بوطيب، مجلة فصول، مج (١١) ع (٤)، ١٩٩٣ م، ص ٦٨.

(٤) ينظر: مفاهيم سردية، ترجمة عبد الرحمان مزبان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٥ م، ص ١٢٩.

العلاقة بين الراوي والعالم المشخص. وهذا العالم صنفان: صنف مرتبط بالفنون التشخيصية من رسم تصويري وسينما وبدرجة أقل في المسرح والنحت والهندسة المعمارية، وصنف يرتبط بفعل التشخيص وبشكل خاص في صوغه؛ سواء في حالة الخطاب التشخيصي أم في فعل التلطف^(٥) في علاقته مع المفوظ. فتودوروف يصوغ نظرية متكاملة لمفهوم مصطلح الرؤية يشكّل مدخلا نظرياً مناسباً لمفهوم الرؤية السردية بشكل خاص. فهو يرى أن رؤية الراوي ملازمة لكل خطاب تشخيصي.

وإذا تأملنا هذه النظرية فسوف نجدها تدور حول بنية العمل الفني القائم على المعمار بشكل أساسي، وبنية المكان خير ما يمثل هذا المعمار، كما يدور حول الخطاب وكيفية تشكّله في العمل الفني، ويؤطر هذا كله الراوي بكل ما تتجه هذه التقنية من تجليات في إطار الصنفين السابقين. وفي مقال (مقولات السرد الأدبي) يزواج بين الرؤية والمظهر، فيصرح أنه يستخدم لفظة (المظهر) بمعنى قريب من معنى (الرؤية) (الاشتقائي أو (النظرة)). ثم يستخدم هذا المصطلح الجديد (المظهر) في تخصيص التصنيف الثلاثي الذي اقترحه جون بويون لمظاهر السرد الذي يبرز هذا الإدراك الداخلي. وقد استعرض تودوروف هذه الرؤى مع بعض التعديلات الطفيفة مشيراً إلى علاقة الراوي بالشخصية، ومدى تطابق علم أحدهما بعلم الآخر أو عدمه، مصنفاً ذلك على النحو الآتي^(٦):

- ١ - الراوي < الشخصية الروائية؛ أي، أن الروائي يعلم أكثر من الشخصية، وهو ما اصطلح عليه بـ(الرؤية من الخلف) وهي الصيغة التي يلجأ إليها القص الكلاسيكي في أغلب الأحيان.
- ٢ - الراوي = الشخصية الروائية؛ أي أن الراوي يعلم بقدر ما تعلم الشخصية، وهو ما اصطلح عليه بـ(الرؤية المصاحبة)، وقد شاعت هذه الصيغة في القص الحديث.

(٥) الذي يسميه في موضع آخر بوضعية الخطاب، ينظر: مفاهيم سردية، ص ٦١، وينبغي ملاحظة أن وصف هذا الجانب الخاص بالتلطف عند تودوروف-ولاسيما في حديثه عن خصائص المظهر اللفظي في النص الأدبي في كتاب الشعيرة- يتصل بشكل مباشر بما يسميه بـ«الخطاب المحمول المنجز عبر تحويلات معينة ذات صبغة نحوية، وهو ما يتم عبر ما يعرف بالأسلوبين المباشر وغير المباشر»، شعيرة تودوروف، عثمان الميلود، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٤١.

(٦) إذا كان تودوروف استمد مفهوم (الرؤية) في مبدأ أمره - ولاسيما في كتابه (الأدب والدلالة)- من جون بويون، فإنه في كتبه التأسيسية (الشعيرة، شعيرة النثر، مقولات السرد الأدبي) قد أفاد من غير ناقد (جيرار جينيت، بوريس توماشفسكي، يوري تيبتانوف) لتخصيص هذا المفهوم؛ لأنه لم يكن مجرد النقل، بل أعاد تشكيلها وفقاً للإجراء المنهجي الذي يسعى إليه في كتاباته المتنوعة. ينظر: مقولات السرد الأدبي، تزفيتان تودوروف، ترجمة الحسين سبحان وفؤاد صفا، ص ٥٨-٥٩، ضمن كتاب: طرائق تحليل السرد الأدبي [٢٠٠٣-٢٠٠٤] ص ٥٨.

٣ - الراوي > الشخصية الروائية؛ أي أن معرفة الراوي أقل من معرفة الشخصية الروائية، فالراوي لا يصف إلا ما يراه ويسمعه فقط، فلا سبيل إلى معرفة ما في دوائر الشخصيات، وهو ما اصطاح عليه بـ(الرؤية من الخارج). فتودوروف يرى «أن هذه المعرفة الحسية الخالصة لا تعدو أن تكون مواضعة، ذلك لأن سرداً ينحصر في مستوى مثل هذا الوصف الحسي الخارجي غير معقول، ولكنه موجود كنموذج لضرب من ضروب الكتابة»^(٧)، فلم تخرج هذه الصيغة عن حدود التجريب، وقد عُرف الروائي الأمريكي إرنست همنجوي بهذه الصيغة في عدد من قصصه القصيرة؛ مثل قصة (القتلة) وقصة (تلال كالفيكة بيضاء). ومن نافذة القول، الإشارة إلى أن هذا التقسيم قائم على غلبة إحدى الصيغ السابقة في الفن القصصي، لأن القارئ قد يجد مزجاً بينها في عمل قصصي واحد، بيد أن لكل صيغة منها أسلوبها المميز، فالرؤية المصاحبة تتنافى «مع وصف الشخصية الخارجي، إلا إذا قُدِّم من خلال رؤية شخصية أخرى»^(٨)، وتتميز هذه الصيغة باختيار شخصية واحدة تكون مركز القصة، بحيث نرى الآخرين من خلالها^(٩)، كما تتميز بكونها «شكلاً دالاً على ذوبان السارد في المسرود، وذوبان الزمن في الزمن، وذوبان الشخصية في الشخصية، ثم على ذوبان الحدث في الحدث، ليفتدي وحدة سردية متلاحمة تجسد في طياتها كل المكونات السردية بمعزل عن أي فرق يُعده هذا عن هذا»^(١٠)، وهكذا نرى أن الفرق بين هذه الصيغة، وصيغة الرؤية من الخلف «يمثل الفرق بين مجرد الشعور المحض والمعرفة التأملية»^(١١).

وبهذا نخلص أن الرؤية السردية لها ارتباط وثيق بنمط الراوي، فهي تحيل على الكيفية التي تُدرك بها الحوادث المنقولة من جهة الراوي؛ لهذا سيتخذ الباحث (الرؤية السردية) مركباً نقدياً للإبحار في عالم رواية (الإعصار والمئذنة)؛ مستعيناً في هذا الإبحار بأطروحات نقاد السرد الحديث من مثل ترفيتان تودوروف وجيرار جينيت وبوريس أوسبنسكي ورولان بارت ونورمان فريدمان وغيرهم، متخذاً تودوروف شراعاً هادياً في هذه اللجج ولاسيما في آخر دراساته في هذا المجال، أعني (مقولات السرد الأدبي) ١٩٨١م.

(٧) مقولات السرد الأدبي، ص ٥٨.

(٨) بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، سيزا قاسم، دار التنوير، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٨٣.

(٩) ينظر عالم الرواية، رولان بورنوف وريال أونيليه، ترجمة نهاد التكري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩١م، ص ٧٨.

(١٠) في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٢٤٠)، ديسمبر ١٩٩٨م، ص ١٨٧.

(١١) عالم الرواية، ص ٧٩.

المبحث الأول : تجليات الرؤية السردية في عتبات النص

تشكل العتبات في الكتابة الأدبية عموماً مدخلاً مهماً لقراءة النص الأدبي؛ فهي فاتحة النصوص التي تذلل سبله، وتمهد للدخول إلى ردهاته، وإضاءة ما ادلهم من متاهاته، فهي بمنزلة النصوص الموازية للنص (المتن)، التي تشكل خطاباً تابعاً يساق لخدمة النص الأساسي. فهي تتطوي على تقويم أيديولوجي، بطريقة ما، تكون مقصودة في الغالب لتوجيه منحى القراءات الممكنة^(١٢).

وجد الباحث في رواية (الإعصار والمئذنة) ثلاث عتبات: عتبة بصرية تتمثل في غلاف الرواية الخارجي، وعتبتين نصيتين تتمثلان في العنوان الرئيس والإهداء.

أولاً: عتبة الغلاف البصرية:

يثير الغلاف بوصفه عتبة من عتبات الرواية مشكلة لها صلة بالتأليف؛ ينبثق منها تساؤل جدير بالتأمل: هل الغلاف من وضع المؤلف، أم هو من وضع الناشر؟ فإذا لم تكن هناك إشارة واضحة من المؤلف إلى وضع الغلاف بأنها بريشته أو الإشارة إلى استعانتها بلوحة معبرة أو برسام صديق، فإن الغالب أن واضعه هو الناشر. ومهما يكن من أمر الغلاف فالمهم في هذه القراءة دلالاته السيميائية.

والغلاف الذي يعتمد عليه الباحث في هذه القراءة هو الغلاف الذي خرجت به الرواية في طبعة دار ابن كثير عام ٢٠٠٩م. وفيها يتبنى واضح الغلاف وجهة نظر المؤلف في مضمون الرواية.

يبرز الغلاف الصراع الدائر بين منظومتي (المئذنة) و(الإعصار)؛ متبنياً تشكيمياً رؤية المنظومة الأولى (المئذنة) المنافحة عن هويتها، وذلك من خلال تجسيد الصراع على النحو الآتي:

١ - المئذنة :

يظهر في واجهة الغلاف اليمنى بشكل بارز الجزء العلوي من مئذنة شامخة تتخذ وضعاً صامداً متشحة بلون ذهبي براق، متبنية شكلاً معمارياً متميزاً أقرب إلى ما ساد في عمارة المآذن في العصر المملوكي. فهي تقوم على قاعدة مربعة عظيمة، أركانها العلوية مثنمة الأضلاع، تتشكل هذه القاعدة في وضع معماري هرمي. يحيط بالقاعدة الأساسية حزام ذو خلفية زرقاء نقشت عليه آيات من الذكر الحكيم باللون الأبيض،

(١٢) ينظر: عتبات النص الأدبي (بحث نظري)، حميد لجمداني، علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ١٢، ٤٦٤، ديسمبر ٢٠٠٢م، ص ١٠.

وفي كل ضلع من أركانها يبرز مكبر صوت يحمل إلى الآفاق النداء الخالد. ثم تعلق الطبقة الأولى، طبقة ثانية أسطوانية الشكل قريبة من تشكيلة الطبقة الأولى، ثم يعلوها بناءً إسطوانياً أصغر ذو فتحات في جوانبه على شكل شرفات، يحمل خوزة يعلوها هلال.

٢ - الإعصار:

يحيط بالمئذنة من أرجائها الخلفية سحب داكنة تعكس بشكل من الأشكال اللون الذهبي الذي يشع من المئذنة، بيد أن هذه السحب المحيطة بالمئذنة، تُترجم - تشكيليًا - الإعصار، الذي لم يستطع أن يطمس بهاء اللون الذهبي المشع المنبثق من المئذنة على الرغم من محاولاته الحثيثة.

ثانياً: عتبة العنوان النصية

لم يعد الكاتب في الغالب الأعم في العصر الحديث يكتفي في عنوانه بوفاء العنوان للنص والالتزام به، إنما يسعى إلى إقلاق المتلقي وتخصيب تأملاته لا حصرها، وفتح شهيته للولوج إلى عوالم الإبداع السحرية؛ لهذا أصبح للعنوان الأدبي استراتيجيته الخاصة للوصول إلى هذه الغاية، فاتكأ من أجل ذلك على وسائل أشتات منها:

- ١ - التفرغ الصياغي دلاليًا ومعجميًا وتركيبياً وصرفياً وصوتياً.
- ٢ - الاستعارة من لغة الشعر المكثفة الموجزة.
- ٢ - التطريس من خلال التضافر النصي، وسوى ذلك مما تتيحه استراتيجية النص الموازي.

العنوان بنية تتأرجح بين الانغلاق والانفتاح، فهي تتغلق على ذاتها بوصفها نصاً مستقلاً، يبعث من خلاله المبدع رسالة لها دلالتها الفكرية والجمالية إلى المتلقي؛ ليغدو علماً على كتاب أدبي ما، كما أنه يفتح على النص بوصفه بنية صغرى دالة على البنية الكبرى؛ فتتداخل البنيتان في تفاعل نصي ينتج قراءة واعية للنص عموماً؛ لهذا لن يفهم العنوان منقطعاً عن نصه، ولا تُدرك إشاراتِهِ إلا بوساطة هذه العلاقة المتينة التي تربطهما؛ وبهذا يكون العنوان عنصراً موسوماً سيميولوجياً في النص - على حد تعبير صلاح فضل^(١٣) - يحرك رواكده بإيجازه وغرائبيته.

والعنوان في رواية (الإعصار والمئذنة) ثنائي الدلالة. فالراوي يتعامل مع دالي العنوان الرئيس (الإعصار/ المئذنة) من خلال جملة من الدوال المنبثقة منهما، وبما أن الرابط

(١٣) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، الكويت، عالم المعرفة، العدد ١٦٤، ١٩٩٢م، ص ٢٣٦.

بين الدالين في العنوان هو التبعية بواسطة حرف العطف (الواو)، يكون تداول الشخصيات لهما في الرواية بطريقة الائتلاف والاختلاف، الاجتماع والافتراق، ويختص الراوي بوظيفة تنسيقه في العنوان الرئيس بشكل مخصوص يتبين من خلال تعدد جهات نظر الشخصيات التقويمية؛ ليظهر الدالان متلونين بدلالات لها نسقها التأليفي في الرواية في إطار الأيديولوجيات المتصارعة على النحو الآتي:

١ - دال (الإعصار):

يسعى مؤشر دال (الإعصار) إلى التشفير الرمزي (الشدّة والتدمير) متوافقاً إلى حد كبير مع المعنى اللغوي للإعصار. جاء في تاج العروس «الإعصار: الريح تُثيرُ السحابَ، أو هي التي فيها نارٌ. وفي التنزيل ﴿ذُذُ ذُذُذُ﴾ البقرة: ٢٦٦. وقيل: الإعصارُ ريحٌ تُثيرُ سحاباً ذات رعد وبرق، أو الإعصارُ: الرياحُ التي تُهبُّ من الأرض وتُثيرُ الغبارَ وترتفع كالعمود إلى نحو السماء وهي التي تسميها الناسُ الرُّوبعةَ، وهي ريحٌ شديدة، لا يقال لها: إعصارٌ، حتى تُهبَّ كذلك بشدّة»^(١٤).

يتجلى هذا الدال في الرواية من خلال رؤيتين:

الرؤية الأولى:

يتبنى هذه الرؤية منظومة (سلمى) ووالدها (عبد الرحمن) و(هاشم عبد السلام)، فهؤلاء ينظرون إلى ثورة الموصل بوصفها ثورة عقائدية انفجرت من أجل اجتثاث جذور من يسعى إلى تدمير الهوية العربية الإسلامية، فهم ينظرون إلى الإعصار في مستهل الرواية نظرة إيجابية، ويظهر هذا جلياً من خلال وصف الراوي للحشود المجتمعة في جامع الشيخ عجيل الذي سيخطب فيه الجمعة (هاشم عبد السلام). ولكن من خلال رؤية سلمى وأبيها «وإذا اقتربا من هدفهما، شهدا حشود الناس تتجه إليه [أي الجامع] والأصوات تتعالى متحدثة عما هو كائن، وعما سيكون...ألوف من المصلين جاؤوا من كل مكان؛ لكي يلتقوا برجل المدينة وإمامها هاشم عبد السلام، فهو يعرف كيف يتحدث، وكيف يتحدى، وهو يعرف - كذلك - كيف يجعل الجذوة المشتعلة في الصدور، تزداد توقداً واشتعالاً»^(١٥)؛ وبهذا يتخذ الإعصار عندهما بعداً إيجابياً، فهو إعصار محيط بالمئذنة يعضد قواعدها، وليس إعصاراً مدمراً على نحو ما هو عند (أنصار السلام). فهما لا يريان في الإعصار البشري في مستهل الرواية إلا بوصفه داعماً

(١٤) تاج العروس من جواهر القاموس. محمد المرتضى الزبيدي. ج ١٣. من تحقيق الدكتور حسين نصار. الإصدار (١٦) من سلسلة التراث العربي). وزارة الإعلام، الكويت. ط١، ١٩٧٤م. (مادة عصب).

(١٥) الإعصار والمئذنة، ص ٣١.

للبقاء على شموخ المئذنة من محاولات اقتلاعها من جذورها الراسخة ، وهذه رؤية إيجابية متسقة مع شخصية (سلمى) الهادئة المتزنة في العموم ، والمتحدية الشرسة إذا اقتضى الأمرُ المواجهة مع الخصوم. ومن خلال هذه الرؤية يغيب الدال الثاني (المئذنة) بلفظه من منطوق (سلمى) صياغياً ، وإن كان حضوره طاغياً في أعماقها ، بوصفه مقترناً بالهوية الإسلامية التي تتأفح عنها ويشكل محور اهتماماتها.

الرؤية الثانية:

دال (الإعصار) بوصفه رمزا للاجتثاث والتدمير ، ويردُ مدلول هذا الدال (التدمير) على لسان هاشم عبدالسلام في حوارهِ مع حنا جرجس «وإنك نعرف جيداً ، كم يتصاعد الغزل هذه الأيام بين الشيوعيين وبين عبدالكريم قاسم ، وكيف أنه اتخذهم أدوات لتدمير كل ما يقف في طريقه»^(١٦) ، وفي الحوار ذاته يستخدم لفظة (الاكتساح)^(١٧) فكلامه عن الإعصار بوصفه تدميراً واكتساحاً ، يحمل مؤشراً دلاليًا يتجه نحو التقويم الأيديولوجي لما يقوم به قاسم وأنصاره من الشيوعيين من محاولة اقتلاع جذور مدينة الموصل المتعمقة في التاريخ.

٢ - دال (المئذنة):

المئذنة كما جاء في (تاج العروس) هي اسم موضع الأذان للصلاة ، وهي المنارة ، وهي الصومعة على سبيل التشبيه^(١٨). والأذان شعيرة إسلامية مرتبطة بالصلاة والجهاد والحج ، بيد أنه مخصوص في التأذين إلى الصلاة كما في التاج. وقد ربط النبي - صلى الله عليه وسلم - بين الأذان والجهاد وجوداً وعدماً ، كما ورد في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا بنا قوماً لم يكن يغزو بنا حتى يُصبح وينظر ، فإن سمع أذاناً كَفَّ عنهم ، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم)^(١٩). وحقن الدماء عند وجود الأذان ثمرة من ثمراته العظيمة كما يرى بعض أهل العلم^(٢٠).

يتكرر في هذا الرواية دال (المنارة) نظير دال (المئذنة) في منطوق شخصيات تنتمي إلى المنظومة الأولى ، مثل (هاشم عبدالسلام) مبيناً من خلالها رؤية منظومته تجاه (المئذنة) بوصفها العنصر الفاعل في مقاومة المنظومة المعادية المتمثلة في (الإعصار).

(١٦) المصدر السابق ، ص ٣٧.

(١٧) المصدر السابق ، ص ٣٩.

(١٨) ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، ج ٣٤ ، تحقيق علي هلال ، ط ١ ، ٢٠٠١ م. (مادة أذن).

(١٩) الجامع الصحيح ، لإمام البخاري (٢٥٦هـ) ، تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ ، ٢٠٠٧ م.

(٢٠) ينظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، د. ط. ، ٢ / ٩٠.

وذلك بوساطة أسلوب (المونولوج المروي)^(٢١) «وما لبث أن وجد نفسه قبالة الجامع النوري الكبير ذي المنارة الحدياء الشاهقة، والمصلى الواسع، والفناء المترامي. وأحس - وهو يحدّق في المنارة العالية - باطمئنان عميق. وقال في نفسه: ها هي ذي المنارة المتفردة؛ التي بناها يوماً نور الدين محمود، قاهر الغزاة الصليبيين، الموحد والمحرم. واختار لها مكاناً في قلب المدينة، ومد أسبابها إلى السماء، لكي تبرز واضحة للعيان من أي مكان يلقي منه المرء بصره. لقد ظلت قائمة، عبر القرون المتطاولة، بانسيابها الجميل صوب الأعالي، شاهدة على أنه ما من أحد يقدر على تغيير وجه المدينة الأصيل...أستطيع قوة في الأرض أن تنزع عنا ملامحنا، وأن تغيّر بصمات أصابعنا؟ وقال، وهو يتذكر تحدي بعض الشيوعيين بأنهم لو أتيح لهم الانتصار، فلن يبقوا على منارة واحدة في البلد، يرتفع منها النداء إلى الله: إن الموصل، أعلنت انتماءها - منذ قرون إلى منارتها العالية، أخذت منها اسمها، واكتست عظامها العارية، بقوة الروح، التي تبثها، لحما ودماء. أفيكون بمقدورهم أن يغيروا بصماتها، أو ينزعوا عنها ملامحها؟!»^(٢٢).

يجلو المقطع السابق طبيعة الرؤية السردية التي تتجلى في عنوان الرواية (الإعصار والمئذنة). فصراع المنظومتين واضح فيه. فالمنارة دائماً شاهقة وعالية ومتفردة، مستعصية على الإزالة وهي تحذب على المدينة بحب ووله؛ لهذا تنتمي إليها المدينة انتماءً كلياً؛ عقيدةً وصفةً، فليل عنها (الموصل الحدياء). وفي إشارة تاريخية بالغة الأهمية إلى بانيتها الإمام المجاهد (نور الدين محمود) قاهر الغزاة الصليبيين يشير عماد الدين خليل بطرف خفي إلى استحالة قهر المدينة - المتمثلة في مئذنتها العتيقة التي تشير إلى الهوية العقائدية للمدينة - مذاك الزمن من الغزاة عموماً.

في حين تستخدم سلمى دال (النداء) الذي ينتمي إلى الحقل الدلالي لـ (المئذنة)؛ مشيرة إلى الانتماء إلى منظومة (الموصل) «آه لو أن عاصماً كان واحداً من هؤلاء الذين يقفون اليوم على التخوم، يحملون خناجرهم، ورشاشاتهم مستجيبين لنداء اللحظة التاريخية، لتحدي القادمين من بغداد»^(٢٣)

(٢١) يتجلى المونولوج المروي حينما يقلد كلاً الشخصية كلام الراوي. وفي هذه الحالة يكتسب هذا الكلام علامات من تأثير الراوي. ويتغير تحت هذا التأثير. وتتضح إعادة صياغة الراوي لكلام الغير في المونولوج المروي. في الحالات التي نعرف فيها مشاعر الشخصية وأفكارها بصورة يبدو أنها تحاكي طبع الشخصية في حين أن الإشارة إلى هذه الشخصية تأتي بصيغة ضمير الغائب. ينظر: شعرة التاليف (بنية النص الفني وأنماط الشكل التاليفي). بوريس أوسبنسكي. ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي. المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) القاهرة، ١٩٩٩م. ص ٥١.

(٢٢) الإعصار والمئذنة، ص ٤٤، ٤٥.

(٢٣) المصدر السابق، ص ٢٠.

وهكذا يتماهى الراوي مع شخصياته؛ لينتج دالين يجمع بينهما عنوان له تركيب نحوي خاص لم يرد على لسان إحدى الشخصيات، بيد أن تأمل بنية العنوان يشي بعرضه رؤى جميع الشخصيات حسب التأويلات المتاحة، فبالإمكان النظر إلى الواو بوصفها واو عطف، وهاهنا يتغاير الدالان، فالإعصار عدو قاتل يحاول انتهاك القيم الثابتة والمئذنة الشامخة تمثل المقاومة الرشيدة أمام هذا الانتهاك فتشكل صمودا وتحديا لهذا الإعصار. وبالإمكان النظر إلى الواو بوصفها دالة على الاقتران فيصبح الرجال المدافعون عن هويتهم العقائدية المتمثلة في (المئذنة) إعصارا يجتاح كل من يحاول المساس بها.

ولكن عند إنعام النظر وجد الباحث أن الراوي وفقاً لرؤية المؤلف عماد الدين خليل يتجه مؤشر عنوانه إلى تقويم عصره بأكمله وُجد فيه الرجال الأشداء الذين هبوا للدفاع عن هويتهم وعقيدهم غير مباليين بالقتل والسحل والإعدام محتسبين على الله النصر أو الشهادة مستحضراً قوله تعالى ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا بُدْيَالًا﴾ (الأحزاب: ٢٣)، كما وُجد فيه الإعصار المتمثل في محاولة آخرين اقتلاع هذه العقيدة بوساطة الإرهاب الفكري، فمارسوا أشنع صنوف التعذيب والقتل على أولئك المجاهدين المناهضين عن مآذنتهم. وبهذا يصبح العنوان مؤشراً موسوماً سيميائياً يتجه سهمه إلى تقويم أيديولوجي موجّه، يتأرجح ذهاباً وإياباً بين الخارج والداخل (الراوي/المؤلف) و(شخصيات الرواية).

ثالثاً: عتبة الإهداء النصية

تمثل الإهداءات في الكتب عموماً نصاً موازياً، بيد أن الموازة فيها تكاد تتخذ طابعا أوضح مع النص -المتن؛ لأنها لا تتحدث بشكل مباشر عن مضامين الرواية، فربما احتاج الأمر إلى شيء من التأمل، وإطالة الفكر؛ لمعرفة القاسم المشترك. والإهداء في هذه الرواية وجيز ومكثف يحمل في طياته دلالات عميقة، فكلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة على حد تعبير النقري^(٢٤)؛ لهذا تجدها تشف عن رؤية الكاتب المبدع الفكرية وموقفه من الصراع الدائر بين المنظومتين في الرواية؛ منظومة المدافعين عن هويتهم ومنظومة الساعين إلى هدم هذه القيم. فهو يقف في منطقة بين البوح والسكوت لإيراد رؤيته المؤيدة للمنظومة الأولى. بيد أن هذه الإشارة أقرب إلى

(٢٤) ينظر: كتاب الموقف، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النقري، تحقيق أرثر يوحنا آربري، مكتبة المثنى، القاهرة، د. ط، د. ت، ص ٥١.

البوح منه إلى السكوت، ولكن من خلال الإشارة الشفافة الوجيزة التي تمس المضمون مساً رقيقاً.

يقول عماد الدين خليل في إهدائه (بعد مرور ربع قرن على ثورة الموصل؛ وفاءً لمدينتي التي أحببتها إلى درجة العشق).

ولو تأملنا الإهداء سنجد أنه يجمع بين الإهداء الخاص والإهداء العام وفقاً لتقسيم جينيت للإهداء^(٢٥). فهو إهداء عام لمؤسسة ثورة الشواف، وإهداء خاص لمدينة الموصل، بوصفها شخصاً مقرباً إلى الكاتب يتسم بالواقعية والمادية، وقد جمع الإهداء وظيفتيه الأساسيتين (الدلالية والتداولية)^(٢٦) في جملته الوجيزة هذه، فهو يجلو لنا العلاقة الحميمة بين الكاتب وثورة الشواف بوصفها مؤسسة عامة تمثل المنافع عن هويتهم في مشارق الأرض ومغاربها، ومدينة الموصل بوصفها حالة خاصة أنتجت هذه المؤسسة، وبهذا تتضح دلالة الإهداء. ومن جانب آخر ينشط الإهداء السابق الحركية التواصلية بين الكاتب وجمهوره الخاص والعام محققاً قيمته الاجتماعية ومقصده النفعي في التفاعل القائم بين الكاتب وثورة الشواف ومدينة الموصل.

وهذه الجملة الوجيزة تحمل في أحشائها شحنة عاطفية إلى مدينة (الموصل) وفاءً وعشقاً، وفيها احتفاءً ضمنياً بثورة الموصل، تحيةً وذكراً شجناً.

وهذه الرؤية التي يحملها الكاتب المبدع تجد من يخالفها ماضياً وحاضراً وداخل النص وخارجه. ففي الماضي وجد من دعى إلى طمس الهوية العقائدية لأهل العراق بخاصة وأهل الإسلام بعامه من أنصار الشيوعية الأممية الذين تسنموا ذرا المنابر السياسية والفكرية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي وسعوا بكل قوة إلى محاولة محاربة ثوابت الأمة بدعوى محاربة الرجعية. وفي الحاضر وجد من مشى على خُطى السابقين ولكن بأسماء جديدة، فنظروا إلى هذه الثورة بازديادٍ وعبأوا عليها أصالتها مثل صنيع الكاتب (فخري بطرس) الذي وصف ثورة الشواف وأهل الموصل بالمؤامرة والخيانة للجمهورية الفتية^(٢٧). ومن داخل الرواية من يحمل وجهة النظر المضادة لإهداء عماد الدين خليل مثل حنا جرجس ويونس عتالة المؤيدين للزعيم وأنصار السلام.

(٢٥) ينظر: عتبات (جبرار جينيت من النص إلى المناس). عبدالحق بلعابد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٨ م، ص ٩٣.

(٢٦) ينظر المصدر السابق، ص ٩٩.

(٢٧) ينظر: أحداث الموصل في عام ١٩٥٩ بروعا شاهد عيان، فخري بطرس، <http://www.ahewar.org>.

المبحث الثاني: تجليات الرؤية السردية في صراع المنظومات

تتخذ رواية (الإعصار والمئذنة) تقنية الرؤية المصاحبة القائمة على نمط الراوي كلي المعرفة (الانتقائي) بوساطة ضمير الغائب وفقاً لتصنيف نورمان فريدمان^(٢٨).

شاع بين النقاد ردحا من الزمان الاعتقاد بأن استخدام ضمير الغائب يمثل الرؤية من الخلف، بيد أن هذا الاعتقاد أبطله جملة من النقاد على رأسهم رولان بارت^(٢٩) الذي أكد أن الضمير ليس له صلة بنوعية الرؤية السردية عموماً، على الرغم من ذلك فهو يعتقد أن ضمير الغائب يعدّ مواضعاً نموذجية في الرواية، ومن غيره يكون هناك عجز عن الوصول إلى الرواية^(٣٠)، وهذا يفسّر إقبال كثير من الروائيين على استخدام هذا الضمير؛ لأنه يتيح لهم الرؤية السردية الواسعة للأحداث، كما أنه وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها الكاتب لتمير ما يشاء من أيديولوجيا وحكم وتوجيهات^(٣١)، دون أن يחדش بذلك بنية الرواية؛ لهذا ربط النقاد بين استخدام هذا الضمير وبين الرؤية من الخلف، وهو الزلل الذي صحح مجراه فيما بعد ميخائيل باختين؛ حينما عدّ الروائي الروسي دوستوفسكي خالق الرواية ذات الأصوات المتعددة على الرغم من اتخاذه ضمير الغائب مركباً تقنياً لمعظم رواياته^(٣٢)، فمن هنا نستطيع أن نقول إن استخدام هذا الضمير لا يعني بالضرورة غياب الأصوات المتعددة التي تتأبى على احتواء المؤلف وسطوته، بل إنها قد تتجاوز الرؤية الأحادية إلى رؤى غير محدودة.

ورواية (الإعصار والمئذنة) مبنية بضمير الغائب، بيد أن الراوي فيها يتخذ شكل الراوي كلي المعرفة (الانتقائي) متبنيّاً من خلاله وجهة النظر الضيقة المتعددة؛ لأنه يجعل الشخصيات تعبر عن أفكارها مباشرة دون تدخل سافر منه، إلا ما كان من وظيفة السرد لا غير، وهي وظيفة أشبه بشفافية الراوي الكاذبة حسب تعبير جيرار جينيت^(٣٣).

(٢٨) ينظر: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، جيرار جينيت، ترجمة محمد معتمد، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (١٠)، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م، ص١٩٩.

(٢٩) ينظر: مدخل إلى التحليل البنوي للقصة، ترجمة منذر عياشي، حلب، مركز الإنماء الحضاري، ١٩٩٣م، ص٧٣.

(٣٠) ينظر: الدرجة الصفر للكتابة، ترجمة محمد برادة، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م، ص٥٢.

(٣١) ينظر: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص١٧٦.

(٣٢) ينظر: قضايا الفن الإبداعي عند دوستوفسكي، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٦م، ص١١.

(٣٣) ينظر: خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ص١٨١.

يقوم صراع المنظومات في هذه الرواية على ثنائية (الانتماء واللانتماء) وهي ثنائية لها صلة بمضمون الرواية وقضية الانتماء في هذه الرواية يشير سهمها الدلالي إلى تأكيد الانتماء العربي الإسلامي. تتشكل ثنائية الانتماء واللانتماء في هذه الرواية من خلال الصراع الواقع بين منظومتين:

الأولى: منظومة المدافعين عن هويتهم العقائدية الإسلامية والقومية العربية (منظومة

الموصل):

تمثل هذه المنظومة سرديا الشخصيات الآتية:

1 - سلمى:

تجسد شخصية (سلمى) المقاومة بكل أشكالها. فهي في ظاهرها إنساني كائن رقيق، جميل الملامح، لكنه حاد الرؤية قوي الحجّة، لا يؤبه بقوة معارضيها. فهي بهذا ترمز في العموم إلى (المقاومة) التي تشير صيغتها الصرفية إلى الأنوثة والرقّة من خلال تاء التأنيث، ولكنها في معناها اللغوي تشير إلى القوة والصلابة. تشكل (سلمى) بؤرة الارتكاز السردية في هذه الرواية، فهي فتاة مهيضة الجناح تسير في ركاب والدها انتماءً وهويةً. فهي مثل أي فتاة من فتيات الإسلام، اللائي رضعن الانتماء من بيئتهن المسلمة المحافظة. تحمل بين جوانحها، قلباً مولها بعقيدته، معتزاً بانتمائه.

ويتجلّى انتماؤها في الصراع الجاري بين واجبها تجاه أمتها وبين محبتها لخطيبها. فإذا كان خطيبها عاصم لا تتجاوز اهتماماته دائرة العشق الشخصي وإن كان في دائرة (العشق الحلال)، فإنها تتجاوز في دائرة اهتمامها قضية (العشق الحلال) إلى الذوبان في قضية المدينة التي تتمثل في الثبات على النهج الحقيقي والدفاع عن هوية الأمة وعقيدتها وعروبتهها.

يعقد الراوي مقارنة بين حالتيهما «وإذا كان عاصم يتجاوز بالعشق الحلال ثقل الزمن وبؤسه، كانت سلمى أشد حساسية إزاء ما يجري في المدينة، إن الهاجس، الذي يدق في قلبها، وتتصدى أجراسه الحزينة عند المساء، عبر هذه اللحظات بالذات، لا يمكن لصوت عاصم أن يغطي عليه، أو يمحوه»^(٣٤). هاهنا تقف سلمى بحدية شديدة. فليس لديها أنصاف الحلول. فانتماؤها لهويتها، والحفاظ عليها، أولى من أية عاطفة

(٣٤) الإعصار والمئذنة، ص ٨.

وإن سمت في أهدافها. فمن خلال المناجاة الذاتية، تبحر سلمى إلى أعماقها؛ لتحدد موقفها تجاه أهل المدينة، بعيدة عن أهوائها الذاتية « إن ما يفصلها عن اليوم الموعود، اليوم الذي يتحرق خطيبها شوقاً إليه، شيء أكبر بكثير من الزمن، شيء يستعصى على العد والحساب، ليست الساعات والأيام هي التي تفصلها عن ذلك اليوم، ولكن هناك شيء كالمصير الذي تتلاشى فيه ذوات الأفراد، وتتطلع الأعناق جميعاً شاخصة مشدودة صوب يوم الفصل، إنه ليس ثمة عاصم أو سلمى أو عبدالرحمن، ولكنهم ثلاثة ضمن مئات، بل آلاف من الناس، أفلتت من أيديها مطامحها الخاصة، وهي تقف اليوم على صعيد واحد، تنتظر الكلمة وتتوقع الانفجار وتحلم بالخلاص، أترام يدرك ذلك...؟ هنالك حيث تتوحد المحبة والقضية وحيث يصير الغرام دفاعاً عن حرمان الله... آه لو أن عاصماً كان واحداً من هؤلاء الذين يقفون اليوم على التخوم، يحملون خناجرهم، ورشاشاتهم مستجيبين لنداء اللحظة التاريخية، لتحدي القادمين من بغداد»^(٣٥).

فهي بهذه المفاصلة الجليّة تضرب في العظم الصلب لقضية الانتماء؛ ضاربةً بعرض الحائط كلّ ماله صلة بالذات المنغلقة على دائرتها الخاصة الضيقة، مبحرةً في محيط أمتها الواسع.

٢ - هاشم عبدالسلام :

تجسّد هذه الشخصية الصوت الذي يصدع بالحق لمقاومة الباطل. فهو بحق «رجل المدينة وإمامها»^(٣٦). الذي ينافح عنها صباح مساءً وفي الحل والترحال. تنتمي هذه الشخصية إلى جيل المفكرين والمصلحين في العصر الحديث ممن حملوا على عاتقهم مهمة تبصير الأمة بما لها وعليها تجاه هويتها وعقيدتها. فهو خطيب المدينة المصقع، المؤثر في وجدانها، الذي يطابق القول بالفعل. فإذا كانت كلماته ترمي بشرر لإيقاظ الأمة، فإن روحه تحلق في سماوات التضحية والفداء.

هاشم عبدالسلام رمز من رموز الانتماء في هذه الرواية، فهو المحرك الإيجابي للثورة، كما أنه يمثل حلقة الوصل بين السلطة العسكرية الرشيدة (الشواف) وبين جمهور المصلين (أهل الموصل) مستظليين بظلال (المئذنة) العالية الشاهقة. ومن خلاله يشير عقاد الدين خليل إلى وظيفة المثقف الفاعلة في المجتمع وعلاقته بالسلطة ناصحاً

(٣٥) الإعصار والمئذنة، ص ١٨-٢٠.

(٣٦) المصدر السابق، ص ٣١.

ومصلحا. لا يعيش في برجه العاجي ولا يسبح في بحر الأفكار فحسب، بل يجعلها أفعالا حقيقية.

فهذه الشخصية أنموذج للمثقف الحقيقي الذي تنتجه الأمة في مسيرتها التاريخية بأشكال أشتات، تتناسب مع عصرها. فعلى الرغم من انتمائه الطبقي -وفقا لمفاهيم أنصار الشيوعية - لبيئة فقيرة مسحوقة، اختار انتماءه العقائدي. وفي حوار داخلي يناقش هذه المسألة مسوِّغا انتماءه إلى عقيدته وهويته فيقول «ما الذي يمنعه من الانتماء للحزب الشيوعي، ما دام أنه حزب الشغيلة والكادحين؟ وقال في نفسه: استغفر الله !!إنهم مخطئون بكل تأكيد، فإن القتال، ليس -دائما - بين الغنى والفقير، إنني قد أسكت على الذين يجوعوني، رغم أنني أمرت أن أقاتلهم! ولكنني، لن أسكت -بحال - على الذين يحبون عني حق الانتماء للكون. كسر القشرة الصلبة، والجدران القريبة والامتداد في آفاقه اللانهائية. الذين يقطعون جذوري الآدمية عن موطنها الأصيل، وتربتها الحقيقية، ويسعون إلى تضيق الخناق على إنسانيتي، والعودة بها ثانية -بعد إذ هدتها الأديان السماوية عبر رحلة الزمن الطويل - إلى عصور الغريزة، والاصطراع على القوت. إن الأغنياء الذين أعماهم البطر، قد ينتمون إليهم يوما، وقد يقتنعون بدعواهم، فالطرفان، قد يلتقيان في نهاية الأمر عند ضرورات البحث عن إشباع الحاجات الجسدية، أما الفقراء؛ الذين لم تحجب الممذة يوما على أبصارهم، فإنهم سيتولون كبر قتالهم!!»^(٣٧). فهو في هذه المناجاة يضع خطوطا فاصلة بين نوعين من الانتماء في ثنائية متناصلة، على النحو الآتي:

الانتماء العقدي	#	الانتماء الطبقي
الانتماء للحق	#	الانتماء للباطل
الانتماء للفطرة	#	الانتماء للغريزة

فيرى أن هذا الانتماء لا صلة له بمسألة الفقر والغنى؛ لأنهما من المسائل التي أثيرت حديثا في ظل الفوضى العقائدية عند أنصار الشيوعية الذين يدعون إلى ما يُسمى عندهم بالصراع الطبقي المتمثل في الحقد الطبقي!.

فهو يجسّد في هذه المفاصلة الواضحة حقيقة الانتماء إلى الدين عموما ضد الإلحاد والطفیان، وحقيقة الانتماء إلى الإسلام بشكل خاص ضد جيوش الكفر بكل أطياها. فهاشم عبدالسلام يعلن انتماءه إلى عقيدته التي يتحقق فيها العدل في كل

(٣٧) المصدر السابق، ص ٤٩.

مظاهر الحياة بمعناه الواسع؛ الذي يحيل على مفهوم شامل للسنن الكونية القائمة على وضع الأمور في موضعها دون زيادة أو نقصان^(٣٨).

٣ - عبدالرحمن الشيخ داؤد:

والد (سلمى) وهو شخصية هادئة متزنة، تحمل في أعماقها صرامة العسكري وانضباطه، وحنو الأب الرؤوف بابنته، المنتمي إلى عقيدته برسوخ قدم والمنافع عنها إلى درجة التضحية بحياته في سبيلها.

الثانية: منظومة المناوئين لهوية الأمة وقوميتهم العربية (منظومة أنصار الشيوعية):

تبحر هذه المنظومة بأشربة الآخر؛ متخذةً من الشيوعية الأممية هادئة لها في إبحارها، وتمثلها في الرواية الشخصيتان الآتيتان:

١ - حنا جرجس:

يشير بعلمه الأعجمي إلى طائفة من أهل الكتاب من أبناء العروبة ممن تتصلوا من عروبتهم ودينهم وأعلنوا الحرب على شعوبهم باتخاذهم سيلا مناوئا لمن ينتمون إليهم أرضا ولغةً وعقيدةً. فهو يعيش (الحلم الشيوعي) بعيدا عن انتمائه الحقيقي لهويته المكانية (الموصل) وعقيدته الدينية (النصرانية)، فعند إعلان الشواف ثورته على انحرافات قاسم، يُلقى القبضُ على حنا، فيكشف الراوي عن مكنوناته «أما الآن، فماذا تبقى؟ وجد نفسه يعود مرغما إلى التيار، الذي يتدفق في أعماق قلبه، إلى لحظة حلم أخرى تتمتع فيه الصور، وتفقد الأشياء صلابتها، ويضيع الإنسان، فلا يعرف أين هو في الزمان والمكان، ولكن حنا، يتشبث ويكافح من أجل أن يعود إلى لحظة الوعي الأنقى رؤيةً، والأشد إدراكا وقدرةً على الإمساك بالأشياء»^(٣٩).

فحنا يمثل نمطا من الشيوعيين النصارى الذين يحاولون بأسلوب (مكيا فيللي) المزوجة بين عقيدتهم الدينية وبين عقيدتهم الأيديولوجية. يصور الراوي ذلك في مناجاة حنا الداخلية؛ متوعدا خصومه بالويل «لسوف تعرفون قريبا كيف أمارس كلماتي، وكيف أعيش في أحرفها. سوف أجعلها تتجسد على أسفلت الشارع كما تجسدت كلمة الله! وكأنه تذكر شيئا غاب عن ذهنه طويلا، فعاد يتساءل: الله! أترك لا تزال متشبثا به! وما لبث أن أجاب وهو يحس باقتناع مطمئن، يتجاوز حدود مملكة العقل. ولم لا؟ سأكافح من أجل الاحتفاظ بالكلمة، والإيمان به. سأدافع عنهما، ولن

(٣٨) ينظر: المصدر السابق، ص ١٠١.

(٣٩) الإعصار والمئذنة، ص ٩٣.

يكون ذلك تناقضا -بحال من الأحوال - مع انتمائي الجديد. - على أية حال - لا يحاربون الله أو الكلمة أو الإيمان. ولكنهم يلاحقون أولئك الذين يجعلون الدين أداةً لتحقيق أهدافهم السياسية»^(٤٠). كما تظهر فلسفته الذرائعية جليةً عندما يلقي القبض عليه ضابطاً من ضباط الشواف، فيعلل نفسه بشفاعه صديقه هاشم له، ولكنه يكتشف أنه قد قطع آخر خيط يربطه به في آخر محاوره بينهما.^(٤١)

٢ - يونس العتال:

يمثل يونس العتال نموذجا لشريحة من غوغاء الأمة ممن يستجيبون لكل ناعق يبشرهم بحياة رغيدة؛ تدفعهم آمانياتهم هذه إلى الحقد على الأغنياء معترضين بذلك على حكمة الله البالغة في خلق الأغنياء والفقراء؛ فوجد فيهم الشيوعيون بغيتهم، فغذوا وجدانهم بحتمية الصراع الطبقي الذي توارث ناره الأحقاد وعدم الرضا بما قسم لهم من أرزاق. فهو لا يفتأ يتذكر غنى زميله (عاصم) وتمتعه بمزايا كثيرة القصر الفاره، والمصنع الكبير، وزوجة المستقبل الجميلة (سلمى). فبعد إلقاء القبض عليه يتجلى عدم انتمائه الراسخ لفكرة ما سوى فكرة الحقد على الآخرين «وقال في ذات نفسه كمن يؤنب تلميذا عاقا: أكان يجب أن أشترك في تظاهرة اليوم؟ وتذكر صديقه عاصم الدباغ، وكيف حاول جاهدا أن يبعده عن الانزلاق إلى حافة المخاطر، ولكنه لم يستجب إليه. إنه الآن يجلس في قصره الفاره مطبئا، وغدا، قد يتزوج سلمى. وبعد غد، سيغدو المعلم معلمين، وتخرج النقود من فمه وأذنيه»^(٤٢).

تلقتي هاتان الشخصيتان في كونهما غير راسخين في انتمائهما. فهما يجزعان عند الهزيمة ويتشيان عند الانتصار. بل يتحولان إلى ذئبين ضارين. وليس أدل على ذلك من مشاهد إظهار وحشيتها في الانتقام عند الانتصار. فيونس يقوم بسحل (سلمى) ثم صلبها على عمود كهربائي دون شفقة^(٤٣). وتقتل جماعته (عبدالرحمن) دون النظر إلى سنه الكبيرة. ويتشفى (حنا) كما يفعل الجبناء بأن يدوس بحذائه على وجه (هاشم) المعدوم غدرا^(٤٤).

(٤٠) المصدر السابق، ص ١٥٩.

(٤١) ينظر: المصدر السابق، ص ٩١.

(٤٢) الإعصار والمئذنة، ص ٩٦.

(٤٣) المصدر السابق، ص ١٥٢-١٥٧.

(٤٤) ينظر: المصدر السابق، ص ١٧٤.

أما (عاصم الدباغ) فتدور مركبته بين هاتين المنظومتين؛ لأنه يمثل القاسم المشترك لهذه الشخصيات فهو ابن رجل من رجال أعمال الموصل وخطيب (سلمى)، لهذا كان لها حظ موفور في الرؤية السردية، ولاسيما حين يعيش تردداً بين عواطفه التي تميل إلى منظومة (سلمى) فيسعى عبثاً إلى تحييدها في صراع المنظومات؛ انطلاقاً من مصالحة الخاصة، وبين عقله الذي يُزِنُّ له - في لحظة من لحظات الضعف - منظومة زميل دراسته (يونس العتال) فيبحث عن سبيل إليها. بيد أنه متردد لا يستقر على أرضية ثابتة. فهو لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. فلا يعيش ولاء حقيقياً لأيٍّ منهما؛ يتأرجح بينهما باحثاً عن ملاذ لأفكاره المغرقة في الذاتية^(٤٥).

يمثل (عاصم) أنموذجاً مثالياً للشخصية النمطية التي تجسّد نمطاً من الناس الذين لا يعيشون إلا لذواتهم وملذاتهم؛ لهذا يختفى في الجزء الأخير من الرواية ولاسيما حين يحمى الوطيس بين المنظومتين.

وهكذا نجد أن الرواية على الرغم من اعتمادها على ثنائية متقابلة بين الانتماء واللانتماء، لم ينحز الراوي إلى أي منظومة منهما بطريقة مباشرة، بل أن الرؤية السردية فيها اعتمدت على تناوب الرؤى السردية بين الشخصيات، فهي وسط بين (المونوفونية)^(٤٦) القائمة على الصوت الواحد وبين (البولوفونية)^(٤٧) القائمة على تعدد الأصوات.

(٤٥) ينظر: المصدر السابق، ص ٥٣، ٦٠، ١١٩.

(٤٦) وهو مصطلح موسيقي يدل على النسيج أحادي الصوت «وهو الذي يقوم على لحن مفرد، سواء تم أدائه بواسطة مغني واحد، أو مجموعة من المغنين، أو عازف واحد أو مجموعة من العازفين» تعدد التصويت في الموسيقى. عواطف عبد الكريم، مجلة فصول، [١٠٠-١٠٦]. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الخامس، العدد الثاني (يناير-فبراير-مارس) ١٩٨٥م، ص ١٠٠.

(٤٧) وهو مصطلح موسيقي يعني النسيج متعدد التصويت داخل المؤلفات الموسيقية وهو «يقوم على تقابل مجموعة من الألحان المتزامنة وتشابكها وتعارضها-لحنان أو أكثر- بحيث يكون لكل لحن منها كيانه الإيقاعي والنغمي المميز له، وبالرغم من هذا التشابك والتعارض فهي تكون فيما بينها وحدة فنية مترابطة» المصدر نفسه.

المبحث الثالث: تجليات الرؤية السردية من موقع الراوي

يمارس الراوي في هذه الرواية لعبة الظهور والاختفاء، ويغلب عليه الاختفاء في أغلب مواضع الرواية، معلناً بهذه الممارسة ميثاقاً (تتأوب الأصوات) المضادة لسيادة الصوت الواحد الذي يسوّغ القمع ومصادرة رأي الآخرين؛ لهذا يسعى الراوي إلى تحفيز الحوار مع الآخر المختلف والتفاهم معه بشيء من الحيادية التي تتيح للأخر فرصة البوح بأرائه وأفكاره وبث أيديولوجيته بطرائق مخصوصة سيأتي بيانها. بيد أن هذا الأمر سيضعنا على عتبة تساؤلات مثيرة، هل للمؤلف صوت من بين هذه الأصوات؟ وهل الراوي يمثل مطية لهذا الصوت؟ أم أن الراوي يحيل هذا الأمر على إحدى الشخصيات؟ وهل الراوي يكتفي بمهمة السرد لا غير؟ يشير ميخائيل باختين إلى مثل هذه التساؤلات في حديثه عن دوستوفسكي متحدثاً عن اختلاف النقاد بشأن صوت دوستوفسكي؛ فمنهم من جعله ممتزجاً بأصوات هذه المجموعة من أبطاله أو تلك، وذهب آخرون إلى عدّ صوته تركيباً خاصاً من نوعه لجميع هذه الأصوات الأيديولوجية، في حين عدّت فئة ثالثة صوته هذا محجوباً خلف هذه الأصوات جميعاً، بيد أن باختين ينبه إلى أن وجهات النظر الفلسفية للمؤلف أبعد من أن تبرز من بينها جميعاً لتجذب خلفها كل ما سواها، لهذا يتمتع البطل في هذا النوع من الروايات من الناحية الأيديولوجية باستقلالية تامة ونفوذ معنوي كامل في بسط أفكاره وأيديولوجيته^(٤٨).

فمن هنا نرى أن الروائي (عماد الدين خليل) يمثل في هذه الرواية صوتاً من الأصوات من خلال شخصيات الرواية ولاسيما (شخصية سلمى) بعيداً عن صوت الراوي المحايد، لهذا نجد الأصوات في هذه الرواية تتصارع معلنة استقلالها التام عن سطوة الراوي وهيمنته.

ومن أبرز ما يجلو هذا الأمر في هذه الرواية تعدد أنواع الخطاب الذي يشير إلى ظهور الراوي أو إلى اختفائه، فالرواية على الرغم من اعتمادها على الراوي كلي المعرفة من خلال ضمير الغائب، تشبه الرباعيات المتداخلة، مع فارق شكلي، هو أن الشخصيات فيها ليست راوية للأحداث بل حاملة لوجهات نظر متباينة، وأن الراوي يتولّى مهمة السرد فحسب، وهذه الشخصيات هي: سلمى، عبدالرحمن الشيخ داؤد (والد سلمى)، هاشم عبد السلام، عاصم الدباغ، حنا جرجس، يونس عتالة.

(٤٨) ينظر: قضايا الفن الإبداعي عند دوستوفسكي، ص ٩.

وتتخذ الرؤية في هذه الرواية ثلاثة أشكال سردية لجلاء موقع الراوي على النحو الآتي:

الشكل الأول: ظهور الراوي واختفاء الشخصية:

يظهر الراوي جليا -ولاسيما الراوي كليّ المعرفة - حين يقوم بعملية السرد وربط الأحداث بعضها ببعض وحين يقوم بوصف الأمكنة والأشياء مباشرة. وحين يتولّى دفة الأمور في وصف الشخصيات والتعبير عن مشاعرها وأحاسيسها وأفكارها وتقويمها أيديولوجيا بشكل مباشر.

يوظف الراوي في هذه الرواية الوصف المتقابل للشخصيات المتصارعة معلنا انحيازه لمنظومة أهل الموصل. فهو يصف (سلمى) و(عبدالرحمن) و(هاشم عبدالسلام) وصفا إيجابيا، في حين يصف (حنا جرجس داؤد) و(يونس عتالة) وصفا سلبيا.

فهو يصف (سلمى) من رؤيته بوصفها فتاة جميلة مليحة أميل إلى الرشاقة على الرغم من امتلائها، حازمة، مؤمنة بقضيتها، وملتزمة بقضايا الأمة إلى حد التضحية بحياتها^(٤٩). ويصف عبدالرحمن على النحو الآتي «انفرج الباب الداخلي عن قامة عبدالرحمن الشيخ داؤد، الطويلة، النحيلة، المتدثرة بروب سميك، ورغم اكتساح الشيب لشعره، فإن ملامح وجهه، لا تزال تملك الكثير من الحيوية والصرامة، لعله اكتسبها من خدمته الطويلة في الجيش، وهاهو -الآن - محال على التقاعد بشرفته سمراء مشربة بالحمرة، وتقاطيع وجهه تمنح الألفة منذ اللحظة الأولى، عيناها ضيقتان ذكيتان، وفم مزوم، وذقن حليق، أما الشارب، فلا يعدو أن يكون خطأ من الشعر الأبيض الناعم، الذي لا يكاد يرى»^(٥٠)، ويقدمه في عموم الرواية بوصفه مؤمنا بقضيته العادلة التي يضحي من أجلها بحياته فيموت واقفا^(٥١). ويصنع مثل ذلك في وصف هاشم عبدالسلام الذي يدفع حياته ثمنا لقضيته^(٥٢).

أما (حنا جرجس) فقامته نحيلة ووجهه مائل للصفرة^(٥٣)، بيد أن الراوي ينصفه حقا، حين يعدّه واحدا من مثقفي الموصل الجيدين، يجيد الفرنسية والإنكليزية، يهتم بالقراءة والترجمة^(٥٤).

(٤٩) ينظر: الإعصار والمئذنة، ص ١٠، ٢٩، ١٥١.

(٥٠) المصدر السابق، ص ١٣.

(٥١) ينظر: المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٥٢) ينظر: المصدر السابق، ص ١٧٢، ٣٢.

(٥٣) ينظر: المصدر السابق، ص ٤١.

(٥٤) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٥.

أما (يونس عتالة) فمشوّه خلقيا وذهنيا «فلقد اشتهر في الحي بشيء من التخلف الذهني... وكان يعاني من انكماش في تكوينه الجسدي بسبب من هزاله الشديد، أما رأسه الصغير المستدير كالكرة، فلم يسعفه أو يغطي عليه قدر كاف من الشعر، يمنحه شيئا من التوازن والامتلاء»^(٥٥).

الشكل الثاني: اختفاء الراوي وظهور الشخصية:

يختفي الراوي في هذه الرواية عن مسرح الأحداث بواسطة طرائق أسلوبية أشتات، فيدع الشخصية تعبّر عن رؤيتها مباشرة، وأبرز أسلوب تتكئ عليه الشخصية لإثبات وجودها (الأسلوب المباشر) المتمثل بشكل أساسي في الحوار المباشر، الذي تتخلص به الشخصية من سطوة الراوي اللفظية؛ لتعبّر عن رؤيتها مباشرة بلغتها الخاصة. يتخذ الحوار المباشر في هذه الرواية مسارين:

المسار الأول: الحوار الذي يمثّل تخالفا في الرؤى:

وخير ما يمثّل هذا المسار الحوار الذي يدور بين (هاشم عبدالسلام) المعبّر عن رؤية المنظومة الأولى، وبين (حنا جرجس) الذي يعبّر عن رؤية المنظومة الثانية. وهو حوار طويل نسبيا يمتدّ في فضاء سبع صفحات، وفي هذا الحوار تتجلّى وجهة نظر (هاشم عبدالسلام) المبنية على التحدي والصرامة وعدم قبول أنصاف الحلول والحديّة في الطرح. ووجهة نظر (حنا جرجس) المبنية على المراوغة وعدم الوضوح وإيداء الليونة الظاهرة، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها^(٥٦).

المسار الثاني: الحوار الذي يمثّل توافقا في الرؤى ووجهات النظر:

وفي هذا النوع من الحوار يمضي المتحاورون في خط مستقيم دون إحداث شروخ في وجهات النظر العميقة، إلا ما يكون من بعض الشخصيات حين تظهر خصوصية في رؤيتها، كما هو الحال في أغلب محاورات (سلمى) مع (أبيها) أو مع خطيبها (عاصم)^(٥٧). أو مثل الحوار الذي يدور بين (حنا جرجس) و(يونس عتالة) في المعتقل^(٥٨). ويجد القارئ هذا النوع من الحوار مبثوثا في غير موضع من الرواية.

(٥٥) المصدر السابق، ص ١٠٧، ١٠٨.

(٥٦) ينظر: المصدر السابق، ص ٣٤-٤١.

(٥٧) ينظر: الإعصار والمئذنة، ص ٢٣، ٢٩، ٧٦.

(٥٨) ينظر: المصدر السابق، ص ١٠٥.

الشكل الثالث: تماهي الراوي مع الشخصية:

يمارس الراوي مع شخصية (سلمى) - الشخصية الرئيسية في الحدث الروائي لهذه الرواية - التماهي من خلال الأساليب التعبيرية المتنوعة. فتشكل الرؤية السردية إطاراً خارجياً يتخذها الراوي ذريعةً ليتسلل تدريجياً إلى أعماقها، وهي تقنية تكاد مطردةً يتوسل بها الراوي الولوج إلى أعماق الشخصيات الخمسة.

ففي مستهل الرواية يبدأ الراوي سردهً بأسلوب حياديّ بوساطة (الرؤية الخارجية الموضوعية)^(٥٩)، غير أنه يبدأ في التسلل إلى أحاسيسها ومشاعرها تدريجياً وذلك من خلال (الرؤية الموضوعية الذاتية)^(٦٠)، ثم يبدأ بالتماهي معها بوساطة (الأسلوب غير المباشر الحر)^(٦١) «استيقظت متأخرة بعض الشيء، لم تستطع أن تنام بسهولة، كان عليها أن تصارع الأرق لعدة ساعات، وكانت تجد نفسها محاصرة بما هو ألعن من الأرق.. إحساس بالتمزق بين محبتها لخطيبها، والذهاب معه بعيداً إلى أحضان الأمن والسكينة، وبين إشفاقها على المدينة، التي يطبق عليها الحصار. المدينة؟ بكل تأكيد، فلو أن عاصماً يتجاوز - قليلاً - إحساسه الذاتي، يفتح قليلاً على معاناة الأهل والناس، لعرفت كيف تكون سعيدة حقاً. هناك حيث تتوحد المحبة والقضية، وحيث يصير الغرام دفاعاً عن حرمة الله، آه لو أن عاصماً كان واحداً من هؤلاء الذين يقفون على التخوم، يحملون خناجرهم وورشاشاتهم مستجيبين لنداء اللحظة التاريخية، لتحدي القادمين من بغداد ... ووجدت نفسها تخطو إلى النافذة، كان النهار مشرقاً جميلاً، كانت الأرض المكشوفة تمتد وتتبسط واعدة بريبع سخي... كانت الأرض ترتفع بشكل مفاجئ، لكن ما تلبث أن تتحول إلى تل شديد الانحدار، يطل

(٥٩) هي الرؤية التي تعتمد حقائق محددة في وصف سلوك الشخصية، دون الاعتماد على الشخص الواسف. وفيها يكون التركيز على موضوعية الوصف وحيادية الراوي وبعده عن المشاركة؛ إذ تستخدم فيها ألفاظ مثل (فعل، قال، أعلن، بدلا من (فكر، شعر، كان خجلاً). ينظر: شعربة التأليف، ص ٩٥.

(٦٠) هي الرؤية التي تحيل على مراقب ما من خلال ألفاظ مثل (يبدو أنه فكر) أو (من الواضح أنه عرف) أو (يبدو عليه الخجل) ينظر: المصدر نفسه.

(٦١) هناك أسلوبان تقليديان في نقل كلام الآخرين هما :

أ- الأسلوب المباشر: وهو أسلوب يلجأ إليه الراوي في نقل كلام الشخصية منصوصاً عليه، دون تدخل منه في صياغته، ويعرف هذا الأسلوب بكلام الشخصية، وأكثر ما يكون في الحوار.

ب- الأسلوب غير المباشر: وهو الأسلوب الذي يلجأ إليه الراوي حين يمزج كلام الشخصية في كلامه، وهو ما يعرف بكلام الراوي. والقص التقليدي يقوم بالمازوجة بين هذين الأسلوبين، بيد أن هناك أسلوباً وسطاً أطلق عليه اسم (الأسلوب غير المباشر الحر). يعطي المؤلف حرية أكبر في نسج كلام الشخصية داخل كلام الراوي، ويراها بعض النقاد نظيراً للمونولوج الداخلي - مع الفارق: لأن المونولوج قد تظهر في مقدمته أو في ختامه ألفاظ مثل قال في نفسه أو هكذا حدث نفسه أو في معناهما - لأنه يعبر مباشرة وبلا وساطة عن مشاعر الشخصية وعواطفها وتأملاتها. ويتميز هذا الأسلوب عن الأسلوبين السابقين بخلوه من فعل القول أو ما في معناه، وتظهر فيه بعض الصيغ الإنشائية مثل التعجب والاستفهام، وتظهر فيه بعض الصيغ التي تشيع في لغة الكلام مثل التكرار والحذف، كما يحتوي هذا الأسلوب على المفردات الخاصة بالشخصية وبعض الأراء والمواقف التي هي أقرب إلى طبيعة الشخصية منها إلى طبيعة الراوي. ينظر: بناء الرواية، ص ٢١٩، ٢٢٠.

على سهوب المدينة الشرقية إلى قريب من النهر، وكان يدعى (تل الذهب). هل حدث أن اكتشف معدن الذهب يوماً في تربته الخصبة؟ أم أن تكسر أشعة الشمس الغارية على صخوره الناتئة، يجعلها تبدو من بعيد كما لو كانت كتلال من الذهب؟ لا أحد يدري... ماذا دهى الموصل؟ ولماذا لم تستجب كعادتها لنداء الربيع الأبدي؟^(٦٢)، من خلال المقطع السابق تظهر الشخصية بكل عنفوانها، وهنا تتجلى الأنا في صورة ضمير الغائب، ويصل التماهي بين الراوي والشخصية ذروته بوساطة (الأسلوب غير المباشر الحر)، فتصعد الشخصية إلى سطح الأحداث في غفلة متعمدة من الراوي لتعبّر الأنا عن نفسها صيغةً ورؤيةً. هكذا ظل الراوي يتعامل مع هذه الشخصية في عموم الرواية.

وهكذا نجد أن التنوع في إيراد الأساليب التعبيرية كان سبيلاً للراوي في صنع تناوب الأصوات. فقد اعتمد عماد الدين خليل هذا الأسلوب ليحدّد نسبياً من حضور الراوي الطاغى، وليضع مسافة بينه وبين السرد. وإلى جانب هذه اللغات المتعددة يمكن رصد تعدد لغوي على مستوى آخر، هو مستوى تعدد أصوات الشخصيات، بما تعكسه كل شخصية حسب موقعها ووعيها؛ لهذا يكثر من استخدام الأسلوب غير المباشر الحر، حيث يمزج بين ضمير الغائب وضمير المتكلم؛ ليعبر من خلالهما عن إدراك الشخصية الفاعلة للعالم الخارجي، بشكل غير مباشر، كما تحدث في الوعي، وهو بهذه الطريقة يتجنب التقريرية والمباشرة في عرض هذه الإدراك، فاستطاع أن يصوغ بالألفاظ الإدراك دون أن يشي ذلك بأن الشخصية نفسها قد صاغتها، كما استخدم (الأسلوب المباشر) دون اللجوء إلى الحوار أو ألفاظ القول، فلا يستطيع القارئ أن يميز بين أسلوب الراوي وأسلوب الشخصية إلا من خلال صيغة الضمير حين يتحول من الغائب إلى المتكلم، بهذا استطاع عماد الدين خليل في هذه الرواية أن يخلق تناوباً للأصوات في إطار رؤية الراوي كلي المعرفة.

(٦٢) الإعصار والمئذنة، ص ١٩-٢٢.

المبحث الرابع: تجليات الرؤية السردية في وصف المكان

يتضمن كل سرد - ولو بنسب متفاوتة - من جهةٍ عروضاً لأفعال وأحداث تشكّل السرد بمعناه الخاص، ويتضمن من جهةٍ أخرى عروضاً لأشياء ولشخصيات ينتج عنها ما يسمى اليوم بالوصف. وإذا كان الحكي يرتبط بأفعال أو بأحداث ينظر إليها بوصفها وقائع ذات ناتج دلالي، فإنه يشدد على المظهر الزمني والدرامي للسرد. أما الوصف فإنه في الاتجاه المقابل للسرد؛ لأنه يركز على أشياء وكائنات منظور إليها في دائرة تزامنها؛ أي بوصفها وقائع ذات ناتج دلالي كما لو أنها صور متعددة^(٦٣)؛ وبهذا يرى الباحث أن للوصف وظيفة دلالية تكشف الموقع الذي تتطلق منه الرؤية السردية السائدة في هذه الرواية أو تلك، وهذا الأمر يتحقق من خلال رصد العلاقات القائمة على اللغة بين الذات الواصفة والشئ الموصوف، بحيث تتجلى الرؤية السردية.

يلجأ عماد الدين خليل في رواية (الإعصار والمئذنة) إلى إبراز الرؤية السردية باستخدام الوصف الدال^(٦٤) الذي يعتمد على الوصف غير المباشر في وصف المكان؛ وهو نوع من الوصف يلجأ إليه الراوي حين يتخذ شخصية من شخصيات الرواية مطيةً لوصف المكان.

يتبنى الراوي في جلّ أوصافه الدالة للمكان رؤية شخصيات المنظومة الأولى (منظومة الموصل)؛ (سلمى) و (هاشم عبدالسلام) و (عبدالرحمن الشيخ داؤد)؛ بالولوج إلى وصف المكان بأساليب تعبيرية خاصة مثل (الأسلوب غير المباشر الحر) و (المونولوج المروي).

يصف الراوي جزءاً من مدينة الموصل القديمة من خلال رؤية (هاشم عبدالسلام) مستمتعاً بهذا الوصف أيماً استمتاع؛ ليرتبط الوصف هاهنا بعتبة الإهداء التي يشع من متونها، الوله والعشق للمدينة أمكنةً وأناسيً، «بينما واصل هاشم طريقه إلى داره في محلة الجامع الكبير، مجتازاً عدداً من أزقة الموصل القديمة، حيث لا يفصل الدور عن بعضها - أحياناً - سوى شرايين ضيقة أشبه بممرات لا تتسع لأكثر من شخص أو

(٦٣) ينظر: حدود السرد، ص ٧٧.

(٦٤) هذا المصطلح لجينيت ويعني به ذلك الوصف الذي يحمل وظيفة ذات طبيعة تفسيرية ورمزية في الوقت نفسه. وهو على النقيض من الوصف التزييني الذي شاع في الكتابات التقليدية. وفي هذا إشارة إلى أن طبيعة الوصف في الرواية قد تجاوزت الوظيفة الزخرفية بمراحل. لأن الروائي حين يذكر الحياة الخارجية من مدن ومنازل وأثاث وأدوات وملابس، لا يذكرها اعتباطاً، لأن هذا الوصف في اعتقاده يكشف عن حياة الشخصية النفسية كما يشير إلى مزاجها وطبعها. لهذا أصبح للوصف دلالة خاصة كما اكتسب قيمة جمالية. ويؤكد فلويبر -صانع الرواية الحديثة- أن الوصف لا يأتي دون مسوغ. ينظر: حدود السرد، جيرار جينيت، ترجمة بغيبي بوحمالة، ص ٧٧. ضمن كتاب (طرائق تحليل السرد الأدبي) (٧١-٨٤). وينظر: بناء الرواية، دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ، ص ١١١.

اثنين، وحيث تميل الجدران المغلفة -بالمرمر الأزرق الجميل -على بعضها، وكأنها تتحدث إلى بعضها، مضيق الخناق أكثر على المارة. وحينذاك كان سكان الزقاق يلجؤون إلى إسناد جدرانهم المتداعية بأعمدة غليظة من الخشب؛ خشية أن يهوي بعضها على بعض. جميلة هي محلات الموصل القديمة، بأفياؤها الظليلة، بنسائنها الرطبة، بطرقها الملتوية غير المرصوفة، بتكويناتها المعمارية المتقنة، بقناطرها المعقودة، وبدورها؛ التي تعد آية في قدرة البناء الموصل، على اعتماد المرمر الأزرق واللعب به، والتفنن على واجهاته، حيث الزخارف المتقنة، والنوافذ الصماء، والأعمدة الأسطوانية، والتشكيلات الجمالية، التي تستهوي العيون، وتستجيب لأشواقها، إن الذين يزورون هذه الأزقة، ويدخلون دورها، يتذكرون -والحنين يعتصرهم -مدن الإسلام القديمة، التي لا تزال تشخص ببعض تكويناتها متحديّة الزمن، والتاريخ؛ قرطبة، غرناطة، دمشق، القاهرة القديمة، وبغداد^(٦٥). فالمقطع الوصفي السابق يكشف الرؤية التي يتبناها الكاتب، فهو يضمن وصف الشخصية مشاعر الكاتب الموصل المدله بحب معشوقته (الموصل) وفقا لما ورد في عتبة الإهداء. فالوصف السابق لم يكن مجرد وصف تزييني أو وصف مجرد ولكنه وصف دال يكشف عن مكنون أهل الموصل جمعاء، الذين يعانون من غطرسة الزعيم وجبروته الذي يسعى إلى سحق هويتهم، فيه يمتزج التصوير التشخيصي لبعض مكونات المعمار الموصل بالحنين إلى الزمن الجميل والشموخ والتحدي الذين يتجليان ضمنا في مآذن المدن الإسلامية.

ومثل هذا الوصف الدال يتكرر من خلال وجهة نظر هاشم حينما يصف حديقة منزل العقيد الشواف؛ رابطا بين الربيع ومدينة الموصل وبين أجواء المدينة الحزينة المقبلة على المجهول؛ بوساطة إضفاء المشاعر الإنسانية عليها «فما رأى من الحديقة زهرا ولا ثمرا، ولكنه، شم روائح شذية يعرف ربيع الموصل كيف يركزها، ويطوح بعبيرها في الأجواء، وكيف يخفف بها حزن المحزونين»^(٦٦)

وقد يعمد الراوي إلى وصف مكان واحد عدة مرات من رؤى مختلفة، فيجعله متوازيا مع الأحداث مثل وصفه للمنظر المنبسط أمام نافذة بيت (عبدالرحمن). ففي مستهل الرواية يصفه من خلال عيني (عاصم) خطيب (سلمى) «نهض عاصم ثانية، كان القلق هذه المرة يهيمن على ملامح وجهه، ممتزجا بحزن غير قليل، أزاح ستار النافذة المطلة على الشارع ووقف هناك. كان البيت ينتصب بلونه الأسمر، وجدرانه

(٦٥) الإعصار والمئذنة، ص ٤٢، ٤٣.

(٦٦) المصدر السابق، ص ٥١.

المبنية بالجيس والحجر، على شارع الغزلاني الرئيسي، الذي يخترق البلد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، على بعد مئات من الأمتار باتجاه الجنوب، يقوم المعسكر، حيث يستقر اللواء المشاة الخامس، الذي يتزعمه العميد عبدالوهاب الشواف، يمرق الشارع كالسهم صوب أقصى نقطة في المدينة حيث تقوم المستشفى، تحيط بها مجموعات متفرقة من الدور^(٦٧). يبرز الوصف السابق القلق الذي يعانیه (عاصم) من موقف خطيبته؛ إزاء الأحداث الجارية وإعلانها بكل وضوح موقفها من الأزمة بين المنظومتين، وانحيازها الجلي إلى منظومة (هاشم عبدالسلام)؛ غير مبالية بالخطوب المضمرة في بطن المستقبل. كما أنه أقرب إلى الوصف (الطوبوغرافي) المجرد، يخفي منها عواطف الشخصية ومشاعرها تجاه المكان.

ثم يصف الراوي المنظر نفسه ولكن من وجهة نظر (سلمى) «وجدت نفسها تخطو إلى النافذة، كان النهار مشرقاً جميلاً، وكانت السماء زرقاء صافية كالبلور، لا تغطي عليها ولا قطعة من سحاب، وعلى مدى البصر، عبر شارع الغزلاني الطويل، المتعرج، كانت الأرض المكشوفة تمتد وتتوسط واعدة يربيع سخي، فرغم أن آذار لم يتوغل بعد -رغم أنه يحبو في أيامه الأولى - إلا أن العشب المغسول، كان قد ارتفع بما فيه الكفاية، وكانت تدغدغه هنا وهناك أزهار الموصل البرية؛ التي كانت وفيّة دائماً للأرض والبلد. النفل ذو الألوان البيضاء والصفراء والأرجوانية ذات العطر الشذي. الصفيّر الذي آل على نفسه، ألا يدع الحنطة تنمو لوحدها، وأن يكون دوما معها. حليب البزون الأبيض الكثيف، الذي يحلو له أن يحتل مساحات واسعة خاصة ما بين الخضرة الواعدة. ليببون؛ الذي تكاد تنفرد به براري المدينة، والذي اتخذه القدماء رمزا بتاحه ذي الوريقات الناصعة البياض، تحيط بالقرص الأصفر؛ الذي لا يكاد يكف عن بث رائحته الهادئة العذبة. وهو -لسخائه - لا يكتفي بتطيريز الأرض الموصلية، ولكنه يتجاوز ذلك لتطبيب المرضى وعلاج المتألمين، فما من علة إلا ويكاد يكون علاجها البيبون المغلي بالماء، بعد نشره وتجنيفه، وبما أن الأرض الموازية للشارع، صخرية التكوين، فإن ثمة ما هو أجمل من هذا كله، يعين على تلوين الأرض ومنحها غنى لونها أشد إثارة وعذوية، شقائق النعمان المحمولة على سوقها النحيفة وهي تقطر دما^(٦٨)».

(٦٧) المصدر السابق، ص ١١، ١٢.

(٦٨) الإعصار والمئذنة، ص ٢٠، ٢١.

لعل أبرز ما يميّز المقطع السابق هو الحضور القوي للرؤية، فقد تحولت فيه شخصية (سلمى) من موضوع يحلله مؤلف مجرد إلى ذات مدركة، فشخصية (سلمى) تستبطن الفضاء الخارجي فتحوّله إلى (صورة ذهنية)^(٦٩). فهو مليء بروح التفاضل، مشرق بالانتماء إلى المكان بوصفه هوية ثابتة على مر الأزمان؛ لهذا تجد الوصف ممزوجا بعاطفة الشخصية والمؤلف (المؤرخ). فتجد فيه الإشارة إلى وفاء أزهار الموصل البرية للأرض والبلد الذي يحيل على (الانتماء)، كما أن الراوي يستخدم في الوصف السابق صفات تحمل أنفاس الشخصية (الأنثى) المنعكسة على الطبيعة الحية والصامتة؛ فيكثر فيها صفات (الإشراق والجمال والصفاء والسخاء والوفاء والشذى المعطر والهدوء والعذوبة والإثارة والتلوين والتطريز). وهي صفات تشف عن روح الأنثى الحاملة (سلمى) مع تدخلات يسيرة من الكاتب المؤرخ المضمّر داخل الروائي عماد الدين خليل.

ثم يصف المنظر عينه من وجهة نظر (عبدالرحمن) الذي يوظف فيه المنظر بوصفه ملجأً لآفاق رؤيته وإحساسه الشديد بالمكان بوصفه هوية وانتماءً «غادر الصالة إلى جلسته الأثيرة في الشرفة، قبالة الخضرة، والورود البرية، والسماء المفتوحة. دهش إذ لم يجدها ترحب به، أو تقول له شيئاً. لطالما حدثته بألف حديث وحديث، ولطالما قالت له كلماتٍ وجملًا مما لا يقوله إنسان، أو مذياع، أو أيّما شيءٍ آخر. تعابير ما، صنعتها الأحرف والأصوات، ولا تلبستها كثافة المادة الملموسة، إنما تحكي بلغتها الخاصة، وهي بحق، لغة شفافة؛ لأنها تصوغ معانيها بالروائح والألوان. كانت ثمة باقة من شقائق النعمان؛ التي تقطر، وتتلوى سوقها بدلال، تنتشر قريباً من حافة الشارع، ويبدو أن عجلة ما عسكرية مسرعة، قد انحرفت قليلاً عن الطريق الأسفلتي باتجاه الحافة، فطوحت بالسوق والأوراق، وهاهي الآن، تحاول أن تنهض مرة أخرى، دون جدوى، لقد تكسرت السوق بما فيه الكفاية، وتبعثرت حراشف الشقائق ذات الحافات السوداء، فلم يعد بمقدورها أن تنهض مرة أخرى»^(٧٠).

وقد وجد الباحث تنوعاً على هذا الوصف الدال للمكان في عدة مواضع من الرواية. فهو يصف المكان في عمومته؛ لإظهار الفضاء الموصل بهيّا جميلاً. فتجد الواصف مستمتعاً بوصفه الدقيق لشوارع المدينة؛ موظفاً أسماء الشوارع وتوظيفاً

(٦٩) ينظر: النص الروائي (تقنيات ومناهج)، بزّار فالبط، ترجمة رشيد بنحو، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) العدد (١٠١)، القاهرة، ص ٤١.

(٧٠) الإعصار والمئذنة، ص ١٣٢، ١٣٣.

تقويميا، مشيراً من خلالها إلى هوية المدينة المنتمية إلى الرموز الإسلامية، مثل أسماء الخلفاء الراشدين، أو الإشارة إلى العلماء والصالحين أو الشخصيات الاعتبارية في المدينة. ولكن قد نجد انزياحاً عن هذه التسميات في إشارة إلى قدوم قيم جديدة إلى المدينة مثل (شارع موسكو) الذي يمثل رؤية مغايرة لشوارع المدينة المنتمية إلى تاريخها العريق وإلى هويتها العقائدية. بيد أن هذا الشارع غير معترف به من سكان المدينة؛ لأنه متداول بين الشيوعيين فحسب^(٧١).

الخاتمة

عماد الدين خليل كاتب متعدد الاهتمامات؛ فقد كتب في مجال الأدب (الشعر والسرد) إبداعاً وتنظيراً، وكتب في الفكر الإسلامي، كما كتب في التاريخ الإسلامي وهو تخصصه الأكاديمي الدقيق، بيد أن الأدب يأخذ مساحة واسعة من اهتماماته، والفن الروائي بشكل خاص، فقد كتب روايتين هما (الإعصار والمئذنة ١٩٨٤م) و(السيف والكلمة ٢٠٠٧م)، وقد جرى الاهتمام بهاتين الروايتين نقدياً بالنظر في الأعم الأغلب إلى مضامينها.

والفن في عمومها والروائي بشكل خاص لا يكتسب أدبيته وفنيته من مضامينه - على الرغم من أنها تشكل جزءاً مهماً في رسالة الأديب والفنان - ولكنه يستمد أدبيته وفنيته بشكل أساسي، من طرائق تشكيله الفنية وفقاً لقوانين الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه؛ لهذا سعى الباحث إلى جلاء الأسس الفنية في رواية (الإعصار والمئذنة) بواسطة آليات النقد السردية الحديث، متخذاً الرؤية السردية مركباً نقدياً لجلاء فنية هذه الرواية، بوصفها مفهوماً يحيل على الكيفية التي تُدرك بها الحوادث المنقولة من جهة الراوي، وبهذا نرى أنها مرتبطة بأهم مكونات الخطاب السردية، وهو الراوي وعلاقته بالعمل السردية عموماً، فخلص الباحث في دراسته هذه إلى النتائج الآتية:

- جاءت عتبات النص متسقة مع مضمون النص، فالغلاف بوصفه عتبة بصرية أشار إلى مآل الصراع الدائر بين المنظومتين في الرواية؛ من خلال التشكيل البصري المعتمد على الخطوط والألوان والزوايا، بواسطة ثنائية (النور والظلام). فكانت المئذنة مشعة بنور ذهبي والإعصار مغلقة بالسواد الذي اختلط بهاء لون المئذنة الذهبي في إشارة إلى انتصار (المئذنة) الثابتة على قواعد متينة على (الإعصار) الزائلة عقائدياً.

(٧١) ينظر: المصدر السابق، ص ٩٣.

- جاء استخدام عماد الدين خليل للرؤية السردية متسقاً مع الاتجاه المضموني في هذه الرواية، فقد اختار الراوي الانتقائي، معتمداً في جلاء رؤيته السردية من خلال ضمير الغائب، لتتحقق من خلاله (الرؤية المصاحبة)، فكان لهذا الاختيار دلالاته، لأن فيه إشارة إلى صراع المنظومات الذي يدور حول الانتماء والانتماء، لهذا لم ينحز الراوي إلى أي منظومة منهما بطريقة مباشرة، بل اعتمدت الرؤية السردية فيها على تناوب الأصوات، فكانت وسطاً بين الصوت الواحد المهيمن المعروف بالمونوفونية، والأصوات المتعددة المعروفة بالبولوفونية.
- مارس الراوي في هذه الرواية لعبة الظهور والاختفاء خدمة لهذه الرؤية السردية المتعددة، لتصبح الرؤية السردية منضوية تحت لواء الرؤية المصاحبة، ولكن من خلال ضمير الغائب.
- يشكّل الوصف الدال للمكان حضوراً في هذه الرواية. فالراوي يصف هذه الأمكنة من خلال رؤى شخصيات الرواية ولاسيما الشخصيات التي تنتمي إلى منظومة (الموصل) معلنا انحيازه الضمني لهذه المنظومة.

مصادر البحث ومراجعته

• القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

- ١ - الإعصار والمئذنة، عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

ثانياً: المراجع:

- ١ - بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، عالم المعرفة، الكويت، العدد [١٦٤]، ١٩٩٢م.
- ٢ - بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) سيزا قاسم، دار التنوير، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
- ٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، محمد المرتضى الزبيدي، الإصدار (١٦) من سلسلة (التراث العربي)، وزارة الإعلام، الكويت.
 - الجزء الثالث عشر، تحقيق الدكتور حسين نصار، ط١، ١٩٧٤م.
 - الجزء الرابع والثلاثين، تحقيق علي هلال، ط١، ٢٠٠١م.
- ٤ - الجامع الصحيح، الإمام البخاري (٢٥٦هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

- ٥ - حدود السرد، جيرار جينيت، ترجمة بنعيسى بو حمالة، ص ٧٧، ضمن كتاب (طرائق تحليل السرد الأدبي) [٧١ - ٨٤].
- ٦ - خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة محمد معتصم، عبد الجليل الأزدي، عمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة (١٠)، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٧م.
- ٧ - الدرجة الصفراء للكتابة، رولان بارت، ترجمة محمد برادة، دار الطليعة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢م.
- ٨ - شعرية التأليف، بنية النص الفني وأنماط الشكل التأليفي، بوريس أوسبنسكي، ترجمة سعيد الغانمي وناصر حلاوي، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) القاهرة، ١٩٩٩م.
- ٩ - شعرية تودوروف، عثمانى الميلود، منشورات عيون المقالات، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٠م.
- ١٠ - طرائق تحليل السرد الأدبي، رولان بارت وآخرون، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط ١، ١٩٩٢م.
- ١١ - عتبات (جيرار جينيت من النص إلى المناص)، عبدالحق بلعابد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط ١، ٢٠٠٨م.
- ١٢ - عتبات النص الأدبي (بحث نظري)، حميد لحمداني، علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، مج ١٢، ع ٤٦٤، ديسمبر ٢٠٠٢م.
- ١٣ - عالم الرواية، رولان بورنوف وريال أونيليه، ترجمة نهاد التكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩١م.
- ١٤ - في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد) عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، الكويت، ديسمبر ١٩٩٨م.
- ١٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر (٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
- ١٦ - قضايا الفن الإبداعي عند دوستوفسكي، باختين، ترجمة جميل نصيف التكريتي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٦م.
- ١٧ - كتاب المواقف، محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفرى، تحقيق آرثر يوحنا أربري، مكتبة المنتبي، القاهرة، د. ط، د. ت.
- ١٨ - مدخل إلى التحليل البنيوي للقصة، رولان بارت، ترجمة منذر عياشي، مركز

- الإينماء الحضاري، حلب، ١٩٩٣ م .
- ١٩ - مفاهيم سردية، تزفيتان تودوروف، ترجمة عبد الرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٥م.
- ٢٠ - مقولات السرد الأدبي، تزفيتان تودوروف، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد صفا، ص٥٨- ٥٩، ضمن كتاب: طرائق تحليل السرد الأدبي [٣٩- ٧٠].
- ٢١ - النص الروائيّ (تقنيات ومناهج)، برنار فاليط، ترجمة رشيد بنحدّو، المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) الإصدار (١٠١)، القاهرة.

ثالثاً: البحوث المنشورة في المحلات والدوريات :

- ١ - تعدد التصويت في الموسيقى، عواطف عبد الكريم، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد الخامس، العدد الثاني (يناير - فبراير - مارس)، ١٩٨٥م.
- ٢ - مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، عبد العالي بو طيب، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (١١) العدد (٤)، شتاء ١٩٩٣م.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

- أحداث الموصل في عام ١٩٥٩ يرويها شاهد عيان، فخري بطرس.
<http://www.ahewar.org>
- حركة الشواف في الموصل ١٩٥٩، إبراهيم خليل العلاف.
<http://www.allafblogspot.com>,

**الانحراف عن الكعبة المشرفة، ومقدار
الجائز والممنوع منه
(دراسة فقهية مقارنة)**

د. صالح مبارك دعكيك



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

الانحراف عن الكعبة المشرفة، ومقدار الجائز والممنوع منه (دراسة فقهية مقارنة)

ملخص البحث :

الكعبة المشرفة هي قبلة أهل الإسلام، ومهوى أفئدة أهل الإيمان، وهي قبلة معظمة مقدسة، يتعلق بها جملة من الأحكام من أهمها: وجوب استقبالها في الصلاة من أي موقع من الأرض، فمن كان يشاهدها أو كان قريباً منها وجب عليه استقبال عينها، ومن نأى عنها وجب عليه أن يولي وجهه شطرها بحيث يصدق عليه اسم الاستقبال لها، وبين استقبال البعيد لعين الكعبة أو لجهتها أقوال حاصلها: وجوب مقابلة الكعبة وأن لا يغيب عنها بحيث يعد منحرفاً عنها، ولا يلزم أن يكون معانياً لها حتى لو فرض خروج خط من بين عينيه كان مصيباً لجدارها؛ فإن هذا مما لا يتأتى، ولا قائل به بهذا المعنى. والانحراف عن الكعبة المشرفة في الصلاة منه ما يكون يسيراً وقع اتفاق

الكعبة المشرفة هي قبلة أهل الإسلام، ومهوى أفئدة أهل الإيمان، وهي قبلة معظمة مقدسة، يتعلق بها جملة من الأحكام من أهمها: وجوب استقبالها في الصلاة من أي موقع من الأرض، فمن كان يشاهدها أو كان قريباً منها وجب عليه استقبال عينها، ومن نأى عنها وجب عليه أن يولي وجهه شطرها بحيث يصدق عليه اسم الاستقبال لها، وبين استقبال البعيد لعين الكعبة أو لجهتها أقوال حاصلها: وجوب مقابلة الكعبة وأن لا يغيب عنها بحيث يعد منحرفاً عنها، ولا يلزم أن يكون معانياً لها حتى لو فرض خروج خط من بين عينيه كان مصيباً لجدارها؛ فإن هذا مما لا يتأتى، ولا قائل به بهذا المعنى.

والانحراف عن الكعبة المشرفة في الصلاة منه ما يكون يسيراً وقع اتفاق

تمهيد :

لقد حظيت الكعبة المشرفة - زادها الله شرفاً وتعظيماً - بأعظم معاني التبجيل والتعظيم، منذ بداية التاريخ البشري، وقد وضع الله لها الجلالة والقداسة في قلوب الخلق، وأصبحت مثابة للناس وأمناً على مر العصور والدهور .
ولما جاء الإسلام زاد البيت تعظيماً وإجلالاً، وأبان لأتباعه قدسيته وحرمته، فأضحت الكعبة المشرفة قبلة القلوب والأبدان.

ومن الأحكام الشرعية المتعلقة بتعظيم البيت الحرام: التوجه إليه في الصلاة، وتحري استقبال الكعبة المشرفة حيثما كان المسلم، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(١).

وصار هذا الاستقبال شعيرة من شعائر هذا الدين، وعبادة من أجل عبادات أهل الإسلام، تميزهم عن سائر العالمين.

ولما كان جرم الكعبة صغيراً ويجب استقبالها على كل مصل أينما كان موقعه على هذه البسيطة، كان من الصعوبة بمكان إصابة عينها، وطبيعي أن تختلف محاريب المساجد في التوجه للكعبة المشرفة، ويختلف انحرافها في ذلك بين قليل وكثير، وقد وقع لغط في بعض البلاد حول هذا الانحراف الواقع في محاريب المساجد مما أدى اختلاف المصلين، وإيقاع الشك في صحة صلاتهم وتوجه مساجدهم، وبحث الموضوع فلم أجد - بحسب ما وقفت عليه - بحثاً وافياً فيه، فاستعنت بالله، وقرمت ببحث المسألة، وبيان كلام العلماء في وجوب استقبال عينها أو جهتها والجمع بين القولين، ومعرفة مقدار الانحراف السائغ وغير السائغ، وبيان ذلك بالمقادير والدرجات الحديثة، كل ذلك مدعوماً بكلام الفقهاء والمختصين من علماء الهيئة، وكانت خطة البحث على النحو الآتي:

تمهيد : وفيه بيان أهمية الموضوع والباحث على كتابته.

المبحث الأول : فضل الكعبة وتعظيم جهتها : وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعريف الكعبة لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعظيم الكعبة وجهتها.

المبحث الثاني: استقبال البعيد للكعبة المشرفة، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول: وجوب استقبال القبلة في الصلاة.

(١) سورة البقرة آية (١٤٤).

المطلب الثاني: مذهب القائلين بوجوب استقبال عين الكعبة.

المطلب الثالث: مذهب القائلين باستقبال الجهة.

المطلب الرابع: حقيقة الخلاف في المسألة:

المبحث الثالث: حكم الانحراف عن الكعبة المشرفة: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الانحراف المبني على اجتهاد مشروع.

المطلب الثاني: الانحراف من غير اجتهاد.

المبحث الرابع: مقدار الانحراف الجائز والممنوع عن الكعبة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جواز الانحراف اليسير عن عين الكعبة.

المطلب الثاني: مقدار الانحراف الجائز والممنوع عن الكعبة.

المطلب الثالث: القول المختار في تحديد مقدار الانحراف الجائز عن الكعبة.

المبحث الأول: فضل الكعبة وتعظيم جهتها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الكعبة والقبلة لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الكعبة لغة: الكعبة: بفتح الكاف هي البيت الحرام، وفي تسميتها بالكعبة قولان: القول الأول: سميت كعبة لتربيعها؛ وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة^(١).

القول الثاني: سميت كعبة لنتوئها وبروزها وارتفاعها، فكل ناتئ بارز كعب، مستديراً كان أو غير مستدير، ومنه كعب القدم، وكعب القناة، وكعب ثدي المرأة إذا ظهر في صدرها^(٢).

ولا منافاة بين القولين، فالكعبة مربعة التشييد، بارزة البناء، مرفوعة المكان والقدر، لذا ذكر بعضهم المعنيين مرتبة لأنها تتضمن ذلك كله^(٣).

قال الإمام الرازي: (فالكعبة لما ارتفع ذكرها في الدنيا، واشتهر أمرها في العالم، سميت بهذا الاسم ولذلك فإنهم يقولون لمن عظم أمره: فلان علا كعبه)^(٤).

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ١٣٧٧).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (١٥٠/٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/٣٢٤).

(٣) ينظر: تاج العروس للزبيدي (١٥١/٤) لسان العرب لابن منظور (١/١٣٣٧).

(٤) مفاتيح الغيب للرازي (١٢ / ٨٣).

ثانياً: تعريف الكعبة اصطلاحاً: الكعبة المعظمة هي البيت الحرام، قال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكُعبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾^(٦). والبيت ببيان الكعبة المربع المعروف، وسمي بيتاً لأنه ذو سقف وجدار، وهي حقيقة البيئية وإن لم يكن بها ساكن، وسمّاه الله البيت الحرام لأن الله تعالى حرّمه وعظّم حرّمته (٧)، وفي الحديث: (إنّ الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السموات والأرض، فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة) (٨).

المطلب الثاني: تعظيم الكعبة :

لقد حظيت الكعبة بأعظم معاني التبرجيل والتعظيم، منذ بداية التاريخ البشري فهي أول بيت وضع للناس، ووضع الله لها الجلالة والقداسة في قلوب الخلق، وأصبحت مثابة للناس وأمناً على مر العصور والدهور .

ولما بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم عرف للبيت عظّمته وحرّمته، فزاده تشريفاً وجلالاً وعظّمه حق التعظيم، وأعطاه حقه من الإجلال والمهابة فعظّمه حق التعظيم، وطهره حق التطهير، وأبان لأّمته أظهر البيان حرّمته وقدسيتها الأبدية منذ أول التاريخ إلى أن تقوم الساعة، فالكعبة المشرفة من أعظم الحرمات مكانة، وحرّمها من أقدس الأماكن.

وقد جاءت النصوص في بيان تعظيم الكعبة بأساليب متعددة منها:

(١) أن الله سبحانه وتعالى حرم مكة منذ خلق السموات والأرض، وأعظم ما في مكة البيت الحرام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾^(٩)، وفي الصحيحين^(١٠) عن ابن عباس قال، قال: رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط إلا من عرفها ولا يختلى خلاها).

(٢) أن الله جل ثناؤه جعل البيت الحرام ومكة تبعاً له حرماً آمناً لكل من قصده ولاذ به، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَحَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَبْنَابًا طَلِيلًا يُؤْمِنُونَ

(٦) سورة المائدة آية (٩٧).

(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٢٤/٦).

(٨) أخرجه البخاري، باب (قول الله تعالى يوم حنين) رقم (٤٠٠٩).

(٩) سورة النمل آية (٩١).

(١٠) صحيح البخاري، باب إثم الغادر للبر والفاجر رقم (٣٠١٧) صحيح مسلم، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها، رقم (١٣٥٣).

وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ^(١١)، قال الشافعي رحمه الله: (يعني والله أعلم آمناً من صار إليه، لا يتخطف اختطاف من حولهم)^(١٢)، ال السيوطي: (آمناً من العدوان أن يحمل فيه السلاح، وقد كانوا في الجاهلية يتخطف الناس من حولهم وهم آمنون)^(١٣).

وذكر أهل الحرم بما امتن عليهم حتى في حال جاهليتهم فقال تعالى: ﴿لِبِلَافٍ قُرَيْشٍ * إِبِلَاهِمُ رَحِلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١٤)، والواقع يشهد بذلك إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة. وما ذلك إلا لأجل تعظيم الله عز وجل للكعبة وما حولها، وما جعله الله في قلوب الناس من التعظيم للبيت الحرام منذ القدم.

(٣) أن الله جعل هذا البيت مثابة للناس، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾^(١٥) قال أبو جعفر الطبري في معناه: (وإذ جعلنا البيت مرجعاً للناس ومعاداً يأتونه كل عام، ويرجعون إليه فلا يقضون منه وطراً)^(١٦). وروى عن أبي ليابة في قوله: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾، قال: لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطراً^(١٧).

(٤) أن البيت الحرام من أعظم شعائر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّمَ وَالْمُرُوءَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾^(١٨). وقال تعالى مبيناً أن تعظيم هذه الشعائر علامة على الإيمان: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١٩). قال ابن

(١١) سورة القصص آية (٦٧).

(١٢) أحكام القرآن للشافعي (١٢٠/١).

(١٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٢٨٩/١).

(١٤) سورة قريش.

(١٥) سورة البقرة آية (١٢٥).

(١٦) تفسير ابن جرير الطبري المسمى: جامع البيان في تأويل القرآن (٥٣٢/١).

(١٧) المصدر السابق (٥٣٣/١).

(١٨) سورة البقرة آية (١٥٨).

(١٩) سورة الحج آية (٣٢).

جرير: (قال ابن زيد في قوله: ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ قال: الحرمات المشعر الحرام، والبيت الحرام، والمسجد الحرام، والبلد الحرام، هؤلاء الحرمات) (٢٠).
٥) أن البيت الحرام قبلة للقلوب والوجوه، قبلة في الحياة وفي الممات، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٢١). وركز سبحانه وتعالى في القلوب ومحبه وتعظيمه، وجعل القلوب تهفوا إليه، قال تعالى مخبراً عن إبراهيم أنه دعا ربه فقال: ﴿فَجْعَلْ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يُهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٢٢) فاستجاب الله دعوته، وأمضى فريضته بحج بيته وتعظيمه، وعلى هذا تواتر الشرائع الإلهية: ﴿وَلَهُ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^(٢٣) وأخبر النبي ﷺ أن الأنبياء توافدوا على البيت معظمين حاجين، فقال - كما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ مر بوادي الأزرق، فقال: (أي واد هذا؟) فقالوا: هذا وادي الأزرق. قال: (كأنني أنظر إلى موسى عليه السلام هابطاً من الثنية، وله جوار إلى الله بالتلبية). ثم أتى على ثنية هرشي، فقال: (أي ثنية هذه؟) قالوا ثنية هرشي. قال: (كأنني أنظر إلى يونس بن متى عليه السلام، على ناقه حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خظام ناقته خلبة، وهو يلبي). قال: ابن حنبل في حديثه قال هشيم: يعني ليفاً^(٢٤).

وسار أتباع الأنبياء يقتفون خطى أنبيائهم، فقد قال ابن الزبير رضي الله عنهما: (إن هذا البيت كان يحجه من بني إسرائيل سبعمائة ألف، يضعون نعالهم بالتعظيم، ثم يدخلون حفاة؛ تعظيماً له)^(٢٥).

وتتابعت القلوب على ما فطرت عليه تعظيماً وإجلالاً لهذا البيت حتى بعدما اندرست النبوة، وخفيت معالمها، وغلبت الجاهلية، فكانت العرب تعظم البيت الحرام، ولا تطوف فيه بثياب عصت الله فيها، فكان الرجل من القبائل غير الحمس إذا قدم الحرم حاجاً أو معتمراً لا يطوفوا بالبيت إلا في ثياب الحمس -

(٢٠) تفسير ابن جرير الطبري (١٥٣/١٧).

(٢١) سورة البقرة آية (١٤٤).

(٢٢) سورة إبراهيم آية (٣٧).

(٢٣) سورة آل عمران آية (٩٨).

(٢٤) أخرجه مسلم، باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم (١٦٦).

(٢٥) المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة (٢٣٨/٣).

وهم قريش وحلفاؤها - فإن لم يجدوا طافوا بالبيت عراة، فإن أنف أحد من عظمائهم أن يطوف عرياناً إذا لم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه ألقاها إذا فرغ من الطواف، ولا يمسه هو ولا أحد غيره وكانوا يسمونها اللقى^(٢٦).

ولما أرادت قريش تجديد عمارة البيت الحرام بعد ما تهدم تواصلوا فيما بينهم ألا يدخلوا فيه مالا حراماً من ربا، أو مهر بغي، ولا مظلمة أحد من الناس، كما ذكر ابن إسحاق في السيرة عن عبد الله بن أبي نجيح أنه أخبر عن عبد الله بن صفوان بن أمية أن أبا وهب بن عابد بن عمران بن مخزوم وهو جد جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي قال لقريش: (لا تدخلوا فيه من كسبكم إلا الطيب، ولا تدخلوا فيه مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس)^(٢٧).

كل ذلك لتعظيمهم البيت الحرام، وهذا في الجاهلية، أما أهل الإسلام فهم أكثر تبيحاً وتعظيماً للكعبة المشرفة وعموم الحرم.

(٦) أن جهة البيت الحرام جهة عظمها الشارع لحرمة الكعبة المشرفة، لهذا نهى النبي ﷺ عن استقبال القبلة بغائط أو بول تعظيماً لجهتها، فعن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: (إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ولكن شرقوا أو غربوا)^(٢٨). وأكد النبي ﷺ ذلك التعظيم لجهة الكعبة فنهى عن البصاق إليها فعن عبد الله بن عمر أن ﷺ رأى بصاقاً في جدار القبلة فحكه، ثم أقبل على الناس فقال: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه إذا صلى)^(٢٩).

مما سبق يتبين لنا تعظيم النصوص للكعبة وجهتها، وما للكعبة المشرفة من مكانة عالية في عقيدة المسلم، وما حظيت به من تقديس في تاريخ البشرية.

(٢٦) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٠٥/٢).

(٢٧) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٤٤٤/٣).

(٢٨) صحيح البخاري كتاب أبواب القبلة، باب قبلة أهل المدينة وأهل الشام، رقم (٣٨٦) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة، رقم (٢٦٤).

(٢٩) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النبي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، رقم (٥٤٦).

المبحث الثاني : استقبال البعيد للكعبة المشرفة

وفيه مطلبان

المطلب الأول: وجوب استقبال القبلة في الصلاة

لم يختلف الفقهاء في أن استقبال القبلة في الصلاة شرط أو فرض في صحتها ، وقد جاءت النصوص الشرعية واضحة في التأكيد عليه، من ذلك:

١ - قول الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٣٠).

٢ - وقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٣١).

٣ - قول النبي ﷺ للمسيء في صلاته: (إذا قمت إلى الصلاة فأسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر..) الحديث^(٣٢).

من مجموع هذه الأدلة اتفق الفقهاء على اشتراط استقبال القبلة في الصلاة.

قال الإمام الشافعي: (ولا يجوز لأحد صلاة فريضة، ولا نافلة، ولا سجود قرآن، ولا جنازة، إلا متوجهاً إلى البيت الحرام)^(٣٣).

وقال ابن عبد البر: (أجمع العلماء أن القبلة التي أمر الله نبيه وعباده بالتوجه نحوها في صلاتهم هي الكعبة البيت الحرام بمكة، وأنه فرض على كل من شاهدها وعابنها استقبالها)^(٣٤).

وقال الإمام الشوكاني: (والأحاديث المتواترة مصرحة بوجوب الاستقبال بل هو نص القرآن الكريم ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ وعلى ذلك أجمع المسلمون، وهو قطعي من قطعيات الشريعة)^(٣٥).

^(٣٠) سورة البقرة آية (١٤٤).

^(٣١) سورة البقرة آية (١٥٠).

^(٣٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب من رد فقال عليك السلام رقم (٥٨٩٦) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٧).

^(٣٣) الحاوي الكبير الماوردي (٦٧/٢).

^(٣٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٥٤/١٧).

^(٣٥) الدراري المضية شرح الدرر الهية للشوكاني (٩٥/١).

المطلب الثاني: استقبال القريب للكعبة المشرفة :

المقصود بالقرب هو من يتيقن توجهه إلى الكعبة سواء كان معانياً للكعبة أو من كان بمكة أو خارجاً عنها بقليل ويحصل له اليقين بالتوجه إليها^(٣٦).

ولم يختلف الفقهاء في أن القريب فرضه التوجه إليها باستقبال عينها في الصلاة، بحيث يقابل ذات بناء الكعبة يقيناً، ولا يكفي الاجتهاد ولا استقبال جهتها، لأن القدرة على اليقين والعين تمنع من الاجتهاد فإن لم يتيقن لم تجزئه صلاته.

قال الإمام الشافعي: (فكل من كان يقدر على رؤية البيت ممن بمكة في مسجدها أو منزل منها أو سهل أو جبل فلا تجزيه صلاته حتى يصيب استقبال البيت؛ لأنه يدرك صواب استقباله بمعانيته)^(٣٧).

وقال القرطبي: (أجمعوا على أن من شاهدها وعابنها فرض عليه استقبالها، وأنه إن ترك استقبالها وهو معان لها وعالم بجهتها فلا صلاة له، وعليه إعادة كل ما صلى)^(٣٨).

وقال ابن قدامة: (من يلزمه اليقين وهو من كان معانياً للكعبة أو كان بمكة من أهلها أو ناشئاً بها من وراء حائل محدث كالحيطان فرضه التوجه إلى عين الكعبة يقيناً)^(٣٩).

وقرر عامة الفقهاء أن المصلي في مكة وما في حكمها ممن تمكنه المسامحة لو استقبال طرفاً من الكعبة ببعض بدنه وخرج باقيه - ولو عضواً واحداً - عن استقبالها لم تصح صلاته لأنه لم يستقبل الكعبة بكله^(٤٠).

فكلمة الفقهاء متفقة على أن المعان للكعبة والمتيقن من أصابته عينها لا يجزئه إلا ذلك، فليتنظن أولئك الدين يكونون في أطراف المسجد الحرام وتحت سقفه من الانحراف عن عين الكعبة، كما هو مشاهد فذلك مضر بصلاتهم، والله المستعان.

(٣٦) روضة الطالبين للنووي (٢١٦/١) المغني لابن قدامة (٢٦٢/١) البحر الرائق لابن نجيم (٣٠٠/١).

(٣٧) الأم للشافعي (٩٣/١).

(٣٨) تفسير القرطبي (١٦٠/١).

(٣٩) المغني لابن قدامة (٢٦٢/١).

(٤٠) المجموع للنووي (٣١٩٢) مواهب الجليل للمغربي (١٥٠٨) حاشية الدسوقي. (١٢٢٣) الشرح الكبير لابن قدامة. (٤٨٥/١).

المبحث الثالث: استقبال البعيد للكعبة المشرفة

البعيد عن الكعبة هو النَّائِي عنها بحيث لا يعاينها، ولا يستطيع الجزم بصواب استقبالها لبعده محلّه عن البيت الحرام. وقد اختلف الفقهاء في الواجب على البعيد من الاستقبال، نتحدث عن ذلك في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مذهب القائلين باستقبال البعيد لعين الكعبة :

ذهب الإمام الشافعي في الجديد، وهو قول لابن القصار عند المالكية، ورواية عن أحمد اختارها أبو الخطاب من الحنابلة^(٤١) أن الذي يلزم البعيد عن الكعبة الاجتهاد في إصابة عين الكعبة لا جهتها، واستدلوا بعدة أدلة منها:

- ١ - قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٤٢)، قال الشافعي: وشطره جهته في كلام العرب إذا قلت أقصد شطر كذا معروف أنك تقول أقصد قصد عين كذا، يعني قصد نفس كذا، والتوجه شطره لإصابة البيت بكل حال(٤٣)، فالمراد من شطر المسجد الحرام جانبه الذي يكون محاذياً له وواقعاً في سمته.
- ٢ - حديث ابن عباس قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها، ولم يصل حتى خرج منه، فلما خرج ركع ركعتين في قبلة الكعبة وقال: (هذه القبلة)^(٤٤)، فالحصر هنا يدفع حمل الآية على الجهة، وإطلاق الجهة على العين حقيقة لغوية وهو المراد هنا^(٤٥).

٣ - واستدلوا من القياس:

- أ - بأن من لزمه فرض القبلة لزمه إصابة العين(٤٦) لأن إصابة العين هو الأصل.
- ب - مبالغة ﷺ في تعظيم الكعبة، أمر بلغ مبلغ التواتر، والصلاة من أعظم شعائر الدين، وتوقيفُ صحتها على استقبال عين الكعبة يوجب مزيد الشرف(٤٧).

(٤١) النووي. المجموع (٣١٩٢) الدسوقي. الحاشية (٣٢٧/٢) المرادوي. الإتحاف في معرفة الراجح من الخلاف (٩/٢).

(٤٢) سورة البقرة آية (١٤٤).

(٤٣) الرسالة لمحمد ابن إدريس الشافعي، ص (٣٤) وانظر أيضاً ص (٥٠٣).

(٤٤) صحيح البخاري، أبواب القبلة، باب قول الله تعالى: { واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى } (٣٨٩) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب

دخول الكعبة للحاج وغيره والصلاة فيها والدعاء في نواحيها كلها، رقم (١٣٣٠).

(٤٥) حاشيته الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (١/ ١١٩).

(٤٦) المهذب للشيرازي، ص (٦٧) البيان للعمري (١٤٠/٢).

(٤٧) التفسير الكبير للرازي (٩٣/٤).

ج - أن لزوم الاستقبال لحرمة البقعة، وهذا المعنى في العين لا في الجهة، ولأن قبلته لو كانت الجهة لكان ينبغي له إذا اجتهد فأخطأ الجهة يلزمه الإعادة لظهور خطئه في اجتهاده بيقين ومع ذلك لا تلزمه الإعادة (٤٨).

د - كون الكعبة قبلة أمر مقطوع به، وكون غيرها قبلة أمر مشكوك فيه، ورعاية الاحتياط في الصلاة أمر واجب، فوجب توقيف صحة الصلاة على استقبال عين الكعبة (٤٩).

والمقصود بإصابة العين إنما هو وجوب الاجتهاد في إصابتها بما يغلب على الظن، يقطع النظر عن إصابتها في الواقع كمن يشاهدها (٥٠)، وهذا أمر متاح بحسب الأدلة المنصوبة على القبلة، فليس هذا تكليف ما لا يطاق.

المطلب الثاني: مذهب القائلين باستقبال البعيد جهة الكعبة:

ذهب جمهور العلماء أن الواجب على البعيد استقبال جهة الكعبة المشرفة، وهذا مذهب الحنفية، والمالكية، والحنابلة، والقديم من مذهب الشافعي، اختاره من أصحابه المزي (٥١) ورجحه منهم الغزالي وصححه الجرجاني وابن كج وابن أبي عسرون، وجزم به المحلي (٥٢). واستدلوا بأدلة منها:

(١) قوله تعالى: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٥٣)، وشطر كل شيء: نحوه وقصده، وقصدت شطره أي نحوه، قال الفراء: يريد نحوه وتلقاءه، ومثله في الكلام: ول وجهك شطره وتجاهه، وقال الشاعر:

إِن الْعَسِيرَ بِهَا دَاءٌ مُّخَامِرُهَا فَشَطْرُهَا نَظْرُ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورُ

وقال أبو إسحاق: الشطر النحو، لا اختلاف بين أهل اللغة فيه^(٥٤)، وظاهر الآية أن الله تعالى أوجب على المكلف أن يولي وجهه إلى جانب المسجد الحرام، فمن ولي وجهه إلى الجانب الذي حصلت الكعبة فيه فقد أتى بما أمر به، سواء كان مستقبلاً عينها أم لا، فوجب أن يخرج عن العهدة^(٥٥).

(٤٨) بدائع الصنائع للكاظمي (١١٨/١) وعدم الإعادة المذكور على مذهب الحنفية كما سيأتي.

(٤٩) التفسير الكبير للرازي (٩٣/٤).

(٥٠) منح الجليل لعليش (٢٣٣/١).

(٥١) المغني لابن قدامة، (٤٩٠/١) المختصر لخليل (٢٧/١).

(٥٢) انظر: بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين لباعلوي (ص: ٧٨).

(٥٣) سورة البقرة آية (١٤٤).

(٥٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، (٤٠٩/٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٨/٣) تهذيب اللغة للأزهري (٢١١/١١).

(٥٥) تفسير الرازي، (٩٣/٤).

- ٢) حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين المشرق والمغرب قبلة)^(٥٦).
- ٣) حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: (ما بين المشرق والمغرب قبلة)^(٥٧)، وقد روي هذا عن غير واحد من أصحاب النبي ﷺ، منهم عثمان، وعلي بن أبي طالب، وابن عباس، وابن عمر، ومحمد بن الحنفية^(٥٨)، ولا يعرف عن أحد من الصحابة في ذلك نزاع^(٥٩).
- ٤) حديث عمر بن الخطاب ﷺ موقوفاً: (ما بين المشرق والمغرب قبلة إذا توجهت قبل البيت)^(٦٠).
- ٥) حديث عثمان ﷺ قال: (كيف يخطئ الرجل الصلاة وما بين المشرق والمغرب قبلة ما لم يتحرَّ الشَّرقَ عمداً)^(٦١).
- ٦) حديث ابن عمر ﷺ قال: (إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة إذا استقبلت القبلة)^(٦٢). وعنه قال: (إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة لأهل الشمال)^(٦٣).
- وكلام الصحابة رضي الله عنهم هذا يدل على أن قبلة البعيد واسعة ما بين المشرق والمغرب، وكلامهم متوارد على ذلك لا اختلاف فيه بينهم، قال ابن رجب في فتح الباري^(٦٤): (ولا يعرف عن صحابي خلاف ذلك).
- قال الأثرم: سألت أحمد بن حنبل عن قول عمر: (ما بين المشرق والمغرب قبلة) فقال: هذا في كل البلدان إلا مكة عند البيت، فإنه إن زال عنه بشيء وإن قل فقد ترك القبلة، قال: وليس كذلك قبلة البلدان، ثم قال: هذا المشرق، وأشار بيده، وهذا المغرب وأشار بيده، وما بينهما قبلة، قلت له: فصلاة من صلى بينهما جائزة، قال: نعم، وينبغي أن يتحرى الوسط^(٦٥).

(٥٦) سنن الترمذي في «الصلاة». باب ما جاء ما بين المشرق والمغرب قبلة. رقم (٣٤٢) وابن ماجه في «إقامة الصلاة» باب القبلة. رقم (١٠١١).

(٥٧) والحديث صححه الترمذي، والألباني في إرواء الغليل (١/٣٢٥).

(٥٨) سنن الترمذي (١٧٤/٢) سنن البيهقي الكبرى (٩/٢).

(٥٩) سنن الترمذي (١٧٤/٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٤٠/٢) سنن البيهقي الكبرى (٩/٢) الاستذكار لابن عبد البر (١٧/٦٠).

(٦٠) مجموع الفتاوى لان تيمية (٥/١٤٧).

(٦١) سنن البيهقي الكبرى حديث رقم (٢٠٢١).

(٦٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (١٧/٥٩).

(٦٣) سنن الترمذي (١٧٤/٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٤٠/٢) وقد رواه أيضاً عن عمر.

(٦٤) مصنف ابن أبي شيبة رقم (٧٤٣٤).

(٦٥) فتح الباري (٣/١٣٩).

(٦٥) الاستذكار لابن عبد البر (٢٤٥٨).

قال ابن عبد البر: (تفسير قول أحمد بن حنبل: (هذا في كل البلدان) يريد أن البلدان كلها لأهلها من السعة في قبلتهم مثل ما لمن كانت قبلته بالمدينة الجنوب التي تقع لهم فيها الكعبة، فيستقبلون جهتها، ويتسعون يميناً وشمالاً فيها ما بين المشرق والمغرب، وإنما تضيق القبلة كل الضيق على أهل المسجد الحرام، وهي لأهل مكة أوسع قليلاً، ثم هي لأهل الحرم أوسع قليلاً، ثم هي لأهل الأفاق من السعة على حسب ما ذكرنا، قال أحمد بن خالد: قول عمر بن الخطاب (ما بين المشرق والمغرب قبلة) قاله بالمدينة، فمن كانت قبلته مثل قبلة المدينة فهو في سعة ما بين المشرق والمغرب، ولسائر البلدان، من السعة في القبلة مثل ذلك، في الجنوب والشمال ونحو ذلك، هذا معنى قوله، وهو صحيح لا مدفع له، ولا خلاف بين أهل العلم فيه) (٦٦).

(٧) ويضاف إلى أقوال الصحابة فعلهم، فقد ثبت أن أهل مسجد قباء كانوا في صلاة الصبح مستقبلين لبيت المقدس مستدبرين للكعبة، لأنَّ المدينة بينهما، فقيل لهم: ألا إنَّ القبلة قد حوّلت إلى الكعبة، فاستداروا في الصلاة من غير طلب دليل على القبلة، ولم ينكر النبي عليه الصلاة والسلام عملهم (٦٧). وسمي مسجدهم بذئ القبلتين، ولا يعقل أن العين تستقبل عين الكعبة إلا بعد الوقوف على أدلة هندسية يطول النظر فيها، ولم يتعلموها، ولا يمكن أن يدركوها على البديهة في أثناء الصلاة وظلمة الليل. (٦٨).

ومن جهة أخرى فإن الناس من عهد النبي عليه الصلاة والسلام بنوا المساجد في جميع بلاد الإسلام، ولم يحضروا مهندساً عند تسوية المحراب، ومقابلة العين لا تدرك إلا بدقيق نظر الهندسة، ولم يقل أحد من العلماء إن تعلم أدلة الدلائل الهندسية واجب، فعلم أن استقبال عين الكعبة غير واجب (٦٩).

(٨) واستدلوا من القياس بأنه لو كان الفرض إصابة العين لما صحت صلاة أهل الصف الطويل على خط مستو، ولا صلاة اثنين متباعدين يستقبلان قبلة واحدة، فإنه لا يجوز أن يتوجه إلى الكعبة مع طول الصف إلا بقدرها (٧٠)؛ لأن جرم الكعبة

(٦٦) المرجع السابق نفسه.

(٦٧) صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها) رقم (٤٢١٨). صحيح مسلم. كتاب المساجد. باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، رقم (٥٢٦).

(٦٨) انظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٢٦٥).

(٦٩) تفسير الرازي (٤/٩٣) رواه البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن للصابوني (١/١٢٧).

(٧٠) المغني لابن قدامة (١/٤٩).

صغير يستحيل أن يتوجه إليه أهل الدنيا؛ فيكتفى بالجهة، ومعلوم أن بعضهم خارجون عن محاذة العين، والصلاة بهذه الصورة تصح اتفاقاً، قال ابن رشد - رحمه الله - : (اتفاق المسلمين على الصف الطويل خارج الكعبة يدل على أن الفرض ليس هو العين - أعني إذا لم تكن الكعبة مبصرة -)^(٧١)، وقال البهوتي - رحمه الله - : (ولانعقاد الإجماع على صحّة الاثني المتباعدين يستقبلان قبلة واحدة، وعلى صحّة صلاة الصف الطويل على خط مستوي)^(٧٢).
ثم إن إصابة عين الكعبة للبعيد متعذرة، فأقيمت جهتها مكانها للضرورة^(٧٣)، والمفروض هو المقدور عليه، وإصابة العين غير مقدور عليها فلا تكون مفروضة^(٧٤).
والحاصل أن كل واحد من الصف الطويل يُقدر أنه مسامت ومقابل للكعبة، وإن لم يكن كذلك في الواقع، وليس المراد أنه لا بد أن يكون كل واحد مسامتماً لها في الواقع؛ لأنه يستحيل أن يكون الكل مسامتين لها، فالواجب على المصلي اعتقاد أن القبلة في الجهة التي أمامه ولو لم يقدر أنه مسامت ومقابل لها^(٧٥).
المطلب الثالث: حقيقة الخلاف بين القولين:

نظر بعض العلماء في خلاف الفريقين حول التوجه نحو عين القبلة أو جهتها، فقرر أن الخلاف خلاف لفظي لا حقيقة له، وممن تبني هذا الطرح شيخ الإسلام ابن تيمية وأسهب فيه^(٧٦)، وأوجز كلامه في النقاط الآتية :

١ - لقد أمر الله تعالى باستقبال القبلة وتولية الوجه نحو المسجد الحرام، قال الله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ وشطره : نحوه وتلقاؤه، وقال تعالى: ﴿ولكل وجهة هو موليها﴾ و "الوجهة" هي الجهة كما في عدة وزنة. أصلها : عدة ووزنة. فالقبلة هي التي تستقبل والوجهة هي التي يوليها.
و"المسجد الحرام" هو الحرم كله كما في قوله: (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وليس ذلك مختصاً بالكعبة، وهذا يحقق الأثر المروي: (الكعبة قبلة المسجد والمسجد قبلة مكة ومكة قبلة الحرم والحرم قبلة الأرض).

(٧١) بداية المجتهد لابن رشد (٨٠/١).

(٧٢) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١٧١/١).

(٧٣) نفس المرجع السابق.

(٧٤) بدائع الصنائع للكاظمي (٣٠٩/١).

(٧٥) حاشية الدسوقي (١/٢٢٤).

(٧٦) مجموع الفتاوى (٣٠٩/١) وأشار إليه الشيخ عليش من علماء المالكية في منح الجليل شرح مختصر خليل (٢٣٣/١).

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى في قبلة الكعبة ركعتين وقال: (هذه القبلة). وثبت عنه في الصحيحين أنه قال: (لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا) فنهى عن استقبال القبلة بغائط أو بول وأمر باستقبالها في الصلاة، فالقبلة التي نهى عن استقبالها واستدبارها بالغائط والبول هي القبلة التي أمر المصلي باستقبالها في الصلاة.

وقال صلى الله عليه وسلم: (ما بين المشرق والمغرب قبلة) قال الترمذي حديث صحيح. وهكذا قال غير واحد من الصحابة: مثل عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وغيرهم. ولا يعرف عن أحد من الصحابة في ذلك نزاع، وهكذا نص عليه أئمة المذاهب المتبوعة وكلامهم في ذلك معروف.

٢ - وهذه الأدلة توجب استقبال القبلة، وتولية الوجه شطر المسجد الحرام، وقد أجمع المسلمون على ذلك في الجملة، فينظر هل الاستقبال وتولية الوجه من شرطه أن يكون وسط وجهه مستقبلاً لها كوسط الأنف وما يحاذيه من الجبهة والذقن ونحو ذلك، أو يكون الشخص مستقبلاً لما يستقبله إذا وجه إليه وجهه وإن لم يحاذه بوسط وجهه؟ فهذا أصل المسألة.

٣ - ومعلوم أن الناس قد سُنَّ لهم أن يستقبلوا الخطيب بوجوههم، ونهوا عن استقبال القبلة بغائط أو بول، وأمثال ذلك مما لم يشترط فيه أن يكون الاستقبال بوسط الوجه والبدن؛ بل لو كان منحرفاً انحرافاً يسيراً لم يقدح ذلك في الاستقبال.

والاسم إن كان له حد في الشرع رجع إليه؛ وإلا رجع إلى حده في اللغة والعرف، والاستقبال هنا دل عليه الشرع واللغة والعرف، فأما الشارع فقال: (ما بين المشرق والمغرب قبلة) ومعلوم أن من كان بالمدينة والشام ونحوهما؛ إذا جعل المشرق عن يساره والمغرب عن يمينه فهو مستقبل للكعبة ببدنه بحيث يمكن أن يخرج من وجهه خط مستقيم إلى الكعبة ومن صدره وبطنه، لكن قد لا يكون ذلك الخط من وسط وجهه وصدره. فعلم أن الاستقبال بالوجه أعم من أن يختص بوسطه فقط.

٤ - وما حكاه متأخرو الفقهاء من القولين في المسألة ليس هو بخلاف عند التحقيق، بل من قال: يجتهد أن يصلي إلى عين الكعبة، أو فرضه استقبال عين الكعبة بحسب اجتهاده فقد أصاب. ومن قال: يجتهد أن يصلي إلى جهة الكعبة، أو فرضه استقبال القبلة فقد أصاب. وذلك أنهم متفقون على أن من شاهد الكعبة فإنه يصلي إليها، ومتفقون على أنه كلما قرب المصلون إليها كان صفهم أقصر من البعيدين عنها. وهذا شأن كل ما يستقبل، فالصف القريب منها لا يزيد طوله على

قدر الكعبة، ولو زاد لكان الزائد مصلياً إلى غير الكعبة، والصف الذي خلفه يكون أطول منه وهلم جراً، فإذا كانت الصفوف تحت سقائف المسجد كانت منحنية بقدر ما يستقبلون الكعبة، وهم يصلون إليها وإلى جهتها أيضاً، فإذا بعد الناس عنها كانوا مصلين إلى جهتها وهم يصلون إليها أيضاً، ولو كان الصف طويلاً يزيد طولُه على قدر الكعبة صحت صلاتهم باتفاق المسلمين، وإن كان الصف مستقيماً حيث لم يشاهدوها.

٥ - ومن المعلوم أنه لو سار من الصفوف على خط مستقيم إليها لكان ما يزيد على قدرها خارجاً عن مسافتها، فمن توهم أن الفرض أن يقصد المصلي الصلاة في مكان لو سار على خط مستقيم وصل إلى عين الكعبة فقد أخطأ، ومن فسر وجوب الصلاة إلى العين بهذا، وأوجب هذا فقد أخطأ، وإن كان هذا قد قاله قائل من المجتهدين، فهذا القول خطأ مخالف نص الكتاب والسنة وإجماع السلف؛ بل وإجماع الأمة، فإن الأمة متفقة على صحة صلاة الصف المستطيل الذي يزيد طولُه على سمت الكعبة بأضعاف مضاعفة، وإن كان الصف مستقيماً لا انحناء فيه ولا تقوس.

٦ - فإن قيل : مع البعد لا يحتاج إلى الانحناء والتقوس كما يحتاج إليه في القرب، كما أن الناس إذا استقبلوا الهلال أو الشمس أو جبلاً من الجبال فإنهم يستقبلونه مع كثرتهم وتفرقهم، ولو كان قريباً لم يستقبلوه إلا مع القلة والاجتماع، قيل لا ريب أنه ليس الانحناء والتقوس في البعد بقدر الانحناء والتقوس في القرب؛ بل كلما زاد البعد قل الانحناء، وكلما قرب كثر الانحناء؛ حتى يكون أعظم الناس انحناءً وتقوساً الصف الذي يلي الكعبة ولكن مع هذا فلا بد من التقوس والانحناء في البعد إذا كان المقصود أن يكون بينه وبينها خط مستقيم بحيث لو مشى إليه لوصل إليها؛ لكن يكون التقوس شيئاً يسيراً جداً، كما قيل إنه إذا قدر الصف ميلاً وهو مثلاً في الشام؛ كان الانحناء من كل واحد بقدر شعيرة، فإن هذا ذكره بعض من نص على وجوب استقبال العين، وقال: إن مثل هذا التقوس اليسير يعنى عنه، فيقال له: فهذا معنى قولنا: إن الواجب استقبال الجهة، وهو العفو عن وجوب تحري مثل هذا التقوس والانحناء فصار النزاع لفظياً لا حقيقة له.

٧ - فالمقصود أن من صلى إلى جهتها فهو مصلٍ إلى عينها وإن كان ليس عليه أن يتحرى مثل هذا، ولا يقال لمن صلى كذلك أنه مخطئ في الباطن معفو عنه؛ بل

هذا مستقبل القبلة باطناً وظاهراً، وهذا هو الذي أمر به؛ ولهذا لما بنى أصحاب رسول الله ﷺ مساجد الأمصار كان في بعضها ما لو خرج منه خط مستقيم إلى الكعبة لكان منحرفاً، وكانت صلاة المسلمين فيه جائزة باتفاق المسلمين.

٨ - ويدل على ذلك أنه لو قيل بأن على الإنسان أن يتحرى أن يكون بين وسط أنفه وجبهته وبينها خط مستقيم قيل فلا بد من طريق يعلم بها ذلك؛ فإن الله لم يوجب شيئاً إلا وقد نصب على العلم به دليلاً، ومعلوم أن طريق العلم بذلك لا يعرفه إلا خاصة الناس، مع اختلافهم فيه، ومع كثرة الخطأ في ذلك، ولو طولبوا بدليله رجعوا إلى مقدمات غير معلومة، وأخبار من لا يوثق بخبره، والذين ذكروا بعض ذلك من الفقهاء إنما تلقوه عن هؤلاء ولم يحكموه.

ووجوب استقبال القبلة عام لجميع المسلمين فلا يكون العلم الواجب خفياً لا يعلم إلا بطريق طويلة صعبة مخوفة، مع تعذر العلم بذلك أو تعسره في أغلب الأحوال، ومثل هذا لا ترد به الشريعة، ولهذا أنكر الإمام أحمد على من أمر بمراعاة ذلك، وأمر أن لا تعتبر القبلة بالجدي، وقال: ليس في الحديث ذكر الجدي؛ ولكن ما بين المشرق والمغرب قبلة، وهو كما قال؛ فإنه لو كان تحديد القبلة بذلك واجباً أو مستحباً لكان الصحابة أعلم بذلك وإليه أسبق (٧٧).

وما ذكره الإمام ابن تيمية، ذكر قريباً منه إمام الحرمين الجويني فقال: (ظهر اختلاف أئمتنا في أن مطلوب المجتهد عين الكعبة أو جهتها، وهذا فيه إشكال؛ فإن المجتهد إذا كان على مسافة بعيدة، فكيف يتأتى منه إصابة مسامته عين الكعبة؟ وكيف يقدر ذلك مطلوباً لطالب؟ والطلب إنما يتعلق بما يمكن الوصول إليه، - ثم قال - فالوجه في ذلك عندي أن يقال: من اقترب في المسجد الحرام من الكعبة، فإنه يصير منحرفاً عنها بأدنى ميل وانحراف، بحيث يُقطع بأنه ليس مستقبلها، وإذا وقف في أخريات المسجد، فيختلف اسم الاستقبال اختلافاً بيناً، ولذلك لا يصطف في المطاف ثلاثون إلا ويخرج بعضهم عن مسامته الكعبة، ويصطف في مؤخر المسجد ألف، ويسمى كل واحد منهم مستقبلاً، وقد تمهد أن التعويل على الاسم، فلا يسوغ تخيل غيره؛ فإن الخلق لو كلفوا مقابلة لو مشواً على خطوط مستقيمة من مواقعهم، لاتصلت أجسادهم بالكعبة، لكان ذلك تكليف ما لا يطاق، ثم إذا تجدد العهد بهذا، فالذي يقف بعيداً في المسجد، لو انحرف

أدنى انحراف لا يخرج عن اسم المستقبل، وإن كان لو انحرف كذلك في المطاف، لكان مائلاً عن المسامحة، فإذا لاح ذلك فيمن يبعد في المسجد بعض البعد، فهو فيمن يقطن طرف الشرق والغرب أظهر وأبين (٧٨).

هذا محصل ما قاله الإمامان الجويني وابن تيمية رحمهما الله، وكأنهما أرادا الجمع بين القولين باعتبار أن استقبال القبلة يشترك فيه من صلى إلى عينها ومن توجه إلى سمتها بحيث لا يعد منحرفاً عنها وأن الجميع يشملها اسم الاستقبال، وعلى هذا دلت النصوص وبه أفتى الصحابة رضي الله عنهم، وعليه جرت أعمالهم حينما بنوا المساجد في الأمصار، وإجماع العلماء على أن الانحراف اليسير لا يضر، وأن الصف الطويل البعيد لا يجب فيه التقوس ولا الانحناء، مع يقين خروجه عن عين القبلة دال على أن الفرض هو استقبال سمت القبلة وتولية الوجه شطر المسجد الحرام.

المطلب الرابع: نظرات على مذاهب العلماء في المسألة:

بعد التأمل وتقليب النظر في أدلة الفريقين وكلامهم فإني سأوجز ملاحظاتي في النقاط الآتية:

١ - لا يخفى أن معنى "شطر المسجد الحرام" هو جهته ونحوه، ولم يختلف العلماء في ذلك، وقد ذكر غير واحد عن أبي إسحاق قوله: الشطر النحو، لا اختلاف بين أهل اللغة فيه (٧٩).

وعلى هذا فليس في الآية دليل على قصد عين الكعبة للبعيد، والقول بأن إطلاق الجهة على العين حقيقة لغوية غير معروف، ولا منقول عن أهل اللغة، واستعمال الشارع في جملة أحاديث الباب ترده، ومنها: (ما بين المشرق والمغرب قبلة)، ومع هذا يقول الزركشي الشافعي في خادم الروضة: (ليس المراد بالعين الجدار، بل أمر اصطلاحى، وهو سمت البيت وهوأزه إلى السماء السابعة والأرض السابعة) (٨٠).

٢ - ذكر "الشطر" في الآية له فائدة، وهي توجه المصلي إلى الجهة وليس العين، لأنه لو قال: "فول وجهك المسجد الحرام"، لزم تكليف ما لا يطاق، لأن من في أقصى

(٧٨) نهاية المطلب دراية المذهب في الجويني (١٠٤-١٠٣/٢).

(٧٩) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤٠٩/٤) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١٨٨/٣) تهذيب اللغة للأزهري (٢١١/١١).

(٨٠)، حاشيته الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري (١١٩/٢).

المشرق أو المغرب لا يمكنه أن يولي وجهه المسجد، أما إذا قال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي جانب المسجد، دخل فيه الحاضرون والغائبون. (٨١).

٣ - في ذكر المسجد الحرام دون ذكر الكعبة دلالة على أن الذي يجب هو مراعاة جهة الكعبة، لا مراعاة عينها (٨٢). والمسجد الحرام يعم الحرم كله في الأصل، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (٨٣) وليس ذلك مختصاً بالكعبة (٨٤)، ويؤيد هذا الأثر المروي عن ابن عباس: (البيتُ قبلَةٌ لأهل المسجد والمسجدُ قبلَةٌ لأهل الحرم، والحرمُ قبلَةٌ لأهل الأرض في مشارقتها ومغاربها من أمتي) (٨٥)، فمن استقبل المسجد الحرام فقد أتى بما أمر به.

٤ - حديث ابن عباس السابق قال: لما دخل النبي ﷺ البيت دعا في نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين في قبل الكعبة وقال: (هذه القبلة) (٨٦)، هذه اللفظة فسرت بأكثر من معنى:

- منها: أن أمر القبلة قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم، فصلوا إليه أبداً فهو قبلكم. (٨٧)

- ومنها: أنه أراد أن يعلمهم سنة موقف الإمام، وأنه يقف في وجهها دون أركانها، وإن كانت الصلاة في جميع جهاتها مجزئة (٨٨).

- ومنها: أن يكون دل به على أن حكم من شاهد البيت وعينه في استقباله حساً خلاف حكم من غاب عنه، فيصلي إليه توخياً واستدلالاً (٨٩).

- ومنها: أن القبلة المأمور باستقبالها هي البنية كلها، ولئلا يتوهم متوهم أن استقبال بعضها كافٍ في الفرض؛ لأنه صلى التطوع بداخلها ثم قال: (هذه القبلة) (٩٠).

(٨١). تفسير الرازي (٦٤٣/١).

(٨٢) البحر المحیط لأبي حيان (٢٤/٢).

(٨٣) سورة التوبة آية (٢٨)

(٨٤) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٠٧/٢٢).

(٨٥) السنن الكبرى للبيهقي حديث رقم (٢٠٦٦) وضعفه.

(٨٦) صحيح البخاري، أبواب القبلة، باب قول الله تعالى: ﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾ رقم (٣٨٩) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره والصلاة فيها والدعاء في نواحيها كلها، رقم (١٣٣٠).

(٨٧) ذكره الإمام الخطابي في كتابه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١٥٧/٥).

(٨٨) ينظر: شرح السنة للبعوي (٣٣٤/٢) فتح الباري لابن رجب. (٣٠٧/٢).

(٨٩) ذكره الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٣٠٧/٢) والعيبي في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٣٥٨/٦).

(٩٠) حاشية الروض المربع لابن قاسم العاصمي (٥٤٦/١).

فعلى هذا ليس فيه دلالة على أنه أراد حصر القبلة في الكعبة، بل أراد بيان قبلة المصلي لمن كان مشاهداً لها، علماً أن الإمام النووي رحمه الله أبدى معنى آخر محتملاً وهو (أن هذه الكعبة هي المسجد الحرام الذي أمرتم باستقباله، لا كل الحرم ولا مكة ولا المسجد الذي حول الكعبة، بل هي الكعبة نفسها فقط) (٩١)، قال ابن رجب: (وقول الخطابي أصح من هذا. والله أعلم) (٩٢).

ولعل الأقرب هو التفسير الثاني وأنه بيان لموقف الإمام في مواجهة الباب، قال الحافظ: (ويؤيده ما رواه البزار من حديث عبد الله بن حبشي الخثعمي قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي إلى باب الكعبة وهو يقول: أيها الناس، إن الباب قبلة") (٩٣).

٥ - الشافعية القائلون بوجوب استقبال عين القبلة لا يوجبون أن يكون بين وسط أنفه وجبهته ما لو خرج خط مستقيم وصل إلى جدار الكعبة، بل صرحوا أن المراد هو تحري ما يغلب على الظن أنه مستقبل لعين الكعبة، وهو ما عبروا عنه بالاستقبال العريض، وليس بالضرورة أن يصيب جدارها لما ذلك من العسر، وإليك بعض نصوصهم في ذلك:

- قال إمام الحرمين الجويني: (ونحن على قطع نعلم أن حقيقة المحاذاة - نفيًا وإثباتًا - لا تختلف بالقرب والبعد، ولكن المتبع في ذلك وفي نظائره حكم الإطلاق والتسمية، لا حقيقة المسامطة) (٩٤).

- قال الإمام شمس الدين الرملي في نهاية المحتاج: (ومعناه أن يكون بحيث يعد عرفاً أنه متوجه إلى عين الكعبة، كما حققه الإمام في النهاية) (٩٥).

- وفي حاشية الشيخ أحمد الرشيد على تحفة المحتاج: (المتعين الاكتفاء بالمسامطة العرفية التي قال بها إمام الحرمين) (٩٦).

- وعن ابن حجر في العباب: (فتعين أن المعتبر فيه حكم الإطلاق لا حقيقة المسامطة، فمتى أطلق عليها اسم الاستقبال عند البعد صحت صلاته، وإن كان لو قرب خرج عن السمات، إذ يعد في العرف محاذياً لها) (٩٧).

(٩١) المجموع للنووي (١٩١/٣).

(٩٢) فتح الباري لابن رجب (٣٠٧/٢).

(٩٣) فتح الباري لابن حجر - بتعليق ابن باز (٥٠٢/١).

(٩٤) نهاية المطلب في دراية المذهب للجويني (٨٨/٢).

(٩٥) نهاية المحتاج للرملي (٤٣٧/٣). وانظر كذلك حاشية الجمل (١٥٥/٣).

(٩٦) حاشيته على تحفة المحتاج بشرح المهاج للرشيدي (١٧٢/١).

(٩٧) نقله عنه في شرح البيهجة الوردية (١٥٨/٣).

ومما سبق نقله يتبين أنه مع البعد تتسع المسامطة، وعليه يصير الفرض في الاستقبال ما يصدق عليه وصف المسامطة باعتبار العرف، لا باعتبار الحقيقة، وهذا يؤدي في مفهومه إلى تصور استقبال يميل إلى انحراف معين عن المسامطة الحقيقية للكعبة .

فيظهر بما ذكرناه أن الخلاف بين الفريقين خلاف لفظي، فالجميع يوقن باستحالة إصابة العين للبعيد، بمعنى أن يسامت أنفه وما بين عينيه جدار الكعبة المشرفة .

فالشافعية القائلون بإصابة العين يفسرونه بالاستقبال العري لا الحقيقي كما سبق، والقائلون بالجهة يفسرونه بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتاً للكعبة أو لهوائها، بأن يفرض من تلقاء وجه مستقبلها حقيقة (٩٨)، وقد حمل المالكية كلام ابن القصار من أصحابهم القائل بوجوب استقبال العين أنه إنما أراد السمتم التقديري لا الحقيقي (٩٩).

وبهذا يتبين أن الخلاف أشبه بأن يكون خلافاً لفظياً، وقد صرح بهذا جمع من الأئمة رحمهم الله:

- قال ابن عبد الحق موافقاً للإمام المازري: (أن هذا الخلاف لما ثمره له كما صرح به المازري) (١٠٠).

- وقال صاحب منح الجليل بقوله: (الحق أن هذا الخلاف لا ثمره له) (١٠١).

- كما ذهب إلى ذلك من المعاصرين الشيخ السائس، فبعد أن ذكر القولين وذكر تصريح الشافعية بأن فرض غير المشاهد إصابته قصداً لا حساً قال: (وبعد أن نراهم يصرحون بذلك يكاد الخلاف عديم الفائدة، فإن الكل يعتقد أن التوجه إلى القبلة أياً كانت فيه شعور بقصد الكعبة) (١٠٢).

(٩٨) رد المحتار (٣/ ٢٣٠) شرح فتح القدير السيوطي (١/ ٢٧٠).

(٩٩) حاشية الدسوقي (١/ ٢٢٤).

(١٠٠) حاشية الدسوقي (١/ ٢٢٤) منح الجليل (١/ ٢٣٣).

(١٠١) منح الجليل (١/ ٢٣٣).

(١٠٢) تفسير آيات الأحكام للسائس (ص: ٤٤).

المبحث الثالث: حكم الانحراف عن الكعبة المشرفة: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حكم الاجتهاد في القبلة:

أكثر ما يحتاج المصلي لمعرفة القبلة في الأسفار، والمواطن التي ليس بها مساجد، ونحو ذلك، ففي هذه الحالة يلزم المصلي البحث والاجتهاد لمعرفة الجهة التي تقع فيها القبلة ليتمكن من التوجه إليها في صلاته، والدليل على وجوب التحري: ما روى عامر بن ربيعة أنه قال: (كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حياله، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزلت: ﴿فَأَيُّهَا تَوَلَّوْا وَجْهَ اللَّهِ﴾ (١٠٣).

والفهاء لم يختلفوا في وجوب الاجتهاد من حيث الجملة على من خفيت عليه القبلة، يقول الإمام النووي: (إذا لم يعرف الغائب عن أرض مكة القبلة ولم يجد محراباً ولا من يخبره على ما سبق لزمه الاجتهاد في القبلة ويستقبل ما أدى إليه اجتهاده) (١٠٤).

وقال المرغيناني: (فإن اشتبهت عليه القبلة وليس بحضرته من يسأله عنها اجتهد وصلى؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم تحروا وصلوا ولم ينكر عليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولأن العمل بالدليل الظاهر واجب عند انعدام دليل فوجه) (١٠٥). وينقل الإمام ابن عبد البر الإجماع على بطلان صلاة من صلى إلى غير القبلة من غير اجتهاد ولا تحرراً لأدلة القبلة فيقول: (وأجمعوا على أنه من صلى إلى غير القبلة من غير اجتهاد حمله على ذلك أن صلاته غير مجزئة عنه، وعليه إعادتها إلى القبلة) (١٠٦).

المطلب الثاني: الانحراف المبني على اجتهاد مشروع:

إذا اجتهد الشخص لمعرفة القبلة بما هو متاح من أدلة القبلة، وصلى بناء على ذلك الاجتهاد وتبين له خطؤه في إصابة القبلة؛ فهل يلزمه إعادة الصلاة أم تمضي صلاته على الصحة لاجتهاده؟

للفهاء في المسألة تفصيل:

فالحنفية والحنابلة يرون أن من خفيت عليه القبلة وتحري ثم ظهر له خطؤه وهو في الصلاة استدار إلى الجهة التي انتهى إليها تحريه، وبنى عليها ولا تبطل صلاته، فلو

(١٠٣) سورة البقرة آية (١١٥).

(١٠٤) مجموع النووي (٢٠٥/٣).

(١٠٥) الهداية شرح البداية للميرغني (١/٤٥).

(١٠٦) التمهيد لابن عبد البر (٥٤/١٧).

صلى كل ركعة لجهة جاز، وإن كان بعد الصلاة صلى الصلاة القادمة، ولا إعادة عليه لما مضى، لإتيانه بما في وسعه(١٠٧).

واستدلوا بما روي أن أهل قباء كانوا متوجهين إلى بيت المقدس في صلاة الفجر فأخبروا بتحويل القبلة، فاستداروا إلى القبلة وأقرهم النبي على ذلك.(١٠٨).

كما استدلوأ بحديث عامر بن ربيعة بلفظ: (كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة فلم ندر أين القبلة وصلى كل رجل على حياله فلما أصبحنا ذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فنزل: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾(١٠٩).

واستدلوا أيضاً بحديث جابر بلفظ: (كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في مسير أو سير، فأظلم لنا غيم، فتحيرنا، فاختلفنا في القبلة، فصلى كل واحد منا على حدة، فجعل كل واحد منا يخط بين يديه لنعلم أمكنتنا، فذكرنا ذلك للنبي ﷺ فلم يأمرنا بالإعادة، وقال: (قد أجزأت صلاتكم)(١١٠).

قال الشوكاني في نيل الأوطار (٢/ ١٧٦): (وهذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً فتصلح للاحتجاج بها)(١١١).

وفصل المالكية في المسألة وقالوا: إن تبين خطؤه في أثناء الصلاة بأن شرق عن القبلة أو غرب فيقطع صلاته ثم يستأنفها، وإن انحراف يسيراً استقبل وبنى على صلاته ولا يقطعها، فإن ظهر الخطأ بعد أداء الصلاة أعاد المنحرف كثيراً صلاته في الوقت على المشهور، وقيل على جهة الاستحباب(١١٢).

والمعتمد عند الشافعية أنه إن تبين الخطأ في الصلاة أو بعدها استأنفها أي أعادها من جديد؛ لأنه تعين له يقين الخطأ فيما يأمن مثله في القضاء، وهو خطأ في شرط من شروط الصلاة، ولا يعذر بها(١١٣).

(١٠٧) حاشية ابن عابدين (٤٣٣/١) البحر الرائق لابن نجيم (١/٣٠٥) شرح العمدة لابن تيمية(٥٤٩/١).

(١٠٨) ينظر: صحيح البخاري، باب { قد نرى قلب وجك في السماء} حديث رقم (٤٢١٨)، صحيح مسلم باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة حديث رقم (٥٢٥).

(١٠٩) سنن الترمذي (باب ما جاء في الرجل يصلي لغير القبلة في الغيم) ح. رقم (٣٤٥) سنن الدارقطني (٢٧١/١). باب الاجتهاد في القبلة وجواز التحري في ذلك) والحديث ضعفه الترمذي والبيهقي وغيرهما (انظر: خلاصة الأحكام للنووي (٣٣٥/١).

(١١٠) مستدرک الحاكم حديث رقم (٧٤٣) سنن البيهقي الكبرى. باب الاختلاف في القبلة عند التحري رقم (٢٠٦٧). سنن الدارقطني. باب الاجتهاد في القبلة وجواز التحري في ذلك (٢٧١/١) والحديث حسنة الألباني بمجموع الطرق. انظر: إرواء الغليل (٣٢٤/١).

(١١١) نيل الأوطار للشوكاني (٢/ ١٧٦).

(١١٢) التاج والاكلیل (٥١٠/١) حاشية الدسوقي (٢٢٧/١) بداية المجتهد (٨١/١).

(١١٣) مجموع النووي (٢٠٢/٢).

المطلب الثالث: الانحراف عن الكعبة من غير اجتهاد:

لا يجوز أن يشرع الإنسان في الصلاة دون أن يتحرى جهة الكعبة إذ إنه مأمور باستقبالها، فمن ترك الاجتهاد وهو قادر عليه بأن قلد مجتهداً آخر، أو صلى وحده بدون اجتهاد وتحري فكانت صلاته منحرفة عن الكعبة فإنها لا تصح، وإن تبين له أنه أصاب القبلة، لأنه مفرط في صلاته من دون دليل، مع كونه قادراً على التوجه للقبلة، ولأنه لم يأت بما أمر به، فأشبهه من ترك التوجه إلى الكعبة مع علمه بها، وهذا ما ذهب إليه الشافعية والحنابلة(١١٤).

وعند المالكية أن المجتهد إذا خالف ما آداه إليه اجتهاده، وكذا المقلد إذا خالف كلام العارف بالقبلة فصلاتهما باطلة، وأعادها وجوباً ولو صادف القبلة لتقصيرهما(١١٥).

وأما لو وجد ذلك المقلد من يقلده من مجتهد أو محراب وترك تقليد ما ذكر واختار له جهة تركن لها نفسه وصلى لها كانت صلاته صحيحة إن لم يتبين خطؤه(١١٦).
ويقرر الحنفية أن العاجز عن معرفة القبلة بالأدلة لا يجوز أن يشرع في الصلاة دون أن يتحرى وإن أصاب، لتركه فرض التحري، إلا أنه لا يعيد إن علم إصابته بعد فراغه اتفاقاً عندهم، بخلاف إذا علم الإصابة قبل التمام، فإن صلاته تبطل لأنه بنى قوياً على ضعيف خلافاً لأبي يوسف(١١٧).

المبحث الرابع: الانحراف الجائز والممنوع عن الكعبة: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: جواز الانحراف اليسير عن عين الكعبة:

لم يختلف العلماء من كافة المذاهب أن يسير الانحراف عن عين الكعبة إلى جهة اليمين أو اليسار لا يضر، ولا يعد ذلك توجهاً لغير القبلة، وقد تواردت نصوصهم على ذلك:

- قال ابن عبد البر: (وأما من تيامن أو تياسر مجتهداً فلا إعادة عليه في وقت ولا غيره) (١١٨).

- وقال البهوتي: (ويعفى عن انحراف يسير يمناً أو يسرة للخبر) (١١٩).

(١١٤) المغني لابن قدامة (١/ ٢٦٩): روضة الطالبين للنووي (١/ ١٨٥).

(١١٥) الشرح الكبير للردبر (١/ ٢٢٥).

(١١٦) حاشية الدسوقي (١/ ٢٢٧).

(١١٧) حاشية ابن عابدين (١/ ٤٣٥).

(١١٨) الكافي لابن عبد البرص (٣٩).

(١١٩) شرح منتهى الإزادات للبهوتي: (١/ ١٧١). الشرح الكبير للرافعي (٣/ ٢٤٤)

- وقال الرافعي: (إن الانحراف اليسير لا يسلب اسم الاستقبال عن البعيد عن الكعبة في المسجد وإن كان يسلبه عن القريب من الكعبة، وإذا لم يسلبه عن البعيد الواقف في المسجد فأولى أن لا يسلبه عن الواقف في أقصى المشرق والمغرب) (١٢٠).

- وقال ابن عابدين: (الانحراف اليسير لا يضر، وهو الذي يبقى معه الوجه أو شيء من جوانبه مسامتا لعين الكعبة أو لهوائها) (١٢١).

ومن خلال ما تقدم من نصوص الفقهاء يتبين لنا أنهم يقررون أن الانحراف اليسير يميناً أو يساراً عن سمت الكعبة لا يضر بالصلاة، ولا يخل بها، ذلك لأنه لا يعد خروجاً عن مقابلتها، ولكن ما هو حد اليسير المسموح به والكثير الممنوع؟ هذا ما سأعرضه في المطلب التالي:

المطلب الثاني: مقدار الانحراف الجائز والممنوع عن الكعبة:

تباينت آراء العلماء في تحديد مقدار الانحراف اليسير الجائز الذي لا يضر بالصلاة، ولا يعد خروجاً عن مقابلة الكعبة المشرفة، وكذا الكثير الفاحش، وهو الممنوع الذي يضر بالصلاة، وذلك بناءً على مذاهبهم في القول باستقبال عين الكعبة أو جهتها .

ويمكن إجمال اختلافهم إلى ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : أن الانحراف الممنوع يكون بعدم استقبال عين الكعبة عرفاً:

وهؤلاء هم عامة فقهاء الشافعية القائلين أن الواجب على المصلي إصابة عين الكعبة المشرفة، وفسروا ذلك بأن المقصود بالعين ليس حقيقة الإصابة لجدار الكعبة، بل هو استقبال عريف بمسامتة الكعبة الشريفة مسامتة صورية، بحيث يعد عرفاً أنه متوجه إلى عين الكعبة .

نقل الإمام ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج عن الخادم: (ليس المراد بالعين الجدار، بل هو أمر اصطلاحى، أي وهو سمت البيت وهوؤها إلى السماء، والأرض السابعة، والمعتبر مسامتتها عرفاً لا حقيقة) (١٢٢) .

وقال العلامة محمد الكردي الشافعي: (إن القائلين بالعين لم يريدوا الحقيقة، وهو ظاهر، وإلا لم تصح صلاة البعيد عن الكعبة)، ونقل أيضاً عن صاحب

(١٢٠) الشرح الكبير للرافعي (٣/٢٤٤).

(١٢١) حاشية رد المحتار لابن عابدين (١/٤٦٣).

(١٢٢) تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر (١/١٧٢).

الاستيعاب قوله: (وإن قلنا الفرض العين، وذلك لما مرّ من اتساع المسامطة مع البعد، فمعنى استقبال العين أي المسامطة الصورية، وهذا هو الواجب مع البعد)(١٢٣). ومن خلال هذا التقرير لفقهاء الشافعية يتضح أنه مع البعد تتسع المسامطة، لذا يصير الفرض في الاستقبال ما يصدق عليه وصف المسامطة باعتبار العرف، لا باعتبار الحقيقة، وهذا يؤدي في مفهومه إلى تصور استقبال يميل إلى انحراف معين عن المسامطة الحقيقية للكعبة .

ولأجل النظر في الاستقبال وفق المفهوم العرفي، ودراسته من الجانب الهندسي، نقول أنه إذا استقبل المرء القبلة بصدرة ووجهه، فسنجد من خلال التوازي الحادث بينهما أن استقبال الصدر للكعبة يطابق تماماً استقبال وسطي ما بين العينين، فما يقال في استقبال الصدر يقال كذلك لوسطي ما بين العينين، فإذا كان استقبال الصدر حقيقياً، فكذلك هو استقبال وسطي ما بين العينين، وإن كان عرفاً فرعياً، إلا أن استخراج نهائي حدي الاستقبال العرفي عبر العينين أدق وأظهر من غيره .

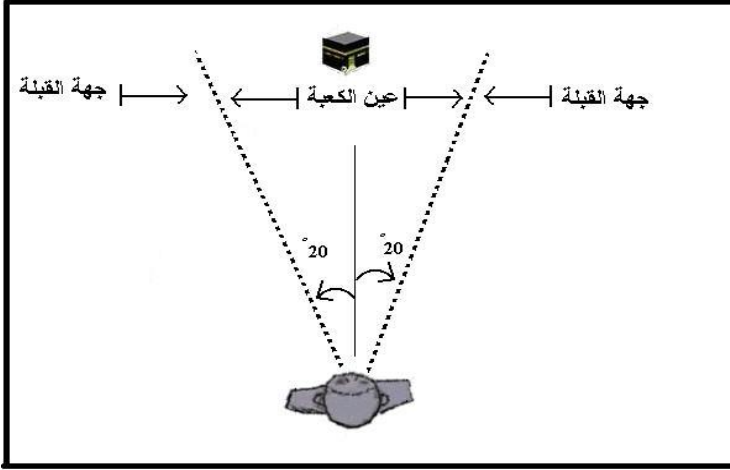
فغاية حد التيامن في الصورة العرفية عن المسامطة الحقيقية هو أن يقف المصلي بحيث يحاذي القبلة بوسط عينه اليمنى، وغاية حد التياسر أن يحاذيها بوسط عينه اليسرى، وفي كلا الأمرين فالقبلة واقعة عن المستقبل لها فيما بين وسطي العينين، أي أنها لم تغب عن إحداهما أو تختفي، بل هي أمامه مما تلي وجهه، لذلك فإن كون الكعبة واقعة فيما بين وسطي عيني المستقبل لها، لهُ مما يدخل بالضرورة ضمن الاستقبال العرفي، فالاستقبال العرفي هو نفسه مسامطة حقيقية للكعبة لكن مع ميل يسير متساهل فيه، لذلك نقل الكردي عن ابن رزين قوله: (وتجوز الصلاة إلى كل محراب موافق لمحراب جامع مصر المتفق عليه، وإلى ما فيه تياسر يسير عنه أو تيامن كذلك، بخلاف التيامن أو التياسر الفاحش، وأقل ما يتميز به، أن ما يطلق أهل العرف اسم الاستقبال عليه مع الميل، بحيث يشاهد لو قدر ذلك في استقبال شيء معين على بعد فهو يسير، وما لا يطلقون اسم الاستقبال عليه فهو فاحش) ثم قال: (وأقره جمع متأخرون، وتبعهم المصنف فقال: إن لم يفحش وهو أي الذي لم يفحش، ما يعده أهل العرف استقبالاً مع الميل)(١٢٤).

والرسم التوضيحي بالأسفل يبين أن الميل إذا كان ما دون (٢٠) درجة عن مسامطة عين الكعبة فهو يعد ميلاً غير فاحش، وأن صاحبه لم يزل ضمن حدود الاستقبال

(١٢٣) قرة العين بفتاوى علماء الحرمين للكردي، ص: (٣٦).

(١٢٤) المصدر السابق ص: (٣٦).

العريفة بناء على تقرير السادة الشافعية(١٢٥). والشكل (١) الآتي يوضح مقدار الاستقبال العريفة.



الشكل (١)

الاتجاه الثاني: أن الانحراف عن الكعبة بالخروج عن مقابلة الكعبة المشرفة بجميع الوجهة:

وهذا ما يقرره علماء الحنفية الذين نصوا على أن الانحراف الفاحش هو ما تزول به مقابلة الكعبة كلياً، ويكون ذلك بأن يبقى شيء من سطح الوجهة مسامتا للكعبة، ويمكن أن نسمي هذا (بالاتجاه الأصغر) وهذه بعض نصوصهم في ذلك:

- في حاشية رد المحتار(١٢٦) عن القهستاني: (ولا بأس بالانحراف انحرفاً لا تزول به المقابلة بالكلية، بأن يبقى شيء من سطح الوجهة مسامتاً للكعبة).

- وفي شرح فتح القدير: (استقبال الجهة: أن يبقى شيء من سطح الوجهة مسامتاً للكعبة أو لهوائها؛ لأن المقابلة إذا وقعت في مسافة بعيدة لا تزول بما يزول به من الانحراف لو كانت في مسافة قريبة) (١٢٧).

وذكر الحنفية لضبط ذلك طريقتين:

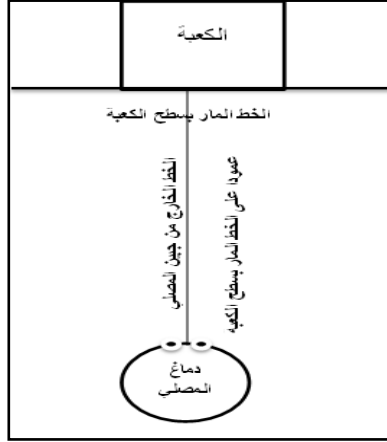
(الطريقة الأولى): أن يفرض خط خارج من جبين المصلي إلى جهة الكعبة، ويفرض خط آخر يمر على سطح الكعبة من المشرق إلى المغرب، ويكون خط المصلي الخارج

(١٢٥) ينظر: مبحث الفلكي الجعدي "أدلة القبلة بحضرموت" ص: (٥٥).

(١٢٦) حاشية رد المحتار لابن عابدين (١/٤٦٣).

(١٢٧) شرح فتح القدير للسواسي (١/٢٧٠).

من جبينه واصلاً إلى الخط المار على الكعبة، ويكون عمودياً على استقامة بحيث يحصل به زاويتان قائمتان، وبذلك تكون المواجهة للكعبة، ولا تزول المقابلة بالكلية، لأن وجه الإنسان مقوس، فمهما تأخر يميناً أو يساراً عن عين الكعبة يبقى شيء من جوانب وجهه مقابلاً لها. (١٢٨). والشكل الآتي (٢) يوضح صورة الاستقبال بالطريقة الأولى عند الحنفية:



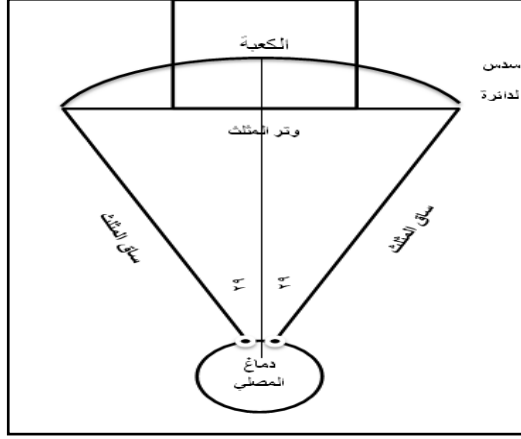
الشكل (٢)

وتقدر مساحة الجبهة مع تقويس جبيني الوجه خمس محيط الدائرة، وهو يساوي اثنان وسبعون درجة، فيكون مقدار الانحراف الجائز خمسة وثلاثين (٣٥) درجة من كل جانب، كما حققه العلامة الفلكي الحنفي علي بن محمد الخربوطلي (١٢٩). (الطريقة الثانية): هو أن تقع الكعبة للمصلي فيما بين خطين، يلتقيان في الدماغ، فيخرجان إلى العينين كساقى المثلث، قال التفتازاني: (فيعلم منه أنه لو انحرف عن العين انحرافاً لا تزول منه المقابلة بالكلية جاز، ويؤيده ما قال في الظهيرية: إذا تيامن أو تياسر تجوز، لأن وجه الإنسان مقوس) (١٣٠)؛ والشكل (٣) الآتي يوضح صورة الاستقبال بالطريقة الثانية عند الحنفية.

(١٢٨) حاشية ابن عابدين (١/٤٢٨).

(١٢٩) انظر كتابه: شمس الأدلة في بيان سمت القبلة، مخطوط (ص١٧).

(١٣٠) المصدر السابق، نفس الصفحة.



الشكل (٣)

وتقدر مساحة خطي الدماغ الخارجين من العينين سدس محيط الدائرة، بما يساوي ستين جزءاً من محيطها، فيكون القدر المتقرر تسعة وعشرين درجة (٢٩) من كل جانب من جانبي اليمين والشمال، كما حققه العلامة الفلكي الحنفي الخربوطلي(١٣١).

ويبدو أن العلامة الخربوطلي لم يحسب كلاً من نقطتي جانبي الخطين، ولهذا كان المقدار في الصورة الأولى (٣٥) درجة، وفي الصورة الثانية (٢٩) درجة.

(الاتجاه الثالث): أن الانحراف يكون بالخروج عن الجهة الكبرى:

المقصود بالجهة الكبرى هو تقسيم القطاعات إلى قطاعين اثنين بالنسبة للقبلة، وذلك باعتبار أن جهة الكعبة تقع ما بين المشرق والمغرب، أو بين الشمال والجنوب، وهكذا، فما بين يمين المصلي وشماله جهة القبلة إن اتجه إليها.

ويعتمد القائلون بهذا على حديث: (ما بين المشرق والمغرب قبلة) (١٣٢)، وهذا مروى عن جماعة من الصحابة والسلف، وهو مروى عن الإمام أحمد ومن نصوصهم في ذلك:

١ - قول عثمان رضي الله عنه: (كيف يخطئ الرجل الصلاة وما بين المشرق والمغرب قبلة، ما لم يتحرَّ الشرق عمداً) (١٣٣).

٢ - وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة).

(١٣١) المصدر السابق (ص ١٨).

(١٣٢) متفق عليه، وقد سبق ص (٩).

(١٣٣) التمهيد لابن عبد البر (٥٦/١٧).

٣ - قال الأثرم: سألت أحمد بن حنبل عن قول عمر: "ما بين المشرق والمغرب قبلة" فقال: هذا في كل البلدان إلا مكة عند البيت، فإنه إن زال عنه بشيء وإن قل فقد ترك القبلة، قال: وليس كذلك قبلة البلدان، ثم قال هذا المشرق وأشار بيده وهذا المغرب وأشار بيده وما بينهما قبلة، قلت له: فصلاة من صلى بينهما جائزة، قال: نعم، وينبغي أن يتحرى الوسط (١٣٤).

وسبق تفسير الإمام ابن عبد البر لكلام الإمام أحمد أنه: (يريد أن البلدان كلها لأهلها من السعة في قبلتهم مثل ما لمن كانت قبلته بالمدينة الجنوب التي تقع لهم فيها الكعبة، فيستقبلون جهتها ويتسعون يميناً وشمالاً فيها ما بين المشرق والمغرب). ويؤكد ابن عبد البر على هذه السعة لأهل الآفاق ثم يختم كلامه بتقرير عدم الخلاف فيها فيقول: (وهو صحيح لا مدفع له، ولا خلاف بين أهل العلم فيه) (١٣٥). وما ذكره الإمام ابن عبد البر يقرره جماعة من الحنفية والمالكية في تفسيرهم للانحراف اليسير وأنه ما بين المشارق والمغرب.

- قال ابن نجيم الحنفي: (الانحراف المانع عندنا أن يجاوز المشارق إلى المغرب) (١٣٦).

- وفي الفتاوي الهندية للأحناف أن الانحراف المفسد أن يجاوز المشارق إلى المغرب. (١٣٧)

- وفي حاشية الدسوقي المالكي: عن كلام بعض الشراح من أن التوجه للشرق أو الغرب من الانحراف اليسير والكثير إنما هو التوجه لدبر القبلة (١٣٨).

وهذا القول يعني أن جهة قبلة المصلي ما بين يمينه إلى شماله، مما يؤدي إلى القول أن سعة امتداد جهة القبلة بالنسبة للمصلي لكل جهة من جهاته يمنة ٩٠ درجة، ويسرة ٩٠ درجة تقريباً.

فهذا الرأي أوسع الآراء، حيث يجعل نصف الدائرة التي في اتجاه القبلة كلها قبله، مع التأكيد على تحري الوسط .

(١٣٤) الاستذكار لابن عبد البر (٢/٤٥٨).

(١٣٥) المرجع السابق (٢/٤٥٩).

(١٣٦) البحر الرائق لابن نجيم (٢/٤٩٦).

(١٣٧) انظر: شرح فتح القدير للسوساوي (١/٢٧٠) وحاشية ابن عابدين (١/٤٣٠).

(١٣٨) حاشية الدسوقي (١/٢٢٧). وهذا غير معتمد عند المالكية. ولهذا قال بعد نقله: (وهو ضعيف).

(الاتجاه الرابع) : أن الانحراف يكون بالخروج عن الجهة الصغرى :

والمقصود بالجهة الصغرى جهة من الجهات الأربع التي فيها القبلة من محيط الدائرة.

وأصحاب هذا الاتجاه هم القائلون بتقسيم العالم إلى أربع قطاعات، وهي: الشمال والجنوب والشرق والغرب، وجهة الكعبة الشريفة في إحدى هذه القطاعات الأربع. وتقرير ذلك أن المرء إذا أراد أن ينظر إلى أفق جهات العالم كلها من مكانه فسيدور حول نفسه دورة كاملة، لأن مجموع الجهات تشكل دائرة كاملة، ومعلوم أن الدائرة إذا قسمت إلى أجزاء فإنها تحوي على (٣٦٠ درجة)، فإذا علمنا أمر الدائرة؛ فلن يبقى إلا معرفة عدد جهات العالم ليتسنى معرفة سعة كل جهة، وهي - على هذا الرأي - أربع، وهي التي أشارت إليها بعض النصوص.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى: (وأما دليل صحة الصورة التي صورناها، وهو حصر جهات العالم في أربع جهات، فقولته عليه السلام في آداب قضاء الحاجة، لا تستقبلوا بها القبلة ولا تستدبروها، ولكن شرقوا أو غربوا، وقال هذا بالمدينة والمشرق على يسار المستقبل لها، والمغرب على يمينه، فنهى عن جهتين ورخص في جهتين، ولم يخطر ببال أحد أن جهات العالم يمكن أن تفرض في ست أو سبع أو عشر أو كيفما كان، بل الجهات تثبت في الاعتقادات بناءً على خلقة الإنسان، وليس له إلا أربع جهات، قدام وخلف ويمين وشمال، فكانت الجهات بالإضافة إلى الإنسان في ظاهر النص أربعاً، والشرع لا يبني إلا على مثل هذه الاعتقادات)(١٣٩).

وقال العلامة الكردي في فتاويه: (وقال الأسنوي في شرح المنهاج: الجهة أي إحدى الجهات الأربعة التي فيها الكعبة، بدليل صحة الصف المستطيل من المشرق إلى المغرب، وذكر نحوه الطبري، فالجهة التي فيها المحراب المذكور من الجهات الأربع، هي جهة المحراب، فما زال المجتهد لم يخرج عن جهة المحراب، لا يصدق عليه أنه اجتهد جهةً، لأنه لم يخرج عنها إلى جهة أخرى، حتى يقال عنه أنه اجتهد جهةً، وإذا لم يخرج إلى حد الجهة، فانحرافه عن المحراب من قبيل اليمين واليسرة) (١٤٠).

وهذا المعنى الذي ذكره الإمام الغزالي ومعه علماء الشافعية يقرره عامة الفقهاء عند حديثهم عن اشتباه المصلي في القبلة، فلو فرض أنه صلى بكل اجتهاد ركعة من الرباعية إلى جهة صحت صلاته إلى الجهات الأربع، لأن الجهة التي تحرى إليها صارت

(١٣٩) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٦٥).

(١٤٠) قررة العين بفتاوى علماء الحرمين للكردي (ص٤٥).

قبلته بطريق الاجتهاد فحين تحول رأيه إلى جهة أخرى صارت قبلته هذه الجهة في المستقبل، ولم يبطل ما أدى بالاجتهاد الأول؛ لأن ما أمضى بالاجتهاد لا ينقض باجتهاد مثله، فصار مصلياً في الأحوال كلها إلى القبلة، لأن القبلة في أحدها (١٤١).

فلو كانت الجهات أكثر من أربع، لكان الواجب الصلاة بعدد الجهات، وحيث أنهم حصروها في أربع؛ فذلك دليل أن عدد جهات العالم أربع، ويصرحون أن القبلة في أحدها.

ومؤدى هذا القول بأن جهة القبلة في إحدى الجهات الأربع، فتقسم الدائرة أرباعاً، فيكون امتداد الجهة الواحدة (٩٠) درجة لكل من اليمين والشمال (٤٥) درجة، فهذا هو المقدار الجائز في استقبال القبلة، وما زاد كان خروجاً عن الجهة؛ وبالتالي هو خروج عن القبلة.

وهذا المقدار المذكور (٤٥) درجة يميناً و٤٥ شمالاً) هو ما يقدره جماعة من العلماء المعاصرين تحديداً لمحاريب المساجد التي تعد متجهة إلى القبلة وتصح الصلاة فيها، وما زاد عنه كان انحرافاً عن جهة القبلة.

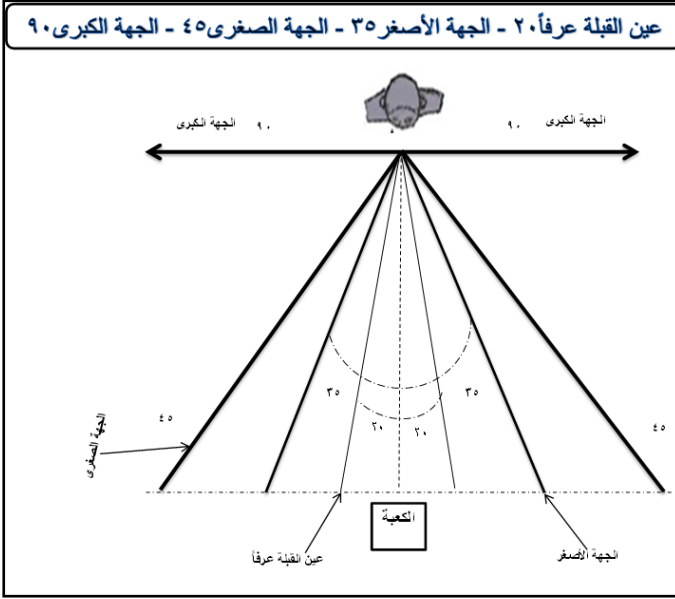
ومن خلال ما تقدم من اتجاهات الفقهاء في تحديد استقبال القبلة الجائز نستخلص الآتي:

الاتجاه الأول لعامة الشافعية، وهو اتجاه "عين القبلة"، القائل بوجوب استقبال عين الكعبة عرفاً، وذلك بأن تكون الكعبة ما بين وسطي العينين، ومساحة ذلك تقدر بحوالي (٢٠) درجة، فما زاد عليه كان انحرافاً يعد المصلي خارجاً به عن عين القبلة. **والاتجاه الثاني** لعامة الحنفية، القائلين أن الواجب استقبال الكعبة بجميع الوجه، وذلك بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتاً للكعبة، وأسميته الجهة الأصغر، وقدر ذلك بحوالي (٣٥) درجة، فما زاد عليه كان انحرافاً يخرج به المصلي عن مقابلة الكعبة المشرفة.

والاتجاه الثالث للحنابلة، وهو اتجاه "الجهة الكبرى"، وهو أن الواجب استقبال جهة الكعبة المشرفة، وأن ما بين المشرق والمغرب قبلة، فقبلة المصلي ما بين يمينه وشماله إذا توجه إليها، وتكون سعة امتدادها نصف الدائرة ومقدارها (١٨٠ درجة)، فيكون (٩٠ درجة) ليمين المصلي، و(٩٠ درجة) لشماله تقريباً.

(١٤١) الحاوي الكبير للمواردي (١/٣٤٦) مجموع النووي (٣/٢٠١) كشف القناع للبهوتي (١/٣١٢) بدائع الصنائع للكاساني (١/١٢١) منح الجليل لعليش (١/٢٣٧).

الاتجاه الرابع، وهو اتجاه الجهة الصغرى، وهو لعامة العلماء القائلين بأن القبلة تقع في إحدى الجهات الأربع، فحيثما توجه المصلي إلى الجهة التي فيها الكعبة أجزاء ذلك، وهي مقدره ب (٩٠ درجة) لكل من اليمين (٤٥ درجة)، واليسار (٤٥ درجة)، وما زاد على ذلك فهو انحراف عن الجهة، ولا يعد متوجهاً إلى القبلة. وفي هذا الشكل (٥) بيان لمقادير الدرجات للكعبة بحسب الاتجاهات السابقة:



المطلب الثالث: القول المختار في تحديد مقدار الانحراف الجائز عن الكعبة المشرفة :

بعد التأمل في اتجاهات العلماء في معرفة حقيقة الاستقبال الواجب للكعبة، وتحديد مقدار الانحراف عنها يترشح لي القول أن بتقسيم الجهات إلى أربع جهات ومقدار الانحراف الجائز عن القبلة هو خمس وأربعون درجة (٤٥ درجة) عن يمين المصلي و(٤٥ درجة) ويساره هو الأقرب، وذلك لعدة اعتبارات منها:

أن مسمى الاستقبال للقبلة يشترك فيه من صلى إلى عيناها ومن توجه إلى سمتها بحيث لا يعد منحرفاً عنها، وأن التوجه إلى الكعبة لا يلزم منه أن يكون المصلي مواجهاً لجدارها على الحقيقة، فيجب التوجه إلى جهتها توجهاً يصح معه اسم الاستقبال .

التقسيم الطبيعي للجهات المحيطة بالإنسان هي التقسيمات الأربعة المعروفة لدى الكافة، والمتجه إلى جهة من تلك الجهات يصح أن يقال بالقطع أنه متوجه إليها شرقاً أو غرباً يميناً أو شمالاً.

١- مع أن الكعبة تقع غالباً في بإحدى الجهات الرئيسة الأربع إلا أنه - مع تطور علم الخرائط - يقترح الفلكيون رغبةً في الدقة إلى اعتماد الجهات الفرعية، فتكون الجهات على هذا : (الشمال الشرقي، والشمال الغربي، والجنوب الشرقي، والجنوب الغربي).

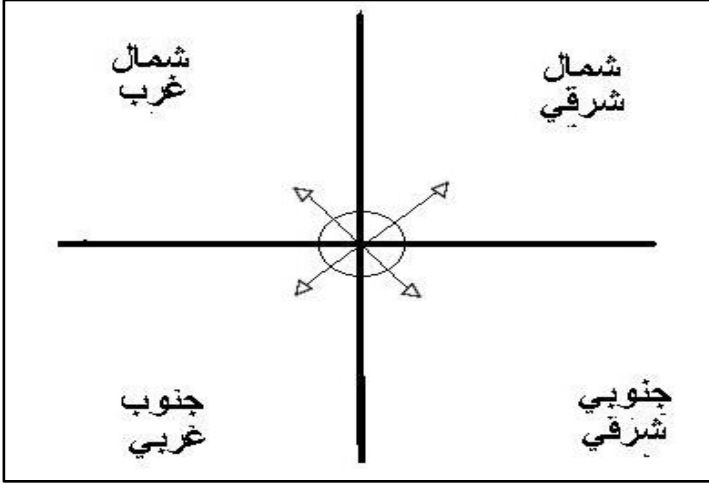
٢- وإنما تم سلوك هذا المنحى في اختيار الجهات الفرعية آنفة الذكر لعدة أمور: أولاً : أن خط منتصف النهار لمكة المكرمة، أي خط طولها الجغرافي، لا يمر إلا على عدد قليل من القرى الصغيرة، أما امتداد الخط لجنوب مكة فإنه يدخل في البحر الأحمر ثم المحيط ولا يمر على اليابسة، في الوقت الذي تقع فيه أغلب المدن والأقاليم شرق هذا الخط أو غربه .

ثانياً : ما قيل عن خط منتصف النهار، يقال كذلك عن دائرة عرض مكة المكرمة، فأقاليم البلدان تقع إما شمالها أو جنوبها .

ثالثاً : أن جهات القبلة للمعمورة من المدن والبلدان تقع غالباً في الجهات الفرعية، أو قريبة منها، أكثر من وقوعها في الجهات الرئيسة .
رابعاً : أن اعتماد الاحداثيات المتعامدة للإشارة إلى الجهات الفرعية في تحديد القبلة هي الأنسب في التصور والأسهل للاستيعاب، كما هو الحال في الرسومات البيانية .

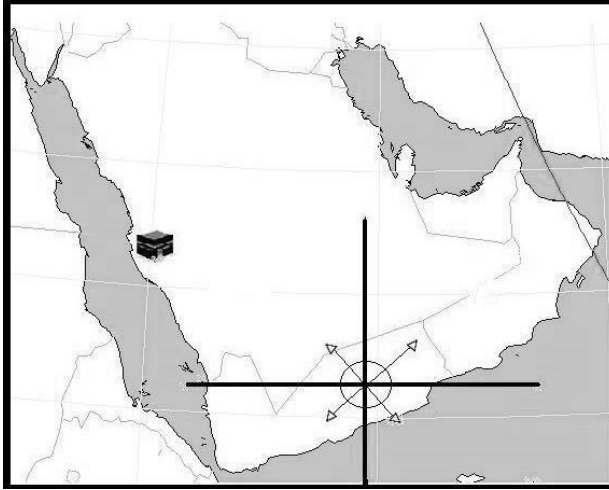
ومن السوابق الفقهية في اختيار هذا المنحى ما قاله الفقيه الحضرمي السيد عبد الله بن محمد السقاف: (والمراد باستخراج الجهات الأربعة هو التمييز بين الربيعين الشماليين، والربيعين الجنوبيين) (١٤٢)، فمقصوده بالربيعين الشماليين أي : الشمال الشرقي والشمال الغربي، والربيعين الجنوبيين أي: الجنوب الشرقي والجنوب الغربي .
والشكل الآتي (٤) يوضح جهات القبلة وفق هذا الاختيار .

(١٤٢) المسلك القرب للعمل في ربع التجيب للسقاف. ص : (٣٥).



الشكل (٤)

خامساً: بالنظر في جهات القبلة للدول العربية عامة ولليمن خاصة نلاحظ أنها تقع في الجهات الفرعية، وبالنظر في الشكل التالي يتبين جلياً ما ذكرناه.



وبالنظر في الخريطة سنجد الآتي :

- (١) جهة قبلة اليمن وسلطنة عمان في الشمال الغربي.
- (٢) قبلة عموم حضرموت في الشمال الغربي.
- (٣) جهة قبلة مصر الجنوب الشرقي .

٤) جهة قبلة العراق والكويت وإيران وخراسان وبخارى وغيرها الجنوب الغربي. ويتبين بهذا التقسيم أن قبلة أكثر الدول مائلة إلى الاتجاهات الفرعية مما يدل على دقة هذا التقسيم واعتماده في تحديد جهة القبلة.

اختار جماعة من العلماء والباحثين المعاصرين أن غاية مقدار الانحراف الجائز هو: (٤٥) لكل جهة من يمين وشمال المصلي منهم:

أ - الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، فقد قال في كتاب فقه العبادات: (ذكر أهل العلم رحمهم الله أن الانحراف اليسير في الجهة لا يضر، والجهات معروفة أنها أربع: الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب، فإذا كان الإنسان عن الكعبة شرقاً أو غرباً، كانت القبلة في حقه ما بين الشمال والجنوب، وإذا كان عن الكعبة شمالاً أو جنوباً، صارت القبلة في حقه ما بين الشرق والغرب، لأن الواجب استقبال الجهة)^(١٤٣).

ب - الشيخ حسام الدين عفانة، قال في فتاويه: (الانحراف المبطل للصلاة هو الانحراف الذي يكون كبيراً وقدره بعض العلماء المعاصرين بـ (٤٥) درجة كما سبق، ويكون ذلك عندما يصل إلى غير جهة الكعبة، فإذا كانت القبلة إلى الجنوب وتوجه المصلي إلى جهة الجنوب بناءً على اجتهاده فصلاته صحيحة. فإذا ابتعد عن عين القبلة يميناً أو يساراً حتى ٤٥ درجة فإنه يظل متجهاً إلى جهة الجنوب، فإذا زاد عن ذلك بدأ يتجه إلى جهة الشرق أو الغرب، لأن كل جهة من هاتين الجهتين تبعد عن جهة الجنوب ٩٠ درجة. فإذا وصل إلى ٤٥ درجة فقد وصل إلى نهاية الجنوب من جهة الشرق، وبدأ التوجه إلى جهة الشرق الجنوبي. أو إلى نهاية الجنوب من جهة الغرب وبدأ التوجه إلى الغرب الجنوبي. فالخطأ في هذه الحدود مغتفر إن شاء الله إذا حصل بعد البحث والتحري والاجتهاد)^(١٤٤).

ج - الشيخ محمد بن صالح المنجد، قال في فتوى له: (إذا كان الانحراف عن القبلة أقل من ٤٥ درجة، فصلاتكم صحيحة، لأن الفرض في حقكم هو استقبال الجهة، لا استقبال الكعبة ولا مكة، وهذا الانحراف لا يخرجكم عن استقبال الجهة)^(١٤٥).

(١٤٣) فقه العبادات (ص: ١٤٩) ينظر موقع الشيخ على الرابط: www.binothaimen.com. وللشيخ فتوى في كتاب ثمار التدوين من مسائل ابن عثيمين (ص: ٢٨) عن مقدار الانحراف عن القبلة الذي يعفى عنه فقال: (هو ما كان فيه الميل عن جهة القبلة إلى ما حاذى حاجب عينه الأيمن أو الأيسر. فإن واجه أقصى يمينه أو شماله فليس إلى قبلة).

(١٤٤) فتاوى يسألونك لحسام الدين عفانة (١١/٨).

(١٤٥) موقع فضيلة الشيخ محمد بن صالح المنجد على الإنترنت: (الإسلام سؤال وجواب) (101449) islamqa.info-ar.

د - الشيخ الدكتور شوقي عبد الكريم علام المفتي بدار الإفتاء المصرية يقول في فتوى له عن درجة الانحراف المسموح بها في القبلة، يقول: (والجهات أربع تمثل كل جهة ربع الدائرة الكاملة وهي ٩٠ درجة، وهذا يعني أن جهة القبلة هي ربع الدائرة، وما دام المصلي في حدوده فإنه مستقبل للقبلة، وعلى ذلك فيصير الانحراف المسموح به عن سمت الكعبة هو ٤٥ يميناً ومثلها شمالاً)^(١٤٦).

هـ - الشيخ الدكتور عبد الله الفقيه المشرف على موقع الفتوى، قال في فتوى له: (وأما من صلى بانحراف ٤٥ م° عن القبلة، فهو قد جعل القبلة عن يمينه أو عن شماله، فلم تكن القبلة في مواجهته، فلا تصح صلاته، ومن باب أولى تبطل صلاة من صلى بانحراف ٥٥ م° إلى ٧٠ م° عن القبلة،) (١٤٧).

و - الشيخ أبو عبد المعز محمد علي فاركوس الجزائري يقول في كلام له حول الانحراف عن القبلة: (وضابط الانحراف اليسير يرجع تحديده إلى عرف الناس بالنظر إلى عدم ورود تحديد له في الشرع، وعرف الناس يقضي بأن كل ميل عن القبلة لا يصير الكعبة عن يمينه أو شماله بل يبقى مقابلاً لها لجهتها فهو من اليسير، وبهذا الاعتبار يمكن تعداد ما دون نصف الزاوية القائمة يمينا أو شمالاً كأقصى درجة اليسير ما دامت الكعبة تلقاء وجهه، وأما زيادة الانحراف عن نصف الزاوية القائمة يمينا أو شمالاً فإنه انحراف كبير وفاحش يخرج المصلي عن كونه مستقبل الكعبة، بل الكعبة تصير في حقه جهة يمينه أو شماله)^(١٤٨).

وعلى ما تقدم نقول: يترجح القول بأن مقدار التيامن والتياسر والميل الجائز عن القبلة، هو الجهة الصغرى، وهو (٤٥ درجة) عن يمين المصلي و(٤٥ درجة) عن يساره، فمجموعهما تسعون درجة.

هذا ما تيسر جمعه في هذه المسألة، وهي محاولة للباحث لبيان الانحراف الجائز والممنوع عن الكعبة المشرفة، وأرجو أن أكون وفققت لبيان هذه المسألة التي تهم كل مسلم.

وأسأل الله العظيم أن يصلح شأننا كله، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

(١٤٦) موقع دار الإفتاء المصرية، برقم مسلسل (١٩٨١) ID=6981&langID=1

(١٤٧) موقع مركز الفتوى بإشراف الدكتور عبد الله الفقيه ID=15685&page=showfatid&id=15685

(١٤٨) موقع الشيخ فاركوس www.ferkous.com/site/rep/m48.php، بحث بعنوان الانحراف عن قبلة المسلمين بين الإنصاف والتعنت.

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة وبعد عرض آراء العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية في مسألة الانحراف عن الكعبة المشرفة فإني أعرض هنا نتائج البحث في النقاط الآتية:

١ - لقد حظيت الكعبة المشرفة بأعظم معاني التبجيل والتشريف خلال التاريخ البشري والإسلام زادها قدسية وتعظيماً، فأضحت تَهفوا إليها أفئدة أهل الأيمان وصارت قبلة قلوبهم وأبدانهم.

٢ - من أهم الأحكام المتعلقة بالكعبة وجوب استقبال المسلم لها في صلاته حيثما كان، وصار هذا الاستقبال شعيرة عظيمة وعبادة من أجل عبادات الإسلام.

٣ - واتفق الفقهاء على وجوب استقبال عين الكعبة للمصلي القريب منها، ولا يجوز أن يميل عنها بأدنى ميل، أما البعيد منها فاختلفت أنظارهم، فمنهم القائل بوجوب استقبال عينها عرفاً، ومنهم القائل باستقبال جهتها لتعذر إصابتها للبعيد، ومنهم من جمع بين القولين باعتبار أن الاستقبال يشترك فيه من صلى إلى عينها ومن توجه إلى جهتها، والجميع يشملهم اسم الاستقبال، فمن عبر بإصابة عينها عرفاً أراد المسامحة في بعض الميل ومن عبر باستقبال جهتها أراد الاكتفاء باستقبالها بذلك الميل المتسامح فيه، فحاصل القولين جواز الميل عن عينها للبعيد، وأن اسم الاستقبال حاصل للجميع.

٤ - يفرق الفقهاء بين المنحرف عن الكعبة باجتهاد سائغ فصلاته صحيحة: لأنه قد أدى ما عليه، وبين المنحرف عنها بغير اجتهاد أو بتقليد محض فعليه إعادة صلاته لتقصيره في التحري الواجب.

٥ - اختلفت آراء الفقهاء في تحديد مقدار الانحراف الجائز، وتتلخص آرائهم في أربعة اتجاهات وهي كالآتي:

أ - اتجاه "عين القبلة"، القائل بوجوب استقبال عين الكعبة عرفاً، وذلك بأن تكون الكعبة ما بين وسطي العينين، ومساحة ذلك تقدر بحوالي (٢٠) درجة، فما زاد عليه كان انحرافاً يعد المصلي خارجاً به عن عين القبلة.

ب - الاتجاه الثاني: وهو استقبال الكعبة بجميع الوجه، وذلك بأن يبقى شيء من سطح الوجه مسامتاً للكعبة، وقُدِّر ذلك بحوالي (٣٥) درجة. فما زاد عليه كان انحرافاً يخرج به المصلي عن مقابلة الكعبة المشرفة.

ج - الثالث: اتجاه "الجهة الكبرى"، وهو أن الواجب استقبال جهة الكعبة المشرفة، وأن ما بين المشرق والمغرب قبلة، فقبلة المصلي ما بين يمينه وشماله

إذا توجه إليها، وتكون سعة امتدادها نصف الدائرة ومقدارها (١٨٠ درجة)، فيكون (٩٠ درجة) ليمين المصلي، و(٩٠ درجة) لشماله تقريباً.

د - الرابع: اتجاه الجهة الصغرى، حيث تقع القبلة في إحدى الجهات الأربع، فحيثما توجه المصلي إلى الجهة التي فيها الكعبة أجزاء ذلك، وهي مقدرة ب (٩٠ درجة) لكل من اليمين (٤٥ درجة)، واليسار (٤٥ درجة)، وما زاد على ذلك فهو انحراف عن الجهة، ولا يعد متوجهاً إلى القبلة.

٦ - القول المختار في تحديد مقدار الانحراف الجائز هو الاتجاه القائل بتقسيم الجهات الأربع، فكل ربع منها جهة وهو ما جرى عليه عرف عامة الفقهاء وأهل الفلك، ويقدر ذلك ب ٤٥ درجة لكل جهة من جهات المصلي عن يمينه وعن يساره، وهو الذي اختاره جماعة من العلماء والباحثين المعاصرين.

أهم المصادر والمراجع

- ١) أحكام القرآن، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٢) إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد (ت: ٥٠٥هـ) الناشر دار المعرفة، بيروت.
- ٣) أدلة القبلة بحضرموت، سالم عمر الجعدي، بحث مصفوف إلكترونيًا.
- ٤) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط ٢ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٥) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) تحقيق سالم محمد عطا - محمد علي معوض، ط. سنة ٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٦) الأم، محمد بن إدريس الشافعي، (ت ٢٠٤هـ) دار المعرفة، بيروت.
- ٧) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي (ت: ٨٨٥هـ) ط. الأولى ١٤١٩هـ دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- ٨) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين ابن نجيم الحنفي (ت ٩٧٠هـ) دار المعرفة، بيروت.
- ٩) بداية المجتهد و نهاية المقتصد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت: ٥٩٥هـ) مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط: الرابعة، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- ١٠) البداية والنهاية، البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت.
- ١١) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني (ت ٥٨٧هـ) دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان سنة ١٩٨٢م.
- ١٢) بغية المسترشدين في تلخيص فتاوى بعض الأئمة من العلماء المتأخرين، عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن عمر باعلوي، دار الفكر، بيروت.
- ١٣) البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ) تحقيق قاسم محمد النوري، دار المنهاج - جدة، ط. الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

- ١٤) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى، تحقيق مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية.
- ١٥) التاج والإكليل لمختصر خليل، محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري (ت: ٨٩٧هـ) دار الفكر، بيروت، سنة ١٣٩٨م.
- ١٦) تحفة المحتاج في شرح المنهاج، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، بحاشية الشرواني وابن قاسم، دار الفكر، ط. الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٧م بيروت لبنان .
- ١٧) تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط. سنة ١٤٢٠م. دار الفكر، بيروت.
- ١٨) تفسير الفخر الرازي المسمى مفاتيح الغيب، لمحمد بن عمر بن الحسين الرازي من القرآن الكريم، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ١٩) تفسير آيات الأحكام، محمد علي السائس، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ٢٠٠٢/١٠/٠١م.
- ٢٠) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، نشر وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، سنة ١٣٨٧هـ، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري.
- ٢١) تهذيب الأسماء واللغات، لمحي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ) تحقيق مكتب البحوث والدراسات، الناشر دار الفكر، بيروت، لبنان، سنة ١٩٩٦م.
- ٢٢) تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، (ت ٣٧٠هـ) تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، سنة ٢٠٠١م، بيروت، لبنان.
- ٢٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر (ت ٣١٠هـ) ط. سنة ١٤٠٥م. دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٢٤) الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، سنة (١٤٠٥هـ).
- ٢٥) حاشية الجمل على المنهج، الشيخ سليمان الجمل، دار الفكر - بيروت.
- ٢٦) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، محمد عرفه الدسوقي، تحقيق محمد عيش، دار الفكر، بيروت.
- ٢٧) حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (ت: ١٣٩٢هـ) (بدون ناشر) ط. الأولى - ١٣٩٧م.

- ٢٨) الحاوي الكبير، أبو الحسن الماوردي، دار الكتب العلمية، سنة ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، بيروت - لبنان.
- ٢٩) خلاصة الاحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، يحيى بن مري بن حسن بن حسين أبو زكريا، (ت: ٦٧٦ هـ). تحقيق وتخريج حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٣٠) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين للسيوطي (ت: ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. سنة ١٩٩٣ م.
- ٣١) الدراري المضية شرح الدرر البهية، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠ هـ) دار الكتب العلمية، ط. الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٣٢) رد المحتار على الدر المختار، وهو حاشية ابن عابدين، لمحمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢ هـ) دار الفكر - بيروت، سنة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ٣٣) الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، نشر دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط. الأولى، سنة: ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.
- ٣٤) روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، محمد علي الصابوني (١٢٧/١) دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ط. سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ٣٥) روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، سنة ١٤٠٥ هـ، بيروت.
- ٣٦) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٧) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا نشر مكتبة دار الباز، مكة المكرمة. ط. سنة ١٤١٤ - ١٩٩٤ م.
- ٣٨) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩)، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي.
- ٣٩) سنن الدار قطني، علي بن عمر أبو الحسن الدار قطني، (ت: ٣٨٥ هـ) تحقيق السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة بيروت، سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
- ٤٠) سنن النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت: ٣٠٣ هـ) تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- ٤١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش.
- ٤٢) شرح العمدة في الفقه، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني (ت: ٥٧٢٧هـ) تحقيق د. سعود صالح العطيشان، سنة ١٤١٣هـ.
- ٤٣) الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢هـ) دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا.
- ٤٤) الشرح الكبير، سيدي أحمد الدردير أبو البركات، تحقيق محمد عليش، دار الفكر، بيروت.
- ٤٥) شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (ت: ٦٨١هـ) دار الفكر - بيروت.
- ٤٦) شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي (ت: ١٠٥١هـ) عالم الكتب، بيروت، ط. سنة ١٩٩٦م.
- ٤٧) شمس الأدلة في بيان سمت القبلة، علي بن محمد الخربوطلي الحنفي الفلكي، مخطوط .
- ٤٨) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧م، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.
- ٤٩) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، (ت: ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٥٠) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني (ت: ٨٥٥هـ). دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٢) الفرر البهية في شرح البهجة الوردية، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، (ت: ٩٢٦هـ) المطبعة الميمنية.
- ٥٣) فتح الباري بشرح البخاري، أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، دار ابن الجوزي - السعودية، الدمام - ١٤٢٢هـ، ط: الثانية، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله.

- ٥٤) فتح الباري فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (ت ٨٥٢هـ) تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.
- ٥٥) فهرس أهم المراجع
- ٥٦) قرة العين بفتاوى علماء الحرمين، تصحيح وضبط الأستاذ محمد علي المالكي، الطبعة الأولى، ١٩٣٨ مطبعة مصطفى محمد.
- ٥٧) الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، نشر سنة (١٤٠٧هـ).
- ٥٨) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني، (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، نشر مكتبة ابن تيمية.
- ٥٩) الكلبيات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. تحقيق عدنان درويش - محمد المصري.
- ٦٠) لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، نشر دار صادر، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان.
- ٦١) مختصر خليل، خليل بن إسحاق الجندي (ت: ٧٧٦هـ) تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، ط. الأولى (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- ٦٢) المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٦٣) المسلك القريب للعمل في ربع التجيب، عبد الله بن محمد السقاف، مطبعة الرشديات بالإسكندرية عام ١٣٥٢هـ.
- ٦٤) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، مكتبة الرشد - الرياض، ط. الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت.
- ٦٥) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، طبعة سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
- ٦٦) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، دار الفكر - بيروت.
- ٦٧) منح الجليل شرح على مختصر سيد خليل، محمد عليش، دار الفكر، ط. سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

- ٦٨) المذهب في فقه الإمام الشافعي، إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي أبو إسحاق، دار الفكر بيروت.
- ٦٩) مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، شمس الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب الرُّعيني (ت: ٩٥٤هـ) تحقيق: زكريا عميرات، دار عالم الكتب، ط. ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٧٠) موقع الشيخ حسام الدين عفانة www.yasaloonak.net
- ٧١) موقع الشيخ فاركوس أبي عبد المعز محمد علي الجزائري www.ferkous.com/site/rep/m48.php
- ٧٢) موقع الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين : www.binothaimen.com
- ٧٣) موقع الشيخ محمد بن صالح المنجد (101449) islamqa.info-ar
- ٧٤) موقع دار الإفتاء المصرية، Dar- alifita.org/viewfatwa.aspx?ID=6981&langID=1
- ٧٥) موقع مركز الفتوى بإشراف الدكتور عبد الله الفقيه fatwa.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatId&Id=15685
- ٧٦) نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، سنة ١٤٢٣هـ.
- ٧٧) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، شمس الدين محمد بن أبي العباس بن شهاب الدين الرملي (ت: ١٠٠٤هـ) دار الفكر للطباعة، بيروت، ط. سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٧٨) نهاية المطلب في دراية المذهب، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، أبو المعالي، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) حققه وصنع فهرسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الديب، نشر دار المنهاج، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٧٩) الهداية شرح بداية المبتدي، علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغنياني (ت: ٥٩٣هـ) نشر المكتبة الإسلامية.

**المبادئ التربوية والأساليب والوسائل
التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم
والسنة النبوية المطهرة
للتعليم والتعلم والإرشاد**

د. حسين علي حسين الجاحوي

أستاذ المناهج وطرائق التدريس المساعد

كلية التربية والآداب والعلوم صعدة – جامعة عمران

كلية الآداب والعلوم بشرورة – جامعة نجران



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد

ملخص البحث :

وقد تكون البحث الحالي من مقدمة،
وثمانية مباحث وهي على النحو الآتي :
١ - المبحث الأول: مجال الأهداف
التعليمية
٢ - المبحث الثاني : مجال المحتوى
التعليمي والخبرات التربوية .
٣ - المبحث الثالث: مجال طرائق
التدريس وأساليبه .
٤ - المبحث الرابع : مجال الوسائل
التعليمية
٥ - المبحث الخامس: مجال الأنشطة
التعليمية.
٦ - المبحث السادس: مجال التقويم
التربوي.
٧ - المبحث السابع: مجال الإشراف
التربوي والتعليمي .
٨ - المبحث الثامن: مجال صفات المعلم
وسماته.
كما تضمن البحث على خاتمة
لخصت أهم المفاهيم .

يرمي البحث إلى التعرف على المبادئ
التربوية والأساليب والوسائل التعليمية
المستخدمة في القرآن الكريم والسنة
النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد في
مجالات الأهداف التعليمية، المحتوى
التعليمي، طرائق التدريس، الوسائل
التعليمية، الأنشطة التعليمية، التقويم
التربوي، الإشراف التربوي والتعليمي،
وصفات المعلم وسماته .

واعتمد الباحث على القرآن الكريم
والسنة النبوية، واستقرأ المصادر والمراجع
ذات العلاقة، لتحديد تلك المبادئ
والأساليب والوسائل ودعمها بالإثبات
والأحاديث .

وخلص البحث إلى نتيجة مفادها أن
القرآن الكريم والسنة النبوية قد سبقا
النظريات التربوية الحديثة في التأكيد
على تلك المبادئ والأساليب والوسائل
التعليمية وأهميتها في المواقف التعليمية
التعلمية المختلفة .

ويوصي الباحث بضرورة رجوع المعلم
إلى مثل هذه المواقف التي تعرضها آيات
القرآن الكريم والأحاديث النبوية
الشريفة للاستفادة منها في المواقف
التدريسية المختلفة لما لها من أثر بالغ في
سلوكيات الطلبة المتعلمين .

المقدمة :

اهتم الدين الإسلامي الحنيف بالعلم، ودعا إلى التفقه في الدين، والنظر في شؤون الحياة ومجالاتها المختلفة، وأولى التعلم والتعليم عناية فائقة ورعاية كبيرة، ذلك لما للعلم من فائدة جليلة في إحياء القلوب، وشحذ العقول وتمييزها، وبناء المجتمعات، وتعمير الأرض .

ووضع الإسلام أهل العلم في منزلة عظيمة، ورفعهم مكانة سامية متساوية مع أهل الإيمان، بسبب ما حملوه من علم، وما قاموا به من تعليم للناس وإرشاد لهم، قال الله تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)) (١)؛ وبين الإسلام طرائق الحصول على العلم والتعليم، والوسائل والمعينات على التعلم (٢)؛ فقد أشار القرآن الكريم في أول خطاب إلى البشرية إلى القراءة والكتابة كونهما وسائل التعلم والحصول على المعرفة . (٣)؛ قال الله تعالى ﴿اقْرَأْ بِأَسْمَاءِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾ (العلق: ٥-١) ويزخر القرآن الكريم بالكثير من الآيات الكريمة التي تدعو إلى التفكير والبحث والتدبر وإمعان النظر والتفتيش والكشف والتجريب عن طريق استخدام العقل والحواس الإنسانية التي زود الله سبحانه وتعالى بها الإنسان، والتي تمثل وسائل العلم والمعرفة والإدراك الخارجي، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ٣٦﴾ (الإسراء: ٣٦)؛ وقال الله تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۗ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٧٨﴾ (النحل: ٧٨)

أشار (الحافظ ابن كثير) في تفسيره لهذه الآية الكريمة، أن الله تعالى - ذكر منته على عباده في إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً، ثم بعد هذا يبرزهم السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يحسون المرئيات،

(١) رواه مسلم (٤ / ١٦٣٦) برقم ٢٦٧٤. باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة .

(٢) محمد السيد أرناؤوط: الإسلام والتربية البيئية، القاهرة، دار الأمل، ٢٠٠٠م، ص ٣٠ .

(٣) عبد الرحمن بن محمد بلعوض: الوسائل التعليمية في القرآن الكريم والسنة والآثار عن الصحابة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٣)، الرياض ١٩٩٥م، ص ٤٢٦ .

والأفئدة وهي العقول التي يميزون بها بين الأشياء ضارها ونافعها، وجعل - تعالى هذه الحواس في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه سبحانه، فيستعين بكل جراحة وعضو وقوة على طاعة مولاه. (٤)

وقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أساليب تربوية ووسائل تعليمية متعددة ومتنوعة للتربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، يعرضها البحث في ثنايا مباحثه الثمانية .

مبررات اختيار البحث :

تتمثل أهم مبررات اختيار البحث بالآتي :

- ١ - تأكيد سبق القرآن الكريم والسنة النبوية للنظريات التربوية الحديثة في حثها على ضرورة مراعاة المبادئ والأساليب التربوية للتعليم والتعلم والتوجيه والإرشاد، بما يحقق الارتقاء بها، وتطويرها وتحسينها .
- ٢ - المساهمة في الحث على ضرورة بناء نظرية تربوية إسلامية، تمكن التربويين من الرجوع إليها في المواقف التعليمية التعلمية المختلفة عند الحاجة .
- ٣ - إذا كان اهتمام الغرب يقتصر على تطبيق النظريات التي توصل إليها علماءهم ومفكروهم، فالأجدى بنا نحن المسلمون أن يكون اهتمامنا، بما قدمه لنا الفكر التربوي الإسلامي من محاولات جادة، ومخلصة يمكن أن تصل إلى إطار النظرية التربوية الإسلامية، ونؤسس لها مستفيدين من الدلائل والمؤشرات التي يعرضها لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي إلى التعرف على المبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية المستخدمة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للتعليم والتعلم والإرشاد .

أهمية البحث :

ترجع أهمية البحث إلى أنه :

- ١ - يسهم في إثراء المعرفة لدى الباحثين والقراء والمهتمين في مجال الفكر التربوي، سواء أكانوا مدرسين أو طلبة أو مراكز أو مؤسسات تعليمية أو بحثية .

(٤) عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي المعروف بابن كثير. مختصر تفسير ابن كثير. اختصره (أحمد بن شعبان أحمد ومحمد عبادي بن عبد الحلیم)، القاهرة، دار الصفاء، ٢٠٠٣م، (٣ / ١٨٣) .

- ٢ - يُسلط الضوء على أهم الأدلة والمؤشرات للمبادئ والأساليب الإسلامية في مجال التربية والتعليم، ومكوناتها العامة والخاصة .
- ٣ - يُبين الخصائص والمبادئ التي أشارت إليها الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.
- ٤ - يكشف عن سبق القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة للنظريات التربوية الحديثة في حثها على ضرورة مراعاة المبادئ والأساليب التربوية الصحيحة، في عمليتي التعليم والتعلم والتوجيه والإرشاد .
- ٥ - يفتح الطريق أمام دراسات أخرى تُعنى بالمبادئ والأساليب التربوية، والموهبة في تدريس العلوم الإسلامية بمختلف أنواعها .
- ٦ - إن الدراسات التي أجريت على حد علم الباحث - لم تتناول مثل هذا الموضوع بشكل كامل يستطيع القارئ والباحث أن يستفيد منها الاستفادة الكاملة، بصورتها المطلوبة .

خطة البحث :

يتكون البحث من ثمانية مباحث على هذا النحو :

المبحث الأول : في مجال الأهداف التعليمية :

قال الله تعالى ﴿أَفَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الملك: ٢٢)
هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه من ضلال كمثل من يمشي مكباً على وجهه، أي يمشي منحنيلاً لا مستويلاً، أي لا يدري أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل تائه حائر ضال . ليس له غاية يسعى لتحقيقها، ولا مقصد يرمي إليها أهذا أهدى أمن يمشي سويلاً، أي : منتصب القامة، على صراط مستقيم أي طريق واضح وهو نفسه مستقيم وطريقته مستقيمة هذا مثلهم في الدنيا وكذلك يكونون في الآخرة . (٥)

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله

(٥) المرجع السابق. (٣ / ٢٤٣) .

فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه(٦) .

المبحث الثاني : في مجال المحتوى التعليمي والخبرات التربوية :

ويتضمن الآتي :

(١) مراعاة مادة التعلم لحاجات المتعلمين التربوية والتعليمية : (٧)

قال الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ (سورة الفرقان: ٣٣) .
وقال أيضاً ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾
﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ (سورة المجادلة: ٢-١) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (قالت النساء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن، وأمرهن فكان فيما قال لهن : ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار، فقالت امرأة : اثنين قال : واثنين) (٨).

(٢) مراعاة الارتباط والتتابع في بناء المعرفة وتنظيمها :

قال الله تعالى ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنَقُرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤْتَفِقُ وَمِنْكُمْ مَنْ يردُّ إِلَى آذَانٍ أَلْفَسُ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِئَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ ﴾ (سورة الحج: ٥) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل أي العمل أفضل: فقال: (إيمان بالله ورسوله، قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور) (٩).

(٦) أخرجه البخاري (٢١ / ١) برقم ١، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومسلم (١٢٠٤/). برقم

١٩٠٧، باب قوله ﷺ: ((إنما الأعمال بالنية)) .

(٧) توفيق مرعي ومحمد الحيلة: تفريد التعليم، عمان، دار الفكر، ١٩٩٨م، ص ٩٣ - ١٢٢ .

(٨) أخرجه البخاري (٥٩ / ١) برقم ١٠١، باب هل يجعل للنساء يوم على حدة في العلم .

(٩) أخرجه البخاري (٣٣ / ١) برقم ٢٦، باب من قال إن الإيمان هو العمل .

٣) الاهتمام باكتساب المهارات :-

يستفاد هذا من قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ٢ ﴾ (المؤمنون: ٢-١)؛ وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: (خمس صلوات افترضهن الله تعالى ... ومن أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد إن شاء غفر له وإن شاء عذبه) (١٠).

٤) مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين بحيث تستغل قدرات كل متعلم إلى أقصى ما يستطيع : -

قال الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾ (البقرة: ٢٨٦). وقال تعالى ﴿ عَسَىٰ وَوَجَّيْ ١ أَنْ جَاءَهُ الْأَخْبَىٰ ٢ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَيِّقُ ٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ٤ ﴾ (سورة عبس: ١-٤) .

وفي حديث الإسراء، عن أنس بن مالك: ... ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال: يا محمد: ماذا عهد إليك ربك ؟ قال: عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك، فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صار إلى خمس صلوات، ثم قال له: لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه، فأمتك أضعف أجساداً، وقلوباً، وأبداناً، وأبصاراً، وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك ...) (١١)

٥) تنوع الخبرات التي يدرسها المتعلم :-

يمكن أن يتحصل هذا من قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ ٤ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنِ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، سَوَّوْا تَرْنِيْ ٥ فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُ، لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ، دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ٦ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ٧ ﴾ (سورة الأعراف: ١٤٣) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة فقال: (سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن أيقظوا صواحيب الحجر؛ فرب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) (١٢)

(١٠) أخرجه أبو داود (١ / ١١٥) برقم ٤٢٥، باب المحافظة على وقت الصلاة .

(١١) أخرجه البخاري (٤ / ٢٣٤٥ - ٢٣٤٦) برقم ٧٥١٧، باب: (وكلم الله موسى تكليماً) .

(١٢) أخرجه البخاري (١ / ٦٣) برقم ١١٥، باب العلم والعظة بالليل .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (بت في بيت ميمونة ليلة والنبي عندها فلما كان ثلث الليل الآخر وبعضه، فقد ينظر إلى السماء فقراً: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠). (١٣)

(٦) الاهتمام بجميع جوانب شخصية المتعلم في عملية التعلم :-

قال الله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الذِّكْرِ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (سورة الأنفال: ٢-٣)

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: ((كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إذ جاءه رسول إحدى بناته يدعوه أن ابنها في الموت، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآخبرها إن لله ما أخذ، ولله ما أعطى، وكل شي عنده بأجل مسمى، فمرها لتصبر ولتحتسب، فأعادت الرسول أنها أقسمت لتأتينها، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقام معه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل فدفع الصبي إليه ونفسه تقعقع كأنها في شن ففاضت عيناه، فقال له سعد: يا رسول الله، قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء)). (١٤)

(٧) تنمية تفكير المتعلم بكل مستوياته :-

قال تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ (سورة الطور: ٣٥-٣٦). وقال تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسَخَّنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ٢٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث رجلاً على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختمهم (قل هو الله أحد) فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: سلوه لأي شي يصنع ذلك، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: أخبروه أن الله يحبه. (١٥)

(١٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٧ / ٤) برقم ٧٤٥٢، باب رفع البصر إلى السماء .

(١٤) أخرجه البخاري (٢٣٠٢ / ٤) برقم ٧٣٧٧، باب قوله الله تعالى: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ﴾ .

(١٥) أخرجه البخاري (٢٣٠٢ / ٤) برقم ٧٣٧٥، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى .

المبحث الثالث : مجال طرائق التدريس وأساليبه

(١) الخطبة :

كان الرسول ﷺ يلقي خطبة على أصحابه ليعظهم ويرشدهم ويوجههم ويعلمهم أمور دينهم وديناهم بما يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري قال: ((كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج يوم الأضحى ويوم الفطر إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس، والناس جلوس على صفوفهم، فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثاً قطعه، أو يأمر بشي أمر به، ثم ينصرف)) (١٦).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال : ((كانت خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويشني عليه، ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته)) (١٧).

(٢) الشرح :

استخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشرح لتوضيح المعاني، وتبسيط المسائل وتقريبها من الأذهان، فقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا)) (١٨).

وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)) (١٩).

(١٦) أخرجه البخاري (٢٨٧ / ١) برقم ٩٥٦، باب الخروج إلى المصلى بغير منبر. ومسلم (٥٠٦ / ٢) برقم ٨٨٩. كتاب صلاة العيدين .

(١٧) أخرجه مسلم (٤٩٥ / ٢ - ٤٩٦) برقم ٨٦٦، باب تخفيف الصلاة والخطبة

(١٨) أخرجه مسلم (١٦٣٤ / ٤) برقم ٢٦٧٣، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجبل والفتن في آخر الزمان .

(١٩) أخرجه البخاري (٥٣ / ١) برقم ٧٩، باب فضل من علم وعلم .

٣) الوصف :

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى . ثم قال في آخر حديثه : ((فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) ثم قرأ هذه الآية ﴿ نَجَّافِي جُؤَبُهُمَّ عَنِ الْمَصَاجِحِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ (سورة السجدة: ١٦-١٧) (٢٠)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلبيهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم : والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً)) . (٢١)

وعن عبد الله بن قيس عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً)) . (٢٢)

٤) الحوار :

تصور الآية الكريمة التالية مشهداً رائعاً للحوار، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِم تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيُطَمِّئَنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٠) .

٥) التكرار :

لجأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى استخدام التكرار لتثبيت إدراك أصحابه وأمتة، وترسيخ فهمهم، وتأكيد التعلم لديهم، ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أنه كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه) . (٢٣)

(٢٠) أخرجه مسلم (٤ / ١٧٢٥) برقم ٢٨٢٥ . كتاب الجنة وصفة نعيمها .

(٢١) أخرجه مسلم (٤ / ١٧٢٧) برقم ٢٨٣٣ . باب في سوق الجنة وما ينالون من النعيم والجمال .

(٢٢) أخرجه مسلم (٤ / ١٧٣٠) برقم ٢٨٣٨ . باب في صفة خيام الجنة . وما للمؤمنين فيها من الأهلين .

(٢٣) أخرجه البخاري (١ / ٥٨) برقم ٩٥ . باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ...

٦) التدرج .:

لأهمية التدرج والمرحلية في تقوية البناء العقلي وربط المعارف بعضها مع بعض، فقد حرم الله تعالى الخمر في ثلاث مواضع بصورة متدرجة لتكون أدعى إلى نبذها والابتعاد عنها واجتنبها، قال تعالى في أول الأمر ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِنتِمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ (سورة البقرة: ٢١٩). ثم تلا ذلك قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ (سورة النساء: ٤٣)، وفي المرحلة الأخيرة، أنزلت الآية التي تحرمه حرمة كاملة، قال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة المائدة: ٩٠) (٧) التشويق :

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يشوق أصحابه ويشير دافعيتهم ويشد انتباههم لتعزيز استجاباتهم ودفعهم إلى التعلم، وزيادة الإقبال على التحصيل، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : ((لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه)) . (٢٤)

٨) استجواب الطلاب وطرح الأسئلة عليهم : (المناقشة)

عقد الإمام البخاري رحمه الله - باباً في ذلك أسماه باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم - ثم ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله . قال: هي النخلة)) . (٢٥)

٩) تشجيع الطلاب على سؤال معلمهم :

عن أبي موسى رضي الله عنه قال : سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أشياء كرهها فلما أكثر عليه غضب، ثم قال للناس : ((سلوني عما شئتم)) . (٢٦)

(٢٤) أخرجه البخاري (١ / ٥٩)، برقم ٩٩، باب الحرص على الحديث .

(٢٥) أخرجه البخاري (١ / ٤٦) برقم ٦٢ .

(٢٦) أخرجه البخاري (١ / ٥٧) برقم ٩٢، باب الغضب في الموعظة والتعلم إذا رأى ما يكره .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف)) . (٢٧)

(١٠) دعوة الطلاب إلى كتابة المعلومات وتثبيتها .:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب . (٢٨)

(١١) حث الطلاب على حفظ العلم .:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثاً، ثم يتلو: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنْ آيَاتِنَا وَهُدًى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿ (سورة البقرة: ١٥٩-١٦٠) .

إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون . (٢٩)

(١٢) تقديم معلومات تناسب القدرات العقلية للمتعلمين :

ذكر الإمام البخاري في صحيحة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال : حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله . (٣٠)

(١٣) تنظيم أوقات التعلم مخافة ملل المتعلم :

كان عبد الله بن مسعود يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما إنه يمنعني من ذلك أنني أكره أن أملككم، وإنني أتخولكم بالموعة، كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتخولنا بها مخافة السامة علينا . (٣١)

(٢٧) أخرجه البخاري (١ / ٢٩) برقم ١٢٠٠ . باب إطعام الطعام من الإسلام .

(٢٨) أخرجه البخاري (١ / ٦٢) برقم ١١٣ . باب كتابة العلم .

(٢٩) أخرجه البخاري (١ / ٦٤) برقم ١١٨ . باب حفظ العلم .

(٣٠) أخرجه البخاري (١ / ٦٧) برقم ١٢٧ . باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا .

(٣١) أخرجه البخاري (١ / ٥٠) برقم ٧٠ . باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة .

المبحث الرابع : مجال الوسائل التعليمية :

(١) العروض العملية المشاهدة :

ضرب الله تعالى في القرآن الكريم المثال العملي المشاهد لقبايل بن آدم حتى يذفن أخاه هابيل (٣٢)، قال الله تعالى ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُوَلِّئُكَ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (سورة المائدة: ٣٠-٣١)

وورد في السنة النبوية المطهرة أحاديث كثيرة تدل على استخدام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للأمثلة والعروض العملية المشاهدة (٣٣)، منها ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرمى على راحلته يوم النحر، ويقول لتأخذوا مناسككم؛ فإنني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه)) (٣٤).

وعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) (٣٥).

(٢) ضرب الأمثال :

القرآن الكريم حافل بذكر الأمثال التي تعد وسيلة لتقريب المسألة المعقدة أو المعضلة إلى الأذهان، وتوضيح ما أشكل فهمه إذ أنها تفيد الظهور والتأثير والتوضيح. (٣٦)

ومن هذه الأمثلة قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلَ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ (سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦)

(٣٢) محمد مقبل علميات وخالد القضاة : تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، صنعاء، وزارة التربية، ١٩٩٣م، ص ١٢ .

(٣٣) عبد الرحمن بن محمد بلعوص، مرجع سابق، ص ٤٥٢ .

(٣٤) أخرجه مسلم (٦٦٩/٢) برقم ١٢٧٩، باب استحباب رمي جمرة العقبة ركباً وبيان قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((لتأخذوا مناسككم)) .

(٣٥) أخرجه البخاري (٢٠٣/١) برقم ٦٣١، باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة والإقامة .

(٣٦) فؤاد عبد العزيز الشلهوب: المعلم الأول صلى الله عليه وآله وسلم قدوة لكل معلم ومعلمه، الرياض، دار القاسم، ١٩٩٧م، ص ١٠١ .

واستخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأمثال لتقريب المعاني والتأثير في نفوس السامعين، ومن ذلك ما رواه أبو موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة))(٣٧).

٣) عناصر الكون المادي : (٣٨)

ورد في القرآن الكريم استخدام الكون المادي كوسيلة تعليمية، وبخاصة آيات الله تعالى في الآفاق، وآياته سبحانه في النفس وذلك لإثبات وجوده وقدرته، وأنه خالق كل شيء ومدبره .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ سَرِيهَمَ عَيْنِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (سورة فصلت: ٥٣)، وقوله جل وعلا: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الذاريات: ٢١) .

وورد استخدام عناصر الفلك من سماء وشمس ونجوم وليل ونهار كوسيلة تعليمية في القرآن الكريم، ومن الآيات الدالة على ذلك، قول المولى جل شأنه ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَبَّيْنَاهَا وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (سورة ق: ٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رِوْسًا وَانْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ (سورة ق: ٦-٨)

واستخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الشمس والقمر في مواضع متعددة منها إثبات فضل العالم، فقد أخرج أبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ((من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة إلى أن قال وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب))(٣٩).

(٣٧) أخرجه البخاري (٤ / ١٧٧٨) برقم ٥٥٣٤ . باب المسك، ومسلم (٤ / ١٦٠٨) برقم ٢٦٢٨ . باب (استحباب مجالسة الصالحين . ومجانبة قراء السوء) .

(٣٨) عبد الرحمن بن محمد بلعوض . مرجع سابق، ص ٤٣٦ - ٤٣٧ و ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٣٩) أخرجه أبو داود (٣ / ٣١٧) برقم ٣٦٤١ . باب الحث على طلب العلم، والترمذي (٥ / ٤٨) برقم ٢٦٨٢ . باب ما جاء في فضل الصفة في العبادة .

وورد استخدام الحيوان في القرآن الكريم كوسيلة تعليمية، ومن ذلك قول الله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِسْمِ مَثَلِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الجمعة: ٥) .

واستخدم الرسول ﷺ الحيوان كوسيلة لتعلم أصحابه، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرناً، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر)) . (٤٠)

وورد استخدام الحياة النباتية في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها قول الله تعالى ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَعْمٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ زَرْقًا لَّيْبًا وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ (سورة ق: ٩-١١) .

واستخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم النبات كوسيلة تعليمية، ومن ذلك ما رواه أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة، طعمها طيب وريحها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كالتمر، طعمها طيب ولا ریح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كممثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كممثل الحنظلة طعمها مر ولا ریح لها. (٤١)

٤) القصص :

اعتنى القرآن الكريم بذكر القصص لما فيها من تسليية النفس وتقوية العزائم، وأخذ العبرة والعظة، ومعرفة أخبار الأمم الماضية، وحفظ الأحداث، وتعليم الناس وإرشادهم وتربيتهم . (٤٢)

فقد وردت في القرآن الكريم قصة آدم وقصة نوح والطوفان، وقصة هود وصالح مع قومهما، وقصة إبراهيم ولوط وشعيب، وقصة سليمان مع ملكة اليمن، وقصة يوسف... وغيرها من القصص الماثرة في سور القرآن العزيز، قال الله تعالى :

(٤٠) أخرجه البخاري (١ / ٢٦٤) برقم ٨٨١ . باب فضل الجمعة .

(٤١) أخرجه البخاري (٣ / ١٦١٨) برقم ٥٠٢٠ . باب فضل القرآن على سائر الكلام .

(٤٢) فؤاد عبد العزيز الشلهوب، مرجع سابق، ص ٩٨-١٠٠ .

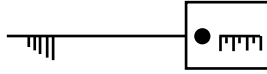
﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة يوسف: ١١١) .

وليست القصة حصراً على القرآن المجيد، وإنما نجد السنة النبوية المطهرة مملوءة بالقصص، وقد استخدمت للتعليم والتربية، منها قصة الرحمة بالحيوان، وقصة الثلاثة (الأعمى والأبرص والأقرع) الذين أتاهم الملك، وقصة الثلاثة الذين لجؤوا إلى غار فانطبقت عليهم صخرة في ذاك الغار، وغير ذلك من القصص الموجودة في دواوين الحديث الشريف .

٥) الرسم والتخطيط :-(٤٣)

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطاً مربعاً، وخط خطأً في الوسط خارجاً منه، وخط خطأً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط - وفي رواية من جانبه - فقال: هذا الإنسان وهذا أجل محيط به أو قد أحاط به وهذا الذي خارج أمه، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطاه هذا نهشه هذا، وإن أخطاه هذا نهشه هذا . (٤٤)

ورسمه الحافظ ابن حجر في الفتح هكذا :



وقال: (الإشارة بقوله: هذا الإنسان إلى النقطة الداخلية، وبقوله وهذا أجله محيط به إلى المربع، وبقوله وهذا الذي هو خارج أمه إلى الخط المستطيل خارج المنفرد، وبقوله: هذه إلى الخطوط وهي مذكورة على سبيل المثال، لا أن المراد انحصارها في عدد معين). (٤٥) ؛ واستخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسماً توضيحياً لطريق الخير والشر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخط خطأً هكذا أمامه، يعني في الرمل . فقال: هذا سبيل الله عز وجل، وخطين عن يمينه وخطين عن شماله مائلين، وقال: هذا سبيل الشيطان ثم وضع

(٤٣) عبد الوهاب عبد السلام طويلة: التربية الإسلامية وفن التدريس، القاهرة، دار السلام، ١٩٩٧م ص ١٦٩-١٧٠ .

(٤٤) أخرجه البخاري (٤ / ٢٠١٧) برقم ٦٤١٧، باب في الأمل وطوله .

(٤٥) أحمد علي العسقلاني، ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المنصورة، مكتبة الإيمان، (ب.ت) (١١ / ٢٨٨) .

يده في الخط الأوسط، وتلا قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (سورة الأنعام: ١٥٣) (٤٦)

٦) الرحلات التعليمية: (٤٧)

ورد استخدام الرحلات العلمية في القرآن الكريم كوسيلة للتعلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَأَفْهٍ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢) : وفي موضع آخر يقول الله - عز وجل: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ (٨١) أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آغَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (غافر: ٨١-٨٢) .

٧) الحركات والإشارات: (٤٨)

استخدم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الحركات والإشارات للفت النظر وتبنيه الغافل، وقد كانت أوقع أثراً في نفوس السامعين، وللحركات والإشارات صور متعددة منها تغيير ملامح وجهه، وتغيير جلسته، والإشارة بالإصبع، والإشارة باليد . ومن الأمثلة على تغيير ملامح وجهه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم، ما أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب أحمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول : صبحكم ومساكم ... (٤٩)

ومن الأمثلة على تغيير جلسته صلى الله عليه وآله وسلم حديث أبي بكرة عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً : الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور، وكان رسول الله متكئاً فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت)) . (٥٠)

(٤٦) رواه احمد (٣ / ٣٩٧) برقم ١٥٣١٢ .

(٤٧) عبد الرحمن محمد بلعوض، مرجع سابق، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٤٨) عبد الرحمن محمد بلعوض، المرجع السابق، ص ٤٦٣-٤٦٥ وعبد السلام عبد الوهاب طويلة، مرجع سابق، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٤٩) (٢ / ٤٩٦) برقم ٨٦٧، باب تخفيف الصلاة والخطبة .

(٥٠) أخرجه مسلم (١ / ٨٨) برقم ٧٨، باب الكبائر وأكبرها .

ومن الأمثلة على الإشارة بالإصبع، ما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً)) (٥١)

ومن الأمثلة على الإشارة باليد حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((يقبض العلم ويظهر الجهل والفتن ويكثر الهرج قيل يا رسول الله ما الهرج ؟ فقال بيده فحرفها، كأنه يريد القتل)) (٥٢).

المبحث الخامس : مجال الأنشطة التعليمية

١) الزجر والإنشاد والحداء :

عن أنس رضي الله عنه قال: جعل المهاجرين والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، و ينقلون التراب على متونهم ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يجيبهم ويقول: (اللهم أنه لا خير إلا خير الآخرة،

فبارك في الأنصار والمهاجرة (٥٣).

وعن البراء رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الأحزاب ينقل التراب - وقد وارى التراب بياض بطنه - وهو يقول :

لولا أنت ما اهتدينا ولا تصددقنا ولا صالينا

فأنزلن سكينه علينا وثبتت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا (٥٤)

وهذا خبيب بن عدي رضي الله عنه، في الحديث الذي أخرجه البخاري في

صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه : (..... أنه أنشأ يقول قبل قتله :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي شق كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشاء يبارك على أوصال شلو ممزع (٥٥)

(٥١) أخرجه البخاري (١٧٠٨ / ٤) برقم ٥٣٠٤، باب اللعان .

(٥٢) أخرجه البخاري (١ / ٥٤ - ٥٥) برقم ١٨٥، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس .

(٥٣) أخرجه البخاري (٨٧٧/٢) برقم ٢٨٣٥، باب حفر الخندق .

(٥٤) أخرجه البخاري (٨٧٨/٢) برقم ٢٨٣٧، باب حفر الخندق .

(٥٥) (١٢٤٧/٢) برقم ٤٠٨٦، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان وبئر معونة .

وذكر الحافظ أبو حجر في الفتح أن ابن أبي الدنيا في كتابه (محاسبة النفس) قال : أن عبد الله بن راحة في غزوة مؤتة بعد أن أخذ اللواء عقب استشهاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وزيد بن حارثة رضي الله عنه قاتل فأصيب إصبعه فارتجز وجعل يقول :

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت إن تفعلني فعلهما هديت^(٥٦)
وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ينشد ويرتجز رداً على مرحب اليهودي في غزوة خيبر :

أنا الذي سميتي أمي حيدرة كليث غابات كريبه المنظرة
أوفيهم بالصاع كيل السندرة^(٥٧)

٢) الزيارات الميدانية :-

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: ((استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت)). (٥٨)
وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحجر - مساكن ثمود - فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين، حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم، ثم زجر فأسرع حتى خلفها)) (٥٩).

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يزور كل سبت مسجد قباء، فعن ابن عمر قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً أو راكباً. (٦٠)

(٥٦) (١٠/٦٦٤-٦٦٣).

(٥٧) أخرجه مسلم (٣/١١٤٧) برقم ١٨٠٧، باب غزوة ذي قرد وغيرها .

(٥٨) أخرجه مسلم (٢/٥٥٩) برقم ١٩٧٦، باب استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه - عز وجل - زيارة قبر أمه .

(٥٩) أخرجه مسلم (٤/١٨٠٨) برقم ٢٩٨٠، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين .

(٦٠) أخرجه البخاري (١/٣٥٤) برقم ١١٩٣، باب من أتى مسجد قباء كل سبت .

(٣) المسابقة :

عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سابق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الخيل التي قد أضمرت، فأرسلها من الحفيا، وكان أمدها ثنية الوداع، فقلت لموسى، فكم كان بين ذلك، قال ستة أميال أو سبعة، وسابق بين الخيل التي لم تضممر، فأرسلها من ثنية الوداع، وكان أمدها مسجد بني زريق . قلت : فكم بين ذلك ؟ قال ميلٌ أو نحوه، وكان ابن عمر ممن سابق فيها . (٦١)

(٤) الألعاب المباحة :

عن عائشة - أم المؤمنين - رضي الله عنها، قالت : (لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم) . (٦٢)

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله : واللعب بالحرايب ليس لعباً مجرداً، بل فيه تدريب الشجعان على مواقع الحروب واستعداد للعدو. (٦٣)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت : (كنت أَلعب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان لي صواحب يلعب معي، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل يتقمعن منه فيسرنَّ بهنَّ إلى فيلعبن معي) . (٦٤)

المبحث السادس: مجال التقويم التربوي

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريقة للتقويم وأسلوب للتغيير :

قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠). وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤). وقال تعالى: ﴿ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٣٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقَوْنَ ﴾ (١٣٤)

(٦١) أخرجه البخاري (٨٨٦/٢) برقم ٢٨٧٠، باب غاية السباق للخيل المضمرة .

(٦٢) أخرجه البخاري (١٥٩/١) برقم ٤٥٤، باب أصحاب الحرايب في المسجد .

(٦٣) مرجع سابق (٧٣١/١) .

(٦٤) أخرجه البخاري (١٩٣١/٤) برقم ٦١٣٠، باب الانبساط إلى الناس .

فَلَمَّا سَأُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجْمَعًا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ يَمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ (الأعراف: ١٦٣ - ١٦٥).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ((من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان)) .^(٦٥)

وعن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذي في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجو جميعاً)) .^(٦٦)

٢) اختبار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه :

كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يطرح المسألة على أصحابه - رضوان الله عليهم - ليختبر ما عندهم من العلم والفقه ، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ((إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وأنها مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ قال : فوق الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : فوق في نفسي أنها النخلة ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : هي النخلة))^(٦٧) .

المبحث السابع : مجال الإشراف التربوي والتعليمي :

١) الإشراف الإلهي على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منذُ صباه تحت الرعاية الإلهية والعناية الربانية ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك أحسن تعبير ، قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ (الضحى: ٦-٨) .

(٦٥) أخرجه مسلم (١ / ٧١) برقم ٤٩ ، باب كون النبي عن المنكر من الإيمان .

(٦٦) أخرجه البخاري (٢ / ٤٧٩ - ٧٥٠) برقم ٢٤٩٣ ، باب هل يُقرع في القسمة والإسهام فيه .

(٦٧) أخرجه البخاري (١ / ٤٦) برقم ٦٢ ، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم .

إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد يجتهد، وهنا يتدخل الوحي الإلهي، مصححاً ومقوماً ما صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم (٦٨)، قال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُرَىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَا مِنْ سَاعَتَيَّ (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَا يَرَىٰ (٧) وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْفَىٰ (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠)﴾ (عبس: ١ - ١٠)

وقال الله - جل وعلا: ﴿مَا كَانَتْ لِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُخْرِجَ فِي الْأَرْضِ تَرْيُدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٧). هذه معاتبة من الله تعالى لرسوله وللمؤمنين يوم بدر، إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء، وكان رأي عمر بن الخطاب في هذا الحال قتلهم واستئصالهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية (٦٩) وبهذا يتضح أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما حاد اجتهاده عن الصواب، إلا تدخل الوحي لإرشاده إلى سواء السبيل، وهذا التوجيه والإرشاد والإشراف جعل منه الأنموذج السامي الذي يقتدى به (٧٠)

٢) الإشراف التربوي والتعليمي للرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه : يتجلى ذلك في الكثير من المواقف والأحداث، ومنها :

عن معاوية بن الحكم السلمي - رضي الله عنه - قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت : يرحمك الله . فرماني القوم بأبصارهم، فقلت : واثكل أميأه، ما شأنكم تنظرون إليّ . فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمِتُونِي لَكِنِّي سَكَتُ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن منه، فوالله ما كهربي، ولا ضربني، ولا شتمني، قال : ((إن هذه الصلاة لا يصح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن)) (٧١) .

وهذه صورة أخرى لتوجيهه لأصحابه تتجلى فيها أرقى درجات التربية، فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(٦٨) المكي أفلانية : النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، العدد (٣٤) قطر، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٩٩٢، ص ١١٢ .

(٦٩) عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣، ص ٣٣٨ .

(٧٠) المكي أفلانية، مرجع سابق، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٧١) أخرجه مسلم (٣١٨ / ١) برقم ٥٣٧، باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحتها .

وآله وسلم : مه مه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا تزرموه ، دعوه)) فتركوه حتى بال ، ثم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه ، فقال له : ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيءٍ من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله - عز وجل - والصلاة وقراءة القرآن)) أو كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلوٍ من ماءٍ فشنه عليه (٧٢) .

وفي رواية البخاري قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((دعوه وهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)) .

المبحث الثامن : مجال صفات المعلم وسماته

١) الإخلاص لله تعالى في العلم والعمل :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ((...ورجلٌ تعلم العلم، وقرأ القرآن، فأتي به، فعرفه نعمه، فعرفها، فقال : ما علمت فيها . قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال : كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئٌ فقد قيل، ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقي في النار ...)) (٧٣) .

وعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ((إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه)) (٧٤) .

٢) صدق المعلم :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩).
وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى

(٧٢) أخرجه البخاري (٩٢ / ١) برقم ٢٢٠. باب صب الماء على البول في المسجد، ومسلم (١ / ١٩٩). باب وجوب غسل البول وغیره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، واللفظ له .

(٧٣) أخرجه مسلم (٣ / ١٢٠٢ - ١٢٠٣) برقم ١٩٠٥. باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار .

يكتب عند الله صديقاً، وإنَّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنَّ الفجور يهدي إلى النار، وإنَّ الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً)) (٧٥) .

٣) مطابقة القول بالعمل :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (الصف: ٢-٣) .

ومن الأمثلة على ذلك من السنة النبوية المطهرة ما وقع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين معه في قصة الحديبية، فعندما صالح المشركون المسلمين على شروط معينة، ومنها أن يرجع المسلمون من عامهم هذا عن مكة ويحجوا في عامهم المقبل، فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((قوموا فانحروا، ثم احلقوا)) فو الله ما قام منهم رجلٌ واحد حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل صلى الله عليه وآله وسلم على أم سلمة - رضي الله عنها - فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعوا حلقاً فيحلقك، فقام، فخرج، فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حلقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك، قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً^(٧٦).

٤) العدل والمساواة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠). وقال أيضاً: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى: ١٥). وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (الأنعام: ١٥٢). وعن النعمان بن بشير قال : تصدق عليّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فانطلق أبي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يشهده على صدقتي، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(٧٥) أخرجه البخاري (١٩٢٣/٤) برقم ٦٠٩٤. باب قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

(٧٦) وما ينهى عن الكذب، ومسلم (١٥٩٧/٤) برقم ٢٦٠٧. باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله .

(٧٦) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: كامل محمد عويضة، صنعاء، مكتبة خالد بن الوليد، ٢٠٠٣، (٢١١/٢).

((أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا . قال: اتقوا الله واعدلوا في أولادكم)) فرجع أبي فرد تلك الصدقة(٧٧).

٥ التحلي بالأخلاق الفاضلة والحميدة :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : ((كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه بردٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته .، قال : يا محمد، مُرّ لي من مال الله الذي عندك . فالتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ضحك، ثم أمر له بعتاء))^(٧٨).

٦ الصبر واحتمال الغضب :

ضرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أروع الأمثلة في احتمال الأذى وعدم الغضب والصبر، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قسماً، فقال رجلٌ: إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قال : فأتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فساررتة، فغضب من ذلك غضباً شديداً واحمر وجهه حتى تمنيت أنني لم أذكره له، قال: ثم قال : (قد أودى موسى بأكثر من هذه فصبر)^(٧٩).

٧ - تواضع المعلم :

أمر الرسول ﷺ بالتواضع، فقال: ((إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ))^(٨٠).

خاتمة :

بعد هذا العرض للمبادئ التربوية والأساليب والوسائل التعليمية التي استخدمها الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة، و التعليم والتعلم والإرشاد في مجالات :

(٧٧) أخرجه البخاري (٢ / ٧٨١) برقم ٢٥٨٧، باب الأشهاد في الهبة، ومسلم (٣ / ١٠٠٦) برقم ١٦٢٣، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة، واللفظ له .

(٧٨) أخرجه البخاري (٤ / ١٨٥٥) برقم ٥٨٠٩، باب البرود والحيرة والشملة .

(٧٩) أخرجه البخاري (٢ / ١٠٥٦) برقم ٣٤٠٥، باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، ومسلم (٢ / ٦٠٨) برقم ١٠٦٢، باب إعطاء المؤلف قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، واللفظ له .

(٨٠) أخرجه مسلم (٤ / ١٧٤٢) برقم ٢٨٦٥، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(الأهداف التعليمية، المحتوى التعليمي، طرائق التدريس، الوسائل التعليمية، الأنشطة التعليمية، التقويم التربوي، الإشراف التربوي، صفات المعلم) يتبين جلياً واضحاً سبق هذه المصادر العظيمة، وأعني بها (القرآن والسنة)، للنظريات التربوية في التأكيد على ضرورة مراعاة هذه المبادئ والأساليب و الوسائل التعليمية في عمليتي التعليم و التعلم للارتقاء بها وتطويرها وتحسينها، وهو أمر مهم ينصب في محاولة بناء نظرية تربوية إسلامية .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .

أولاً : المصادر :

- الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : صحيح مسلم، بيروت، دار ابن حزم، ١٩٩٥م .
- ابن قيم الجوزية : زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق : كامل محمد عويضة، صنعاء، مكتبة خالد بن الوليد، ٢٠٠٣م .
- الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، المكتبة العصرية، ١٩٩٧م .
- أحمد بن حنبل الشيباني: المسند، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .
- أحمد علي العسقلاني، المعروف بابن حجر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المصورة، مكتبة الإيمان، (ب . ت) .
- سليمان بن الأشعث السجستاني، المعروف بأبي داوود : سنن أبو داوود، إعداد وتعليق : عزت بن الرعاس، وعادل السيد، حمص، دار الحديث، ١٩٧٣م .
- عبد الرحمن بن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣م .
- عماد الدين أبي الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي : مختصر تفسير ابن كثير، اختصره (أحمد بن شعبان أحمد ومحمد بن عيادي بن عبد الحليم)، القاهرة، دار الصفاء، ٢٠٠٣م .
- محمد بن عيسى بن سورة، المعروف بالترمذي : سنن الترمذي، تحقيق : أحمد محمد شاكر، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ب . ت) .

ثانياً : المراجع

- المكي اقلانية النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، العدد (٣٤)، قطر، وزارة الشؤون الإسلامية، ١٩٩٢م .
- توفيق مرعي ومحمد الحيلة : تفريد التعليم، عمان، دار الفكر، ١٩٩٨م .
- عبد الرحمن محمد بلعوض: الوسائل التعليمية في القرآن الكريم والسنة والآثار عن الصحابة، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد (١٣)، الرياض، ١٩٩٥م .
- عبد الوهاب عبد السلام طويلة: التربية الإسلامية وفن التدريس، القاهرة، دار السلام، ١٩٩٧م .
- فؤاد عبد العزيز الشلهوب: المعلم الأول صلى الله عليه وآله وسلم قدوة لكل معلم ومعلمة، الرياض، دار القاسم، ١٩٩٧م .
- محمد السيد أرناؤوط : الإسلام والتربية البيئية، القاهرة، دار الأمل، ٢٠٠٠م .
- محمد مقبل عليّات وخالد القضاة : تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، صنعاء، وزارة التربية، ١٩٩٣م .

**العوامل المؤثرة على دور المراجع
الداخلي تجاه إدارة المخاطر في
المصارف اليمنية**

**The Charismatic Factors on Role of Internal Auditor in
Risk Management in Yemeni Banks**

د. أحمد عبد الله العمودي

أستاذ مساعد في قسم المحاسبة - كلية العلوم الإدارية - جامعة حضرموت

د. سالم عبد الله بن كليب

أستاذ مساعد في قسم المحاسبة كلية العلوم الإدارية و المالية - جامعة الريان



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

العوامل المؤثرة على دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر في المصارف اليمينية

المخلص :

- هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الاهتمام بإدارة المخاطر في المصارف اليمينية، ودور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر في المصارف، ودراسة العوامل المؤثرة على قيام المراجع بدوره تجاه إدارة المخاطر وفقاً لما تمليه المعايير المهنية. ولتحقيق هذه الأهداف قسمت الدراسة إلى شقين مثل الشق الأول جانب التأصيل النظري لمشكلة البحث، من خلال الدراسة التحليلية لأهم الآراء حول الموضوع، واشتمل على مدخل عن المراجعة الداخلية وتطور أدوارها فيما يتعلق بتقييم إدارة المخاطر. أما الشق الثاني فيمثل الدراسة الميدانية من خلال توزيع استبيان على مراجعي الحسابات الداخليين في المصارف اليمينية، وبلغت الاستبيانات الموزعة (٦٢) استبيان استرد منها (٥٣) صالحة للتحليل، وبعد تحليل ردود المراجعين توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:
- (١) يتأثر دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر بالعوامل التنظيمية للمراجع الداخلي في المصرف.
 - (٢) يتأثر دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر بالعوامل الشخصية للمراجع الداخلي.
 - (٣) إن العوامل التنظيمية أكثر تأثيراً على دور المراجع الداخلي من العوامل الشخصية.
 - (٤) إن المراجع الداخلي في المصارف اليمينية يرى أنه يقوم بدوره تجاه إدارة المخاطر بنسبة ٧٧٪ بالشكل الذي تقتضيه متطلبات المهنة. ولكنه في نفس الوقت يقوم بمهام تخل بهذا الدور إلى جانب الضعف في القيام بمهام هامة يتوجب القيام بها.

Abstract

The study aimed to knowledge of advertence extent by risk management in banks, Role of internal auditor in risk management in banks, Studying the charismatic factors on internal auditor executing of his role in risk management according to the standards and profession requisites.

The study consists of an introduction and two chapters. The first chapter deals with the theoretic side of subject , The second chapter deals with the field side of the study. A questionnaire was designed and distributed to a sample of (62) internal auditors in Yemeni banks, The researcher managed to get back (53) form of the questionnaire.

After analyzing the data, the study showed the following results:-

- 1- The organizational factors are effecting on internal auditor role in risk management in bank.
- 2- The personal factors of internal auditor are effecting on internal auditor role in risk management in bank.
- 3- The organizational factors are effecting on internal auditor role in risk management more than the personal factors.
- 4- The internal auditor conceive that he execute of his role in risk management according to the standards and profession requisites at rate 77%. But he execute another tasks infract by this role and there are weakness in executing important tasks.

تمهيد

أصبح من الضروري مراقبة مستوى المخاطر التي تحيط بالعمل، ووضع الإجراءات الرقابية اللازمة للسيطرة على تلك المخاطر والآثار السلبية لها، وإدارتها بطريقة سليمة من أجل مواكبة التطور والمنافسة الشديدة، وجاء تطور مفاهيم المراجعة الداخلية في المؤسسات المصرفية ليعكس هذه التطورات والاحتياجات الخاصة؛ إذ أصبح المراجع الداخلي مصدرًا استشاريًا وتوجيهيًا يساعد إدارة المصرف في تحملها مسؤوليات إدارة المخاطر، وتقليل المخاطر إلى حدود مقبولة.

ويمكن القول أن معرفة المخاطر وتقييمها وإدارتها هي من العوامل الرئيسية في نجاح المصارف وازدهارها وتحقيقها لأهدافها، فإذا كان الدخول في المخاطرة المقصود به الحصول على أرباح أعلى إلا أن عدم إدارة هذه المخاطر بطريقة علمية صحيحة قد يؤدي إلى فقدان العائدات وال فشل في تحقيق الأهداف الإستراتيجية للمصرف.

وقد ظهرت الحاجة الملحة لبناء أدوات وعمليات خاصة تهدف إلى إدارة مخاطر المصرف، وبدأت المصارف بوضع برامج خاصة لإدارة المخاطر التي يمكنها أن تقدم الأمن والسلامة للمصرف. وفي دراستنا هذه سنتناول دور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر التي تتعرض لها المصارف، والعوامل التي تؤثر على هذا الدور وذلك من وجهة نظر المراجعين الداخليين في المصارف اليمنية.

مشكلة الدراسة

إن تعاظم دور المراجع الداخلي في الفهم الصحيح لإدارة المخاطر المصرفية، والتقييم الذاتي لها، وإجراءات الرقابة عليها، يتطلب معرفة هذا الدور تجاه المخاطر التي تتعرض لها المصارف في اليمن، والعوامل المؤثرة فيه، ويمكن تلخيص مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- ١- ما دور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر وفقا للمتطلبات المهنية؟
- ٢- هل يقوم المراجع الداخلي بدوره في إدارة المخاطر في المصارف اليمنية؟
- ٣- ما هي العوامل المؤثرة في قيام المراجع الداخلي بدوره نحو إدارة المخاطر في المصارف؟

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة من أهمية المصارف للاقتصاد ودورها في التنمية، فبانهيار المصارف تنهار اقتصاديات الدول، وبقوة المصارف يقوى الاقتصاد وتنتعش التنمية، ولما للمخاطر من تأثير على المصارف وتنوع المخاطر التي تتعرض لها، برزت أهمية دراسة دور المراجع الداخلي في إدارة هذه المخاطر والتغلب عليها، ومن المأمول أن تحقق هذه الدراسة الآتي: -

- 1- مساعدة المصارف في التعرف على أهم أدوات إدارة المخاطر التي تعترض نشاطها وسبل السيطرة عليها.
- 2- مساعدة المصارف في معرفة أهمية دور المراجع الداخلي تجاه إدارة هذه المخاطر، وأهميته تجاه مساعدة الإدارة العليا للمصرف والإدارات المختلفة في تفادي المخاطر وتعظيم الأرباح.

أهداف الدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي: -

- 1- التعرف على مستوى الاهتمام بإدارة المخاطر في المصارف اليمينية.
- 2- دراسة دور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر في المصارف.
- 3- دراسة العوامل المؤثرة على قيام المراجع بدوره تجاه إدارة المخاطر وفقا لما تملية المعايير المهنية.

فرضيات الدراسة

من خلال استعراضنا لأهداف ومشكلة الدراسة يمكن صياغة الفرضيات الآتية: -

- 1- تؤثر العوامل التنظيمية للمراجع الداخلي على دوره تجاه إدارة المخاطر في المصارف.
- 2- تؤثر العوامل الشخصية للمراجع الداخلي على دوره تجاه إدارة المخاطر في المصارف.
- 3- لا يقوم المراجع الداخلي في المصارف اليمينية بدوره تجاه إدارة المخاطر وفقا لما تقتضيه متطلبات مهنة المراجعة الداخلية.

منهجية الدراسة

قسمت الدراسة إلى شقين: -

- يمثل الشق الأول جانب التأصيل النظري لمشكلة البحث، من خلال الدراسة التحليلية لأهم الآراء حول الموضوع، واشتمل على مدخل عن المراجعة الداخلية وتطور أدوارها، وإدارة المخاطر.
- أما الشق الثاني، فيمثل الدراسة الميدانية، وسيستخدم المنهج الوصفي في تحليل آراء عينة من المراجعين الداخليين في المصارف اليمنية حول متغيرات الدراسة.

مجتمع وعينة الدراسة

استهدفت الدراسة دور المراجع الداخلي في المصارف في تقييم إدارة المخاطر، ومن المنطقي أن يكون مجتمع الدراسة هم المراجعين الداخليين في هذه المصارف؛ لذا يتكون مجتمع الدراسة من المراجعين الداخليين في المصارف اليمنية، وعددهم ١٤ مصرفاً يمينياً لها حوالي ٢٣٦ فرعاً في مختلف المحافظات (١). اختيرت عينة من مجتمع الدراسة تتكون من ٦٢ فرعاً.

أداة الدراسة

اعتمد الباحث على مصدرين لجمع البيانات هما:

المصادر الثانوية لجمع المادة العلمية للجانب النظري من الدراسة اعتمد على الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة في الكتب والدوريات والأبحاث والنشرات والمواقع الالكترونية العربية والأجنبية، ومعايير المراجعة الداخلية بالإضافة إلى الوثائق الحكومية والقوانين والأنظمة ذات الصلة.

المصادر الأولية لجمع بيانات الدراسة الميدانية تم تصميم استبانة مكونة من جزأين، اشتمل الجزء الأول على البيانات الشخصية لأفراد العينة من المؤهل العلمي، والخبرة العملية، والمركز الوظيفي، والشهادة المهنية التي يحملها المراجع.

بينما اشتمل الجزء الثاني على ٤٣ فقرة مقسمة إلى ثلاثة مجالات لقياس فرضيات الدراسة، تم تصميمها بناء على متطلبات معايير المراجعة الداخلية وكذا الدراسات

(١) البنك المركزي اليمني، التقرير السنوي ٢٠١١ م http://www.centralbank.gov.ye/App_Upload/Annl_rep2011_ar.pdf

السابقة، وأعطيت لكل سؤال خمسة بدائل من الإجابات وفقاً لمدرج ليكرت من غير موافق بشدة إلى موافق بشدة، وأعطى لكل سؤال وزن يتدرج من واحد حتى خمسة. بلغت عدد الاستبيانات الموزعة ٦٢ استبيان، بينما بلغت الاستبيانات المستردة والصالحة للتحليل ٥٣ استبيان، وتحليل البيانات التي جمعت، واختبار فرضيات الدراسة، تمت الاستفادة من الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) Statistical Package for Social Sciences، واستخدم عدد من الأساليب الإحصائية من أجل توظيف البيانات المجمعة لخدمة أغراض الدراسة.

الدراسات السابقة

توجد بعض الدراسات العربية والأجنبية النادرة التي تناولت بعض جوانب هذه الدراسة، لكن لا توجد دراسة حسب علم الباحث تناولت الموضوع في الجمهورية اليمنية، أو تناولته كما عرضه الباحث، وفيما يلي ملخص لهذه الدراسات:

(١) دراسة رضوان (٢٠١٢)^(٢): هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى تأثير المراجعة الداخلية في إدارة المخاطر المصرفية في البنوك التجارية بقطاع غزة وفقاً لمعايير المراجعة الدولية، ولتحقيق أهداف هذه الدراسة تم تصميم استبانة مكونة من أربعة محاور، وزعت على المراجعين الداخليين في المصارف التجارية في قطاع غزة البالغ عددها (33). وكان من أهم نتائج الدراسة: وجود دلالة إيجابية بين تطبيق معايير السمات من قبل أجهزة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الفلسطينية وبين إدارة المخاطر المصرفية. ووجود دلالة إيجابية بين تطبيق معايير الأداء من قبل أجهزة المراجعة الداخلية في المصارف التجارية الفلسطينية وبين إدارة المخاطر المصرفية. ووجود دلالة إيجابية بين دور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر المصرفية ومدى إدراكه لآليات تطبيقها.

(٢) دراسة المدهون (٢٠١١)^(٣): هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على دور المراجع الداخلي في تفعيل إدارة المخاطر في المصارف العاملة في قطاع غزة، حيث أعدت استبيان وتم توزيعها على مجتمع الدراسة البالغ عدده (50) مراجعاً داخلياً، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها: وجود وعي لدى المراجع الداخلي

^(٢) رضوان، إهاب ديب، "أثر المراجعة الداخلي على إدارة المخاطر في ضوء معايير المراجعة الدولية (دراسة حالة البنوك الفلسطينية في قطاع غزة)"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١٢.

^(٣) المدهون، إبراهيم رباح، "دور المراجع الداخلي في تفعيل إدارة المخاطر في المصارف العاملة في قطاع غزة، (دراسة تطبيقية)"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١١.

بأهمية دوره في تفعيل إدارة المخاطر، كما يدرك أهمية وجود نظام محكم لأعمال المراجعة الداخلية، وأهمية قيامه بمراقبة وتقييم نظام إدارة المخاطر القائم في المصرف، توصلت الدراسة أيضاً إلى أنه ليس من مهام المراجعة الداخلية تحديد المخاطر وإدارتها وإنما دوره يتمثل في تقديم الاستشارات والتوصيات بشأن إدارة المخاطر، ولابد من وجود تنسيق بين المراجعة الداخلية وإدارة المخاطر لضمان سير العمل بكفاءة في المصرف.

٣) دراسة جمعة والبرغوثي (٢٠٠٧)^(٤) : هدفت الدراسة لقياس مدى قيام المراجع الداخلي بدوره في إدارة المخاطر في البنوك التجارية الأردنية، من خلال توزيع استبيان على ١٢٨ مراجع داخلي تضمنت ٣٠ عبارة، قسمت إلى خمس مجموعات، بالاعتماد على ما صدر عن لجنة رعاية التنظيمات الإدارية COSO . وتوصلت الدراسة إلى: قيام المراجع بالتعرف على أنشطة الرقابة بمستوى (٩٦٪)، وقيامه بالتعرف على بيئة الرقابة بمستوى (٩٢٪)، ثم تحديد وتقييم المخاطر وإجراءات الاستجابة لها بمستوى (٩١٪)، وإجراء الاتصالات وتجميع المعلومات بمستوى (٨٩٪) وأخيراً الإجراءات اللازمة لمراقبة فعالية إدارة المخاطر بمستوى (٨٨٪).

٤) دراسة معهد المراجعة الداخلية البريطاني (٢٠٠٤)^(٥) : هدفت الدراسة إلى بيان الطرق المستخدمة من قبل المراجعين الداخليين للحفاظ على الموضوعية والاستقلالية التي تتطلبها المعايير الدولية للمراجعة الداخلية الخاصة بالممارسات المهنية عند تقديم الخدمات التوكيدية والاستشارية من قبل المراجعين الداخليين. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: أن إدارة المخاطر هي العنصر الأساسي في الحوكمة، وأن الإدارة هي المسؤولة عن وضع وتشغيل إدارة المخاطر، وأن الدور الأساسي للمراجعة الداخلية في إدارة المخاطر هو تقديم التوكيد إلى الإدارة العليا ومجلس الإدارة حول فعالية إدارة المخاطر.

٥) دراسة William (٢٠٠٣)^(٦) : طرقت هذه الدراسة إلى دور وظيفة المراجعة الداخلي في إضافة قيمة للمشروع من خلال تأكيدها على عملية التقييم الذاتي للمخاطر،

^(٤) جمعة، أحمد حلي. والبرغوثي، سمير، "دور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر في البنوك التجارية الأردنية دراسة ميدانية" بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي السابع، إدارة المخاطر واقتصاد المعرفة، المحور الثامن \، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧/٤/١٨ م.

^(٥) The Institute of Internal Auditors UK and Ireland. " The Role of Internal Auditors in Risk Management " . 2004

^(٦) William R. Kinney, Jr. (2003) , Auditing Risk Assessment and Risk Management Processes , The Institute of Internal Auditors Research Foundation copyright by IIA , 247.

وأكدت الدراسة على أن توفير فريق من الأشخاص يركزون على التقييم الذاتي للمخاطر وزيادة الوعي بتأثير الموظفين في تحقيق الأهداف المرسومة للمشروع، وعند التخطيط للرقابة على المخاطر يجب أن يتم تقييم مستوى كل خطر وتحديد الرقابة المناسبة لتخفيف المخاطر وتحديد مستوى الخبرة المطلوبة لتنفيذ تلك الأنشطة.

٦) دراسة Simmons, 1997^(٧): هدفت الدراسة الى تحديد مدى مساهمة المراجعة الداخلية في تحقيق أهداف المنظمة. وأوضحت أن التطورات المستمرة في بيئة النشاط، أدت إلى تغير دور المراجع الداخلي، كنتيجة لتوسيع النطاق التقليدي للمراجعة الداخلية، بإضافة مجالين جديدين هما:

- التقييم الشامل للمخاطرة سواء تمثلت في المخاطر الإستراتيجية المتعلقة بالوحدة الاقتصادية ككل والتي تؤثر في قدرتها على تحقيق أهدافها العامة. أو مخاطر العملية والتي تؤدي إلى عدم تحقيق الأنشطة الفرعية لأهدافها المحددة من قبل الإدارة. أو المخاطرة المالية التي تؤدي إلى التأثير السلبي على التوازن المالي بسبب الرقابة غير الفعالة أو غير المناسبة.

- توصيل النتائج الهامة للإدارة العليا والإدارات التنفيذية المسؤولة.

مدخل عن المراجعة الداخلية وتطور أدوارها في تقييم إدارة المخاطر

أولاً: المراجعة الداخلية وأهدافها ومهامها

لقد تعددت التعريفات التي تناولت المراجعة الداخلية وتطورت بحسب التطور الذي لحق بهذه الوظيفة، وأبرزها ما صدر عن معهد المراجعين الداخليين (IIA)، ففي عام ١٩٦٤ تم اعتماد دليل تعريف المراجعة الداخلية: على أنه مراجعة (review) للأعمال والسجلات، تتم داخل المنشأة بصفة مستمرة أحياناً، وبواسطة موظفين متخصصين لهذا الغرض ويختلف نطاق وأهداف المراجعة الداخلية من منشأة إلى أخرى طبقاً لحجم ونوع نشاط المنشأة.

وفي عام ١٩٩٦م تم صياغة دليل جديد لتعريف المراجعة الداخلية من قبل معهد المراجعين الداخليين على أنه نشاط نوعي، استشاري وموضوعي مستقل داخل المؤسسة مصمم لمراجعة وتحسين إنجاز أهداف المؤسسة من خلال التحقق من اتباع السياسات

^{٧)} Simmons, M. R.: "COSO Based Auditing", Internal Auditor, Vol. 54, December 1997, pp. 68-73.

والخطط والإجراءات الموضوعية واقتراح التحسينات اللازم إدخالها حتى تصل إلى درجة الكفاية الإنتاجية القصوى (٨).

ومن ثم بدأ التوجه نحو دليل جديد لتعريف المراجعة الداخلية من قبل معهد المراجعين الداخليين الأمريكي حيث عرف المراجعة الداخلية في عام ١٩٩٩ بأنه «نشاط توكيد واستشارات مستقل وموضوعي، مصمم لإضافة قيمة لأعمال الشركة وتحسينها، ويساعد على تحقيق أهدافها من خلال انتهاج مدخل موضوعي لتقييم وتحسين فعالية إدارة المخاطر وفعالية الرقابة وفعالية إدارة التحكم المؤسسي» (٩).

وهي مهنة متطورة ومتغيرة تسعى إلى تطوير بيئتها التشغيلية لتتلاءم مع التغيرات المستجدة في الهياكل التنظيمية وفي عمليات المنظمة وتكنولوجيا المعلومات» (١٠).

وفي عام ٢٠٠٨ صدر أيضاً تعريف للمراجعة الداخلية وأعيد إصداره بشكل نهائي عام ٢٠٠٩م والذي نص على: أن المراجعة الداخلية هي نشاط تأميني واستشاري مستقل وموضوعي مصمم لإضافة قيمة وتحسين عمليات المنظمة عبر مساعدتها في تحقيق أهدافها بواسطة إكسابها آلية منظمة ومنهج انضباطي Disciplined لتقييم وتحسين فعالية إدارة المخاطر والرقابة وعمليات الحوكمة» (١١).

ويتضح التطور الذي حصل للمراجعة الداخلي من خلال تعريفه خلال مدد زمنية متعاقبة، ونجد من هذا التعريف أن نشاط المراجعة الداخلية مهتم بتقييم إدارة المخاطر وتحسين فعاليتها.

وتؤكد بعض الدراسات (١٢) على موافقة المراجع الداخلي على ما يقترحه التعريف الحديث للمراجعة الداخلية، بأن يكون تقييم المخاطر هو المهمة الأساسية لوظيفة المراجعة الداخلية. وأشارت أيضاً إلى أن أقسام المراجعة الداخلية لديها الخبرات الكافية والقادرة على تنفيذ إجراءات تقييم المخاطر التي تواجهها الشركة بصورة مرضية، وأن هم يبحثون دائماً عن أساليب وطرق أكثر فعالية في تقدير المخاطر.

(٨) خلف عبد الله الوردات، المراجعة الداخلي بين النظرية والتطبيق وفقاً لمعايير المراجعة الدولية، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006، ص ٣٢.

(٩) IIA , Avison for the future , Professional Practices framework for Internal Auditing , Altamonte Springs , IA , 1999a , www.theiia.org.

(١٠) Parkinson, M.: "Presenter at the Institute of Internal Auditors Educators Symposium", Sydney Australia, 20 October 1999.

(١١) Institute of Internal Auditors IIA, " Definition of Internal Auditing", Issued: October 1, 2008, REV: January 1, 2009 .p 1. <http://www.theiia.org>.

(١٢) Nagy, L., and Cenko, W. 2002. An assessment of the newly defined internal audit function, Managerial Auditing Journal. Bradford: Vol.17, Iss. 3; p.130.

وقد أشار Anderson إلى أن الدور التأميني للمراجعة الداخلي يشمل تقديم تأكيدات موضوعية بخصوص نظم الرقابة الداخلية وإدارة المخاطر وتوافق الشركة مع معايير الحوكمة والمتطلبات الإدارية الحديثة الأخرى، أما النشاط الاستشاري فيتضمن إجراء تدريب وتحفيز العاملين حول الرقابة الداخلية، ويتم توجيه الخدمات الاستشارية بشكل أساسي إلى الإدارة العليا للشركة، أما الخدمات التأمينية فتوجه إلى مجلس الإدارة ولجنة المراجعة. (١٣)

وأصبح المراجع الداخلي مطالباً بأن يكون لديه عدد من المهارات الفنية (١٤) لتساعده في فهم الخطط وأسس بناء البرامج وتؤهله للعمل على تقديم التوصيات اللازمة لخفض التكاليف مع المحافظة على نفس مستوى الجودة في الأداء.

أهداف المراجعة الداخلية في المصارف

لقد قام معهد المراجعين الأمريكي في معرض تحديده لأهداف المراجعة الداخلية بتأكيد ضرورة أن تشمل هذه الأهداف على تقييم كفاية نظام الرقابة الداخلية والتنظيم الإداري والضوابط العامة للأعمال وفعاليتها. ويقصد بالضوابط الرقابية العامة للأعمال ضبط الأخطار الأساسية التي تواجه المصرف والمرتبطة بعملياته مثل مخاطر الائتمان، ومخاطر صرف العملات، ومخاطر الأرباح والعمليات، والدعاية السلبية (السمعة)...إلخ، وفيما يلي أهم أهداف المراجعة الداخلي في المصارف (١٥):

- ١ - مساعدة المصرف في تحقيق أهدافه.
- ٢ - مساعدة المسؤولين في المصرف في القيام بمسؤولياتهم بفاعلية وكفاءة .
- ٣ - تحقيق الرقابة الفعالة وتحسين إدارة المخاطر بتكلفة معقولة .
- ٤ - الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة في المصرف.
- ٥ - تقييم نظام الرقابة الداخلية والنظم والإجراءات.
- ٦ - حماية أصول المصرف.
- ٧ - تقييم ومراقبة المخاطر.
- ٨ - المساعدة في الامتثال للقوانين وتقديم التقارير بشكل مستقل للجنة المراجعة.

¹³) Anderson, Urton, CH. 4 "Assurance and Consulting Services". 2003, P106.

¹⁴ - Ratliff, R.L. and Redding, K.F. "Introduction to Auditing: Logic, Principles, and Techniques", The Institute of Internal Auditors, Florida, 2002. P 3.

¹⁵ - RSM Astute Consulting. " Internal Audit and Risk Management" .,2008, P 5

٩ - مراجعة الالتزام بالسياسات والإجراءات والقوانين واللوائح داخل المصرف.

متطلبات تحقيق أهداف المراجعة الداخلية:

يتطلب تحقيق الأهداف المشار إليها أعلاه أمرين:

(١) على إدارة المراجعة الداخلية أداء الأعمال الآتية:

- أعمال المراجعة الداخلية .
- أعمال تقييم وتحسين وإدارة المخاطر .
- أعمال مراجعة الغش والاحتيال .
- أعمال رقابة نظام الجودة .
- فحص دراسات جدوى المشاريع الجديدة والدخول في الاندماجات وشراء الشركات .
- الاستشارات والعمليات الخاصة للإدارة العليا .

(٢) أن يكون لإدارة المراجعة الداخلية الوضع التنظيمي الآتي

- الاستقلال التام عن الوحدات التي تراجعها .
- اعتماد السياسات الخاصة بالمراجعة الداخلية عن طريق لجنة المراجعة أو مجلس الإدارة .
- اعتماد لجنة المراجعة ميثاق المراجعة الداخلية الذي يحدد هدف ونطاق ومهام ومسؤوليات وصلاحيات المراجعة الداخلية .
- عدم تقييد نطاق المراجعة الداخلية .
- يجب ألا يكون للمراجعين الداخليين أي سلطة أو مسؤولية عن الأنشطة التي يقومون بمراجعتها. وعند مشاركة المراجعة الداخلية في إدارة المخاطر يؤخذ في الاعتبار عدم تأثر الاستقلالية الموضوعية. ومدى الفائدة و التطوير لنظام إدارة المخاطر .

مهام ونطاق المراجعة الداخلية

لقد تطورت مهام المراجعة الداخلية واتسع نطاقها ليشمل الآتي .

- ١ - تقييم أنشطة المنشأة وأنظمة الرقابة الداخلية وتحليل المخاطر بشكل موضوعي ومستقل.
- ٢ - مراجعة مدى إمكانية الاعتماد على المعلومات المالية والتشغيلية.

- ٣ - التأكد من الالتزام بالسياسات والإجراءات والخطط والنظم واللوائح.
 - ٤ - مراجعة وسائل الحفاظ على الأصول والتحقق من وجود تلك الأصول.
 - ٥ - تقييم كفاءة استخدام الموارد المتاحة.
 - ٦ - مراجعة البرامج والعمليات للتأكد من أن النتائج تتماشى مع الأهداف الموضوعية ومن أن العمليات والبرامج تنفذ كما خطط لها .
 - ٧ - تقديم الاستشارات للجهات المختلفة داخل المنشأة بما يحسن من إدارة المخاطر وكفاءة وفاعلية العمليات التشغيلية .
- ولانجاز المراجع الداخلي لهذه المهام المشار إليها أعلاه فقد تحتم عليه القيام بالآتي:**
- ١ - المراجعة الأولية لأهداف النظم والإجراءات السائدة في الوحدة الاقتصادية، وتقديم التوصيات اللازمة لمساعدة الإدارة عند وضع الخطة الإستراتيجية.
 - ٢ - تقييم نظم الرقابة وقياس فاعليتها ومدى الالتزام بإجراءاتها بما يوفر الضمان الكافي لتحقيق جودة الأداء.
 - ٣ - تقييم المخاطر بأبعادها الثلاث، سواء كانت مخاطر إستراتيجية أو مخاطر عمليات أو مخاطر مالية.
 - ٤ - متابعة الأداء من خلال مراجعة المؤشرات الهامة، والاتصال الدائم بالإدارة لتحديد مسببات عدم الكفاءة الوظيفية، وتقديم التوصيات المتعلقة بخفض التكلفة.
 - ٥ - تدعيم قدرة مختلف الإدارات على تقييم أدائها في ضوء أفضل التطبيقات المتاحة ليس فقط على مستوى الدولة التي تنتمي إليها الوحدة الاقتصادية، بل على المستوى العالمي بالاعتماد على الشبكة الدولية لمعلومات المراجعة.
 - ٦ - توصيل النتائج الهامة المترتبة على مزاولتها لدورها الجديد للإدارة العليا والإدارات التنفيذية المسؤولة.
 - ٧ - المساهمة في توفير القيادات المهنية اللازمة لتسيير نشاط الوحدة الاقتصادية على المدى الطويل.
- هذا الاتساع في دور المراجعة الداخلية دفع Bou-Raad (١٦) إلى القول بأن المراجعة الداخلية هي الآن وظيفة متميزة ومستقلة لها أسسها وأدواتها الخاصة، أكثر من

^{١٦} - Bou-Raad, G.: "Internal auditors and value-added approach: the new business regime", Managerial Auditing Journal, Vol. 15, No. 4, 2000, pp.182-186.

كونها فرعاً من فروع مهنة المحاسبة. وأن المعرفة المتعمقة بالمحاسبة ونظم المعلومات المحاسبية ليست بالأمر المحوري، وإنما هي أحد المتطلبات الواجب توافرها في المراجع الداخلي، إضافة لمتطلبات أخرى تمكنه من المساهمة في إدارة المخاطر، وإدارة الأداء والمشاركة في تقديم " خدمات الضمان".

ثانياً: مفهوم إدارة المخاطر ومهامها

إن مفهوم إدارة المخاطر يتسع في نطاقه ليشمل الرقابة الداخلية التقليدية على المعاملات والأصول والعمليات. وتوجد تطورات بشأن موضوع الرقابة الداخلية فلم يعد لها وجود مستقل كما كانت في الماضي القريب بل أصبحت جزء من إطار إدارة المخاطر، كما أن إدارة المخاطر تعد جزء من التحكم المؤسسي، وقد مهد الطريق إلى ذلك مجلس معايير المراجعة والتأكيد الدولي IAASB بعد سحب معيار المراجعة الدولي رقم ٤٠٠ الموسوم: تقدير المخاطر والرقابة الداخلية، و أصدر المعيار الجديد رقم ٣١٥، الموسوم: فهم المنشأة وبيئتها وتقييم مخاطر البيانات الخاصة بالمادية ومن ضمن هذا المعيار تناولت الفقرات موضوع الرقابة الداخلية (١٧).

ويعتبر مجلس الإدارة المسئول بصفة أساسية عن إدارة المخاطر وتحميل هذا الدور على المدراء الآخرين لتسيير المخاطر كل حسب نشاطه(١٨)، ويمكن أن تكون وظيفة مستقلة في المؤسسة متمثلة في قسم إدارة المخاطر والتي يترأسها مدير المخاطر بالإضافة إلى مساعدين في ذلك يملكون مؤهلات ومهارات خاصة - هذا بالنسبة للمؤسسات كبيرة الحجم -، أما بالنسبة للمؤسسات الصغيرة فقد توكل إلى أحد المدراء ضمن توصيف وظيفي مهمته إدارة مخاطر المؤسسة، (١٩) ويرجع اعتماد أي تقسيم من هذه التقسيمات حسب سياسة وإستراتيجية المؤسسة في ذلك.

وقد عرفت من طرف معهد إدارة المخاطر (IRM) على أنها الجزء الأساسي في الإدارة الإستراتيجية لأي مؤسسة. فهي الإجراءات التي تتبعها المؤسسات بشكل منظم لمواجهة الأخطار المصاحبة لأنشطتها، بهدف تحقيق المزايا المستدامة من كل نشاط ومن محفظة كل نشاط (٢٠).

¹⁷) International Federation of Accountants (IFAC). handbook of international standards on auditing and quality control, 2009 edition. P 39.

¹⁸ - The Institute Of Internal Auditors, « IIA Position Paper: The Role Of Internal Auditing In Enterprise-Wide Risk Management », USA: January 2009, P: 02.

¹⁹) خالد وهيب الراوي، إدارة المخاطر المالية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن، ١٩٩٩، ص ١٥.

²⁰ -The Institute Of Risk Management, «A Risk Management Standards», London:.

أما لجنة بازل فقد أشارت إلى معنيين لإدارة المخاطر: المعنى الواسع وهو أنها تلك العملية التي تصون وتقي الأصول ودخول الأفراد والمشروعات. والمعنى الضيق وهو أنها الوظيفة الإدارية للأعمال باستخدام مدخل علمي للتعامل مع المخاطر، أي أنها تستند إلى تتبع خطوات متسلسلة محددة وواضحة. وأشارت إلى أن سلطات الرقابة المصرفية تقوم بفحص ممارسات وأساليب المصرف في إدارة المخاطر.

كما يوجد سبعة مكونات لإدارة مخاطر المشروع توفر إطار مفاهيمي لمعرفة التهديدات التي تواجه المنظمة تشمل: (٢١) البيئة الداخلية، وتحديد الأحداث المتوقعة، وتقدير المخاطر، والاستجابة للمخاطر، والأنشطة الرقابية، والمعلومات والاتصالات، ورقابة الأداء .

مهام إدارة المخاطر

ويمكن إبراز مهام إدارة المخاطر فيما يلي: ^(٢٢)

- ١) وضع سياسة وإستراتيجية إدارة المخاطر، والعمل على إنشاء بيئة ملائمة.
- ٢) التعاون على المستوى الاستراتيجي والتشغيلي فيما يخص إدارة المخاطر.
- ٣) بناء وعي ثقافي داخل المنشأة، يشمل التعليم الملائم والتنسيق مع مختلف الوظائف فيما يخص إدارة المخاطر مع تطوير عمليات مواجهة الخطر.
- ٤) إعداد التقارير عن المخاطر وتقديمها لمجلس الإدارة وأصحاب المصالح.
- ٥) اكتشاف المخاطر الخاصة بمختلف الأنشطة الاقتصادية.
- ٦) تحليل الأخطار المكتشفة، ومعرفة طبيعتها ومسبباتها وعلاقة كل خطر بالأخطار الأخرى.
- ٧) قياس درجة احتمال حدوث الخطر وتقدير حجم الخسارة.
- ٨) اختيار الوسيلة المناسبة لإدارة كل خطر موجود بحسب درجات الأمان والتكلفة اللازمة.

^{٢١)} William R. Kinney, Jr, Auditing Risk Assessment and Risk Management Processes , The Institute of Internal Auditors Research Foundation copyright by IIA , 2003, 247.

^{٢٢)} - The Institute Of Risk Management, Op, Cit, P:13.

ثالثاً: تقييم المراجع الداخلي لإدارة المخاطر

تم تعريف مراجعة إدارة المخاطر بأنها عبارة عن مراجعة تفصيلية ومنظمة لبرنامج إدارة المخاطر مصممة لتقرير ما إذا كانت أهداف البرنامج ملائمة لاحتياجات المؤسسة، وما إذا كانت التدابير المصممة لتحقيق تلك الأهداف مناسبة وما إذا كانت التدابير قد تم تنفيذها بشكل سليم. (٢٣)

في ضوء فرض وجود علاقة طردية بين نوعية المخاطر والقيمة المتحققة فإن السعي للتغلب على المخاطر الإستراتيجية يولد قيمة أعلى للمساهمين والعملاء والأطراف الأخرى المرتبطة بنشاط الوحدة الاقتصادية أو المتأثرة به. عن تلك المتحققة من وراء السعي للتغلب على مخاطر العملية، والتي تزيد بدورها عما يتولد من جهد للتغلب على المخاطر المالية. ولا يعني ذلك إهمال المخاطر المالية أو عدم التركيز على مخاطر العملية، وإنما يجب أن يتم تصميم الخطة في ضوء تأثير كل منهم في القيمة الممكن تحقيقها.

ويجب تقييم المخاطر بأنواعها الثلاث من خلال استطلاع آراء المستويات الإدارية المختلفة في مدى أهمية القضايا المحددة مبدئياً، التي ستمثل محور عملية المراجعة. كما يجب مراجعة إستراتيجيات الشركة والخطط التفصيلية للتأكد من شمول اختبارات المراجعة على كافة الجوانب التي تضمن فاعلية النتائج. يلي ذلك حصر المخاطر وتصنيفها تبعاً لأهميتها، وتصميم إجراءات المراجعة المناسبة لكل نوع من المخاطر. ومن ثم فإن الخطة وما تتضمنه من إجراءات للتنفيذ ستمثل ناتج عمل مشترك بين الإدارة وفريق المراجعة بما يضمن حفزهم لتدعيم عملية التنفيذ.

وفي دراسة صادرة عن معهد المراجعة الداخلية عن دور المراجعة الداخلية في تقييم إدارة المخاطر (ERM) تم تصنيف هذا الدور إلى ثلاث مجموعات: - (٢٤)

^{٢٣} - طارق عبد العال حماد، " إدارة المخاطر: أفراد - إدارات - شركات - بنوك " الإسكندرية، الدار الجامعية، ٢٠٠٧م، ص ١٢٠.
^{٢٤} The Institute of Internal Auditors Research Foundation (IIARF), Internal Auditing's Role in Risk Management, Maitland Avenue, Altamonte Springs, Florida, 2011.

المجموعة الأولى: الأدوار الرئيسية للمراجعة الداخلية فيما يتعلق بـ **ERM** :

- ١) مراجعة (Reviewing) إدارة المخاطر الرئيسية، أو عالية الدرجة.
- ٢) تقييم رفع التقارير عن المخاطر الرئيسية، أو العالية الدرجة.
- ٣) تقييم عمليات إدارة المخاطر.
- ٤) تقديم تأكيد بأن الأخطار تقيم بشكل صحيح.
- ٥) تقديم تأكيد على عمليات إدارة المخاطر.

المجموعة الثانية: الأدوار المشروعة للمراجعة الداخلية

- ١) رعاية الإطار العام لإدارة مخاطر المنشأة، وتطويره.
- ٢) دعم تكوين دائرة خاصة لإدارة المخاطر.
- ٣) تطوير إستراتيجية إدارة المخاطر لتتوافق مع اللوائح.
- ٤) دعم التقرير عن المخاطر.
- ٥) تنسيق نشاطات إدارة المخاطر.
- ٦) تدريب الإدارة على الاستجابة للمخاطر.
- ٧) تسهيل التعرف على المخاطر وتقييمها .

المجموعة الثالثة: الأدوار التي لا يجب أن يقوم بها المراجع الداخلي:

- ١) وضع أو تحديد المستوى المقبول للمخاطر.
- ٢) فرض عمليات إدارة المخاطر.
- ٣) تأكيدات للإدارة عن المخاطر.
- ٤) أخذ القرارات أو تحديد الاستجابة للمخاطر .
- ٥) تطبيق استجابة المخاطر نيابة عن الإدارة .
- ٦) المسؤولية عن إدارة المخاطر .

معايير المراجعة الداخلية :

تتفيذاً لهذا الأمر أصدر معهد المراجعين الداخليين "IIA" معايير حديثة لمواكبة

المستجدات (٢٥) وجاء في هذه المعايير: -

^{٢٥} - خليل، عطا الله وارد، "الدور المتوقع للمراجع الداخلي عند تقديم خدمات التأكيد في البنوك التجارية الأردنية في ظل الحاكمية المؤسسية"، المؤتمر العربي الأول حول المراجعة الداخلي في إطار الحوكمة المؤسسية، القاهرة - مصر، سبتمبر ٢٠٠٥، ص ٢٤٤ - ٢٥١.

معيار رقم ٢١٠٠ طبيعة عمل المراجعة الداخلية، يجب على نشاط المراجعة الداخلية أن يقوم بتقييم وبالمساهمة في تحسين إدارة المخاطر والرقابة وحوكمة الشركات. وجاء في المعيار ٢١٢٠ الآتي: - (٢٦)

- على نشاط المراجعة الداخلية تقييم فعالية إدارة المخاطر وكذا المساهمة في تطوير إجراءات إدارة المخاطر.
 - على المراجع الداخلي تقييم التعرض للمخاطر بتقييم:
 - موثوقية وسلامة المعلومات المالية والتشغيلية.
 - فعالية وكفاءة العمليات.
 - حماية الأصول.
 - الامتثال للقوانين، الأنظمة والعقود.
 - على المراجع الداخلي تقييم احتمالات حدوث الاحتيال والغش، وكيفية إدارة المؤسسة لهذه المخاطر.
 - ثناء أداء المهمة الاستشارية، على المراجعين الداخليين الإبلاغ عن المخاطر بما يتفق مع أهداف المهمة، كما يجب الانتباه إلى المخاطر الكبيرة.
 - على المراجعين الداخليين إدراج المعارف التي اكتسبها حول إدارة المخاطر خلال قيامهم بالعمليات الاستشارية في تقييم إجراءات إدارة المخاطر.
 - عند قيام المراجعين الداخليين بمساعدة الإدارة في إدارتها للمخاطر أو تحسين إجراءاتها، عليهم رفض أي مسؤولية أمام الإدارة فيما يخص إدارة المخاطر.
- معيار رقم ٢٦٠٠ قبول الإدارة للمخاطر، بما أن تقييم وتحسين إدارة المخاطر أصبحت ضمن نشاط عمل المراجعة الداخلي بموجب المعيار ٢١٢٠ ينبغي على مدير قسم المراجعة في الشركة التأكد من المستوى الذي تتقبله الإدارة من المخاطر وإذا أحس أنه أعلى من المستوى الذي يمكن للشركة أن تتحمله عليه أن يناقش الموضوع مع الإدارة العليا وإذا لم يتم حله يتم رفعه لمجلس الإدارة للتوصل إلى الحل المناسب.
- مراحل مراجعة إدارة المخاطر:

يخضع برنامج إدارة المخاطر لمراجعة متواصلة من قبل المراجع الداخلي، والتي تتم عبر مراحل معينة تشمل بوجه عام الخطوات التالية (٢٧) :

²⁶⁾ The Institute Of Internal Auditors, «International Standards For Professional Practice Of Internal Auditing», internal auditor, USA, 2008, P:09.

- (١) مراجعة أهداف وسياسات إدارة المخاطر وتقييمها لتقرير مدى مناسبتها للمنشأة من حيث الموارد والقدرة على تحمل الخسائر ومدى التطبيق، وإذا كانت الأهداف غير مكتوبة أو غير واضحة ينبغي تقديم توصية بأن تصوغ المؤسسة فلسفتها فيما يتصل بإدارة المخاطر.
- (٢) التعرف على مدى تعرض المنشأة للمخاطر، وتقييم تقنيات المنشأة للتعرف على مدى التعرض للخسارة، وذلك من خلال مراجعة لإجراءات التعرف التي طبقت في الماضي، وفي حالة إغفال وتجاهل تعرض المنشأة لمخاطر رئيسية ينبغي على المراجع الداخلي أن يتوصل إلى المقاييس البديلة الممكن استخدامها، والتوصية بالتدابير التصحيحية.
- (٣) تقييم قرارات تعامل المؤسسة مع المخاطر كاستخدام، تفادي، تقليل المخاطر، وتقييم هذه القرارات حول كيفية التصدي لكل خطر تم التعرض له. ومدى تنفيذ هذه القرارات.
- (٤) التقرير والتوصية بإدخال تغييرات لتحسين البرنامج في صورة تقرير مكتوب، ويرسل التقرير إلى الإدارة العليا ومجلس الإدارة، ولجنة المراجعة وكذا المساهمين وأصحاب المصالح عند الضرورة.

التحديات التي تواجه المراجع الداخلي عند تقييم إدارة المخاطر :

تواجه المراجع الداخلي عند القيام بدوره في تقييم إدارة المخاطر التحديات الآتية:^(٢٨)

- ١ - الإدراك الخاطئ بأن ذلك الدور إضافيا وليس ضمن مجال المراجعة الداخلية.
- ٢ - قلة الدعم من قبل الإدارة العليا لدور المراجع الداخلي.
- ٣ - قلة معرفة المراجعين الداخليين لأساليب إدارة المخاطر وتقنياتها.
- ٤ - حاجة موظفي المراجعة الداخلية للتدريب.
- ٥ - الحاجة إلى عدد من موظفي المراجعة الداخلية الماهرين.
- ٦ - قلة التمويل أو الاعتماد المالي المخصص للمراجعة الداخلية.
- ٧ - الحاجة إلى أدوات التقنية.
- ٨ - قلة الدعم من لجنة المراجعة إن وجدت.

^{٢٧} - طارق عبد العال حماد، إدارة المخاطر: أفراد - إدارات - شركات - بنوك، مرجع سابق، ص ١٢٣.

^{٢٨} - The Institute of Internal Auditors Research Foundation (IIARF), Internal Auditing's Role in Risk Management, Maitland Avenue, Altamonte Springs, Florida, 2011.

- ٩ - قلة وضوح الأدلة والمعايير المهنية.
 - ١٠ - عدم الوعي بأهمية دور المراجعة الداخلية في تحقيق أهداف المنشأة .
 - ١١ - الاعتقاد بأن المراجع الداخلي شرطي أو جاسوس الإدارة العليا .
 - ١٢ - النظر إلى ملاحظاته كانتقادات شخصية .
 - ١٣ - عدم التعاون وإخفاء بعض المعلومات .
 - ١٤ - تكرار طلب تأجيل بداية المراجعة .
- عوامل نجاح دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر:**
- الدعم والتأييد التام من الإدارة العليا.
 - خبرة أو معرفة المراجع الداخلي بإدارة المخاطر والمراجعة الداخلية.
 - الوعي بأهمية المراجعة الداخلية عند المسؤولين .
 - المهارات التحليلية لدى المراجع الداخلي.
 - معرفة المراجع بالمعالجات المالية، والرقابة، والمخاطر.
 - الاختيار الجيد للمراجعين الداخليين المؤهلين .
 - التدريب المناسب بشكل دوري .
 - معرفة طبيعة أعمال المنشأة بشكل جيد .
 - الاتصال بالإدارة العليا لتبليغ النتائج وتقديم الرأي حول إدارة المخاطر والرقابة بشكل دوري.

الدراسة التطبيقية :

أولاً: وصف مجتمع وعينة الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من المراجعين الداخليين في المصارف اليمنية وعددهم ١٤ مصرفاً لها أكثر من ٢٣٦ فرعاً في مختلف المحافظات كما سبق الإشارة إلى ذلك في المنهجية، وقد اختيرت عينة تتكون من ٦٢ فرعاً، وبلغت عدد الاستبيانات الخاضعة للتحليل ٥٣ استبيان. بنسبة استرداد بلغت ٨٥ ٪. وكانت البيانات الشخصية للمستجيبين على النحو التالي: -

المؤهل العلمي والخبرة العملية:

لتتعرف على المستوى العلمي والخبر العملية للمراجعين تم السؤال عن المؤهل العلمي الذي يحملة المستجيب وسنوات الخبرة ضمن أربعة خيارات، وبعد تحليل الإجابات توزع المستجيبين على المؤهلات والخبرات المبينة في الجدول التالي: -

الجدول رقم (١) توزيع أفراد العينة بحسب المؤهل العلمي والخبرة

النسبة	العدد	الخبرة	النسبة	العدد	
١٣,٢%	٧	أقل من خمس سنوات	٤٧,٢%	٢٥	بكالوريوس
٣٧,٧%	٢٠	من ٥ - ١٠ سنوات	٢٨,٣%	١٥	ماجستير
٢٦,٤%	١٤	من ١١ - ١٥ سنة	٩,٤%	٥	دكتوراه
٢٢,٦%	١٢	أكثر من ١٥ سنة	١٥,١%	٨	أخرى
١٠٠%	٥٣	المجموع	١٠٠%	٥٣	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول أن معظم المستجيبين هم من حملة البكالوريوس والذين يمثلون نسبة ٤٧,٢% ممن شملتهم الدراسة، بينما أقل نسبة هم حملة الدكتوراه ويمثلون ٩,٤%، ولكن وجود عدد من حاملي درجة الدكتوراه والماجستير يدل على أن البنوك تميل إلى توظيف المؤهلات العالية في مجال المراجعة الداخلية. وهذا يمكن الباحث من الاعتماد على إجاباتهم على استبيان الدراسة والوصول إلى نتائج بشكل أفضل.

كما نلاحظ من الجدول أن معظم المستجيبين تتراوح خبراتهم بين ٥ إلى ١٠ سنوات وبنسبة إجمالية حوالي ٣٧,٧%. حيث كان عددهم ٢٠ مراجعاً.

المركز الوظيفي والشهادة المهنية

تم توجيه أسئلة للمراجع الداخلي عن المركز الذي يشغله في إطار الفرع الذي يعمل فيه، إلى جانب سؤال آخر عن الشهادة المهنية التي يحملها إن وجدت، وقد توزع المستجيبين على خيارات الإجابة بحسب الجدول التالي:

الجدول رقم (٢) توزيع أفراد العينة بحسب المركز الوظيفي والشهادة المهنية

الوظيفة	العدد	النسبة	الشهادة المهنية	العدد	النسبة
مدقق داخلي	٤٤	٨٣%	محاسب قانوني يمني	٨	١٥,١%
رئيس قسم التدقيق	٩	١٧%	ACPA	٣	٥,٧%
مدير التدقيق الداخلي	-	-	CIA	-	-
أخرى	-	-	أخرى	٤٢	٧٩,٢%
المجموع	٥٣	١٠٠%	المجموع	٥٣	١٠٠%

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٢) إن توزيع المستجيبين بالنسبة للمركز الوظيفي انحصر في وظيفة مدقق ورئيس قسم، وشكلت درجة مدقق داخلي نسبة ٨٣٪، وهذا يدل على أن وظيفة المدقق الداخلي في معظم المصارف أو الفروع عبارة عن وظيفة اعتيادية لا ترقى إلى مدير إدارة، وجاءت باقي النسبة وهي (١٧٪) وعددهم تسعة في رئيس قسم.

أما بالنسبة للشهادة المهنية فنلاحظ أن جميع أفراد عينة الدراسة لا يحملون شهادة CIA أي مدقق داخلي معتمد، وأن غالبية المستجيبين لا يحملون شهادات مهنية، حيث بلغت نسبتهم ٧٩,٢٪، بينما توزعت النسبة الباقية بين حملة شهادة محاسب قانوني يمني ومحاسب قانوني عربي، وهذا يدل على أن هناك حاجة لمعهد وطني لتأهيل المراجعين الداخليين ومنحهم شهادات في هذا المجال، ونلاحظ أيضا أن بعضهم لجأ إلى الحصول على شهادة مراجع خارجي يمني أو عربي وهم يشكلون ما مجموعه ٢٠,٨٪ من عدد المستجيبين.

ثانياً: تحليل البيانات واختبار الفرضيات

تم تقسيم الجزء الثاني من الاستبيان إلى ثلاثة مجالات، وكل مجال يختص بفرضية واحدة من فرضيات الدراسة، وقد تم تحليل البيانات باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS، وفقاً لما يلي: -

اختبار درجة الثبات

استخدم هذا المقياس (Cronbach's Alpha)، لفحص واختبار درجة الثبات في إجابات عينة الدراسة عن أسئلة الاستبيان، من خلال قياس مدى الثبات الداخلي لردود المستجيبين تجاه بنود الاستبيان. وتعتبر القيمة المقبولة إحصائياً لهذا المعامل هي ٦٠٪ فأكثر. (٢٩)

جدول رقم (٤) "اختبار درجة الثبات ألفا لإجابات عينة الدراسة"

النتيجة	معامل ألفا	عدد الأسئلة	المجال
مقبولة	٠.٦٨٦٧	١٠	مدى تأثير دور المراجع في إدارة المخاطر بالعوامل التنظيمية

(29) Uma Sekaran, Research Methods for Business, Second Edition, John Wiley and Sons, New York, 1992, p.287.

مقبولة	٠.٨٨٨٩	٨	مدى تأثير دور المراجع في إدارة المخاطر بالعوامل الشخصية
مقبولة	٠.٩٥٠٣	٢٥	مدى قيام المراجع الداخلي بدوره في إدارة المخاطر
مقبولة	٠.٩٢٤٥	٤٣	جميع الأسئلة

وقد تم استخدام المقياس لكل مجموعة أسئلة متعلقة بفرضية من الفرضيات على حدة ومن ثم لمجموع أسئلة الاستبيان ككل، ونلاحظ من الجدول أعلاه أن جميع نتائج المقياس تبين إن الإجابات تتمتع بالثبات على مستوى كل فرضية وعلى مستوى الاستبيان ككل.

ثم تم تحليل الإجابات مقسمة إلى الثلاثة المحاور المذكورة، أطلق عليها مجالات وكل مجال متعلق بفرضية واحدة من فرضيات الدراسة وكانت نتيجة التحليل لإجابات عينة الدراسة على فقرات الجزء الثاني على النحو التالي: -

المجال الأول: يتضمن هذا المجال ١٠ فقرات وتمثل العوامل التنظيمية المتعلقة بالبيئة التي يمارس من خلالها المراجع عملة داخل المصرف، وذلك بهدف قياس الفرضية الأولى التي تنص على أنه: (تؤثر العوامل التنظيمية للمراجع الداخلي على دوره تجاه إدارة المخاطر في المصارف).

جدول رقم (٥) مدى تأثير قيام المراجع الداخلي بدوره في تقييم وإدارة مخاطر المصرف بالعوامل التنظيمية

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	تعيين المراجع وتحديد أجره بمعرفة الإدارة العليا.	٤.٤٩	٠.٥٠٥
٢	دعم الإدارة لتوظيف المراجعة الداخلية.	٤.٦٦	٠.٤٧٨
٣	التعاون الجيد بين وظيفة المراجعة الداخلية وباقي الأطراف في المصرف.	٤.٤٧	٠.٥٤١
٤	ارتباط المراجع بمجلس الإدارة أو لجنة المراجعة والتفاعل المباشر معهم.	٤.٣٠	٠.٥٠٣
٥	استقلالية المراجع الداخلي في أداء عمله وعدم تحيزه.	٤.٣٤	٠.٤٧٨
٦	مدى ونطاق عمل المراجع الداخلي.	٤.١٥	٠.٦٩٠
٧	الحق في الحصول على المعلومات والاتصال بأي موظف داخل المصرف	٤.٤٣	٠.٥٣٧

٠,٥٠٣	٤,٤٧	عدم القيام بمسؤوليات تنفيذية.	٨
٠,٥٣٩	٤,٤٥	الاعتماد المالي المخصص للمراجعة الداخلية.	٩
٠,٣٩٥	٤,٨١	وعي المسئولين بأهمية المراجعة الداخلية تجاه إدارة المخاطر.	١٠
٠,١٨٣	٤,٤٥٦	المتوسط العام	
٢٥,٠٩		T	
٠,٠٠٠		مستوى الدلالة	

نلاحظ من الجدول (٥) أن المراجعين الداخليين أعطوا أكبر وزن للفقرة رقم (١٠) التي حصلت على متوسط قدره (٤,٨١) مما يدل بحسب رأيي أن المراجعين يواجهوا ضعف في وعي الإدارة ومسئولي المصرف تجاه دور المراجع الداخلي في تقييم إدارة المخاطر، وبالتالي فهم يرون أن هذا العامل هو أكثر العوامل تأثيراً على دور المراجع، يليه العامل رقم (٢) وهو دعم الإدارة لوظيفة المراجعة الداخلية .

نلاحظ أيضاً أن جميع فقرات هذا المجال حصلت على متوسط أكثر من (٤,١٥) وهو أقل متوسط في هذا المجال، وحصلت عليه الفقرة رقم (٦) التي تتحدث عن مدى ونطاق عمل المراجع الداخلي، مما يدل على أن جميع العوامل العشرة تؤثر من وجهة نظر المراجعين وبدرجة كبيرة على دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر.

حصلت هذه العوامل على متوسط إجمالي (٤,٤٥٦) وانحراف معياري (٠,١٨٣) وهو انحراف ضعيف مما يدل على تقارب وجهات نظر المراجعين تجاه فقرات المجال، ولاختبار الفرضية تم استخدام اختبار T عند مستوى ثقة (٩٥%)، وكانت قيمة T (٢٥,٠٩) ومستوى دلالة صفر مما يعني قبول الفرضية القائلة: (تؤثر العوامل التنظيمية للمراجع الداخلي على دوره تجاه إدارة المخاطر في المصارف).

المجال الثاني: يتضمن هذا المجال ٨ فقرات، وتمثل كل فقرة عامل من العوامل الشخصية للمراجع الداخلي وذلك بهدف قياس الفرضية الثانية التي تنص على أنه: (تؤثر العوامل الشخصية للمراجع الداخلي على دوره تجاه إدارة المخاطر في المصارف).

جدول رقم (٦)مدى تأثر قيام المراجع الداخلي بدوره في تقييم وإدارة مخاطر المصرف
بالعوامل الشخصية

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	المستوى العلمي الذي حصل عليه المراجع.	٤,١٥	٠,٣٦
٢	الخبرة العملية بالمراجعة الداخلية.	٤,١٥	٠,٦٩
٣	المعرفة بعمليات وإجراءات المصرف الذي يعمل فيه.	٤,٤٩	٠,٥٠
٤	مستوى التدريب الفني للمراجع الداخلي.	٣,٨١	٠,٩٠
٥	التأهيل المستمر للمراجع الداخلي.	٤,٥١	٠,٥٠
٦	المعرفة بأساليب إدارة المخاطر وتقنياتها.	٣,٨٧	٠,٦٥
٧	المهارات التحليلية لدى المراجع الداخلي.	٣,٧٩	٠,٦٩
٨	بذل العناية المهنية عند أداء مهام المراجعة الداخلية.	٤,٠٢	٠,٧٧
المتوسط العام		٤,١٠	٠,٢٨
T		١٠,٩٤	
مستوى الدلالة		٠,٠٠٠	

نلاحظ من نتائج تحليل إجابات المستجيبين عن أثر العوامل الشخصية على دور المراجع تجاه إدارة المخاطر في المصرف: أن أكثر العوامل تأثيراً هو العامل رقم (٥)، وهو التأهيل المستمر للمراجع الداخلي، حيث حصل على أعلى متوسط، حيث كان المتوسط (٤,٥١) مما يدل على الحاجة الماسة لدى المراجعين الداخليين للتأهيل المستمر من خلال دورات متخصصة في مجال عملهم وما يستجد فيه، وجاء في المرتبة الثانية العامل رقم (٣) وهو: المعرفة بعمليات وإجراءات المصرف الذي يعمل فيه المراجع الداخلي، أما أقل العوامل تأثيراً من وجهة نظر المراجع الداخلي فكان العامل رقم (٧) والمتمثل في المهارات التحليلية لدى المراجع الداخلي، والذي حصل على متوسط قدره (٣,٧٩)، وهو ضمن الدرجة موافق، ومع أهمية هذا العامل من وجهة نظر الباحث، إلا أن المراجعين الداخليين عينة الدراسة يرونه أقل أهمية مقارنة بالعوامل الأخرى.

ومن خلال المتوسط العام لفقرات هذا المجال وهو (٤,١٠)، ونتيجة اختبار أ البالغة (١٠,٩٤) ومستوى الدلالة (٠,٠٠٠) نقبل الفرضية الثانية القائلة: - (تؤثر العوامل الشخصية للمراجع الداخلي على دوره تجاه إدارة المخاطر في المصارف).

المجال الثالث: يتضمن هذا المجال ٢٥ فقرة بهدف قياس الفرضية التي تنص على أنه :
لا يقوم المراجع الداخلي في المصارف اليمنية بدوره تجاه إدارة المخاطر وفقا لما
تقتضيه متطلبات مهنة المراجعة الداخلية.

جدول رقم (٧) مدى قيام المراجع الداخلي بدوره تجاه إدارة المخاطر

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
١	إعداد خطة للمراجعة تحدد فيها مجالات المخاطر للمصرف.	٤,٠٠	٠,٥٩
٢	توافق الترتيبات المعمولة مع معايير العمل الحالية الخاصة بمعهد المراجعين الداخليين الأمريكي.	٣,٦٦	٠,٧٦
٣	يقوم موظفو المراجعة الداخلية بجرد وعد النقد المتاح بالصندوق.	٣,٩٨	٠,٨٢
٤	التحقق من مدى فعالية انجاز الأهداف المخططة لإدارة المخاطر.	٤,٠٠	٠,٥٩
٥	تقوم بوضع خطط مراجعة تعتمد على درجة المخاطر المتوقعة لغرض تحديد أولويات أنشطة أعمال المراجعة الداخلية.	٣,٥١	٠,٥٠
٦	ترفض أي مسؤولية تنفيذية أمام الإدارة فيما يخص إدارة المخاطر.	٢,٥٣	٠,٧٥
٧	تقوم بالإبلاغ عن المخاطر بما يتفق مع أهداف المهمة.	٤,٤٩	٠,٧٧
٨	تقوم بتوجيه الانتباه إلى المخاطر الكبيرة .	٤,٣٢	٠,٧٥
٩	تقوم بتقييم احتمالات حدوث الاحتيال والغش.	٤,٣٢	٠,٧٥
١٠	التأكد من كفاءة إدارة المؤسسة للمخاطر.	٣,٦٦	٠,٤٨
١١	التأكد من موثوقية وسلامة المعلومات المالية والتشغيلية.	٣,٩٨	٠,٥٧
١٢	التأكد من فعالية وكفاءة العمليات.	٤,٣٢	٠,٧٥
١٣	التأكد من الامتثال للقوانين والأنظمة والعقود.	٣,٩٨	٠,٨٢
١٤	التأكد من حماية الأصول.	٤,١٥	٠,٦٩
١٥	يعد المراجع الداخلي تقرير عن إدارة المخاطر ويرفعه لمجلس الإدارة ولجنة المراجعة.	٣,٥١	٠,٧٧
١٦	التأكد من مراقبة وتقييم كفاية أنظمة إدارة المخاطر في المصرف.	٣,٥١	٠,٧٨
١٧	التأكد من مدى استجابة الإدارة للتوصيات المعدة	٣,٩٨	٠,٨٢

		بواسطة تقوية نظام إدارة المخاطر في المصرف.	
٠.٧٠	٣.٨٣	التأكد من مدى استجابة الإدارة لتوصيات المراجع الخارجي لتقوية نظام إدارة المخاطر في المصرف.	١٨
٠.٧٠	٣.٨٣	التأكد من فاعلية أداء الموظفين في التعامل مع المخاطر.	١٩
٠.٤٧	٣.٦٨	التأكد من أن الإدارة لديها نظام معلومات كاف لمراقبة أداء مقدمي الخدمات في المصرف.	٢٠
٠.٦٩	٣.٨٥	التأكد من أن الإدارة تستطيع الحصول على المعلومات الكافية لمراقبة رضا أو عدم رضا العملاء.	٢١
٠.٧٥	٣.٦٨	يناقش المراجع الداخلي فعالية إدارة المخاطر مع الإدارة بشكل دوري.	٢٢
٠.٥٩	٤.٠٠	يركز المراجع الداخلي على مراجعة عمليات إدارة المخاطر داخل المصرف.	٢٣
٠.٦٩	٣.٨٥	يساهم المراجع الداخلي بشكل كبير وبدور استشاري في تقليل المخاطر.	٢٤
٠.٥٠	٣.٥١	التعاون مع الإدارات الأخرى في وضع سقف للمخاطر.	٢٥
٠.٣٩	٣.٨٤	المتوسط العام	
١٠.٨٣		T	
٠.٠٠٠		مستوى الدلالة	

نلاحظ من خلال الجدول رقم (٧) أن أكبر متوسط بلغ (٤.٤٩) الذي حصلت عليه الفقرة رقم (٧)، المتعلقة بقيام المراجع بالإبلاغ عن المخاطر التي يلاحظها بما يتفق مع أهداف المهمة محل المراجعة، بينما حصلت الفقرتين (١٥) و (١٦) على متوسط (٣.٥١) وتتعلق الأولى بإعداد المراجع لتقرير عن إدارة المخاطر في المصرف إلى مجلس الإدارة أو لجنة المراجعة إن وجدت، مما يعني أن المراجع يبلغ عن المخاطر إذا لاحظها كما هو في الفقرة (٧) لكن إعداد تقرير متكامل عن إدارة المخاطر جاءت قريب من المنطقة المحايدة وهو ما يعادل نسبة ٧٠٪ تقريبا، وهو نفس ما حصلت عليه الفقرة الخاصة بالتأكد من مراقبة وتقييم كفاية أنظمة إدارة المخاطر في المصرف.

بينما حصلت الفقرة رقم (٦) على أقل متوسط، بلغ (٢.٥٣) مما يعني أن المراجعين الداخليين يقبلوا أحيانا القيام بمهام تنفيذية فيما يخص إدارة المخاطر بناء على توجيهات إدارية، علما أن ذلك من الأمور التي لا يجب أن يقوم بها المراجع وفقا لما صدر عن معهد المراجعة الداخلية حسب ما سبق شرحه وهذا يخل بدوره تجاه إدارة المخاطر.

من إجابة الفقرة رقم (١) نلاحظ أن المراجعين يضعوا خطة للمراجعة الداخلية تؤخذ في الاعتبار مجالات مخاطر المصرف، حيث حصلت على متوسط (٤)، لكن من خلال الفقرة رقم (٢) نلاحظ أن ما يقوموا به من ترتيبات لا يتوافق كثيرا مع معايير المراجعة الصادر عن المعهد الأمريكي إلا بنسبة ٧٣٪ تقريبا، حيث حصلت على متوسط (٣,٦٦).

حصلت جميع فقرات هذه الفرضية على متوسط عام (٣,٨٤)، وهو ما يعادل نسبة ٧٧٪ تقريبا، ويأتي في أدنى منطقة الموافق، مما يعني ضعف في موافقة المراجعين ولكن بدرجة غير كبيرة، ومن خلال نتيجة اختبار أ البالغة (١٠,٨٣) ومستوى المعنوية (٠,٠٠٠) نرفض الفرضية القائلة: - (لا يقوم المراجع الداخلي في المصارف اليمنية بدوره تجاه إدارة المخاطر وفقا لما تقتضيه متطلبات مهنة المراجعة الداخلية). ونقبل الفرضية البديلة وهي أن المراجعين الداخليين يرون أنهم يقوموا بدورهم تجاه إدارة المخاطر وفقا لما تتطلبه المهنة.

الاستنتاجات والتوصيات :

أولاً : الاستنتاجات

من خلال استعراض نتائج تحليل بيانات الدراسة ونتائج اختبار الفرضيات يمكن استنتاج الآتي: -

- ١ - إن العوامل التنظيمية أكثر تأثيرا على دور المراجع تجاه إدارة المخاطر - من وجهة نظر المراجعين الداخليين - حيث حصلت كلها على متوسطات تفوق المتوسط العام الذي حصلت عليه العوامل الشخصية للمراجع.
- ٢ - إن أكثر العوامل التنظيمية تأثيرا هي المتعلقة بإدارة المصرف سواء كان وعي الإدارة بدور المراجع الداخلي، أو دعم الإدارة لتوظيف المراجعة الداخلية.
- ٣ - إن أكثر العوامل الشخصية تأثيرا على دور المراجع هو التأهيل المستمر للمراجع الداخلي، مما يعني حاجة المراجعين للتأهيل المستمر، وحضور دورات عن كل المستجدات التي تضاف إلى مهامهم ويتطلب قيامهم بها، أو المعايير الجديدة التي يتطلب الالتزام بها.

- ٤ - إن هناك جوانب قصور في دور المراجع الخارجي تجاه إدارة المخاطر، حيث حصلت إحدى الفقرات على أقل من المحايد (٣)، بينما لم يتجاوز معظم الفقرات متوسطاتها درجة الموافق (٤).
- ٥ - من خلال استعراضنا للأوزان التي حصلت عليها فقرات دور المراجع الداخلي نستنتج أن هناك ضعف في فهم المراجعين لدورهم تجاه إدارة المخاطر، وقبولهم أحيانا لمسئوليات تنفيذية متعلقة بإدارة المخاطر.
- ٦ - هناك ضعف في إدراك المدراء لمسؤولية المراجع الداخلي الخاصة بإدارة المخاطر، وهذا تم استنتاجه من حصول هذا العامل على اهتمام المراجعين بشكل كبير، وكذلك تكليف المدراء للمراجعين أحيانا بمسؤوليات تنفيذية.
- ٧ - عدم وجود برامج تدريبية مستمرة ومتنوعة لكل من المراجعين، وأعضاء مجلس الإدارة الأمر الذي يؤدي إلى عدم فهم البعض منهم لدورهم في إدارة المخاطر، وقدرتهم على انجاز الأعمال الموكلة إليهم بكفاءة.
- ٨ - أهمية وظيفة المراجعة الداخلية ودورها باعتبارها وظيفة سائدة للإدارة.

ثانياً : التوصيات

- لتحسين دور المراجع الداخلي تجاه إدارة المخاطر نوصي بالآتي: -
 - ١ - على الدولة إنشاء معهد لتأهيل المراجعين الداخليين، يمنح شهادات معتمدة بذلك، ويعطي دورات تدريبية للمراجعين المؤهلين، لضمان التأهيل المستمر.
 - ٢ - على الجامعات والمعاهد المتخصصة عقد الندوات والمؤتمرات والدراسات الخاصة بالمراجعة الداخلية .
 - ٣ - على البنك المركزي تدعيم استقلالية مراجعي الحسابات الداخليين في المصارف من بعض التأثيرات عن طريق إجراءات التعيين وتحديد الأجور.
 - ٤ - على المصارف عقد دورات تدريبية دورية لجميع المستويات الإدارية لتعريفهم بأهداف المصرف والنظم والقوانين التي تحكمه، وصلاحيات الوحدات الإدارية المختلفة ومسؤولياتهم وأهمية المراجعة الداخلية لنجاحهم في أداء مهامهم.
 - ٥ - يجب وجود علاقة شراكة بين المراجع الداخلي وإدارات المصرف، والعمل كفريق بالشكل الذي يضمن التعاون الفعال بينهم.

- ٦ - على إدارة المصارف والمراجعين الداخليين الالتزام بالمعايير الدولية فيما يختص بوظيفة المراجعة الداخلية بما يعزز مساهمتها في متابعة وتقييم وتحليل المخاطر.
- ٧ - على الجهات ذات العلاقة نشر الوعي بأهمية المراجعة الداخلية بين أصحاب الأعمال والمسؤولين في القطاع المصرفي .
- ٨ - على وزارة التجارة والصناعة والبنك المركزي إلزام جميع المصارف بتكوين لجان المراجعة الداخلية إلى جانب إدارة للمراجعة الداخلية.
- ٩ - على وزارة التجارة والصناعة والبنك المركزي إلزام جميع المصارف بتكوين إدارة مستقلة ووضع سياسة واضحة لإدارة المخاطر .

المراجع العربية:

- ١) الجوهر. كريمة، والعقدة . صالح، إعادة هندسة المراجعة الداخلي في ضوء المعايير الدولية وأثرها في تعزيز إدارة المخاطر، جامعة العلوم التطبيقية، ٢٠٠٧م.
- ٢) الراوي. خالد وهيب، إدارة المخاطر المالية، الطبعة الأولى، دار المسيرة، عمان، الأردن، ١٩٩٩م،
- ٣) الدهون. إبراهيم رباح، " دور المراجع الداخلي في تفعيل إدارة المخاطر في المصارف العاملة في قطاع غزة، (دراسة تطبيقية)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١١.
- ٤) جمعة، أحمد حلمي. والبرغوثي، سمير، " دور المراجع الداخلي في إدارة المخاطر في البنوك التجارية الأردنية دراسة ميدانية" بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي السابع، إدارة المخاطر واقتصاد المعرفة، المحور الثامن، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة، عمان، الأردن، ٢٠٠٧/٤/١٨م.
- ٥) خلف عبد الله الوردات، التدقيق الداخلي بين النظرية والتطبيق وفقا لمعايير التدقيق الدولية، الطبعة الأولى، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ٢٠٠٦م.
- ٦) خليل، عطا الله وارد، " الدور المتوقع للمراجع الداخلي عند تقديم خدمات التأكيد في البنوك التجارية الأردنية في ظل الحاكمية المؤسسية "، المؤتمر العربي الأول حول المراجعة الداخلي في إطار الحوكمة المؤسسي، القاهرة - مصر، سبتمبر ٢٠٠٥م، ص ٢٤٤ - ٢٥١
- ٧) رضوان، إيهاب ديب، " أثر المراجعة الداخلي على إدارة المخاطر في ضوء معايير المراجعة الدولية (دراسة حالة البنوك الفلسطينية في قطاع غزة)"، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ٢٠١٢م.
- ٨) زياد رمضان، الإدارة المالية في الشركات المساهمة، دار صفاء للنشر، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ٩) طارق عبد العال حماد، إدارة المخاطر: أفراد - إدارات - شركات - بنوك، الإسكندرية، الدار الجامعية، ٢٠٠٧م.

المراجع الأجنبية:

- 1) Anderson, Urton, CH. 4 "Assurance and Consulting Services".2003
- 2) Bou-Raad, G.: "Internal auditors and value-added approach: the new business regime", **Managerial Auditing Journal**, Vol. 15, No. 4, 2000, pp.182-186.
- 3) IIA , Avison for the future , **Professional Practices framework for Internal Auditing** , Altamonte Springs , IIA , 1999a.
- 4) International Federation of Accountants (IFAC). **handbook of international standards on auditing and quality control**, 2009 edition. P 39.
- 5) Institute of Internal Auditors IIA, " **Definition of Internal Auditing**", Issued: October 1, 2008, REV: January 1, 2009 . <http://www.theiia.org> .
- 6) Nagy, L.. and Cenker, W. An assessment of the newly defined internal audit function, **Managerial Auditing Journal**. Bradford: Vol.17, Iss. 3, 2002.
- 7) Parkinson, M.: "Presenter at the Institute of Internal Auditors Educators Symposium", Sydney Australia, 20 October 1999.
- 8) Ratliff, R.L. and Redding, K.F,"**Introduction to Auditing: Logic, Principles, and Techniques**", The Institute of Internal Auditors, Florida, 2002.
- 9) RSM Astute Consulting." **Internal Audit and Risk Management**". 2008.
- 10) Simmons, M. R.: "COSO Based Auditing", **Internal Auditor**, Vol. 54, December 1997, pp. 68-73.
- 11) The Institute Of Internal Auditors, «**International Standards For Professional Practice Of Internal Auditing**», USA, 2008.
- 12) The Institute of Internal Auditors Research Foundation (IIARF), **Internal Auditing's Role in Risk Management**, Maitland Avenue, Altamonte Springs, Florida, 2011.

- 13) The Institute Of Internal Auditors, « **IIA Position Paper: The Role Of Internal Auditing In Enterprise-Wide Risk Management** », USA: January 2009.
- 14) The Institute of Internal Auditors UK and Ireland. " **The Role of Internal Auditors in Risk Management**" . 2004
- 15) The Institute Of Risk Management, « **A Risk Management Standards**», London.
- 16) Uma Sekaran, **Research Methods for Business**, Second Edition, John Wiley and Sons, New York, 1992.
- 17) William R .Kinney. Jr, **Auditing Risk Assessment and Risk Management Processes**, The Institute of Internal Auditors Research Foundation copyright by IIA, 2003 .

مواقع إنترنت

- 1) http://www.centralbank.gov.ye/App_Upload/Annl_rep2011_ar.pdf
- 2) www.theiia.org.

دور منظمات المجتمع المدني

في تنمية المجتمعات المحلية

دراسة مسحية ميدانية على عينة من منظمات المجتمع المدني
(التنموية) بمحافظة حضرموت

د. محمد سالم بن جمعان

أستاذ علم الاجتماع المساعد كلية الآداب - جامعة حضرموت



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

دور منظمات المجتمع المدني في تنمية المجتمعات المحلية

(دراسة مسحية ميدانية على عينة من منظمات المجتمع المدني (التنموية) بمحافظة حضرموت)

ملخص البحث

عدد (٧) منظمة وجمعية ومؤسسة مجتمع مدني .

أبرز نتائج الدراسة: وجود فجوة بين بعض الجمعيات والمجتمع المدني، وهناك جمعيات ومنظمات أنشئت أساسا لأغراض محددة لتلبية لبرامج تنموية محددة، ومن ثم توقفت تلك الجمعيات، ووجود تجارب تنموية سابقة لم تنجح، بسبب عدم إخضاعها للتقييم والدراسة قبل البدء في تلك الأنشطة، وعدم الفهم لطبيعة وتقاليده تلك المجتمعات المحلية، مما عرض تلك البرامج والأنشطة للفشل .

تبحث هذه الدراسة في دور منظمات المجتمع المدني في تنمية المجتمعات المحلية، وهدفت الدراسة إلى التعرف على الوضع الحالي لتلك المنظمات والجمعيات الأهلية ونقاط القوة والضعف لديها، لإبراز دورها في المجتمع، وما التدخلات اللازمة لإنعاش دور تلك المنظمات والجمعيات، واستخدام في هذه الدراسة منهج المسح الاجتماعي بالعينة، وتم الاعتماد على الملاحظة المباشرة، والاستبيان، والمقابلات الشخصية، وتكونت عينة الدراسة من

Abstract:

This study examines the role of civil society organizations in the development of local communities, , The study aimed to identify the current situation of those organizations, and their strengths and weaknesses , To show their role in society, and the interventions necessary to revitalize role of those organizations and associations , this study Used a sample social survey method, and direct observation, questionnaire, and personal interviews, the study sample consisted of (7) Association and civil society organization.

Results of the study: there is a gap between some associations and civil society, and there are associations and organizations been established mainly for specific purposes to meet the developmental programs selected, and then stopped these associations, and the presence of the experiences of developmental precedent did not succeed, because it doesn't subject to evaluation and study before the start of such activities, and the lack of understanding the nature and traditions of those communities, which offer such programs and activities for the failure.

مقدمة :

تقدم المنظمات غير الحكومية خدمات اجتماعية نوعية كثيرة في مجالات حيوية عديدة كالصحة والتعليم والبحث العلمي والتنمية المحلية وغيرها، يتم ذلك من خلال شريحة واسعة من المؤسسات والهيئات والأنشطة والمنظمات غير الحكومية والتي تشكل في مجموعها البناء المؤسسي للقطاع الخيري والتطوعي بشقيه الوقفي والتبرعي.

كما تلعب المنظمات غير الحكومية (الأهلية) الدور الكبير في تنمية المجتمع بكافة مجالاته، كونها تمس كل المجالات الخدمية والتطوعية والخيرية والقطاعات الصناعية والحكومية فلا يكتفي دورها في تقديم خدمة بطبيعتها تطوعية، خيرية، تعاونية، غير ربحية - وإن كانت في بعض الحالات تحقق ربح لكن لأهداف تنموية - وإنما يمتد دورها في إعطاء المجتمع ميزة وطابع تنموي إصلاحي يؤهلها لتواكب السير مع العالم الخارجي بجميع فئاته .

ووفقا لوثائق الأمم المتحدة الصادرة في عام ١٩٩٤، تمثل المنظمة غير الحكومية كيانا غير هادف للربح وأعضاؤه مواطنون أو جماعات من المواطنين ينتمون إلى دولة واحدة أو أكثر وتتحدد أنشطتهم بفعل الإرادة الجماعية لأعضائها، استجابة لحاجات أعضاء واحدة أو أكثر من الجماعات التي تتعاون معها المنظمة غير الحكومية (١).
و يشير هذا المصطلح أيضا إلى اتحاد أو جمعية أو مؤسسة أو صندوق خيري أو مؤسسة (شركة) لا تسعى للربح أو أي شخص اعتباري آخر لا يعتبر بموجب النظام القانوني المعني جزءاً من القطاع الحكومي ولا يدار لأغراض تحقيق الربح، حيث لا يتم توزيع أي أرباح تحققت (٢).

أما القانون اليمني رقم (١) لعام ٢٠٠١م، فقد عرف الجمعيات الأهلية بأنها " الجمعية : أي جمعية أهلية تم تأسيسها طبقاً لأحكام هذا القانون من قبل أشخاص طبيعيين لا يقل عددهم عن (٢١ شخص) عند التأسيس، غرضها الأساسي تحقيق أو

(١) نجوى سمك والسيد صديقي عابدين. دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة : الخبرتان المصرية واليابانية. مركز الدراسات الآسيوية. القاهرة، ٢٠٠٢، ص٤٨.

(٢) دليل الممارسات السلمية بشأن وضع القوانين المتعلقة بالمنظمات غير الحكومية. مسودة مناقشة. أعدها البنك الدولي. المركز الدولي لقوانين الهيئات التي لا تستهدف الربح. بحث رقم ١٢٦، مايو ١٩٩٧. سلسلة بحوث التنمية الاجتماعية. على موقع التميز للمنظمات غير الحكومية: www.ngoco.org

مزاولة أنشطة ذات نفع عام، ولا تستهدف من نشاطها جني الربح المادي لأعضائها، ويكون نظام العضوية مفتوحاً وفقاً للشروط المحددة في نظامها الأساسي. (٣). وتعرف أيضاً بأنها "تنظيم اجتماعي يستهدف غاية ومن أجل بلوغها تحدد نشاطها في بيئة جغرافية بعينها أو في ميدان نوعي أو وظيفي متخصص فيه". وبناء على ذلك فالجمعيات الأهلية تعد جزءاً من المنظمات غير الحكومية في المجتمع، والتي تعتبر شكلاً منظماً من أشكال المشاركة الشعبية، وتتيح هذه الجمعيات الفرصة لأعضائها كي ينظموا أنفسهم، ويتخذوا قرارات ويمارسوا أنشطة تخصصهم أو تخص جماعة منهم أو تخص مجتمعهم وحياتهم الاجتماعية في المجتمع ككل.

الفصل الأول : الإطار المنهجي للدراسة

أولاً : مشكلة الدراسة

تعاني الكثير من منظمات المجتمع المدني في الجمهورية اليمنية من القصور في خدمة أهدافها التي رسمتها لسياساتها التنموية الخدمية للمجتمع، مما يجعلها في كثير من الأحوال غير قادرة على الاستجابة لمتطلبات المجتمع، والمساهمة في خدمته لاسيما خلال الفترات العصيبة التي تمر بها تلك المجتمعات سواء من خلال تعرض تلك المجتمعات للكوارث الطبيعية أو الحروب والاقتتال الداخلي والخارجي . كل تلك الظروف التي تمر بها تلك الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني تستدعي الوقوف عند أسباب ذلك القصور لديها، وما هي الآليات المناسبة لانتشال تلك المنظمات والجمعيات من وضعها الحالي للوصول بها إلى ما تصبوا إليه من أهداف مجتمعية جلية.

ثانياً : أهمية الدراسة

تأتي هذه الدراسة لإلقاء الضوء على ما تقدمه بعض جمعيات ومنظمات المجتمع المدني من خدمات للمجتمع، خصوصاً أثناء تعرض تلك المجتمعات لأزمات وكوارث طبيعية، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال التعرف على طبيعة نشأة تلك الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، وبحث مكامن القوة والضعف لديها، ومدى ارتباطها بالقضايا المجتمعية الملحة، وإبراز دورها التنموي في تلك المجتمعات.

(٣) القانون اليمني للجمعيات والمؤسسات الأهلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١، ولائحته التنفيذية رقم (١٢٩) لسنة ٢٠٠٤ م .

ثالثاً : أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى عمل مسح ميداني للجمعيات ومنظمات المجتمع المدني (التمموية) بمحافظة حضرموت، بحيث يتم تقييم تلك المنظمات والجمعيات من النواحي التالية :

١. مدى فاعلية وكفاءة تلك الجمعيات والمنظمات .
٢. مدى ما تقدمه للمجتمع من خدمات تمموية في ظل تهاوي دور السلطات المحلية.
٣. جوانب الضعف والقوة لدى الجمعيات، وما هي أسباب القوة وأسباب الضعف.
٤. التعرف على وسائل التدخل المناسبة لدعم جوانب الضعف لدى تلك الجمعيات.

رابعاً : تساؤلات الدراسة

١. ما مدى فاعلية وكفاءة تلك الجمعيات والمنظمات في المجتمع؟
٢. هل تقوم تلك الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني بدورها في تقديم خدمات تمموية في ظل تهاوي دور السلطات المحلية ؟
٣. ما جوانب الضعف والقوة لدى الجمعيات، وما أسباب القوة وأسباب الضعف ؟
٤. ما وسائل التدخل المناسبة لدعم جوانب الضعف لدى تلك الجمعيات ومنظمات

المجتمع المدني ؟

خامساً : نوع الدراسة

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي تسعى للتعرف على طبيعة الخدمات التي تقدمها الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، من خلال التعرف على مقومات تلك المنظمات وإمكاناتها البشرية والمادية، حيث أن الدراسات الوصفية تتجه إلى تصنيف الحقائق والبيانات وتحليلها، ثم استخلاص النتائج وتعميمها . كما تهدف الدراسات الوصفية إلى وصف الظواهر الاجتماعية في صورة كمية للكشف عن مدى قوة أو ضعف أي من هذه الظواهر في البناء الاجتماعي (٤)، ولا تقف الدراسات الوصفية عند حد الوصف أو تقرير ما هو واقع، ولكنها تبحث في الأسباب، وقد يتعدى ذلك إلى مرحلة التنبؤ (٥) .

(٤) زيدان عبدالباقي، قواعد البحث الاجتماعي، (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٨٠ م)، ص ٢٦٥.

(٥) عبدالله محمد عبدالرحمن، محمد علي البدوي، مناهج وطرق البحث الاجتماعي، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢ م)، ص ٢٧٩.

سادساً : أدوات جمع البيانات في الدراسة :

اعتمدت الدراسة على صحيفة الاستبيان " Questionnaire " والتي احتوت على البيانات الأولية لكل جمعية أو منظمة وتاريخ إنشائها وأهدافها، كما احتوت صحيفة الاستبيان على مجموعة من الأسئلة المتعلقة بالخدمات التي تقدمها للمجتمع، والتدريب الذي تحصل عليه أعضاؤها، وما هي الاحتياجات التدريبية اللازمة لتطوير أدائها .

كما أجريت بعض المقابلات الفردية مع رؤساء تلك الجمعيات وبعض الأعضاء لتوضيح نقاط القوة والضعف لدى تلك الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني، بالإضافة إلى الملاحظة المباشرة، وبعض المصادر الثانوية مثل الخطط والأنظمة واللوائح المتعلقة ببعض الجمعيات) .

سابعاً : مجالات الدراسة

١. المجال الجغرافي : شملت الدراسة في مجالها الجغرافي محافظة حضرموت بالجمهورية اليمنية.

٢. المجال البشري : وهو ما شكل مجتمع الدراسة والمكون من (٧) جمعيات ومنظمات مجتمع مدني، منها (٤) في مناطق حضرية، و(٣) في مناطق ريفية، وقد تم اختيارها بشكل عمدي بما يتلاءم مع أهداف الدراسة .

٣. المجال الزمني : استغرقت الدراسة فترة شهرين تقريباً شملت النزول الميداني للجمعيات وجمع البيانات، ومن ثم مرحلة تحليل البيانات وتفسيرها، ومن ثم استخلاص النتائج والتوصيات .

الفصل الثاني : مفاهيم الدراسة

إن تحديد المفاهيم المختلفة لموضوعات البحث، يمثل أهمية كبيرة تضيف على الدراسة ضرباً من المعرفة المتنوعة بجوانبها الاجتماعية المختلفة، وتحقق نوعاً من الدقة والموضوعية^(٦) .

أولاً : منظمات المجتمع المدني :

لقد برزت في الآونة الأخيرة منظمات المجتمع المدني كجزء مهم في نسيج البناء الاجتماعي، وأصبح لها دوراً كبيراً في المجتمعات الحديثة، بما تقدمه من أنشطة وبرامج تخدم الشرائح المختلفة في المجتمع .

(٦)محمد شفيق، محمد علي البدوي، البحث الاجتماعي: الأسس والخطوات المنهجية، (الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٣م)، ص ٦٢.

ويشير مفهوم منظمات المجتمع المدني - حسب البنك الدولي - إلى مجموعة كبيرة من المنظمات تضم: جمعيات المجتمعات المحلية، المنظمات غير الحكومية، النقابات العمالية، الجمعيات الخيرية، والمؤسسات^(٧).

ومن أجل توضيح مفهوم منظمات المجتمع المدني لا بد من الوقوف على بعض العناصر التي تشترك بها هذه المنظمات، والتي تعتبر أساس تكوينها ومن أهم هذه العناصر^(٨):

١. أنها تقوم على أساس فكرة الطوعية في أغلب عملها .
٢. وجود فكرة المؤسسة والتي تشمل مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية .
٣. الدور والغاية الذي تقوم به، وأهمية استقلالها عن السلطة السياسية واستقلال تنظيماتها الاجتماعية، وتقوم على روابط التماسك والتضامن الاجتماعي .
٤. تقوم على أساس وجود منظومة مرتبطة تشمل مفاهيم المواطنة وحقوق الإنسان والتنمية والمشاركة السياسية .

ثانياً: المجتمع المدني :

لقد لعب المجتمع المدني دوراً بارزاً في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية للمجتمعات، وكثرت التفسيرات والاجتهادات التي تتحدث عن المجتمع المدني وصفاته ومكوناته .

يوضح تعريف البنك الدولي الذي يرى المجتمع المدني بأنه تلك المجموعة الكبيرة من المنظمات غير الحكومية والمنظمات التي لا تهدف إلى الربح، وتمارس نشاطها في الحياة العامة، وتتهض بعبء التعبير عن اهتمامات وقيم أعضائها أو الآخرين^(٩).

لقد أصبح مصطلح المجتمع المدني لفظاً جارياً على ألسنة رواد الفكر الاجتماعي والسياسي ودعاة الديمقراطية في العديد من الدول وخاصة النامية والمتخلفة، ويعود ذلك لعدة أسباب منها^(١٠):

١. زيادة الوعي بحقوق الإنسان، والدعوة نحو الحفاظ عليها .

(٧) سميح محسن. دور المجتمع المدني في التحول الديمقراطي : التجربة الفلسطينية من النجاح إلى محاولة الإفشال. ورقة عمل مقدمة في منتدى منظمات المجتمع المدني الموازي لمنتدى المستقبل، صنعاء، ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٧م، ص ١ .

(٨) عامر حسن فياض. المجتمع المدني: دراسة في إشكالية المفهوم، ورقة عمل مقدمة للمنتدى العربي للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٩ ديسمبر ٢٠١١م.

(٩) سميح محسن. المرجع السابق، ص ١ .

(١٠) مدحت أبو النصر، إدارة منظمات المجتمع المدني، (القاهرة : ايتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م)، ص ٧٠، ٧١ .

٢. رغبة المواطنين الحصول على المزيد من الحقوق .

٣. ممارسة نوع من الرقابة على الحكومات .

إن العمل على تقوية المجتمع المدني ليست بالضرورة إضعاف السلطة الحاكمة، بل وجوده ضروري من أجل تحقيق الشراكة المجتمعية والديمقراطية، وتحقيق العدالة والمساواة في المجتمع، وذلك أساس الشراكة الحقيقية بين الدولة والقطاع الأهلي .

ثالثاً: مفهوم التنمية

برز مفهوم التنمية (Development) ليستخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراد، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجة إشباع تلك الحاجات، عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة^(١١).
ولذلك فالتنمية تتميز بمجموعة من الخصائص منها^(١٢):

١. تتناسب مع كل مجتمع .
٢. عملية تغير اجتماعي قد تؤدي إلى تغيرات بنائية، مما يستدعي بالضرورة التنظيم والتنسيق بين مختلف نواحي التنمية .
٣. عملية تعاونية فهي تستلزم التنسيق والتكامل بين الجهد القومي والمجتمعي وتنسيق بين البلدان النامية والبلدان المتقدمة .
٤. عملية تكاملية تربط بين مختلف القطاعات السكانية والمجتمعية والإنتاجية والخدمية .
٥. تعتمد على المشاركة الواعية لكافة أفراد المجتمع في وضع وتحديد أهدافها وبرامج تنفيذها .
٦. تقوم على الابتكار والإبداع لمواجهة الاحتياجات الحقيقية للسكان .

(١١) نصر عارف: في موقع : <http://www.onislam.net/arabic/madarik/concepts21/4/2014>

(١٢) العايب عبد الرحمن. التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة. رسالة دكتوراه. كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير. جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر. ٢٠١٠ - ٢٠١١م. ص ١١ .

رابعاً : الجمعيات الأهلية :

تُعرّف دائرة معارف الخدمة الاجتماعية الجمعيات الأهلية بأنها منظمات غير ربحية وغير حكومية تقدم الخدمات الإنسانية، وتهدف إلى مساعدة الآخرين على تحقيق مستوى أفضل لحياتهم، وهذه المنظمة تعتمد على المتطوعين لتحقيق برامجها⁽¹³⁾.

الفصل الثالث : لمحة تاريخية عن نشأة منظمات المجتمع المدني ومجتمع الدراسة

المبحث الأول : نشأة وظهور منظمات المجتمع المدني:

ترجع أهمية دور القطاع الأهلي في التنمية إلى تراجع دور الحكومات في تقديم الخدمات للمواطنين وتقلص قدراتها في تحقيق التنمية الشاملة مع تطور الأوضاع السياسية والاقتصادية، حيث أصبح من الضروري أن يكون هناك جانب مشارك لهذه الحكومات يتحمل جزءاً من الأعباء التي كانت موكلة إليها، ولكن تغير الأوضاع أوجد للمنظمات الأهلية دوراً مكملاً لدور الحكومة وأحياناً موازياً لها في توفير الخدمات للمواطنين، وخاصة تلك التي تتعلق بالمجالات التنموية .

تعد اليمن من الدول التي تأثرت بالتحويلات الديمقراطية التي سادت العالم، وخاصة عند قيام دولة الوحدة عام ١٩٩٠م، حيث اقترن ذلك بتحول في بناء الدولة .

فهناك تغيرات جوهرية طرأت على السياق العام، وخاصة تزايد عدد المنظمات والجمعيات الأهلية في التسعينيات، وقد اختلف المؤرخون الاجتماعيون في تحديد نشأة الجمعيات والمنظمات غير الحكومية، ويمكن تقسيم تاريخ النشأة والتطور إلى ثلاث مراحل :

- مرحلة ما قبل الاستقلال في الجنوب والثورة في الشمال .
- مرحلة الدولة الشطرية (الجنوب والشمال) .
- مرحلة دولة الوحدة اليمنية .

ونتيجة للمتغيرات السياسية والاقتصادية وغيرها التي تراكمت مع إعلان الوحدة اليمنية، اتسع المجال العام من خلال هامش الحرية الذي جاء كتعبير عن التحول الديمقراطي، فظهرت الجمعيات (المنظمات الأهلية) بل وتزايد حجمها الكمي وتعددت وتنوع مجالات عملها ونشاطها، بالإضافة إلى ظهور منظمات أهلية نسوية مغلقة ومشاركة تعمل في مجالات حديثة لم تكن معروفة من قبل .

(13)Perlmutter,Felice Davidson; 'Encyclopedia of Social Work ', Vol:2 , Washington, National Association of Social Workers , 1995,P:72 .

وقد نشأت المنظمات الأهلية في اليمن تلبية لاحتياجات أفراد المجتمع وتعتبر ضمن الاحتياجات الضرورية للمجتمع، وهذه المنظمات حريصة على الالتزام بقيم وأفكار ومعايير المجتمع المحلي .

لقد تطور نشاط وعمل منظمات المجتمع المدني خلال الآونة الأخيرة في اليمن من خلال أدائه في مجالات متعددة ليمارس دوره كشريك ثالث إلى جوار الدولة والقطاع الخاص في تحقيق التنمية الشاملة للوطن، وتعتمد منظمات المجتمع المدني في اليمن على أساليب العمل التطوعي والمبادرات الذاتية وأصبحت تلعب دوراً بارزاً في التنمية والتخفيف من الفقر، وتعتبر شريكاً أساسياً في إحداث تنمية مستدامة وشاملة كون منظمات المجتمع المدني أكثر قرباً من الناس مما يساعدها في الوصول إلى الفقراء، وتلمس احتياجاتهم^(١٤).

وعلى الرغم من التزايد السريع لمنظمات المجتمع المدني العاملة في المجالين التنموي والحقوقى، إلا أن المنظمات العاملة في الأنشطة الخيرية والإنسانية ما زالت تصدر منظمات المجتمع المدني من حيث العدد وتقدر بحوالي «٣٩١٢» منظمة بنسبة ٤٤٪، وهذه المنظمات تقوم بتقديم المساعدات العينية والنقدية للأسر الفقيرة، وكفالة الأيتام^(١٥).

ويعمل في المجال التنموي حوالي «٩٥٧١» منظمة بنسبة ٣٣٪ وتحمل مسؤولية النهوض بالمجتمع من خلال استهدافها للفئات الفقيرة والمحرومة والتي لا تصل إليها المشاريع ذات المردود طويل المدى كبناء المدارس ومراكز محو الأمية والوحدات الصحية ومشاريع مياه الشرب والكهرباء والتدريب وغيرها من الخدمات التنموية.

المبحث الثاني : لمحة عن مجتمع الدراسة (محافظة حضرموت) :

الموقع :

تقع محافظة حضرموت إلى الشرق من الجمهورية اليمنية، ويبعد مركزها الإداري عن العاصمة صنعاء (٧٧٧ كم)، حيث تقع فلكيا بين خطي عرض (١٤) درجة شمالا تقريبا في حدودها الجنوبية التي تطل بها على بحر العرب، و (١٩) درجة شمالا تقريبا في حدودها الشمالية مع المملكة العربية السعودية، بينما تقع بين خطي طول

(14) <http://www.26sep.net/newsweekarticle.php?lng=arabic&sid=34651,21/4/2014>

(١٥) رمزه الأرياني، صحيفة ٢٦ سبتمبر الالكترونية، المرجع نفسه .

(٤٨) درجة شرقا تقريبا من جهة الغرب المحاذية لمحافظة شبوة، و (٥١) درجة شرقا من جهة الشرق المحاذية لمحافظة المهرة .

المساحة والسكان :

محافظة حضرموت هي أكبر محافظات الجمهورية اليمنية مساحة، تبلغ مساحتها (١٦١٧٤٩) كلم/مربع، وتشكل بذلك نحو (٣٦٪) من إجمالي مساحة الجمهورية اليمنية البالغة (٤٥٠٧٠٦) كلم/مربع، كما يبلغ تعداد سكان حضرموت (١٠٦٠٦٧١ نسمة) تقريبا وفقا لتعداد عام ٢٠٠٢ م .

التقسيم الإداري :

قسمت المحافظة إداريا إلى قسمين : الأول يتكون من المديريات الواقعة على الشريط الساحلي والمرتفعات، ويضم هذا الجزء (١٦) مديرية بما فيها جزيرة سقطرى، ويتكون الجزء الآخر من المديريات الممتدة على طول الوادي والصحراء ويضم (١٤) مديرية، حيث يكون إجمالي مديريات المحافظة (٣٠) .^(١٦)

لمحة عن مجتمع حضرموت

لقد كان الحضارمة في مقدمة العرب الذين عرفوا السفر والبحر واستقروا في بلاد الله الواسعة، حيث كان لهم السبق في شرق أفريقيا وأماكن كثيرة من آسيا، وكان لأخلاقهم ولين معشرهم العامل الهام في نشر الإسلام والحضارة العربية، لذا كانوا بحق سفراء أسهموا بشكل رائع في تعريف أفريقيا وآسيا بالحضارة العربية الإسلامية .

فحضرموت ذلك الجزء الشرقي الواسع من اليمن، اسم له بريق خاص، يحمل الكثير من المعاني الحضارية والثقافية، فهو مهد الحضارات القديمة، ولقد ظهرت وعاشت قرونا، ثم وهنت وضعفت وزالت، مخلفة لنا قدرا كبيرا من الآثار والمعالم تشير إلى مجد غابر وجهد إنساني مثابر .

التسمية :

لقد جاء في القرآن الكريم ذكر الأحقاف: ﴿وَأذْكُرْ آخَا عَادَ إِذْ أُنذِرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ {سورة الأحقاف، الآية (٢٠)} .

(١٦) الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجهاز المركزي للإحصاء، حضرموت في أرقام ٢٠٠٢ م، حضرموت، المكلأ، العدد (١٣)، يوليو ٢٠٠٣ م، ص ٣ .

ويعمل سكان الإقليم الساحلي الحضرمي بالعديد من الحرف التقليدية المعروفة، وأهمها حرفة التجارة والنقل البحري واصطياد السمك، وبعض أشكال الزراعة البدائية، والحرف اليدوية والصناعات البسيطة .

وقد اشتهر سكان حضرموت بالتجارة والملاحة البحرية، فكانت حضرموت ترتبط بطرق تقليدية بحرية بالعديد من المراكز التجارية في المحيط الهندي والخليج العربي وأفريقيا، وبشكل عام فقد ساد المنطقة عدد من المناشط الاقتصادية التقليدية قبل دخول القوى الاستعمارية وسيطرتها واحتكارها النشاط التجاري . (١٧)

الفصل الرابع : الدراسة الميدانية (منظمات المجتمع المدني – التنموية – في حضرموت)

الجمعيات ومنظمات المجتمع المدني التنموية بمحافظة حضرموت :

١ . جمعية التنمية الاجتماعية بغيل باوزير

- ❖ **البيانات الأولية :** تقع جمعية التنمية الاجتماعية بمدينة غيل باوزير التي تتبع مديرية غيل باوزير بمحافظة حضرموت، وتعد تلك المدينة من المناطق الحضرية بحضرموت، وقد تأسست الجمعية بتاريخ ٢٠ / ١ / ٢٠٠٣م، وتحمل الجمعية ترخيص رقم (٢١٨)، ومن أبرز أهداف جمعية التنمية الاجتماعية التالي :
- المساهمة في جهود تنمية المجتمع ومتابعة المشاريع التي تحتاج إليها المديرية بالتنسيق مع الجهات الحكومية والغير حكومية والمناحة .
 - الاهتمام والعناية بالشباب من الجنسين، والعمل على تدريبهم وتأهيلهم وتعليمهم ورفع الوعي لديهم وتجيع طلبة العلم فيما يسهم في تحقيق نهضة المجتمع .
 - النهوض بالمرأة والعمل على تعليمها وتدريبها ورفع الوعي لديها، وتبني قضاياها لدى أصحاب القرار بما يمكنها اقتصاديا ويحقق مشاركتها الفاعلة في تنمية المجتمع .
 - العناية بالطفل وتنفيذ البرامج والمشاريع التي تسهم في بناء جيل قادر على أداء دوره في التنمية .

(١٧) عادل أحمد الكسادي، التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت ١٩٠٠-١٩٦٧م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (١٠٠) لسنة ٢٠٠١م، أبوظبي، ص ١١٠ .

- تقديم الدعم المالي والعيني والقروض للمحتاجين وذوي الاحتياجات الخاصة من الجنسين، وأصحاب المشاريع الصغيرة .
- العمل على تكريم قيادات العمل الاجتماعي ورواده بما يسهم في الانخراط في العمل التطوعي بشكل عام .

وتعمل الجمعية في نطاق مديرية غيل باوزير كاملة، ولدى الجمعية مقر ولكنه بالإيجار، حيث يوجد به مركز التنمية للحاسوب واللغات، وهو تحت إدارة وإشراف الجمعية، والذي تم افتتاحه في ٢٠٠٥/٤/١٥م، ويعمل على تدريب الشباب من الجنسين وتأهيل الكادر بالمديرية في عدة برامج منها : برامج الحاسوب، النظام المحاسبي، اللغة الإنجليزية، المهارات الوظيفية، والمشاريع الصغيرة .

كما تشرف الجمعية على مركز الأسر المنتجة وتديره، وهذا المركز لديه مبنى ملك والذي تم افتتاحه في ٢٠١٠/٥/١٨م بتمويل من مشروع الأشغال العامة ، ويقدم خدمات التدريب لنساء المديرية في عدة مجالات منها : الخياطة والتفصيل، التطريز، الحاسوب، الكوافير، محو الأمية، تحفيظ القرآن، الإسعافات الأولية، والتدبير المنزلي، الأشغال اليدوية، ونقش الحناء .

ويبلغ عدد أعضاء الجمعية عند التأسيس (٥٤ عضوا)، أما عددهم الحالي فيبلغ (٧٩ عضوا) أي ازدياد عدد الأعضاء بنسبة (٣١ %) .

يتواجد في الجمعية أعلى نسبة من أعضاء الهيئة الإدارية من الجامعيين وقد بلغت (٤٤.٤ %) من مجموع الهيئة الإدارية وهم يشكلون تقريبا النصف ، وهو مؤشر لارتفاع المستوى التعليمي لدى الهيئة الإدارية، وكذلك بالنسبة للأعضاء من الرقابة والتفتيش، فهناك أيضا النصف منهم بمستوى الدبلوم .

ومن أبرز أسباب نجاح الجمعية في إدارة أنشطتها هو البحث عن التمويل والمتمثل في أكثر من جهة سواء كانت حكومية أو تبرعات من فاعلي الخير والمغتربين أو المنظمات سواء الأهلية المحلية أو العربية أو الدولية، وهو مؤشر واضح على قدرات عالية في البحث عن الموارد التي تعوض الموارد الذاتية الغير موجودة . ولا يوجد لجمعية التنمية الاجتماعية استثمارات .

❖ الشراكة مع منظمات أو صناديق في تنفيذ مشاريع : توجد شراكات لجمعية

التنمية الاجتماعية مع منظمات وصناديق لتنفيذ مشاريع ومن أبرزها :

- منظمة سول (برنامج المرأة والتكنولوجيا) .

• منظمة أوكسفام (استراتيجية التخفيف من الفقر) .
وقد استفاد من هذه المشاريع النساء في المجتمع وكذلك مدارس التعليم الأساسي
من ذكور وإناث .

مجالات التدريب التي تم الالتحاق بها :

- التخطيط الاستراتيجي
- المحاسبة
- كتابة مقترحات المشاريع
- تدريب مدربين
- تقديم الدعم النفسي للمتضررين
- تدريب مدربين في الحاسوب
- حصر وتوثيق الآثار الناجمة عن الكوارث .
- التشبيك والتكامل
- الحد من مخاطر الكوارث
- من السيول .

يتضح مما سبق أن الجمعية ومنسوبيها قد حصلوا على عدة دورات تدريبية زادت من مهاراتهم الإدارية والمعرفية والتوعوية، فهناك شق متعلق بتطوير المهارات الإدارية والتي تمثلت في دورات التخطيط الاستراتيجي، والمحاسبة، وكتابة مقترحات المشاريع، والتشبيك والتكامل، وتدريب مدربين في الحاسوب، فيما تم الاستفادة من الشق الآخر من الدورات في الجانب التوعوي والوقائي والمتمثل في الدورات المرتبطة بالكوارث والحد منها ومعالجة أضرارها النفسية.

❖ **أنشطة الجمعية :** يعتبر نشاط جمعية التنمية الاجتماعية اجتماعي خيري تموي، ويستهدف كل من : النساء والرجال والشباب والشابات والأيتام والطلاب وذوي الاحتياجات الخاصة .

جدول رقم (1) يوضح تنفيذ الجمعية للمشاريع خلال الأعوام الخمسة الماضية وهي :

مصادر التمويل	زمن التنفيذ	الفئات المستهدفة			حالته	موقعه	نوعه	اسم المشروع
		مج	إ	ذ				
ذاتي+بعض المنظمات	٢٠٠٣	١٧١٧	✓		مستمر	الغيل	تنموي تعليمي	مركز الأسر المنتجة
ذاتي+بعض المنظمات	٢٠٠٥	٣٨٦٦	✓	✓	مستمر	الغيل	تعليمي	مركز التنمية للحاسوب واللغات
ذاتي+سول	٢٠٠٧	المجتمه ع	✓		مستمر	الغيل	تعليمي توعوي	منتدى المرأة والتكنولوجيا

تتميز مشاريع جمعية التنمية الاجتماعية بالاستمرارية، واستهدافها لأكبر شريحة في المجتمع سواء من النساء أو الشباب والشابات .

جدول رقم (٢) يوضح الخدمات التي تقدمها الجمعية لأعضائها و للمجتمع المحلي

ملاحظات	عدد المستهدفين			فئات المستهدفين		الأنشطة / الخدمات
	إجمالي	إ	ذ	مجتمع	أعضاء	
مختبرات - مخيم طبي - تجهيز مركز الأمومة		✓	✓	✓		دعم الجانب الصحي
كراسي متحركة	١٠٠	✓	✓	✓		ذوي الاحتياجات الخاصة
مختبرات مدرسية - توعية		✓	✓	✓		دعم التعليم
حملات رش ونظافة	المجتمع	✓	✓	✓		حماية البيئة
قناة ري تحويلية للمزارعين				المزارعين		المياه والزراعة
توفير ٥٠% من أجور النقل	٦٠		✓	✓		مشروع دعم الطالب الجامعي
		✓	✓	✓		مخيمات صيفية للعلوم الشرعية والمناهج الدراسية
	٥١	✓	✓	✓		مشروع كفالة يتيم

يتضح من الجدول السابق مدى مساهمة الجمعية في خدمة المجتمع من خلال مختلف الأنشطة والخدمات والتي تستهدف شرائح مختلفة من المجتمع وتشمل أعداد كبيرة من فئات المجتمع من الذكور والإناث. يوجد لدى جمعية التنمية الاجتماعية خطة عامة تنموية وخطة عمل سنوية تنقسم إلى قسمين :

أ. خطة في المجال التنظيمي: تتضمن عقد اجتماعات الهيئة الإدارية والاجتماع الانتخابي واجتماع لجنة الرقابة والتفتيش وإعداد التقارير المالية والإدارية وإعداد خطة وموازنة عام ٢٠١٢م، بالإضافة إلى عقد اللقاءات بإدارات المراكز المشرفة عليها .

ب. خطة البرامج والمشاريع :وتتضمن برنامج كفالة يقيم بأنشطته المختلفة ، واستكمال بعض المشاريع مثل الحاجز المائي ومشغل التنمية للخياطة والتطريز والمستشفى الخيري ، وتنفيذ الدورات التدريبية للجنسين. ومن خلال الاطلاع على نسخة من خطة العمل يتضح وضوح الأهداف لدى الجمعية وتوزيع الأدوار على أعضاء الهيئة الإدارية والمركز التابعة للجمعية ، وهناك تنسيق على مستوى عال في خطة العمل للجمعية.

وتحليل مواطن الضعف والقوة لدى جمعية التنمية الاجتماعية تم استخدام نموذج تحليل (SWOT) وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)	نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - خبرات إدارية متراكمة - دعم المغتربين - المساهمة بالتعاون مع بعض الجهات الأخرى في مجال التدريب والبرامج . - تميز العمل في كافة المجالات بالتخطيط المسبق والجيد والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة مما جعل البرامج التدريبية والإثرائية والتوعوية متميزة . - وضوح الرؤية وآلية العمل لدى إدارة الجمعية 	<ul style="list-style-type: none"> - عدم وجود مقر للجمعية - ضعف الموارد المالية - نقص الأثاث والتجهيزات المكتبية - قلة الكادر - ضعف التأهيل لدى كادر الجمعية - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للجمعية .
الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)	المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - المشاركة في تنظيم الدورات التدريبية والاستعانة بالخبرات ذات العلاقة لتفعيل البرامج التدريبية . - التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة - الشراكة والدعم من السلطة المحلية 	<ul style="list-style-type: none"> - عدم توفر كوادر بشرية مؤهلة في الميدان - عدم اقتناع البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج التدريبية ودعمها . - قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع الجمعية المستقبلية .

ويمكن التغلب على نقاط ضعف جمعية التنمية الاجتماعية من خلال الآتي :

- إنشاء مقر دائم للجمعية .
- توفير مستلزمات التأثيث والتجهيزات .
- إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
- تأهيل كادر الجمعية وزيادة عددهم.

يتضح مما سبق أن الجمعية تتميز بوجود كادر إداري ممتاز وعلى كفاءة جيدة، مما مكن الجمعية من التوسع في أنشطتها بفضل الشراكات مع الكثير من المنظمات، والبحث عن التمويل لمشاريعها وأنشطتها، وكذلك إناء بعض المركز لتشكل رافداً لأنشطتها مثل مركز الأسر المنتجة ومركز المعلومات واللغات، والذي يستقطب العديد من الشباب والشابات .

وتفتقر الجمعية إلى مقر خاص بها رغم وجود قطعة أرض مخصصة للمقر، كون المقر سيساعد الجمعية على التوسع أكثر في الأنشطة والفعاليات، وبالنسبة لعلاقة الجمعية بالمجتمع فهناك ارتباط وثيق من خلال دعم الجمعية لكثير من القطاعات مثل الصحة والتعليم والبيئة، ودعم الطالب الجامعي، والمخيمات الصيفية .

٢. جمعية الأمل الاجتماعية الخيرية ببروم

- ❖ **البيانات الأولية :** تقع جمعية الأمل الاجتماعية الخيرية بمنطقة بروج التي تتبع مديرية بروج ميفع بمحافظة حضرموت، وتعد منطقة بروج من المناطق الساحلية الريفية بحضرموت، وقد تأسست الجمعية بتاريخ ١ / ٤ / ١٩٩٧م، وتحمل الجمعية ترخيص رقم (٥٨)، ومن أبرز أهداف جمعية الأمل الاجتماعية الخيرية التالي :
- تطوير منطقة بروج وضواحيها من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- تقديم الرعاية الاجتماعية للشباب وتشجيع المبرزين، والعمل على مساعدة الطلبة وتشجيعهم على التعليم والتأهيل ومكافحة الأمية والتخلف الاجتماعي .
- تقديم العون المادي للمحتاجين من اليتامى القصر والأرامل والمعوزين الذين لا عائل لهم .
- الاهتمام بالأسرة والعمل على نشر الوعي بين أفرادها بالعادات الاجتماعية الحميدة والسلوكيات الحسنة النابعة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف .
- المساهمة والمشاركة في دعم المشاريع الخيرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

- متابعة الحكومة لتقديم الدعم المادي والمعنوي للمشاريع الخيرية والاجتماعية التي تتبناها الجمعية .

تقوم الجمعية بممارسة نشاطها في مختلف جوانب النشاط الخيري الاجتماعي والثقافي، وتنفذ الجمعية عدة مشاريع وأنشطة خيرية عبر لجانها المختلفة وهي اللجنة الاجتماعية، واللجنة الاقتصادية والصحية، واللجنة العلمية، واللجنة الثقافية والإعلامية، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية عند التأسيس (٤٥ عضواً)، أما عددهم الحالي فيبلغ (٧٢ عضواً) أي ازدياد عدد الأعضاء بنسبة (٣٧٪) .

وبالنسبة لمؤهلات الهيئة الإدارية والرقابة التفتيش، يتضح أن هناك تساوي في نسبة أعضاء الهيئة الإدارية من الجامعيين الدبلوم والثانوي وقد بلغت (٣٣.٣٪) من مجموع الهيئة الإدارية وهم يشكلون تقريبا الثلث، وهو مؤشر لارتفاع المستوى التعليمي لدى الهيئة الإدارية، وكذلك بالنسب للأعضاء من الرقابة والتفتيش، فهناك أيضا النصف منهم بمستوى الدبلوم، فيما تساوت نسبة الموظفين وتوزعت على الدبلوم والثانوي وأقل من الثانوي .

كما أن أحد أسباب نجاح الجمعية في إدارة أنشطتها هو وجود دعم ثابت سواء من اشتراكات الأعضاء أو الدعم الخارجي .

الشراكة مع منظمات أو صناديق في تنفيذ مشاريع :

توجد شراكات لجمعية الأمل الاجتماعية الخيرية مع منظمات وصناديق لتنفيذ مشاريع ومن أبرزها:

- مؤسسة العون (برنامج تحفيظ القرآن) . المستفيدون (٢٤٦ ذكور وإناث)
 - جمعية طالب العلم (الزواج الجماعي) . المستفيدون (١٠٤ شباب وشابات)
- وقد استفاد من هذه المشاريع التلاميذ والتلميذات في المجتمع وكذلك الشباب والشابات المقبلين على الزواج.

مجالات التدريب التي تم الالتحاق بها :

- دراسات الجدوى للمشاريع
- فنون ومهارات السكرتارية
- إعادة إعمار المعيشة
- الحماية القانونية للحد من الاغتصاب.
- الإسعافات الأولية

يتضح مما سبق أن الجمعية ومنتسبيها قد حصلوا على عدة دورات تدريبية زادت من مهاراتهم الإدارية والمعرفية والتوعوية، ولكن تعتبر هذه الدورات غير كافية خصوصا ما يتعلق بالجوانب الإدارية، ومصادر الحصول على التمويل.

❖ **أنشطة الجمعية:** يعتبر نشاط جمعية الأمل الاجتماعية اجتماعي خيري ثقافي، ويستهدف كل من: النساء والرجال والشباب والشابات والأيتام والطلاب وذوي الاحتياجات الخاصة، وتتميز مشاريع جمعية الأمل الاجتماعية الخيرية بالاستمرارية، واستهدافها لأكبر شريحة في المجتمع سواء من النساء أو الشباب والشابات.

جدول رقم (3) يوضح كما الخدمات التي تقدمها الجمعية لأعضائها و للمجتمع المحلي

ملاحظات	عدد المستهدفين			فئات المستهدفين		الأنشطة / الخدمات
	إجمالي	!	ذ	مجتمع	أعضاء	
عيادة الأمل - مخيم طبي - دعم الحالات المرضية		✓	✓	✓		دعم الجانب الصحي
رواتب موجهين الحلقات		✓	✓	✓		كفالة حلقات القرآن
نقل الطلاب - تكريم الأوائل - دروس التقوية - رياض الأطفال		✓	✓	✓		دعم التعليم
دعم حملات النظافة والإصحاح البيئي	المجتمع	✓	✓	✓		حماية البيئة
قناة ري تحويلية للمزارعين	المتضررين من الكوارث					إغاثة منكوبي الكوارث
توفير مواصلات لنقل الطلاب		✓	✓	✓		مشروع دعم الطالب الجامعي
		✓	✓	✓		مخيمات صيفية للعلوم الشرعية والمناهج الدراسية
دعم نادي النصر الرياضي - الأنشطة الرياضية			✓	✓		دعم الجانب الرياضي

يتضح من الجدول السابق مدى مساهمة الجمعية في خدمة المجتمع من خلال مختلف الأنشطة والخدمات والتي تستهدف شرائح مختلفة من المجتمع وتشمل أعداد كبيرة من فئات المجتمع من الذكور والإناث .

يوجد لدى جمعية الأمل الاجتماعية خطة عامة تنموية وخطة عمل سنوية وكذلك هناك خطط فرعية لكل لجنة تقدمها بداية كل عام، كما يوجد لدى الجمعية نظام للتقييم من خلال استمارات تقييم الأداء الشهري والفصلي لكل لجنة .

ومن خلال الاطلاع على نسخة من خطة العمل يتضح وضوح الأهداف لدى الجمعية وتوزيع الأدوار على أعضاء الهيئة الإدارية واللجان التابعة للجمعية، وهناك تنسيق على مستوى عال في خطة العمل للجمعية.

ولتحليل مواطن الضعف والقوة لدى جمعية الأمل الاجتماعية الخيرية تم استخدام نموذج تحليل (SWOT) وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)	نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - خبرات إدارية متراكمة وفاعلة - دعم المغتربين وفاعلي الخير - العمل بروح الفريق الواحد - تميز العمل في كافة المجالات بالتخطيط المسبق والجيد والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة مما جعل البرامج والأنشطة متميزة . -آلية العمل واضحة لدى إدارة الجمعية -وجود قطعة أرض باسم الجمعية كمقر . 	<ul style="list-style-type: none"> - عدم وجود مقر للجمعية - تخاذل بعض الأعضاء وعدم فعاليتهم - قلة الدعم المالي خصوصا في الفترات الأخيرة - قلة الكادر - ضعف التأهيل لدى كادر الجمعية - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للجمعية .
الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)	المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - المشاركة في تنظيم الفعاليات والأنشطة الخيرية والاستعانة بالخبرات ذات العلاقة لتفعيل البرامج الخيرية للجمعية . - التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة - الشراكة والدعم من السلطة المحلية 	<ul style="list-style-type: none"> - عدم توفر كوادر بشرية مؤهلة في الميدان - عدم تفاعل البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج الخيرية ودعمها . - قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع الجمعية المستقبلية واعتماد الجمعية على مصدر واحد للتمويل .

ويمكن التغلب على نقاط ضعف جمعية الأمل الخيرية الاجتماعية من خلال الآتي :

- إنشاء مقر دائم للجمعية .
 - إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
 - استبعاد الأعضاء الغير فاعلين في الجمعية .
 - تأهيل كادر الجمعية وزيادة عددهم .
- يتضح مما سبق أن الجمعية تتميز بوجود كادر إداري ممتاز وعلى كفاءة جيدة، مما مكن الجمعية من التوسع في أنشطتها بفضل التوسع في الأنشطة والخدمات المقدمة للمجتمع، وبالنسبة لعلاقة الجمعية بالمجتمع فهناك ارتباط وثيق من خلال دعم الجمعية لكثير من القطاعات مثل الصحة والتعليم والبيئة والرياضة، ودعم الطالب الجامعي، والمخيمات الصيفية . وبذلك تعتبر جمعية الأمل الاجتماعية الخيرية من الجمعيات النموذجية والنشطة في المجتمع، وتستطيع إدارة برامج للقروض والتمويل الأصغر بفضل خبرات الكادر الإداري .

٣. مؤسسة حضرموت الخيرية للتنمية

❖ **البيانات الأولية :** تقع مؤسسة حضرموت الخيرية للتنمية بمدينة المكلا بمحافظة حضرموت، وقد تأسست الجمعية بتاريخ ٢٨/١٠/٢٠٠٢م، وتحمل الجمعية ترخيص رقم (٥٠)، ومن أبرز أهداف مؤسسة حضرموت الخيرية للتنمية التالي:

- المساهمة في تطوير المعلم، وتنظيم برامج تساهم في رقي الطلاب، والاهتمام بالطلاب المتفوقين.
 - تقديم الخدمات للمجتمع في المجالات التعليمية والصحية والاجتماعية .
 - تنظيم برامج تساهم في رقي المرأة والطفل ثقافيا وصحيا وعلميا .
 - المساهمة في تطوير وتنمية المجتمع من خلال المشاريع التنموية .
 - تنظيم برامج الرعاية الاجتماعية للأيتام والأسر المنتجة والاهتمام بالشباب .
- تقوم المؤسسة بممارسة نشاطها في مختلف جوانب النشاط الخيري الاجتماعي والثقافي والتعليمي، وتنفذ المؤسسة عدة مشاريع وأنشطة خيرية، وتشرف المؤسسة على ثلاثة مراكز تعليمية : مركز الضياء التعليمي بالمكلا وفيه تقام دورات الكمبيوتر وحصص التقوية وروضة أطفال، وأنشطة نسوية مثل الخياطة والتطريز والتدبير المنزلي والكوافير، وكذلك تشرف المؤسسة على مركز الضياء التعليمي بالديس، وكذلك مركز البيان التعليمي .

ويتكون قوام المؤسسة من مجلس الأمناء وعددهم (٤) عند التأسيس و(٣) من الهيئة الإدارية بالإضافة إلى المدير التنفيذي بمجموع (٨) ، أما العدد الحالي فقد أصبح مجلس الأمناء بقوام (٦) ، إضافة إلى المدير التنفيذي، إضافة إلى (٦) من الهيئة الإدارية بمجموع (١٣) . أي ازدياد عدد الأعضاء بنسبة (٣٨.٤ %) .
أما فيما يتعلق بمؤهلات الهيئة الإدارية ومجلس الأمناء بالمؤسسة، يتضح ارتفاع مؤهلات منتسبي المؤسسة بشكل واضح ليصل إلى مراتب علمية عليا مثل الدكتوراه والماجستير .

وتعتمد المؤسسة على الموارد التي تأتي عن طريق التبرعات سواء كانت تبرعات عينية أو تبرعات نقدية ، إضافة إلى دعم بعض المنظمات الأهلية المحلية مثل مؤسسة العون، والمنظمات العربية مثل منظمة الهلال الأحمر الإماراتية، وهي تشكل أحد مكاسب المؤسسة في الشراكة التنموية ، ولا يوجد لمؤسسة حصرموت الخيرية للتنمية استثمارات .

❖ **الشراكة مع منظمات أو صناديق في تنفيذ مشاريع** : توجد شراكات لمؤسسة

حصرموت الخيرية للتنمية مع منظمات وصناديق لتنفيذ مشاريع ومن أبرزها:

- مؤسسة العون (سكن خيري في صنعاء) . المستفيدين (١٠٠٠٠ مريض ومرافق) .

تدريب وتأهيل قيادات المراكز النسوية . المستفيدين (قيادات نسوية في المراكز)

- جمعية صناعات الحياة (تبادل الملابس) . المستفيدين (الفقراء والمساكين) .
- مكتب وزارة الصحة (معدات صحية) . المستفيدين (المراكز والوحدات الصحية) .
- مؤسسة البادية (كفالة أيتام - دعم الأسر المحتاجة - حقيبة مدرسية) . المستفيدين (الفقراء والمساكين والأطفال) .
- الهلال الأحمر الإماراتي (كسوة العيد - سلة غذائية) . المستفيدين (الفقراء والمساكين) .

وهنا يتضح مدى قدرة المؤسسة في خلق شراكات فاعلة تساهم في أنشطة وفعاليات المؤسسة بشكل ملموس، مما يزيد من دائرة الاستهداف وتقديم الخدمات على مستوى جميع أفراد المجتمع المحلي .

مجالات التدريب التي تم الالتحاق بها :

- الإدارة المالية
- النظام المحاسبي المتكامل

- التخطيط الاستراتيجي
- دورة تدريب مدربين
- النوع الاجتماعي
- إدارة الموارد المالية .
- دورة حياة المشروع
- معالجات للحد من الكوارث
- صناع القرار

يتضح مما سبق أن المؤسسة ومنتسبيها قد حصلوا على عدة دورات تدريبية زادت من مهاراتهم الإدارية والمعرفية والتوعوية، ولكن تعتبر هذه الدورات غير كافية خصوصا ما يتعلق بالجوانب الإدارية، ومصادر الحصول على التمويل .

❖ **أنشطة المؤسسة** : يعتبر نشاط مؤسسة حضرموت الخيرية اجتماعي خيري ثقافي وتعليمي، ويستهدف كل من : النساء والرجال والشباب والشابات والأيتام والطلاب وذوي الاحتياجات الخاصة .

جدول رقم (٤) يوضح المشاريع التي نفذتها المؤسسة خلال الأعوام الخمسة الماضية وهي :

مصادر التمويل	زمن التنفيذ	الفئات المستهدفة			حالته	موقعه	نوعه	اسم المشروع
		مج	إ	ذ				
ذاتي	٢٠٠٥ ٢٠٠٦ ٢٠١٠			✓ ✓	مستمر	الديس المكلا	تعليمي	المراكز التعليمية
ذاتي		١٧٠ ٠	✓	✓	مستمر	كل المراكز	تعليمي	رياض الأطفال
ذاتي ٣٠%	٢٠٠٢	٥٥		✓	مستمر	المكلا	خيري	سكن الأرياف
ذاتي	٢٠٠٣		✓	✓	مستمر	صنعاء	خيري	سكن حضرموت الخيري
مشترك	٢٠٠٣	٨٨٠	✓	✓	مستمر	المكلا	خيري اجتماعي	برامج اجتماعية (أضاحي - مساعدات علاجية - أيتام)
ذاتي	٢٠١٠	١٢٠	✓		مستمر	المكلا	اجتماعي	برنامج تنمية المرأة

مشارك	٢٠٠٥	✓	✓	موسمي	المكلا	موسمي خيرى	مشاريع موسمية (حقيبة مدرسية - توزيع التمور - إفطار صائم)
مشارك	٢٠٠٥	✓	✓	موسمي	المكلا	دعوي خيرى	برامج دعوية (حلقات التحفيظ - كفالة الدعاة)

تتميز مشاريع مؤسسة حضرموت الخيرية بالاستمرارية، واستهدافها لأكبر شريحة في المجتمع سواء من النساء أو الشباب والشابات .

جدول رقم (٥) يوضح الخدمات التي تقدمها المؤسسة لأعضائها و للمجتمع المحلي

ملاحظات	عدد المستهدفين			فئات المستهدفين		الأنشطة / الخدمات
	إجمالي	!	ذ	مجتمع	أعضاء	
دعم المدارس التعليمية والثانويات		✓	✓	✓		دعم الجانب التعليمي
دورات تدريبية		✓		✓		مراكز نسوية
		✓	✓	✓		مننديات شبابية

يتضح من الجدولين السابقين مدى مساهمة المؤسسة في خدمة المجتمع من خلال مختلف الأنشطة والخدمات والتي تستهدف شرائح مختلفة من المجتمع وتشمل أعداد كبيرة من فئات المجتمع من الذكور والإناث.

ولتحليل مواطن الضعف والقوة لدى مؤسسة حضرموت الخيرية للتنمية تم استخدام

نموذج تحليل SWOT وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)	نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - خبرات إدارية متراكمة وفاعلة - انسجام الهيئة الإدارية - العمل بروح الفريق الواحد - تفهم الهيئة الإدارية للآراء والمقترحات المقدمة من المستويات الأقل . - آلية العمل واضحة لدى إدارة المؤسسة - وجود كوادر على مستوى عالي من التعليم والشهادات العليا. 	<ul style="list-style-type: none"> - ضعف التمويل والمورد المالي - ضعف التأهيل والتدريب الكافي للكادر الإداري - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للمؤسسة . - عدم وجود موازنة تشغيلية للمؤسسة - عدم وجود خطة عمل وخطة استراتيجية

المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)	الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - التفرقة في التعامل بين المؤسسات والجمعيات من قبل السلطة. - عدم تفاعل البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج الخيرية ودعمها . - قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع المؤسسة المستقبلية . - عدم استقرار الأوضاع السياسية - عدم فهم البعض من أفراد المجتمع لدور المؤسسات الخيرية 	<ul style="list-style-type: none"> - المشاركة في تنظيم الفعاليات والأنشطة الخيرية والاستعانة بالخبرات ذات العلاقة لتفعيل البرامج الخيرية للمؤسسة . - التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة - الشراكة والدعم من السلطة المحلية

ويمكن التغلب على نقاط ضعف مؤسسة حضرموت الخيرية للتنمية من خلال الآتي :

- ضمان الحصول على موازنة تشغيلية .
- إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
- تنفيذ القوانين واللوائح من قبل صانعي القرار .
- تأهيل كادر الجمعية وزيادة عددهم .

يتضح مما سبق أن المؤسسة تتميز بوجود كادر إداري متميز ومنسجم وعلى كفاءة جيدة، مما مكن المؤسسة من التوسع في أنشطتها بفضل التوسع في الأنشطة والخدمات المقدمة للمجتمع .

وبالنسبة لعلاقة المؤسسة بالمجتمع فهناك ارتباط وثيق من خلال دعم المؤسسة لكثير من القطاعات مثل الصحة والتعليم، ودعم الطالب الجامعي، والجوانب الخيرية. وبذلك تعتبر مؤسسة حضرموت الخيرية للتنمية من المؤسسات النشطة والفاعلة في المجتمع، وتستطيع إدارة برامج للقروض والتمويل الأصغر بضوابط ومشاريع وبرامج محددة .

٤. جمعية الشحر الخيرية الاجتماعية

❖ **البيانات الأولية :** تقع جمعية الشحر الاجتماعية الخيرية بمدينة الشحر بمحافظة حضرموت، وقد تأسست الجمعية بتاريخ ٢٠٠٠/٣/١٩م، وتحمل الجمعية ترخيص رقم (١٣٩)، ومن أبرز أهداف جمعية الشحر الاجتماعية الخيرية التالي:

- المساهمة في تقديم أوجه الرعاية الاجتماعية لمستحقيها .
- نشر الفضيلة والارتقاء بالوعي الاجتماعي وتعميق روح التأخي .
- الإسهام في مواساة العجزة والمعاقين وكفالة الأيتام .
- تشجيع ودعم وتطوير وتنمية المنطقة .
- حصر الأسر المحتاجة للمساعدة، ودراسة أحوالها بغرض تقديم العون المادي والعييني .

تقوم الجمعية بممارسة نشاطها في مختلف جوانب النشاط الخيري الاجتماعي والثقافي، وتنفذ الجمعية عدة مشاريع وأنشطة خيرية، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية عند التأسيس (٥٥ عضواً)، أما عددهم الحالي فيبلغ (١١٥ عضواً) أي ازدياد عدد الأعضاء بنسبة (٥٢ ٪) .

وبالنسبة لمؤهلات الهيئة الإدارية والرقابة التفتيش، يتضح أن هناك تساوي في نسبة أعضاء الهيئة الإدارية من الجامعيين والثانوي قد بلغ كل منها نسبة (٢٠ ٪) من مجموع الهيئة الإدارية فيما بلغت نسبة من هم يحملون شهادة الدبلوم (٦٠ ٪) وهم يشكلون أكثر من النصف، وهو مؤشر متوسط للمستوى التعليمي لدى الهيئة الإدارية، وكذلك بالنسب للأعضاء من الرقابة والتفتيش، فهناك تساوي في نسبتهم، ولكن مستوياتهم بشكل عام أقل من المتوسط، ولذلك يعتمد كادر الجمعية بشكل رئيسي على الخبرات المتراكمة والإداريين المخضرمين، علماً أن الجمعية فقدت في فترات قريبة اثنين من أعضاء الهيئة الإدارية حيث توفاهم الله .

وقد اتضح لنا أن أحد أسباب استمرار الجمعية في إدارة أنشطتها هو وجود الدعم سواء من الحكومة أو تبرعات أهل الشجر المغتربين الخيرين، والمنظمات الأهلية مثل الصندوق الاجتماعي للتنمية .

❖ **الشراكة مع منظمات أو صناديق في تنفيذ مشاريع:** توجد شراكات لجمعية

- الشجر الخيرية الاجتماعية مع منظمات وصناديق لتنفيذ مشاريع ومن أبرزها:
• مشروع الأشغال العامة (وحدة غسيل الكلي). المستفيدين (مرضى الكلي)
عن طريق منحة عمانية ساهمت الجمعية بتكاليف مساهمة المجتمع وقيمة الدراسة الهندسية والمتابعة .

❖ **أنشطة الجمعية:** يعتبر نشاط جمعية الشجر اجتماعي خيري ثقافي، ويستهدف

كل من: النساء والشباب والشابات والطلاب، كما تتميز مشاريع جمعية

الشجر الخيرية الاجتماعية باستهدافها لأكبر شريحة في المجتمع سواء من النساء أو الشباب والشابات من خلال المراكز التي تشرف عليها مثل المشغل النسوي، ومركز الحاسوب.

جدول رقم (٦) يوضح المشاريع التي نفذتها الجمعية خلال العامين الماضيين

اسم المشروع	نوعه	موقعه	حاليته	الفئات المستهدفة			زمن التنفيذ	مصادر التمويل
				ذ	إ	مج		
مركز تنمية المجتمع والأسر المنتجة	تنموي تدريبي	الشجر المنصورة	مستمر		✓	١٠١	٢٠٠٩	ذاتي ٨٠٪

جدول رقم (٧) يوضح الخدمات التي تقدمها الجمعية لأعضائها و للمجتمع

ملاحظات	عدد المستهدفين			فئات المستهدفين		الأنشطة / الخدمات
	إجمالي	إ	ذ	مجتمع	أعضاء	
الحقيبة المدرسية		✓	✓	✓		دعم التعليم
رواتب موجهين الحلقات		✓	✓	✓		دعم حلقات القرآن
مساعدة مرضى غسيل الكلى		✓	✓	✓		دعم الجانب الصحي
الاهتمام بالمقابر ودعم الأكفان	المجتمع	✓	✓	✓		دعم المقابر

يتضح من الجدول السابق مدى مساهمة الجمعية في خدمة المجتمع من خلال مختلف الأنشطة والخدمات والتي تستهدف شرائح مختلفة من المجتمع وتشمل أعداد كبيرة من فئات المجتمع من الذكور والإناث والمشاريع الخيرية .

يوجد في جمعية الشجر الخيرية الاجتماعية نظام أساسي رصين، وكذلك العمل المؤسسي مترابط وجيد، كما يوجد لدى الجمعية مشروع مستقبلي واعد، وهو مشروع وحدة غسيل الكلى، والذي قد تم الانتهاء من المبنى الخاص به عن طريق منحة عمانية، بمساهمة من الجمعية، ولكن يحتاج هذا المشروع إلى نفقات للتشغيل تعجز إمكانيات الجمعية عن توفيرها .

وتعتبر الجمعية من الجمعيات الفاعلة والنشطة في المجتمع على الرغم من شحة الموارد المالية في الفترات الأخيرة، والتي منعت تنفيذ الكثير من المشاريع المدرجة في خطة الجمعية .

ولتحليل مواطن الضعف والقوة لدى جمعية الشحر الخيرية الاجتماعية تم استخدام نموذج تحليل (SWOT) وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)	نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - خبرات إدارية متراكمة وفاعلة - دعم المغتربين وفاعلي الخير - العمل بروح الفريق الواحد وأنسجام الهيئة الإدارية . - تميز العمل في كافة المجالات - بالتخطيط المسبق والجيد والاهتمام بالتفاصيل الدقيقة مما جعل البرامج والأنشطة متميزة . -آلية العمل واضحة لدى إدارة الجمعية - الإشراف الجيد على مراكز تدريبية - وجود مبنى لمشروع غسيل الكلى 	<ul style="list-style-type: none"> - قلة الدعم المالي خصوصا في الفترات الأخيرة - قلة الكادر - ضعف التأهيل لدى كادر الجمعية - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للجمعية .
الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)	المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - المشاركة في تنظيم الفعاليات والأنشطة الخيرية والاستعانة بالخبرات ذات العلاقة لتفعيل البرامج الخيرية للجمعية . - التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة - الشراكة والدعم من السلطة المحلية - وجود شريحة واسعة من الداعمين المغتربين من أبناء المنطقة . 	<ul style="list-style-type: none"> - توقف الدعم المادي من المغتربين الداعمين - عدم تفاعل البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج الخيرية ودعمها . - قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع الجمعية المستقبلية . - صعوبة الحصول على تمويل

ويمكن التغلب على نقاط ضعف جمعية الشحر الخيرية الاجتماعية من خلال الآتي :

- توفير دعم حكومي ثابت

- إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
 - البحث عن مصادر أخرى للتمويل ودعم أنشطة وبرامج الجمعية .
 - تأهيل كادر الجمعية وزيادة عددهم .
- يتضح مما سبق أن الجمعية تتميز بوجود كادر إداري ممتاز وعلى كفاءة جيدة رغم قلة عددهم، مما مكن الجمعية من التوسع في أنشطتها والخدمات المقدمة للمجتمع، وتعاني الجمعية من قلة الدعم والمورد المالي والذي سيساعد الجمعية على التوسع أكثر في الأنشطة والفعاليات .
- وبالنسبة لعلاقة الجمعية بالمجتمع فهناك ارتباط وثيق من خلال دعم الجمعية لكثير من القطاعات مثل الصحة والتعليم، وتكريم الطلاب المتفوقين، والمخيمات الصيفية .
- وبذلك تعتبر جمعية الشحر الخيرية الاجتماعية من الجمعيات النموذجية والنشطة في المجتمع .

٥. جمعية الرحمة الثقافية الاجتماعية الخيرية

❖ **البيانات الأولية:** تقع جمعية الرحمة الثقافية الاجتماعية الخيرية بقرية القويرة بمديرية دوعن بمحافظة حضرموت، وقد تأسست الجمعية بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٠م، وتحمل الجمعية ترخيص رقم (١٦٥)، ومن أبرز أهداف جمعية الرحمة الثقافية الاجتماعية الخيرية التالي :

- تفقد الفقراء والمساكين
- ومساعدتهم .
- كفالة الأيتام وتربيتهم ورعايتهم
- وتعليمهم .
- تشجيع نشر العلم النافع وكفالة المتفرغين .

تقوم الجمعية بممارسة نشاطها في مختلف جوانب النشاط الخيري الاجتماعي والثقافي، وتنفذ الجمعية عدة مشاريع وأنشطة خيرية، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية عند التأسيس (٤١ عضواً)، أما عددهم الحالي فيبلغ (٥٧ عضواً) أي ازدياد عدد الأعضاء بنسبة (٢٨ %) .

أما فيما يتعلق بمؤهلات الهيئة الإدارية والرقابة والتفتيش، يتضح أن هناك تساوي في نسبة أعضاء الهيئة الإدارية من الجامعيين وحملة الدبلوم فقد بلغ كل منها نسبة (٢٨.٥٪) من مجموع الهيئة الإدارية فيما بلغت نسبة من هم يحملون شهادة الثانوية (٤٢.٨٪) وهم يشكلون أقل من النصف، وهو مؤشر جيد للمستوى التعليمي لدى الهيئة الإدارية، وكذلك بالنسبة للأعضاء من الرقابة والتفتيش، فيشكل أصحاب شهادة الثانوية نسبة (٧٥٪) .

يتضح مما سبق أن الجمعية تفتقر إلى الموارد المالية، عدا التبرعات فقط من أهل الخير، وبذلك فالجمعية تجد صعوبة في تسيير أنشطتها بسبب ضعف الموارد المالية، كما تعتمد الجمعية على مشروع استثماري صغير ومحدود وهو الصيدلية الخيرية .

❖ **أنشطة الجمعية** : يعتبر نشاط جمعية الأمل اجتماعي خيري ثقافي، ويستهدف كل من: النساء والرجال والشباب والشابات والطلاب والأيتام .

جدول رقم (٨) يوضح المشاريع المنفذة خلال خمسة أعوام ماضية وهي :

اسم المشروع	نوعه	موقعه	حاليته	الفئات المستهدفة			زمن التنفيذ	مصادر التمويل
				ذ	إ	مج		
صيدلية	خيري	القويره	مستمر	✓	✓	المجتمع	٢٠٠١	فاعل خير
صيدلية مجانية	خيري	القويره	مستمر	✓	✓	المجتمع	٢٠٠٨	ذاتي

جدول رقم (٩) يوضح الخدمات التي تقدمها الجمعية لأعضائها و للمجتمع المحلي

ملاحظات	عدد المستهدفين			فئات المستهدفين		الأنشطة / الخدمات
	إجمالي	إ	ذ	مجتمع	أعضاء	
مساعداً تقدياً وغذايية ونقل	٨٠	✓	✓	✓		دعم التعليم في المناطق النائية
رواتب موجبين الحلقات	٣٢٠	✓	✓	✓		دعم حلقات القرآن
الصيدلية المجانية لمرضى الضغط والسكر	٣٠٠	✓	✓	✓		دعم الجانب الصحي
إحضار أطباء وأخصائيين	المجتمع	✓	✓	✓		مخيمات طبية مجانية سنوية
٧٥٠٠٠ ريال سنويا	٤٥	✓	✓	✓		كفالة أيتام

يتضح من الجدول السابق مدى مساهمة الجمعية في خدمة المجتمع من خلال مختلف الأنشطة والخدمات والتي تستهدف شرائح مختلفة من المجتمع وتشمل أعداد كبيرة من فئات المجتمع من الذكور والإناث والمشاريع الخيرية .

تتميز جمعية الرحمة بكادر إداري متميز ونشط، خصوصا في الأعمال الخيرية ، وأبرز ما لفت نظرنا ما تقدمه الجمعية من خدمات في مجال دعم المرضى من خلال مشروع الصيدلية المجانية والصيدلية الخيرية، إضافة إلى إقامة المخيمات الطبية السنوية التي يستفيد منها شرائح مختلفة في المجتمع، كما تفتقر الجمعية إلى التأهيل الإداري فيما يتعلق بجوانب التخطيط والإدارة .

ولتحليل مواطن الضعف والقوة لدى جمعية الرحمة الثقافية الاجتماعية الخيرية تم

استخدام نموذج تحليل (SWOT) وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)	نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - خبرات إدارية متراكمة وفاعلة - دعم فاعلي الخير - العمل بروح الفريق الواحد وانسجام الهيئة الإدارية . - كسب ثقة المجتمع من خلال الخدمات التي تقدمها الجمعية . - آلية العمل واضحة لدى إدارة الجمعية 	<ul style="list-style-type: none"> - قلة الدعم المالي خصوصا في الفترات الأخيرة - ضعف التأهيل لدى كادر الجمعية - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للجمعية . - عدم وجود مقر تمتلكه الجمعية . - النقص في التجهيزات المكتبية والتأثيث.
الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)	المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - المشاركة في تنظيم الفعاليات والأنشطة الخيرية والاستعانة بالخبرات ذات العلاقة لتفعيل البرامج الخيرية للجمعية . - التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة - الشراكة والدعم من السلطة المحلية - وجود شريحة واسعة من الداعمين المغتربين من أبناء المنطقة . 	<ul style="list-style-type: none"> -توقف الدعم المادي من المغتربين الداعمين -عدم تفاعل البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج الخيرية ودعمها . -قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع الجمعية المستقبلية . -صعوبة الحصول على تمويلين

ويمكن التغلب على نقاط ضعف جمعية الرحمة الثقافية الاجتماعية الخيرية من خلال الآتي :

- إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
 - البحث عن مصادر أخرى للتمويل ودعم أنشطة وبرامج الجمعية .
 - تأهيل كادر الجمعية في المجال الإداري والتخطيط .
- يتضح مما سبق أن الجمعية تتميز بوجود كادر إداري جيد وذو كفاءة رغم قلة فرص التأهيل والتدريب، وقد مكن ذلك الجمعية من التوسع في بعض أنشطتها المقدمة للمجتمع، وتعاني الجمعية من قلة الدعم والموارد المالي والذي سيساعد الجمعية على التوسع أكثر في الأنشطة والفعاليات .

وبالنسبة لعلاقة الجمعية بالمجتمع فهناك ارتباط وثيق من خلال دعم الجمعية لكثير من القطاعات مثل الصحة والتعليم، حلقات تحفيظ القرآن، والمخيمات الطبية، والصيدلية الخيرية، وبذلك تعتبر جمعية الرحمة الاجتماعية الخيرية من الجمعيات النشطة والفاعلة في المجتمع.

٦. جمعية السيلة التنموية الاجتماعية الخيرية

❖ **البيانات الأولية :** تقع جمعية السيلة التنموية الاجتماعية الخيرية بمنطقة غيل بن يمين بمحافظة حضرموت، وقد تأسس المجلس بتاريخ ٧ / ٩ / ١٩٩٩م، ويوجد لدى الجمعية ترخيص برقم (٥٩٣٣)، ومن أبرز أهداف الجمعية التالي :

- تحسين الوضع المعيشي للفقراء
- تمويل المشاريع المجتمعية .
- تحسين الأوضاع الصحية
- تدريب وتأهيل الأسر الفقيرة .
- بناء قدرات الهيئة الإدارية .
- التعليم والثقافية والمهنية
- للمنطقة .

ويبلغ عدد أعضاء الجمعية عند التأسيس (٢٧٠ عضواً)، أما عددهم الحالي فيبلغ (٢٨٥ عضواً)، أي زيادة في عدد الأعضاء بنسبة (٥ ٪)، وفيما يتعلق بمؤهلات الهيئة الإدارية، يتضح أن أعلى نسبة هي من حاملي شهادة الثانوية العامة، وبلغت نسبتهم (٤٢.٨ ٪)، ومن ثم أعضاء الهيئة الإدارية أقل من الثانوية ونسبتهم (٢٨.٥ ٪)، وهو مؤشر جيد للمستوى التعليمي لدى الهيئة الإدارية .

❖ **الشراكة مع منظمات أو صناديق في تنفيذ مشاريع :** توجد شراكات لجمعية السيلة مع منظمات وصناديق لتنفيذ مشاريع ومن أبرزها :

- منظمة الأمم المتحدة UNDP (برنامج تنمية المجتمعات المحلية)، والذي بدأ من عام ٢٠٠٠م، وانتهى عام ٢٠٠٥م، واستفاد منه أفراد المجتمع .

❖ مجالات التدريب التي تم الالتحاق بها :

- تقييم إدارة القروض
- دورة تعريفية لرؤساء الجمعيات
- دورة تدريب مدربين
- محو الأمية
- مبادئ تنظيم المجتمع
- منهجية تعلم والعمل بالمشاركة
- ورشة تصميم الحقائق
- دورة في البيطرة
- تدريب مدربين لمعلمات المدارس
- تدريب مدربين لمعلمين المدارس
- آلية عمل
- منهجية عمل لجان الاستثمار
- دورة قابلات مجتمع

من خلال مجالات التدريب يتضح أن الجمعية ومنتسبيها حصلوا على دورات تدريبية مكثفة في مجالات عديدة، والتي يفترض أن تكون كافية لزيادة مهاراتهم الإدارية والمعرفية والتوعوية .

❖ أنشطة الجمعية : يعتبر نشاط جمعية السيلة التنموية الاجتماعية تنموي ثقافي

خير، ويستهدف كل من : المزارعون والنساء والرجال والشباب والشابات والطلاب، ولم تنفذ الجمعية أي مشروع خلال خمسة أعوام ماضية، كما لا يوجد لدى الجمعية أي خطة عامة، أو خطة عمل سنوية.

تتميز جمعية السيلة بوجود كادر واعي وحيوي، غير أن الجمعية توقف نشاطها بسبب توقف الدعم المادي، وعجز الهيئة الإدارية عن البحث على ممولين لأنشطتهم، إضافة إلى مشكلة القروض وعدم سدادها من قبل المواطنين، أدى ذلك إلى شرخ في أداء الجمعية .

كما أن أبرز مشاكل الجمعية هو اعتمادها على مصدر وحيد للتمويل، وعندما انقطع التمويل وتوقف البرنامج، توقفت الجمعية بشكل كامل، ومن الواضح أن كادر الجمعية قد حصل على العديد من الدورات التدريبية، ولكن لم يتم الاستفادة بشكل صحيح من مخرجات الدورات التدريبية .

ولتحليل مواطن الضعف والقوة لدى جمعية السيلة التنموية الاجتماعية الخبرة تم

استخدام نموذج تحليل (SWOT) وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)	نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - انعدام الدعم المالي خصوصا في الفترات الأخيرة - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للجمعية . - عدم فاعلية بعض أعضاء الهيئة الإدارية وارتباط عمل الجمعية بأفراد محددين - عدم وجود مقر تمتلكه الجمعية . - النقص في التجهيزات المكتبية والتأثيث . 	<ul style="list-style-type: none"> - خبرات إدارية متراكمة وفاعلة - دورات تدريبية مكثفة - العمل بروح الفريق الواحد وانسجام الهيئة الإدارية . - كسب ثقة المجتمع من خلال الخدمات التي تقدمها الجمعية سابقا .
المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)	الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)
<ul style="list-style-type: none"> - عدم وعي المواطنين بأهمية الدور الذي تقوم به الجمعية . - عدم تفاعل البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج الخيرية ودعمها . - قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع الجمعية المستقبلية . - صعوبة الحصول على ممولين 	<ul style="list-style-type: none"> - المشاركة في تنظيم الفعاليات والأنشطة والاستعانة بالخبرات ذات العلاقة لتفعيل البرامج التدريبية والتأهيلية للجمعية . - التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة - الشراكة والدعم من السلطة المحلية - وجود الجمعية في منطقة الامتياز لشركات البترول وإمكانية الاستفادة من دعمها .

ويمكن التغلب على نقاط ضعف جمعية السيلة التنموية الاجتماعية الخيرية من خلال الآتي :

- إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
- رفع مستوى الوعي المجتمعي بأهمية الدور الذي تقوم به الجمعية في خدمة المجتمع.
- البحث عن مصادر أخرى للتمويل ودعم أنشطة وبرامج الجمعية .
- توفير مقر دائم للمجلس .

٧. جمعية المسيلة التنموية الاجتماعية الخيرية

❖ **البيانات الأولية :** تقع جمعية المسيلة التنموية الاجتماعية الخيرية بمنطقة غيل بن يمين بمحافظة حضرموت، وقد تأسس المجلس بتاريخ ٢٦ / ٣ / ٢٠٠٠م، ويوجد لدى الجمعية ترخيص برقم (١٤٧)، ومن أبرز أهداف الجمعية التالي :

- مساعدة الفقراء والمحتاجين وتقديم المعونات لهم .
- المتابعة لمشاريع المحتاجين والفقراء .

وتعمل الجمعية في نطاق منطقة غيل بن يمين وضواحيها (المقد - الحصون - حرو - العيص)، ويبلغ عدد أعضاء الجمعية عند التأسيس (٥٠٠ عضواً)، وهو نفس عددهم الحالي .

وفيما يتعلق بمؤهلات الهيئة الإدارية، يتضح أن أعلى نسبة هي من هم أقل من الثانوية وبلغت نسبتهم (٤٢.٨ %)، ومن ثم أعضاء الهيئة الإدارية الجامعيين ونسبتهم (٢٨.٥ %) .، وهو مؤشر جيد للمستوى التعليمي لدى الهيئة الإدارية .

❖ **الشراكة مع منظمات أو صناديق في تنفيذ مشاريع :** توجد شراكات لجمعية المسيلة مع منظمات وصناديق لتنفيذ مشاريع ومن أبرزها :

- منظمة الأمم المتحدة (UNDP) (برنامج تنمية المجتمعات المحلية). والذي بدأ من عام ٢٠٠٠م، وانتهى عام ٢٠٠٥م، واستفاد منه أفراد المجتمع .

❖ **مجالات التدريب التي تم الالتحاق بها :**

- | | | |
|--------------------------------|----------------------------------|------------------------------------|
| • دورة تعريفية لرؤساء الجمعيات | • دورة تعريفية لرؤساء الجمعيات | • آلية الإقراض |
| • إدارة المشروعات الصغيرة | • النظام المحاسبي الموحد | • مجال التمريض |
| • ورشة تدريب مهني | • تكوين المجتمع | • قيد وفتح السجلات |
| • بناء القدرات | • منهجية التعلم والعمل بالمشاركة | • المحاسبية |
| • النوع الاجتماعي | • الحقيبة البيطرية | • مبادئ تنظيم المجتمع |
| • التقييم | • تنظيم وقيادة المجتمع | • اقتصاد منزلي |
| | | • تصميم المشروعات ومقترحات التمويل |
| | | • دورة قابلات مجتمع |

من خلال مجالات التدريب يتضح أن الجمعية ومنتسبيها قد حصلوا على دورات تدريبية مكثفة في مجالات عديدة، والتي من الممكن أن تكون كافية لزيادة مهاراتهم الإدارية والمعرفية والتوعوية .

يعتبر نشاط جمعية المسيلة اجتماعي تنموي خيري، ويستهدف كل من : المزارعون والنساء والرجال والشباب والشابات والطلاب والأيتام، ولم تنفذ الجمعية أي مشروع خلال خمسة أعوام ماضية، كما لا يوجد لدى الجمعية أي خطة عامة، أو خطة عمل سنوية، وتعاني جمعية المسيلة من توقف نشاطها بسبب توقف الدعم المادي، وعجز الهيئة الإدارية عن البحث على ممولين لأنشطتهم، إضافة إلى مشكلة القروض وعدم سدادها من قبل المواطنين .

كما أن أبرز مشاكل الجمعية هو اعتمادها على مصدر وحيد للتمويل، وعندما انقطع التمويل وتوقف البرنامج، توقفت الجمعية بشكل كامل .

ومن الواضح أن كادر الجمعية قد حصل على العديد من الدورات التدريبية، ولكن لم يتم الاستفادة بشكل صحيح من مخرجات الدورات التدريبية، وهناك تسيب واضح من قبل بعض أعضاء الهيئة الإدارية وعدم متابعتهم لما يدور في الجمعية، وقد أرجع رئيس الجمعية السبب في ذلك إلى افتقار الأعضاء إلى ثقافة العمل الطوعي .

ولتحليل مواطن الضعف والقوة لدى جمعية المسيلة التنموية الاجتماعية الخيرية تم استخدام نموذج تحليل (SWOT) وتم تطبيقه على الجمعية كالتالي :

نقاط القوة (القوة الداخلية للجمعية)	نقاط الضعف (الضعف الداخلي للجمعية)
- دورات تدريبية مكثفة	- انعدام الدعم المالي خصوصا في الفترات الأخيرة - عدم وجود مشاريع استثمارية مدرة للدخل بالنسبة للجمعية .
- الفرص (فرص خارجية قد تحرك عمل الجمعية)	- عدم فاعلية بعض أعضاء الهيئة الإدارية وارتباط عمل الجمعية بأفراد محددين . - عدم وجود مقر تمتلكه الجمعية . - النقص في التجهيزات المكتبية والتأثيث .
- التعاون والشراكة مع منظمات وهيئات مانحة	المهددات (مهددات خارجية قد تضعف عمل الجمعية)
	- عدم وعي المواطنين بأهمية الدور الذي تقوم به الجمعية .

- | | |
|---|---|
| - عدم تفاعل البعض من أصحاب القرار بأهمية بعض البرامج الخيرية ودعمها . | - الشراكة والدعم من السلطة المحلية |
| - قلة الموارد المالية والمخصصات المتعلقة بتنفيذ مشاريع الجمعية المستقبلية . | - وجود الجمعية في منطقة الامتياز لشركات البترول وإمكانية الاستفادة من دعمها . |
| - صعوبة الحصول على ممولين | |

ويمكن التغلب على نقاط ضعف جمعية المسيلة التنموية الاجتماعية الخيرية من خلال الآتي :

- إيجاد مشاريع استثمارية مدرة للدخل للجمعية .
- رفع مستوى الوعي المجتمعي بأهمية الدور الذي تقوم به الجمعية في خدمة المجتمع.
- البحث عن مصادر أخرى للتمويل ودعم أنشطة وبرامج الجمعية .
- توفير مقر دائم للمجلس .
- تجهيز وتأثيث مقر الجمعية .
- نشر ثقافة الوعي بالعمل الطوعي .

نتائج الدراسة :

العوامل التي أدت إلى ضعف أنشطة بعض الجمعيات والمؤسسات والاتحادات من وجهة نظر الباحث

أولاً : عوامل داخلية :

1. وجود بعض الهيئات الإدارية الغير فاعلة .
2. تخاذل بعض الأعضاء وعدم تفاعلهم في أنشطة الجمعيات والاتحادات .
3. ضعف تأهيل الكادر، بالإضافة إلى تدني المستوى التعليمي للهيئة الإدارية والأعضاء.
4. وجود بعض الأشخاص في الهيئة الإدارية الذين يتعاملون بشكل مركزي، اي تركز السلطة والإدارة بيد شخص أو شخصين .
5. عدم التنظيم لدى بعض الجمعيات ووجود طرق العمل العشوائية .
6. وجود قصور وضعف في الوعي التطوعي لدى بعض أعضاء الجمعيات .

ثانياً : عوامل خارجية :

١. تركيز بعض الجهات المانحة على جمعيات بعينها، وعدم الالتفات إلى بعض الجمعيات والاتحادات الأخرى.
٢. ضعف العلاقات بين الجمعيات نفسها، وذلك لاختساب الخبرات من الجمعيات الناجحة، وكذلك التشبيك مع منظمات المجتمع المدني.
٣. وجود فجوة بين بعض الجمعيات والمجتمع المدني، حتى أن بعض الجمعيات لا تشعر بوجود تلك الجمعيات فيها.
٤. عدم تلمس أولويات الاحتياجات لدى بعض الجمعيات والاتحادات من قبل الجهات والمنظمات المانحة، حيث أن بعض المنظمات تقدم المشاريع بمئات الملايين لجمعيات تفتقر لأبسط التجهيزات والأثاث المكتبي.
٥. وجود تجارب تنموية سابقة لم تتجح، بسبب عدم إخضاعها للتقييم والدراسة قبل البدء في تلك الأنشطة، وعدم الفهم لطبيعة وتقاليدها تلك المجتمعات المحلية، مما عرض تلك البرامج والأنشطة للفشل، حيث شكل ذلك الفشل صدمة للجمعيات التي تبنت تلك البرامج، وفقد المجتمع ثقته بتلك الجمعيات.
٦. تخاذل السلطة المحلية في كثير من الأحيان عن القيام بواجبها لتسهيل مهام بعض الجمعيات والاتحادات، وذلك من خلال بعض المعاملات الروتينية والبيروقراطية التي تبطئ عملية تطوير تلك الجمعيات والاتحادات.

ثالثاً : عوامل موضوعية :

١. أن بعض الجمعيات ومنظمات المجتمع أنشئت أساساً لأغراض محددة تلبية لبرامج تنموية محددة، وعند انتهاء تلك البرامج ووقف التمويل جمدت تلك الجمعيات.
٢. وجود مشاكل في البحث عن مصادر أخرى للتمويل، وقد لوحظ أن بعض الجمعيات الناشطة والفاعلة حالياً تعتمد على مصدر تمويل واحد، وهي تعتبر مخاطرة في حال توقف مصدر التمويل.

رابعاً : عوامل لوجستية :

١. عدم وجود مقرات لبعض الجمعيات والاتحادات.
٢. عدم وجود تجهيزات وتأثيث مكثبي، وضعف التجهيزات في الأحيان، والتي لم تمكن بعض منظمات المجتمع المدني من ممارسة أنشطتها وفعاليتها.

٣. عدم قيام المشرفين على منظمات المجتمع المدني والاتحادات بواجبهم تجاه حقوق ومخصصات تلك الجمعيات، مما أدى إلى تفاقم المشاكل المالية لدى بعض الجمعيات .

التوصيات :

١. ضرورة التركيز على برامج التأهيل والتدريب لكوادر وأعضاء الجمعيات والاتحادات والمؤسسات، وذلك كنقطة ارتكاز لتطوير الأداء الإداري .
٢. ضرورة التركيز على البرامج المتخصصة لمنظمات المجتمع المدني، مثل أسس العمل التنموي والخيري للجمعيات التنموية الخيرية، على أن تكون هذه البرامج ملبية لاحتياجات ومشاكل تلك الجمعيات .
٣. من المهم تقييم البرامج والأنشطة والفعاليات التي تقوم بها الجمعيات التنموية، وذلك لمعرفة أسباب النجاح والعمل بها، وتفاذي عوامل الفشل في المستقبل .
٤. التركيز على أولويات الاحتياجات بالنسبة للجمعيات التنموية، والاعتماد على فكرة التدريب التدريجي للوصول لمرحلة الكفاءة في إدارة الأنشطة والفعاليات .
٥. الاهتمام بطبيعة المجتمعات المحلية، ودراسة تركيبها الاجتماعية، والعادات والتقاليد، وذلك لتفقد احتياجاتها وإيجاد الحلول بما يتلاءم مع طبيعة تلك المجتمعات، وضمان عدم الدخول في أنشطة وبرامج لا تتناسب مع الظروف المجتمعية .
٦. العمل على إيجاد برامج وأنشطة ذات أهداف استثمارية بعيدة المدى للجمعيات والاتحادات، والتي تضمن استمرار تمويل أنشطة تلك الجمعيات والاتحادات .
٧. الاهتمام بمخرجات ما تقدمه الجهات الداعمة للجمعيات والمجتمع، ومدى الاستفادة من التدخلات التنموية، علما بأن هناك جمعيات قد حصلت على دورات تدريبية وتأهيلية كثيرة ولم تستفد منها عمليا .

المراجع :

١. القرآن الكريم، سورة الأحقاف، الآية (٢٠) .
٢. القانون اليمني للجمعيات والمؤسسات الأهلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١، ولائحته التنفيذية رقم (١٢٩) لسنة ٢٠٠٤ م .
٣. العايب عبد الرحمن، التحكم في الأداء الشامل للمؤسسة الاقتصادية في الجزائر في ظل تحديات التنمية المستدامة، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر، ٢٠١٠ - ٢٠١١ م .
٤. الجمهورية اليمنية، وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجهاز المركزي للإحصاء، حضرموت في أرقام ٢٠٠٢م، حضرموت، المكلا، العدد (١٣) ، يوليو ٢٠٠٣ م .
٥. دليل الممارسات السلمية بشأن وضع القوانين المتعلقة بالمنظمات غير الحكومية، مسودة مناقشة، أعدها البنك الدولي، المركز الدولي لقوانين الهيئات التي لا تستهدف الربح، بحث رقم ١٢٦، مايو ١٩٩٧، سلسلة بحوث التنمية الاجتماعية. على موقع التميز للمنظمات غير الحكومية : www.ngo.ce.org .
٦. زيدان عبد الباقي، قواعد البحث الاجتماعي، (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٨٠م) .
٧. سميح محسن، دور المجتمع المدني في التحول الديمقراطي : التجربة الفلسطينية من النجاح إلى محاولة الإفشال، ورقة عمل مقدمة في منتدى منظمات المجتمع المدني الموازي لمنتدى المستقبل، صنعاء، ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٧ م .
٨. عادل أحمد الكسادي، التنظيم القبلي والاجتماعي التقليدي في حضرموت ١٩٠٠ - ١٩٦٧م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد (١٠٠) لسنة ٢٠٠١م، أبو ظبي .
٩. عامر حسن فياض، المجتمع المدني: دراسة في إشكالية المفهوم، ورقة عمل مقدمة للمنتدى العربي للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٩ ديسمبر ٢٠١١م .
١٠. محمد شفيق، محمد علي البدوي، البحث الاجتماعي: الأسس والخطوات المنهجية، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٣م) .

١١. مدحت أبو النصر، إدارة منظمات المجتمع المدني، (القاهرة : ابتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م).
١٢. عبد الله محمد عبد الرحمن، محمد علي البدوي، مناهج وطرق البحث الاجتماعي، (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٢م).
١٣. نجوى سمك و السيد صدقي عابدين، دور المنظمات غير الحكومية في ظل العولمة : الخبرتان المصرية واليا بانية، مركز الدراسات الآسيوية، القاهرة، ٢٠٠٢ .
١٤. نصر عارف : في موقع :
15. <http://www.onislam.net/arabic/madarik/concepts21/4/2014>.
Perlmutter, Felice Davidson; 'Encyclopedia of Social Work', Vol;2, Washington, National Association of Social Workers, 1995 .
16. <http://www.26sep.net/newsweekarticle.php?lng=arabic&sid=34651>, 21/4/2014.

منهجُ القرآنِ الكريمِ في التعاملِ معَ الشبهاتِ

د. سعيد عمر عبود بن دحاج

الأستاذ المساعد للتفسير وعلوم القرآن

كلية التربية - جامعة حضرموت



جامعة الأندلس
العلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات

مقدمة :

الكتاب المبين تنفيذ الشبهات المضلة التي يعترض بها على الحق وأهله وتروج للصد عن سبيل الله وهده.

وهذا البحث الذي يحمل عنوان (منهج القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات) جاء لكشف اللثام عن المنهجية القرآنية في تناول الشبهة والأساليب والطرق الناجعة في الرد عليها أو تفنيدها ودحضها، وقد تضمن البحث الآتي:

المقدمة: وقد تضمنت تعريف الشبهة وأهمية دراسة هذا الموضوع وموقع هذه القضية من الطرح القرآني.

المبحث الأول : نماذج من الشبهات التي تناولها القرآن الكريم.

المبحث الثاني : أصول في المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات.

خاتمة البحث .

الحمد لله الممتن ببعثته خير الرسل محمد صلى الله عليه وسلم فأخرج به الناس من رق الشهوات وأسر الشبهات إلى نور الحق وهدى الآيات البينات، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيدهم وعلى آله وصحابه وأتباعه على الصراط المستقيم.

وبعد :

فبمقتضى سنة الابتلاء التي فطر الله الحياة عليها كان مما ابتلى الله به الناس فتن الشبهات وفتن الشهوات، فكما أن العبد مبتلى بمقتضى الشرعة باتباع الأوامر والتزامها فإنه مبتلى أيضا بتجنب الشبهات والتخلي عن الشهوات المحرمات، وهو سبيل لا مناص لأحد عنه بل لا مطمع في الوصول إلى رضوان الله وجنته إلا به .

والله سبحانه لم يترك الناس هملاً يخبطون في هذه الحياة خبط عشواء بل أوضح لهم السبيل وأبان المحجة وذلك بإنزال الكتاب الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^١، وحيثما يأتي النهي في كتاب الله عن شيء فإما أن يكون المنهي عنه من قبيل الشبهات أو الشهوات، والمتأمل في آيات الله البينات ينجلي له أن من مقاصد تنزل

^١ - سورة فصلت، الآية ٤٢.

تعريف الشبهة لغة :

(الشُّبُهَةُ: الالتباسُ. والمُشْتَبِهَاتُ من الأمور: المشْكَلَاتُ)٢، (وَأَشْتَبَهْتُ الْأُمُورُ وَتَشَابَهَتْ التُّبَسَّتْ فَلَمْ تَتَمَيَّزْ وَلَمْ تَظْهَرْ وَمِنْهُ اشْتَبَهَتْ الْقَبِيلَةُ وَنَحْوَهَا)٣، وبهذا فالمعنى المضمن في مادة (شبه) هو الالتباس والإشكال وعدم التمييز.

تعريف الشبهة اصطلاحاً :

لا يبعد معنى الشبهة بحسب استخدامها ودورانها في كلام أهل العلم عن معناها اللغوي، يقول صاحب المصباح المنير: (وَالشُّبُهَةُ فِي الْعَقِيدَةِ الْمَأْخُذُ الْمَلْبَسُ سُمِّيَتْ شُبُهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ) ٤ وعرفها ابن قدامة المقدسي ٥ فقال : (حد الشبهة ما تعارض فيه اعتقادان صدرا عن شيئين مقتضيين لاعتقادين) ٦ وعرفها بعضهم بقوله : (ما يثير الشك والارتياب في صدق الداعي و أحقية ما يدعو إليه، فيمنع ذلك من رؤية الحق والاستجابة له أو تأخير هذه الاستجابة)٧.

القرآن شفاء لأمراض الشبهات والشهوات :

يحتاج الإنسان ليسلك جادة الطريق عقلاً مدركاً لحقائق الأشياء كما هي عليه وقلباً مريداً للحق مؤثراً له على ما سواه، وإنما يتطرق الانحراف والغي عن سوي الصراط من طريقتين فالأول فساد في التصور والإدراك وغبش في الرؤية والثاني فساد في الإرادة بحيث تميل بصاحبها إلى الشر والسيء، قد وصف الله سبحانه كتابه العزيز بالشفاء وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ٨، يقول ابن تيمية ٩: (وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَمَنْ فِي قَلْبِهِ

٢ - مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، طبعة البراعم للإنتاج الثقافي ص ١٣٨.

٣ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف العلامة: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي ط المكتبة العلمية - بيروت ٤٣٢/٤.

٤ - المصباح المنير للفيومي ٤٣٢/٤.

٥ - ابن قدامة المقدسي: الإمام القُدوة موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدم بن نصر المقدسي الجماعلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي صاحب المغني، ولد في شعبان سنة ٥٤١هـ، كان من بحور العلم وأذكى العالم، وقال ابن النجار: (كان إمام الحنابلة بجامع دمشق وكان ثقة حجة نبيلاً)، وتوفي يوم عيد الفطر سنة ٦٢٠هـ (سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي ١٧٢ / ٢٢، والمقصود الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ١٥ / ٢).

٦ - مختصر منهاج القاصدين للإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، طبعة المكتبة القيمة للطباعة والنشر والتوزيع، صفحة ٩٤.

٧ - أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤٢٣هـ ص ٤٢٦.

٨ - سورة الإسراء، الآية ٨٢.

٩ - ابن تيمية: شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحزاني، الإمام العلم المجدد المجتهد الحنبلي المجدد بعيد الصيت، عني بالحديث وخرج وانتقى وورع في الرجال وعلل الحديث وفقهه وفي علوم الإسلام وعلم الكلام وغير ذلك وكان من بحور العلم ومن الأذكى المعدودين والزهاد والأفرد ألف ثلاثمائة مجلدة وامتحن وأوذى مراراً، و لد بحران سنة ٦٦١هـ، وتوفي سنة ٧٢٨هـ (طبقات الحفاظ للسيوطي ١ / ٥٢١، وتاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة ٥٨٣).

أَمْرَاضُ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ فَفِيهِ مِنَ الْبَيِّنَاتِ مَا يُزِيلُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ فَيُزِيلُ أَمْرَاضَ الشُّبُهَةِ الْمُفْسِدَةَ لِلْعِلْمِ وَالنُّصُورِ وَالْإِدْرَاكِ بِحَيْثُ يَرَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ وَفِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَالْقَصَصِ الَّتِي فِيهَا عِبْرَةٌ مَا يُوجِبُ صَلَاحَ الْقَلْبِ فَيَرْغَبُ الْقَلْبُ فِيمَا يَنْفَعُهُ وَيَرْغَبُ عَمَّا يَضُرُّهُ فَيَبْقَى الْقَلْبُ مُحِبًّا لِلرَّشَادِ مُبْغِضًا لِلْعِيِّ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُرِيدًا لِلْعِيِّ مُبْغِضًا لِلرَّشَادِ^{١٠}

وتنزل القرآن بالشفاء من أمراض الشهوات والشبهات من رحمة الله بعباده فإن الشيطان لا يزال بالإنسان يزين له الشهوات ويستميله إليها ويلبس الشبهات قناع الدليل والحجة وما هي بحجج ولا أدلة، وهذا ما تجده لدى كثير ممن لبس عليه بالشبهات .

مصدر الشبهات :

بمقتضى سنة التدافع بين أتباع الحق وأتباع الباطل لا يألو المبطلون جهداً في الصد عن الحق وأهله فتجدهم يسلكون شتى السبل لتحقيق مآربهم في دفع الحق وإضعاف جانب أهله، ومن السبل التي يسلكونها التشغيب على الحق وإثارة الشبهات والבלابل حوله، ولا ريب أن هؤلاء في حريهم ودفعمهم في وجه الحق يجدون من ذوي النفوس الضعيفة من يتأثر بهم وبما يقولون، والدارس لسير أنبياء الله ورسله يجد من هذا الشيء الكثير وذلك حتى يعلم (أن إثارة الشبهات في وجه الدعوة إلى الله أمر قديم مضت به سنة الله في العباد وشنشنة قديمة متوارثة بين أهل الباطل فلا يستغرب منها الداعي ولا يضيق بها، وهي في جوهرها لا تتغير ولا تتبدل وإنما الذي يتغير فيها الأسلوب والكيفية، قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم : (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ)^{١١} .

الموقف تجاه الشبهات:

لا شك أن تقنيد الشبهات وإظهار زيفها وبطلانها من الواجب على دعاة الحق وحملته، لأنها موانع تمنع من رؤية الحق في حق ضعاف البصر والبصيرة .. وتكون الإزالة بالحجة والبرهان، وبصراحة ووضوح وحسن بيان مع أدب بالقول ورفق في الخطاب . وخير سبيل يسلكه الدعاة إلى الله في التعامل مع الشبهات هو ما بينه المولى لنا في محكم كتابه وما جاءنا في آياته البينات من قصص الأنبياء مع أممهم وردهم على الشبهات التي يثيرها أعداء الدعوة وخصومها عبر تاريخ الرسالات.

^{١٠} - رسالة في أمراض القلوب وشفائها لابن تيمية.

^{١١} - سورة فصلت الآية: ٤٣.

^{١٢} - أصول الدعوة . د. عبد الكريم زيدان ص ٤٢٦ .

المبحث الأول: نماذج من الشبهات التي تناولها القرآن الكريم

تتوعد الشبهات التي تناولها القرآن الكريم، وهي رغم تنوعها لا تخرج جميعها عن الهدف الرئيس بل والوحيد الذي تثار من أجله ألا وهو الصد عن الحق وأهله، فهناك الشبهات المتعلقة بوحداية الله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى والشبهات المتعلقة بدين الله وأحكامه والشبهات المتعلقة بالدعاة إلى الله من الأنبياء والرسل وأتباعهم وأخرى تتعلق بالبعث واليوم الآخر .

وسيرد في ما يلي نماذج من تلك الشبهات وليس الغرض من هذا البحث حصر واستقصاء جميع الشبهات التي تناولها القرآن الكريم، بل يكفي التمثيل بذكر جملة منها، ومن ثم إتباع ذلك بذكر جملة من الأصول والمعالم القرآنية في التعامل والرد على الشبهات وهذا ما سيتم تناوله في المبحث الثاني :

أولاً : اتهام الأنبياء بالجنون والسحر :

يقول الله تعالى عن الأنبياء السابقين وأمهم: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ (٥٢) اتَّوَصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾^{١٣} فالأقوام قبل قريش اتهموا الرسل الكرام بالسحر والجنون، وكذلك فعلت قريش لتفسير الناس من الداعي إلى الله محمد صلى الله عليه وسلم ومن دعوته فاتهمته بالسحر والجنون كما نسبت إليه من ذميم الخصال ما هو منها براء صلى الله عليه وسلم.

من الطبيعي أن توجه سهام الطعن لحملة منهج الحق في كل زمان ومكان وهذا ما يؤكد القرآن الكريم في كثير من المواضع، ويمكن تقرير هذا المعنى والوقوف على مقتضياته من عدة وجوه :

الوجه الأول : أن ذلك بمقتضى سنة التدافع التي سبقت الإشارة إليها بين المحققين والمبطلين، فإذا كان من شأن أهل الحق دعوة الناس إليه بشتى الطرق المشروعة؛ فإن المبطلين يروجون لباطلهم ويصدون عن سبيل الحق بالطرق المشروعة وغير المشروعة ومن هذه الطرق التشكيك في دعاة الحق وإثارة الشبهات حولهم.

الوجه الثاني: أن ما يحصل للدعاة من هذا القبيل هو ابتلاء يظهر به الصادقون في إيمانهم ودعوتهم والكاذبون الأدعياء، ولولا مثل هذه الابتلاءات لوسع كل أحد أن يدعي ويتشبع بما ليس فيه.

^{١٣} - سورة الذاريات: ٥٢-٥٣

الوجه الثالث: أن في مثل هذا النوع من الابتلاء لحملة الدعوة تربية على معاني التجرد لله فلا ينتصرون لأشخاصهم وذواتهم بل ينتصرون لدينهم ومنهجهم كما أن فيها تربية لحملة الدعوة على الاستعانة بالله حينما يصيبهم ما يصيبهم من الناس فتقلب المحنة في حقهم منحة وزلفى وقربى إلى خالقهم ومولاهم.

(فإذا فقه الداعي هذه الحقيقة ووعاها جيداً زال عنه العجب والحنق والغضب إذا اتهم بالتهمة الباطلة أو أثيرت الشكوك والريب حول دعوته، لأنه ليس أحسن حالاً من رسل الله ولا أفصح بياناً منهم ولا أكثر إخلاصاً منهم ولا أكثر تأييداً من الله تعالى منهم، ومع هذا كله أثار أهل الباطل ما أثاروه من الشبهات حولهم مما قصه الله تعالى علينا في أخبارهم) ١٤.

والشبهات التي تثار حول الرسول أو الداعية إلى الله متنوعة فمنها الطعن في شخصه وسيرته وسلوكه وإصاق التهم به، ومنه رميه بالسفه والجهالة والضلالة والجنون والافتراء إلى غير ذلك مما يكون المقصود منه تفتير الناس منه وعدم الثقة به. ثانياً: قولهم بأن أنبياء الله ورسله ما هم إلا بشرًا مثلهم وأنه يقبح بهم أن يتبعوا أمثالهم من البشر:

قال الله تعالى مورداً هذه الشبهة: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۗ ﴾^{١٥}، وقال سبحانه يحكي قولهم: ﴿ وَلَنْ أُطِغَمَ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ۗ ﴾^{١٦}، وقال سبحانه: ﴿ قَالُوا أَبَشَرًا مِثْلَنَا وَاحِدًا تَبِعَهُ إِيَّا إِذَا لَمْ يَلْمِ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ۗ ﴾^{١٧}.

وقال تعالى يحكي عن مشركي العرب قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ۗ ﴾^{١٨}، والمعنى: ليس فيك فضيلة، ولا خصلة زائدة اختصت بها علينا، حتى تدعونا إلى اتباعك وتصديقك فيما تدعي، وهذا مثل قول من قبلهم ومن بعدهم من أهل الضلال والكفر، ممن عارضوا الرسل بهذه الشبهة، التي لم يزالوا، يدلون بها ويصولون، ويتفقون عليها، لاتفاقهم على الكفر، وتشابه قلوبهم.

^{١٤} - أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ٤٢٧.

^{١٥} - سورة الإسراء الآية ٩٤.

^{١٦} - سورة المؤمنون الآية ٣٤.

^{١٧} - سورة القمر الآية ٢٤.

^{١٨} - سورة الشعراء الآية ١٥٤.

وقريباً مما سبق ما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾^{١٩}، فهم يشغبون على أنبياء الله ويشككون في صدقهم بأنه لا فرق بينهم وبين غيرهم فهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وزادوا بأن وضعوا اقتراحاً من لدنهم زيادة في التشكيك وبتاً للريبة في النفوس الضعيفة، واقتراحهم هو أن يكون الرسل الذين يبعثون إليهم من الملائكة يعاينونهم ويشاهدونهم، أو على الأقل يبعث مع الرسول البشري رسول من الملائكة كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا﴾^{٢٠}.

ثالثاً : إنكار البعث واليوم الآخر :

أثار المشركون كثيراً من الشبهات حول قضية البعث والحساب، وإعادة الحياة إلى الموتى، وقد ذكر الله تعجب المنكرين للبعث ووقوعه وتقولهم الأقاويل بغرض التشكيك والتكذيب فقال تعالى : ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾^{٢١}.

وأعظم شبهة لدى منكري البعث هي استبعاد إعادة الأجسام بعد تمزقها، وتفتتها، ثم اختلاطها بأجزاء الأرض، يقول الحق جلّ شأنه، مخبراً عن ذلك الجحود العنيد والإنكار الشديد، ونسبتهم إلى قائله الجنون، أو الكذب والافتراء على الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَذُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَنْبِسُكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مَرَّاقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧) أَفَتُرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾^{٢٢}.

رابعاً : التشكيك في حكم إيفاق المال في سبيل الله والتصدق به

جاء ذكر هذه الشبهة في قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اطَّعِمُوا مَنْ لَوْ بَشَاءَ اللَّهُ لَطَمَمْتَهُ﴾^{٢٣}، وقولهم هذا بالإضافة إلى ما فيه من بث الريبة والشبهة فإن فيه أيضاً تهكماً بالمسلمين واستهزاء بهم فكانهم قالوا : لم لا يرزقهم

^{١٩} - سورة الفرقان الآية ٧

^{٢٠} - سورة الفرقان الآية ٢١

^{٢١} - سورة ق الآية ١-٣.

^{٢٢} - سورة سبأ الآية ٧، ٨.

^{٢٣} - سورة يس الآية ٤٧

إلهكم الذي تزعمون، أي نحن لا نطعم من لو يشاء هذا الإله الذي زعمتم أطعمه .. وهذا كما يدعي إنسان أنه غني ثم يحتاج إلى معونتك في مال فتقول له على جهة الاحتجاج والهزء به : أتطلب معونتي وأنت غني ٢٤.

خامساً : طعن أهل الكتاب في نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتشكيكهم فيها وهذا ما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا آلا نؤمنَ لِرَسُولٍ حٰتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبٰنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾^{٢٥}، وهذه إحدى الشبهات التي أوردتها الكفار في الطعن في نبوته صلى الله عليه وسلم، وتقريرها أنهم قالوا: إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وأنت يا محمد ما فعلت ذلك فوجب أن لا تكون من الأنبياء وهذا يدفعنا لعدم تصديقك أو اتباعك.

سادساً : التشكيك في حكم نسخ التوجه في الصلاة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام وجاءت حكاية هذا في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾^{٢٦} وما بعدها من الآيات، وجعل أعداء الدعوة من حكم النسخ هذا مدخلاً للإلراجاف والتشكيك، فتارة يثيرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم يتلاعب بالدين فكل يوم له قبة يتجه إليها، وتارة يطعنون في جناب الله سبحانه وينسبون إليه سبحانه ما لا يليق من الجهل - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وقد كانت فتنة أثرت على بعض ضعاف الإيمان حين نزول تلك الآيات بتحويل الوجهة في الصلاة من بيت المقدس إلى البيت الحرام.

فهذه نماذج من الشبهات التي عرض لها القرآن ولمن يريد الاستقصاء أن يقف على الكثير من الشبهات غيرها ولكن حسبنا في هذا المقام التمثيل بالمذكور منها .

^{٢٤} - ينظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: عبد الله إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، الطبعة الثانية دار الفكر العربي ١٢ / ٣٠٤ .

^{٢٥} - سورة آل عمران الآية ١٨٣ .

^{٢٦} - سورة البقرة الآية ١٤٢ .

المبحث الثاني: أصول في المنهج القرآني في التعامل مع الشبهات

الوظيفة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة لكتاب الله تعالى هي هداية البشر إلى صراط الله القويم الموصل إلى جنات النعيم، المتمثل في شرعة الله وملته التي ارتضاها لعباده وهذا ما تنطق به آيات القرآن المتكاثرة.

وهذه الوظيفة ما كان لها أن تتحقق في دنيا الناس إلا من خلال المسارين :

المسار الأول: بيان معالم الحق والرشد في أجلى صورها لتكون منارات مركوزة بها يهتدي السالكون ويؤمها السائرون.

المسار الثاني : دفع المطاعن ورد الشبه التي توجه صوب هذه الشرعة والملة أو حاملها والمبشرين بها.

والمساران المذكوران وبالأخص الثاني منهما هو ما تقتضيه جدلية الحياة وحركة التدافع بين الحق والباطل في الواقع، وذلك أنه من البديهي أن يسلك الباطل وأهله والشيطان وحزبه كل طريق للتشغيب والصد عن الحق وأتباعه، ومقتضى ذلك تلقائياً أن يكون لدى الحق الرد الوافي والدواء الناجع الشافي لكل تخرصات وتقوليات وتشغيبات الباطل.

إن الإسلام بمفهومه البسيط علم وعمل كما أن الباطل والانحراف علم وعمل، والدخل والدغل الذي يطرأ على الدين أو المتدينين إما أن يكون في مجال العمليات وهو ما يسمى بالشبهات أو في مجال العمليات وهو ما يسمى بالشبهات والشهوات، كما أن الباطل بمزاحمته وتفوله على الحق يكون من أحد هذين الطريقتين الشبهات والشهوات وإذا كان العلم مقدماً على العمل ؛ لأن العمل فرع - كما هو مقرر - يكون لبحث هذا الأمر حق الاهتمام والتقدمة .

إن بقاء واستدامة الشبهات تتكاثر وتتعاظم مما يوقع الخلط لدى الناس ويروج إثرها سوق الضلال عن جادة الطريق السوي وتمحي مع تطاول الأمد وتوالي الأيام جملة من معالم السبيل وتنصب للسالكين معالم آخر يحسبونها الهدى ذاته فإذا جاؤوها لم يجدوها شيئاً.

يلاحظ المتأمل للقرآن الكريم أنه يكثر تناول الشبهات بالرد والتفنيد في السور والآيات التي تنزل عقب الأحداث الكبار التي مر بها الرعيل الأول وخاصة تلك الأحداث التي تصور للبعض أنها انكسار وانهزام كالذي جرى في غزوة أحد فتأتي

الآيات القرآنية لعلاج الجراحات النفسية من جهة وترميم ما احتاج إلى ترميم على مستوى التصورات السليمة الصحيحة.

وفي هذا درس للدعاة وأهل العلم ألا يتركوا الأمة في أوقات الأزمات والشدائد وتسلط الأعداء نهياً للوساوس الشيطانية والشبهات المقلقة المثبطة بل الواجب عليهم أن ينبروا للتذكير بمعالم الرشد والحق، والتثديد والتفنيد للمتبس الشبهات والأهواء، وإمامهم في ذلك كتاب ربهم ووجيه وهدهم.

وإذا كان تفنيد الشبهات وردها منهجية قرآنية كما تقرر فإننا نلاحظ أن المتناولين لتفسير القرآن يعطون لهذا الجانب حظاً في تفاسيرهم فيقفون مع الشبهات التي تناولها القرآن وتعرض لها وهم في ذلك بين مقل ومستكثر، ولعل من أكثر هؤلاء ولوعاً بالشبهات وتناولها بالبحث الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب.

لقد تم استعراض نماذج من الشبهات التي تناولها القرآن الكريم في المبحث الأول، وجدير بنا أن نخلص إلى معالم وأصول للتعامل مع الشبهات ودحضها وتفنيدها وهذه المعالم والأصول مستنبطة في الأغلب من ذات الآيات التي وردت بذكر الشبهات فيما سبق وبهذا تعد معالم قرآنية في التصدي والتعامل مع الشبهات يمكن للمسلم أن يتخير الأنسب والأليق منها بكل مقام أو حال ومن هذه المعالم والأصول :

الأول : تعلم جواب الشبهة قبل ورودها تحصناً منها :

كان الله سبحانه وتعالى يعلم المسلمين ما يقولونه جواباً لشبهات الكفار قبل أن يلقيها الكفار ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ ﴾^{٢٧} فأخبرهم بقول المشركين سبحانه، قبل أن يقولوه ليعلمهم جوابه .. ومن هذا الباب أيضاً قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^{٢٨} ، والعلة في ذلك أن التنبيه على الشبهة وتفنيدها قبل طرحها من قبل الخصم مما يخفف من وقعها وأثرها في النفوس، ومعلوم أن الوقاية من الأمراض الحسية والمعنوية تفضل بكثير معالجتها ومعالجة آثارها بعد وقوعها.

^{٢٧} - سورة الأنعام الآية ١٤٨

^{٢٨} - سورة البقرة الآية ١٤٢

الثاني : عرض الشبهة ثم الرد عليها :

ومثال ذلك قوله سبحانه : ﴿ ق وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴾^{٢٩} ، وهذا عرض للشبهة وعرض لما يتكئون عليه في إنكار البعث من جديد وهو كونهم استحالوا تراباً، وبعد ذلك يبدأ في الرد عليهم فيقول: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ (٤) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِجٍ (٥) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) نَبْصِرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٨) وَوَرَّثْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَابْتَنَّا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (٩) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (١٠) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾^{٣٠}.

فإذا علم أن لدى واحد من الناس شبهة ولو لم يذكرها ويقررها بأقصى ما يقدر عليه لبقيت تلك الشبهة في قلبه، وربما يخرج بسببها عن الدين؛ فإنه يطالب بتقريبها على أقصى الوجوه ويكون الغرض من ذلك أن يجاب عنها ويزال أثرها عن قلبه.

الثالث : أن يقرن إبطال الشبهة وتضيدها بالتهديد

ومثال ذلك ما ورد في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقَتْ كُلُّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لِنَعِيِّكُمْ (٧) أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَبِيدِ (٨) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ الْأَرْضِ أَوْ نُسْفِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾^{٣١} ، فبعد دحض شبهة المنكرين للبعث وإيراد الدليل للرد عليها بقوله : ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ أعقب ذلك بقوله: (إِنَّ شَأْنَهُمْ الْأَرْضِ أَوْ نُسْفِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ) ^{٣٢} ، والمعنى في هذا أن الغالب في من أضلته الشبهات وعدم بسببها الإدراك الصحيح هو صاحب هوى، وهواه هو الذي جعله يقصر في تطلب الحق والأهدى من النجدين ومن هذا حاله يحتاج مع إقامة الحججة عليه ودفع الشبهة عنه وتضيدها إلى تخويف وترهيب من عاقبة اتباع الهوى

^{٢٩} - سورة ق الآية ١-٣.

^{٣٠} - سورة ق الآيات من ٤- ١١.

^{٣١} - سورة سبأ الآيات ٧- ٩.

^{٣٢} - سورة سبأ الآية ٩.

والجحد للحق والتعامي عنه، ويؤكد هذا المعنى ما ختمت به ذات الآية : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾^{٣٣}.

الرابع : أن يقلب الشبهة على من يرى فيها حجة له حجة عليه

ومثال ذلك حكاة الله عن أهل الكتاب أنهم قالوا: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾^{٣٤} ولم يذكروا في تقرير ذلك دليلاً أو شبهة دليل، بل أصروا على التقليد، فأجابهم الله تعالى عن هذه الشبهة بذكر جواب إلزامي وهو قوله: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^{٣٥} (وتقرير هذا الجواب أنه إن كان طريق الدين التقليد فالأولى في ذلك اتباع ملة إبراهيم، لأن هؤلاء المختلفين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم، والأخذ بالمتفق أولى من الأخذ بالمختلف؛ إن كان المعول في الدين على التقليد، فكأنه سبحانه قال: إن كان المعول في الدين على الاستدلال والنظر، فقد قدمنا الدلائل، وإن كان المعول على التقليد فالرجوع إلى دين إبراهيم عليه السلام وترك اليهودية والنصرانية أولى)^{٣٦}.

الخامس : المتعنت لا داعي للرد على شبهته بل يكفي زجره وإظهار تعنته

فحينما أراد اليهود أن يشككوا في صدق نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأوردوا شبهة من شبهاتهم وهي ما حكاها الله عنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِتِنَا أَلَا نُؤْمِنُ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِنَا بُرْهَانٌ نَّكَلُهُ النَّارُ﴾^{٣٧} كان الجواب عن هذه الشبهة هو قوله سبحانه: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^{٣٨}، والمعنى أنهم يطلبون هذه المعجزة لا على سبيل الاسترشاد، بل على سبيل التعنت، وذلك لأن أسلاف هؤلاء اليهود طلبوا هذا المعجز من الأنبياء المتقدمين مثل زكريا وعيسى ويحيى عليهم السلام، وهم أظهروا هذا المعجز، ثم إن اليهود سعوا في قتل زكريا ويحيى .. وذلك يدل على أن أولئك القوم إنما طلبوا هذا المعجز من أولئك الأنبياء على سبيل التعنت، إذ لو لم يكن كذلك لما سعوا في قتلهم، ثم إن المتأخرين راضون بأفعال أولئك المتقدمين

^{٣٣} - سورة سبأ الآية ٩.

^{٣٤} - سورة البقرة الآية ١٣٥

^{٣٥} - سورة البقرة الآية ١٣٥

^{٣٦} - مفاتيح الغيب للرازي.

^{٣٧} - سورة آل عمران الآية ١٨٣

^{٣٨} - سورة آل عمران الآية ١٨٣

ومصوبون لهم في كل ما فعلوه، وهذا يقتضي كون هؤلاء في طلب هذا المعجز من محمد عليه الصلاة والسلام متعنتين، وإذا ثبت أن طلبهم لهذا المعجز وقع على سبيل التعتن لا على سبيل الاسترشاد، لم يجب في حكمة الله إسعافهم بذلك، لاسيما وقد تقدمت المعجزات الكثيرة لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهذا الجواب شاف عن هذه الشبهة^{٣٩}.

السادس: أن الداعي يترك بعض ما فيه فائدة لدفع ضرر الشبهة الباطلة:

ومثال على ذلك ما قصه في حق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَمَا كُتِّ تَلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَحْطُ بِمِثْلِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾^{٤٠} والمعنى في الآية أن الله تعالى أبعد رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم عن تعلم الكتابة والقراءة دفعا لما قد يتشبث به المبطلون فيدعون أن ما جاء به تعلمه من كتب قديمة قرأها واستسخها.. ورغم أن تعلم القراءة والكتابة فيهما نفع، ولكن دفع ضرر الشبهة الباطلة أكثر نفعاً، فقدم الدفع على هذا النفع.

ومعلوم أن الشبهة إذا أثرت بين الناس وشاعت فلا بد أن تترك أثراً في النفوس لاسيما الضعيفة والجاهلة والمتريصة، ويصعب عند ذاك مكافحتها والقضاء عليها إلا بجهد كبير، فكل ما يمنع حدوث الشبهات أو إعطائها ما تستند إليه مطلوب من الداعي ملاحظته واعتباره وأخذه وان فوت عليه بعض الفوائد، لأن القاعدة تقول "درء المفسد أولى من جلب المنافع" ويدفع أعظم الضررين بتحمل أقلهما^{٤١}.

السابع: الرد على شبهات منكري البعث والحساب

عُني القرآن الكريم بقضية البعث عنايته بقضية الوجدانية، فكما تعددت الآيات الدالة على إثبات الوجود الإلهي ووجدانيته فقد كثرت الآيات التي تقرّر البعث وتؤكد وقوعه.

وقد سلك القرآن الكريم لإثبات البعث مسالك مختلفة في طريقة العرض والاستدلال ومن تلك الطرق:

أولاً عرضه للقضية بأسلوبه الفطري السهل الواضح؛ لأنه خطاب للفطرة البشرية بما هو في متناول إدراكها.

^{٣٩} - مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، طبعة دار الفكر / ٩ / ٢٦ بتصرف.

^{٤٠} - سورة العنكبوت الآية ٤٨.

^{٤١} - ينظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ٤٣٦.

ثانياً: أن يخبر عن وقوع ذلك البعث والحساب خيراً قاطعاً، مع عدم إيراد الدليل لوضوحه.

ثالثاً: أن يقرر لهم ذلك بتذكيرهم بعظيم وكامل قدرة الله تعالى على خلق الآيات العظيمة، من السماء والأرض وما هو أعظم من إعادة تلك الأجسام الضعيفة بعد تفرقها كما في قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشَأَ نَحْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٤٢﴾ ، وهذه طرق ومسالك ينبغي تلزمها واستلهاها عند تفنيد الشبهات وردّها ودحضها.

الثامن: تقرير أن كل ما يحدث في الكون بإرادة الله ومشيتته وأن أفعال وأوامر الله سبحانه منزّهة عن العيب بل هي حكمة كلها :

وبهذا الأصل والتقرير رد الله سبحانه وتعالى على من أراد التشكيك في أمره بإفناق المال والتصدق به في سبيل الله وقول المعترضين والمشككين: ﴿أَطْعَمَ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ ﴿٤٣﴾ ، فأخبر أنه ينفق فيعطي ما شاء بحكمة بالغة كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ نَزَّلَ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ ﴿٤٤﴾ ، وحكمة الله اقتضت تفاوت الناس في الرزق، فهو يقبض الرزق بمن يشاء، ويبسطه لمن يشاء، وأغنى قوماً، وأفقر آخرين، وأمر الفقراء بالصبر، وأمر الأغنياء بالعطاء والشكر .

وقد ضل بهذه الشبهة بعضهم، حتى قال:

كم عالم عالم أعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذي جعل الأوهام حائرة وصير العالم التحرير زنديقا^{٤٥}

والجواب عن هؤلاء وأمثالهم: أنهم لم يؤمنوا بالقدر ولم يسلموا للقادر سبحانه؛ ولذلك دخلت عليهم الزندقة وضلوا بالتباس الأمر عليهم من جهة هذه الشبهة.

التاسع: رد القرآن على من احتج على أن يُبعث أنبياء الله ورسله من البشر

حينما تتأمل النصوص القرآنية نجد أن القرآن الكريم رد على هذه الشبهة من عدة

وجوه وهي :

^{٤٢} - سورة سبأ الآية ٩ .

^{٤٣} - سورة يس الآية ٤٧ .

^{٤٤} - سورة الشورى الآية ٢٧ .

^{٤٥} - البيتان لنصرين أحمد المعروف بالخيز أريزي (ينظر كتاب غرر الخصائص الواضحة ص ٧٠).

- ١- أن الله اختارهم بشراً لا ملائكة لأنه أعظم في الابتلاء والاختبار، ففي الحديث القدسي الذي يرويه مسلم في صحيحه: (إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيكَ وَأَبْتَلِي بِكَ)^{٤٦}.
- ٢- أن في هذا إكراماً لمن سبقت لهم منه الحسنى من عبادته؛ فإن اختيار الله لبعض عبادته ليكونوا رسلاً تكريم وتفضيل لهم، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾^{٤٧}.
- ٣- أن البشر أقدر على القيادة والتوجيه، وهم الذين يصلحون قدوة وأسوة، يقول سيد قطب^{٤٨} رحمه الله في هذا: (وإنما لحكمة تبدو في رسالة واحد من البشر إلى البشر، واحد من البشر يحسّ بإحساسهم، ويتذوق مواجدهم، ويعاني تجاربهم، ويدرك آلامهم وآمالهم، ويعرف نوازعهم وأشواقهم، ويعلم ضرورتهم وأثقالهم ..، ومن ثمّ يعطف على ضعفهم ونقصهم، ويرجو في قوتهم واستعلائهم، ويسير بهم خطوة خطوة، وهو يفهم بواعثهم وتأثراتهم واستجاباتهم، لأنه في النهاية واحد منهم، يرتاد بهم الطريق إلى الله، بوحى من الله وعون منه على وعاء الطريق وهم من جانبهم يجدون فيه القدرة الممكنة، لأنه بشر مثلهم، يتسامى بهم رويداً رويداً، ويعيش فيهم بالأخلاق والأعمال والتكاليف التي يبلغهم أن الله قد فرضها عليهم، وأرادها منهم، فيكون بشخصه ترجمة حية للعقيدة التي يحملها إليهم، وتكون حياته وحركاته وأعماله صفحة معروضة لهم، ينقلونها سطرراً سطرراً، ويحققونها معنى معنى، وهم يرونها بينهم، فتقفوا نفوسهم إلى تقليدها، لأنها ممثلة في إنسان)^{٤٩}.
- ٤- صعوبة رؤية الملائكة، فالكفار عندما يقترحون رؤية الملائكة، وأن يكون الرسل إليهم ملائكة لا يدركون طبيعة الملائكة، ولا يعلمون مدى المشقة والعناء الذي سيلحق بهم من جراء ذلك^{٥٠}. فالاتصال بالملائكة ورؤيتهم أمر ليس سهلاً، فالرسول صلى الله عليه وسلم مع كونه أفضل الخلق، وهو على جانب

^{٤٦} - أخرجه مسلم في صحيحه، طبعة دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ١٧٤١/٤ رقم الحديث ٢٨٦٥.

^{٤٧} - سورة مريم الآية ٥٨.

^{٤٨} - سيد قطب: الأديب الشهيد سيد قطب إبراهيم، صاحب تفسير (في ظلال القرآن)، ولد في قرية من قرى الصعيد اسمها (موشه) سنة ١٩٠٦م، وهو من كبار قادة ومنظري الحركة الإسلامية المعاصرة، أعدم في عهد جمال عبد الناصر في ٢٦ أغسطس من عام ١٩٦٦م رحمه الله. (من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة، للمستشار عبد الله العقيل، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م مكتبة المنار الإسلامية - الكويت ص ٦٤٩. عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب للشيخ الدكتور عبد الله عزام رحمه الله، الطبعة الأولى - نشر وتوزيع: مركز شهيد عزام الإعلامي، بيشاور - باكستان).

^{٤٩} - في ظلال القرآن لسيد قطب، طبعة رقم ٢٤ سنة ١٩٩٥م دار الشروق / ٥/ ٢٥٥٣.

^{٥٠} - ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢٤ / ٧٠.

عظيم من القوة الجسمية والنفسية عندما رأى جبريل على صورته أصابه هول
عظيم ورجع إلى منزله يرجف فؤاده، وقد كان صلى الله عليه وسلم يعاني من
اتصال الوحي به شدة، ولذلك قال في الرد عليهم: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ
لِلْمُجْرِمِينَ﴾^{٥١}، ذلك أن الكفار لا يرون الملائكة إلا حين الموت أو حين نزول
العذاب، فلو قدر أنهم رأوا الملائكة لكان ذلك اليوم يوم هلاكهم .

فكان إرسال الرسل من البشر ضرورياً كي يتمكنوا من مخاطبتهم والفقهاء
عنهم، والفهم منهم، ولو بعث الله رسله إليهم من الملائكة لما أمكنهم ذلك قال تعالى:
﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانِ فِي الْأَرْضِ
مَلَائِكَةٌ يُمَسِّحُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾^{٥٢} فلو كان سكان الأرض ملائكة
لأرسل الله إليهم رسولا من جنسهم، أما وأن الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله
وحكمته تقتضي أن يكون رسولهم من جنسهم^{٥٣}.

**العاشر: رد قول المشككين في الرسل وتبريرهم لتكذيبهم إياهم بأنهم يأكلون الطعام
ويمشون في الأسواق بأن هذا هو حال البشر والأنبياء منهم :**

يرد القرآن على من يثير شبهة كون أنبياء الله ورسله بشراً وأنهم يأكلون الطعام
ويمشون في الأسواق بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا
تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾^{٥٤}.

إضافة إلى ذلك أنهم ولدوا كما ولد البشر، لهم آباء وأمهات، وأعمام وعمات،
وأحوال وخالات، يتزوجون ويولد لهم ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾^{٥٥}.
ويصيبهم ما يصيب البشر من أعراض، فهم ينامون ويقومون، ويصحبون ويمرضون،
ويأتي عليهم ما يأتي على البشر وهو الموت، فقد جاء في ذكر إبراهيم خليل الرحمن
لربه ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ﴾^{٥٦}. وقال

^{٥١} - سورة الفرقان الآية ٢٢ .
^{٥٢} - سورة الإسراء الآيات ٩٥-٩٤ .
^{٥٣} - سورة آل عمران الآية ١٦٤ .
^{٥٤} - سورة الأنبياء الآية ٧-٨ .
^{٥٥} - سورة الرعد الآية ٣٨ .
^{٥٦} - سورة الشعراء آيات ٧٩ - ٨١ .

الله لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^{٥٧} ، وقال مبيناً أن هذه سنته في الرسل كلهم : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^{٥٨} .

الحادي عشر : الإجابة عن التساؤلات عن الأحكام الشرعية والحكمة من تشريعها :

يكثر في كتاب الله ذكر التساؤلات عن جملة من القضايا والأحكام ، فكثيراً ما يرد لفظ ﴿سَأَلُونَكَ﴾ في كتاب الله ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾^{٥٩} وقوله : ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^{٦٠} وقوله : ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَالِ فِيهِ﴾^{٦١} وقوله : ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾^{٦٢} وقوله سبحانه : ﴿سَأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾^{٦٣} وقوله : ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^{٦٤} وقوله : ﴿سَأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾^{٦٥} .

هذه التساؤلات وأمثالها تجلي من جهة الحرص القوي لدى المسلمين في العهد الأول على معرفة أحكام التصرفات التي يمارسونها ومدى توافقها مع الشريعة التي تعبدتهم الله بها ، وهي من جهة أخرى تجلي مدى الكيد الذي كان يوجه للطعن في هذه الدعوة الناشئة والمنهج الجديد الذي بدأ يهيمن على النفوس ويصبغها بصبغته الجديدة؛ فإن جملة من هذه التساؤلات كانت (بسبب الحملات الكيدية التي يشنها اليهود والمنافقون ، والمشركون كذلك حول بعض التصرفات؛ مما يدفع بعض المسلمين ليسأل عنها ، إما ليستيقن من حقيقتها وحكمتها ، وإما تائراً بتلك الحملات والدعايات المسمومة . فكان القرآن يبتزل فيها بالقول الفصل؛ فيثوب المسلمون فيها إلى اليقين؛ وتبطل الدسائس ، وتموت الفتن ، ويرتد كيد الكائدين إلى نحورهم . . وهذا يصور جانباً من المعركة التي كان القرآن يخوضها تارة في نفوس المسلمين ، وتارة في صف المسلمين ، ضد الكائدين والمحاربين!)^{٦٦}

^{٥٧} - سورة الزمراة الآية ٣٠ .

^{٥٨} - سورة آل عمران الآية ١٤٤ .

^{٥٩} - سورة البقرة الآية ١٨٩ .

^{٦٠} - سورة البقرة الآية ٢١٥ .

^{٦١} - سورة البقرة الآية ٢١٧ .

^{٦٢} - سورة البقرة الآية ٢١٩ .

^{٦٣} - سورة المائدة الآية ٤ .

^{٦٤} - سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

^{٦٥} - سورة الأنفال الآية ١ .

^{٦٦} - في ظلال القرآن لسيد قطب ١ / ٢٢٠ .

وهذا يؤكد كما سبق الإشارة ضرورة التصدي لحملات الصد والتشكيك والظعن التي توجه للمنهج أو حملته، ووجوب التفهم لما يتداول واقعاً من أقاويل وتهاويل للحط من شأن المنهج الحق وألا يغرد الدعاة والمصلحون بعيداً عن الأطروحات المشككة التي تروج وتجد لها صدى عند الناس، وألا يحلق الدعاة بخطابهم بعيداً عن ما يشيع في الشارع ثم يفاجئون ولدى الجمهور ثم بانفضاض الناس والجمهور عنهم وعن دعوتهم واتباعهم لكل زاعق وناعق من دعاة الأهواء والمناهج الضالة.

خاتمة :

قد سبق تقرير وبيان أن الانحراف والضلال عن الهدى والرشد إما أن يكون سببه الشهوات الفاتنة أو الشبهات المضلة، ولكن مما يجب التأكيد عليه أيضاً أن الغالب على من ضل من طريق الشبهات أنه فتن من قبل عن طريق الشهوات ويغلب على من فسد تصوره بالشبهات أنه قد مال به الهوى وأقعده عن تطلب الحق واستفراغ الجهد في البحث عنه وبهذا يكون جمع بين الضلال من طريقه، نعوذ بالله من الخذلان.

وهذا الصنف المذكور حاله لا يكفي في شأنه إقامة الحجة والدليل ورد الشبهة والتضليل بل لا بد مع ذلك من زجر وترهيب وقرع للقلب بمذكرات الوعد والوعيد، وهذا ما نراه في مواضع من كتاب الله في تناولها لبعض الشبهات.

مما تجدر الإشارة إليه في ختام هذا البحث القول بأنه إذا كان من منهج القرآن رد الشبهة وتفنيدها وأن للقرآن أساليبه في تناول هذه الشبهات فإن هذا يوجب على أهل القرآن وأهل العلم تلزم تلك المنهجية والتصدي لرد الشبهات التي توجه للحق وأهله هذا من جهة ومن جهة أخرى وجوب الاستفادة من منهجية القرآن الكريم في التعامل مع الشبهات وإعطاء كل شبهة حجمها وتخير الوسائل والمسالك المناسبة لردّها وتفنيدها.

إن حملات التشويه والتشكيك الموجهة للإسلام وحملته ما زالت تشن من قبل تيارات شتى وكما هو مقرر أن ذلك معهود في تاريخ الرسالات والدعوات، وهي معركة لم تضع أوزارها ولم يهدأ أوارها بعد بل هي في اشتداد وأساليب وطرائقها إلى ازدياد ونطاق تأثيرها وتطاير شررها في امتداد، وقد تجلّى لنا من خلال البحث أن القرآن كان حاضراً وبكل قوة في هذه المعركة في الصدر الأول، ومن الأهمية بمكان تفهم هذا المعنى واستيعاب هذا الدرس، يقول سيد قطب: (القرآن كان دائماً في المعركة، سواء تلك المعركة الناشئة في القلوب بين تصورات الجاهلية وتصورات

الإسلام؛ والمركة الناشئة في الجو الخارجي بين الجماعة المسلمة وأعدائها الذين يتريصون بها من كل جانب .

هذه المركة كذلك ما تزال قائمة؛ فالنفس البشرية هي النفس البشرية وأعداء الأمة المسلمة هم أعداؤها، والقرآن حاضر ولا نجاه للنفس البشرية ولا للأمة المسلمة إلا بإدخال هذا القرآن في المركة، ليخوضها حية كاملة كما خاضها أول مرة، وما لم يستيقن المسلمون من هذه الحقيقة فلا فلاح لهم ولا نجاح!

وأقل ما تشئه هذه الحقيقة في النفس أن تقبل على هذا القرآن بهذا الفهم وهذا الإدراك وهذا التصور، أن تواجهه وهو يتحرك ويعمل وينشئ التصور الجديد، ويقاوم تصورات الجاهلية، ويدفع عن هذه الأمة، ويقيها العثرات، لا كما يواجهه الناس اليوم نغمات حلوة ترتل، وكلاما جميلا يتلى، وينتهي الأمر، إنه لأمر غير هذا نزل الله القرآن، لقد نزله لينشئ حياة كاملة، ويحركها، ويقودها إلى شاطئ الأمان بين الأشواك والعثرات، ومشقات الطريق؛ التي تتناثر فيها الشهوات كما تتناثر فيها العقبات^{٦٧} .

^{٦٧} - في ظلال القرآن لسيد قطب ١ / ١٨٠ .

الصَّرَاعُ بَيْنَ النُّحَاةِ وَالْقُرَّاءِ

(قِرَاءَةُ حَمَزَةٍ أَنْمُودَجًا)

د.أنور محسن أحمد العزاني

أستاذ النحو والصرف المساعد في قسم اللغة العربية

كلية التربية، جامعة عدن

د.خالد صالح محمد العزاني

أستاذ النحو والصرف المساعد في قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب، جامعة عدن



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

الصَّرَاعُ بَيْنَ النَّحَاةِ وَالْقُرَّاءِ

(قِرَاءَةُ حَمْزَةِ أَنْمُودَجًا)

الملخص :

لهذا أصبح النحاة - في تقديرنا - في ورطة؛ إذ حكّموا قواعدهم في كتاب الله، وقراءات الأئمة، الذين شهدت الدنيا بسعة علمهم، وورعهم من أن ينقلوا شيئاً لم يُرو عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان المؤمل منهم أن يكون التقعيد والقياس في ضوء آي القرآن الكريم، لاسيما أنهم اشترطوا فصاحة الشاهد، وعدالة الناقل، وليس ثمة نحوي يعتقد غير فصاحة القرآن، وأنه اللغة العالية بقراءاته، وبخاصة السبعية منها، التي أخذتها الأمة الإسلامية بالقبول، والإجــــــال لقرأتهـــــــا.

يدرس هذا البحث قراءة سبعية لآية من كتاب الله اشتد الصراع فيها بين النحاة والقراء؛ حتى زعم النحاة أنها من غرائب الاستعمال العريبي؛ إذ يرون أن الوجه الذي قرئت به الآية ورد قليلاً عن العرب، فهو عندهم غير فصيح، ولا تبنى عليه قاعدة، بل يعدونه شاذاً، وهذا من اصطلاحاتهم المبيوثة في مصنفاتهم.

والعجيب! أن جماعة من النحاة كانوا قراء القرآن الكريم، أو من رواة قراءته؛ كأبي عمرو بن العلاء، قارئ البصرة من السبعة، والكسائي، قارئ الكوفة من السبعة، والقراء، وابن خالويه، وغيرهم.

Abstract

This research studies the seven recitations for one verse in the Holy Qur'an. As a result of the conflict between the grammarians and reciters how to recite this verse, the grammarians state that the way, the verse was recited by wasn't only fluent but also without base and abnormal and this what in fact is written in their books.

And for a wonder, that some of the grammarians were reciters to Qur'an and narrators to its readings as Abi-Amr Ibn Al-Al'a, the reciter of Al-Basra one of the seven, in

addition to Al-kasaie, the reciter of Al-kofa one of the seven, Alfarr'a, Ibn-khalawaih and many others. For this reason and from our point of view, the grammarians became in trouble because of using rules that are different from the ones used by the famous Imams and narrated by the prophet Mohammed- peace be upon him-. Furthermore, it was expected from the grammarians to put their rules according to the Holy Qur'an which is considered as the source of fluency not only by them but by the Islamic nation.

- ١ -

شغلت القراءات القرآنية فكر النحاة منذ نشأة النحو؛ لأنّ النحاة الأوّل المؤسسين أركان النحو كانوا من القراء؛ كعيسى بن عمر (٤٩هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (١٥٤هـ)، والخليل (١٧٥هـ)، ويونس بن حبيب (١٨٣هـ)، ولعل اهتمامهم بالقراءات هو الذي دفعهم إلى الدراسات النحوية؛ ليلتأّموا بين القراءة والعربية، وبين ما رووا وسمعوا من القراء، وما رووا وسمعوا من كلام العرب (١).

وقد كانت هذه الموامة حاصلة؛ لأنّ علم النحو من أوائل علوم اللغة، التي نشأت خدمة للقرآن الكريم، ومحافظة عليه من أن يتسرب إليه اللحن، الذي فشا - بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية - وانتشر، واختلط العرب بغيرهم من الأعاجم (سكان البلاد المفتوحة)؛ إذ سخر الله لهذا الكتاب رجالاً أفنوا أعمارهم في سبيل صونه من أن تصل إليه غائلة اللحن والخطأ.

لهذا كانت القراءات من المصادر التي استقى منها النحاة قواعدهم؛ إذ كان كل ما ورد أنه قرئ به جاز الاحتجاج في العربية سواء كان متواتراً أو أحاداً أم شاذاً. وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياساً معلوماً؛ بل ولو خالفته يُحتجُّ بها في مثل ذلك الحرف بعينه (٢).

وتبدو العلاقة الأولية التي تربط علم النحو بالقراءات في تلك الشروط التي وضعها العلماء لقبول القراءة الصحيحة؛ هي (٣) :

(١) صحة سند القراءة .

(٢) موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

(٣) موافقة العربية ولو بوجه .

فشرط موافقة العربية ولو بوجه يبيّن علاقة القراءات الوثيقة بالنحو؛ إذ كانت القراءات القرآنية أرضاً خصبة، جال فيها علماء النحو، وصالوا، وأخذوا منها ما أخذوا، وردوا منها ما ردوا حتى ألفوا بذلك تراثاً نحويّاً عظيماً ما زلنا نقرؤه ما تعاقب الليل والنهار.

وقد وجد النحاة ما كانوا ينشدون في القراءات وتوجيهها؛ مع أن عملهم في القراءات لم يقتصر على التوجيه حسب، بل كانت مصنفاًتهم - على اختلاف أزمنتها - سفيراً جمع معظم ما ورد من قراءات؛ سواء ما تواتر منها أو شذ، ولا يخلو

كتاب نحوي من ذكر بعض القراءات وتوجيهها؛ لتكون موافقة القاعدة أو معضدة لها، ومن هنا وجّه بعض النحاة جهودهم إلى القراءات توجيهاً وتعليماً وتفسيراً (٤). ولذا يمكن عدّ القراءات القرآنية المرآة الصادقة، التي صورت الواقع اللغوي في كلام العرب واستعمالاتها في مظاهره الصوتية والصرفية والنحوية؛ للأسباب الآتية (٥):

- ١) اهتمام القراء - في رواية القراءات - بالمنهج العلمي في ضبط القراءة، والتشدد في دقة روايتها؛ لأن ذلك يتصل بالعقيدة التي آمنوا بها، واجتهدوا في الحفاظ عليها.
 - ٢) تحقيق القراء من سند القراءة؛ باستعمال الجرح والتعديل لرجال السند؛ حتى تصل القراءة مصدرها الأول؛ وهو الرسول - صلى الله عليه وسلم - فما وثقوه وعدّلوه نقلوه، وما جرّحوه وضعّفوه أهملوه.
 - ٣) دقة رواية القراء بالأداء، وبيان ما فيها من ظواهر صوتية أو صرفية أو نحوية، ونسبة هذه الظواهر إلى الناطقين بها من العرب.
 - ٤) كون القراء، ورواة القراءات من الحفظة والفصحاء، الذين عرّفوا بذلك؛ فضلاً عن أنّ كثيراً منهم من العلماء في العربية وقواعدها.
 - ٥) عدم تقييد القراء أنفسهم بقواعد مسبقة يُخضعون القراءات لمنطقها كما فعل النحاة، وتحرّروا حتى من لهجة بيئاتهم في روايتهم القراءة؛ فالقارئ كان يؤدي ما يتلقاه من القراءات عن شيخه كما هي من غير الاعتداد بما شاع في بيئته اللغوية من ظواهر لهجية .
- في ضوء ما تقدم نستنتج أنّ القراء كانوا يصدرّون عن منهج علمي في علم القراءات يعتمد على الأسس الآتية (٦):

- ١) النقل والرواية؛ أي إنّ رواية القراءة كانت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتوثيقها وضبطها. وضبط سندها أساس التزم به القراء حتى يصل إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثمّ تعديل رواة القراءة أصل مهمّ اعتمد عليه رواة القراءات.
- ٢) إنّ اعتماد القراء على الرواية بوصفها أصلاً من أصولهم جعلهم لا يهتمون بالقياس، الذي هو أساس من أسس منهج النحاة؛ فالقارئ إن صحت القراءة عنده بالرواية لا يحفل بموافقة قياس النحاة أو مخالفته؛ إذ القراءة لديه سنة، والسنة

تصح بصحة النقل والاتباع في الأداء، وكان كثير من أئمة القراء؛ كأبي عمرو، ونافع يقولون: "لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت؛ لقرأت حرف كذا وكذا، وحرف كذا وكذا" (٧).

(٣) العرض والأداء؛ أساس مهم من أسس القراء في نقل النصوص اللغوية سليمة، صحيحة بكل مظاهرها اللغوية؛ وهو نهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ كان شديد الدقة في تثبيت نصوص الوحي على السنة أصحابه كما سمعها من جبريل - عليه السلام - فهو يقرأ عليه الوحي، ثم يقرئهم، ويستمع إليهم يؤدونه عليه بألفاظه كما سمعوه منه، فتلقوا القرآن من الرسول " حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة، ولا سكوتاً، ولا إثباتاً، ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم" (٨).

ظل العرض والأداء أساساً ثابتاً في منهج القراء بعد الرسول؛ فكل من روى القراءات عن الصحابة رواها كما سمعها، وكما أداها، وضبطها عليهم؛ إذ لم يكتفوا بالسمع من لفظ الشيخ فقط... لأن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء" (٩).

- ٢ -

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، قرأ الجمهور (والأرحام) بالنصب (١٠)، وقرأ عبد الله بن يزيد (الأرحام) رفعاً على الابتداء، والخبر محذوف؛ وتقديره أهل أن توصل (١١)، أو والأرحام مما يتقي، أو مما يُتَسألُ به (١٢).

وتفرد قارئ الكوفة، حمزة (١٥٦هـ) من السبعة، بقراءة (والأرحام) بالجر (١٣)، وقرأ من غير السبعة، ابن عباس (٦٨هـ)، وإبراهيم النخعي (٩٦هـ)، والحسن البصري (١١٠هـ)، وقتادة (١١٨هـ)، والأعمش (١٤٨هـ)، وابن مجاهد (٣٢٤هـ) (١٤).

فأما قراءة الجمهور (نصب ميم الأرحام) ففيها "وجهان، أحدهما: أنه عطف على لفظ الجلالة: أي: واتقوا الأرحام؛ أي: لا تقطعوها... من عطف الخاص على العام؛ وذلك أن معنى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: اتقوا مخالفته، وقطع الأرحام مندرج فيها، والثاني: أنه معطوف على محل المجرور في (به)؛ نحو: مررت بزيد وعمراً؛ لما لم يشركه في الإتيان على اللفظ تبعه على الموضوع" (١٥).

وجوز الواحدي نصبه بالإغراء؛ كقول أمير المؤمنين عمر: "يا سارية الجبل"؛ أي: الزم الجبل، ولذُ به، والمعنى: الأرحام احفظوها وصلوها، وأدوا حقوقها (١٦).

وقراءة الجر التي قرأها حمزة من أشهر القراءات، التي تصدى لها النحاة وردوها، ووصفوها بالضعف، والقبح، والخطأ (١٧).

فهذا الضراء يقبَحُ القراءة قائلاً: "وقوله: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، فنصب الأرحام؛ يريد واتقوا الأرحام أن تقطعوها...فيه قبح؛ لأن العرب لا ترد مخفوضاً على مخفوض، وقد كَتَبَ عَنْهُ" (١٨).

ويرى المبرد الخروج عن الصلاة، وتركها خيراً من قراءة حمزة" لو قرأ الإمام بهاته القراءة؛ لأخذت نعلي، وخرجت من الصلاة" (١٩).

ويزاد على ذلك أنه يراها غير جائزة " وقرأ حمزة: ﴿الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، وهذا مما لا يجوز عندنا، إلا أن يضطر إليه شاعر، كما قال (٢٠): [من البسيط]
فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ تَهْجُونَاً وَتَشْتُمُنَا فَادْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ" (٢١).

وذكر أبو جعفر الطبري أن قراءة حمزة بجر (الأرحام) عطفاً على الهاء في (به) من عطف الظاهر على مكني مجرور؛ وهو غير فصيح من الكلام عند العرب؛ لأنها لا تعطف بظاهر على ضمير مجرور إلا في ضرورة شعر؛ وذلك لضيق الشعر، وأما الكلام

فلا شيء يضطر المتكلم إلى اختيار المكروه من المنطق، والرديء في الإعراب منه(٢٢).

وخطأ الزجاج قراءة حمزة قائلًا: القراءة الجيدة نصب (الأرحام): إذ المعنى: واتقوا الأرحام أن تقطعوها، فأما الجر في الأرحام، فخطأ في العربية لا يجوز، إلا في اضطرار شعر، وخطأ -أيضاً- في أمر الدين عظيم: لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تحلفوا بأبائكم" (٢٣)، فكيف يكون تساءلون به وبالرحم على ذا(٢٤)؟

وذكر ابن خالويه أن قراءة النصب على (واتقوا الأرحام): أي: لا تقطعوها، فهذا وجه القراءة عند البصريين؛ لأنهم لم يجيزوا الجر، ولحنوا القارئ به، وأبطلوه من وجوه؛ أحدها: أنه لا يعطف بالظاهر على مضمير المجرور، إلا بإعادة حرف الجر؛ لأنه معه كالشيء الواحد لا ينفرد منه، ولا يحال بينه وبينه، ولا يعطف عليه إلا بإعادة الجار؛ والعلة في ذلك أنه لما كان العطف على المضمير المرفوع قبيحاً حتى يؤكد لم يكن بعد القبح إلا الامتناع، ونهى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن تحلف بغير الله؛ فكيف ينهى عن شيء ويؤتى به؟ وإنما يجوز مثل ذلك في نظام الشعر ووزنه اضطراراً(٢٥).

وذكر السمعاني في تفسيره قراءة حمزة، ووصفها بالوجه الضعيف في استعمال لغة العرب؛ إذ القراءة المعروفة عندهم، والوجه والقياس هو نصب الميم (٢٦).

ويقول الزمخشري عن القراءة: وقرئ (والأرحام) بالحركات الثلاث ... والجر على عطف الظاهر على المضمير، وليس بسديد؛ لأن المضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد، فكانا في قولك: "مررت به وزيد" شديدي الاتصال، فلما اشتد الاتصال؛ لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة، فلم يجز، ووجب تكرير العامل، كقولك: "مررت به وبزيد" (٢٧).

ويقول العكبري: "ويقرأ بالجر قيل: هو معطوف على المجرور، وهذا لا يجوز عند البصريين، وإنما جاء في الشعر على قبجه" (٢٨).

ويقول ابن يعيش عن هذه القراءة: وأما قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ بجر (الأرحام) في قراءة حمزة، فإن أكثر النحويين قد ضعف هذه القراءة نظراً إلى العطف على المضمير المخفوض (٢٩).

ويقول ابن عطية عن قراءة حمزة: " وهذه القراءة عند رؤساء نحويي البصرة لا تجوز؛ لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمير مخفوض" (٣٠).

وقال أبو القاسم النيسابوري: " وكسر الأرحام ضعيف؛ إذ لا يعطف على الضمير المجرور لضعفه، ولهذا ليس للمجرور ضمير منفصل " (٣١).

وقد صدر النحاة في أقوالهم السابقة عن الأصل، الذي أجمع عليه النحاة البصريون من عدم جواز العطف على الضمير المجرور إلا بإعادة حرف الجر؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ يُجَيِّبُكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤]، وكانت حجتهم في ذلك أن الضمير المجرور يشبه التتوين، ووجه الشبه أنهما على حرف واحد، ويكملان الاسم. قال سيبويه: " ومما يقبح أن يشركه المظهر علامة المضمير المجرور؛ وذلك قولك: مررت بك وزيد، وهذا أبوك وعمرو، وكرهوا أن يشرك المظهر مضمراً داخلاً فيما قبله؛ لأن هذه العلامة الداخلة فيما قبلها جمعت أنها لا يتكلم بها إلا معتمدة على ما قبلها، وأنها بدل من اللفظ بالتتوين فصارت عندهم بمنزلة التتوين، فلما ضعفت عندهم كرهوا أن يتبعوها الاسم" (٣٢).

قال ابن عيسى: إنهم لم يستحسنوا عطف المظهر على الضمير المرفوع، فلا يجوز أن يقال: اذهب وزيد و ذهب زيد، بل يقولون: اذهب أنت وزيد وذهب أنا وزيد، قال تعالى: ﴿فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ [المائدة: ٢٤]، مع أن الضمير المرفوع قد انفصل، فإذا لم يجز عطف المظهر على الضمير المرفوع مع أنه أقوى من الضمير المجرور، بسبب أنه قد انفصل؛ فلأن لا يجوز عطف المظهر على الضمير المجرور، مع أنه لا انفصل ألبتة؛ أولى (٣٣).

يزاد على ما تقدم أن الجار والمجرور بمنزلة الشيء الواحد؛ فإذا اتصل الضمير بحرف الجر صار كالكلمة الواحدة، فإذا عطف عليه من غير إعادة الجار؛ فكأنما عطف على بعض الكلمة، وهذا لا يجوز (٣٤).

يقول الزجاج: " فأما العربية فإجماع النحويين أنه يقبح أن ينسق باسم ظاهر على اسم مضمير في حال الجر، إلا بإظهار الجار، ويستقبح النحويون مررت به وزيد، وبك وزيد، إلا مع إظهار الخافض حتى يقولوا: بك وبزيد" (٣٥).

وقال ابن خالويه: " أنكر البصريون الخفض، ولحنوا القارئ به وأبطلوه من وجوه أحدها: أنه لا يعطف بالظاهر على المضمير المخفوض إلا بإعادة الخافض؛ لأنه معه

كشيء واحد لا ينفرد منه ولا يحال بينه وبينه، ولا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض" (٣٦).

ومع هذا الأصل الذي اعتمد عليه النحاة البصريون في تخطئتهم القراءة وتلحينها انتصر قسيم آخر من النحاة لقارئ الكوفة، وخرجوا قراءته على غير تخريج من التخرجات، وحملوها على أكثر من وجه:

الوجه الأول :

على مذهب الكوفيين (٣٧)، الذي يجيز العطف على الضمير المجرور، ووافقهم على الجواز يونس بن حبيب، والأخفش (٣٨)، وكذلك قطرب (٣٩)، واشترط أبو عمر الجرمي تأكيد الضمير على جواز العطف من غير إعادة حرف الجر (٤٠)، وزاد بعضهم الزيادي (٤١)، وصححه ابن مالك، وأبو حيان (٤٢).

وقد احتج الكوفيون، ومن وافقهم على جواز عطف الاسم على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر بالقرآن الكريم، والحديث النبوي، وكلام العرب: نثراً وشعراً، أما القرآن، فهي قراءة حمزة قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١١]، بجر (الأرحام) على الضمير المجرور (به) من غير إعادة الجار (٤٣).

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ فِي النَّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٧]؛ إذ عطف (ما) على الضمير المجرور في (فيهن) (٤٤).

وقوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]؛ إذ عطف لفظة (المقيمين) على الضمير الكاف في (إليك) وتقديره: يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة؛ أي: من الأنبياء، ويجوز أن يكون معطوفاً على الضمير الكاف في (قبلك)، وتقديره: ومن قبل المقيمين الصلاة؛ أي: من أمتك (٤٥)، أو على (هم) في (منهم) (٤٦).

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]؛ إذ عطف كلمة (المسجد) على الضمير (الهاء) في (به)، ولا يجوز عطفه على لفظة (سبيل)؛ لما فيه من فصل بين جزأي الصلة (٤٧).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾ [الحجر: ٢٠]، فقد عطف (مَنْ) على الضمير المجرور في (لكم) (٤٨)، وليس في القراءة والآيات إعادة الجار.

وأما حجتهم من الحديث الشريف - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - فما رواه البخاري من حديث عمر بن الخطاب "إنما مثلكم واليهود والنصارى" (٤٩)؛ إذ جاءت كلمة (اليهود) مجرورة معطوفة على الضمير المجرور في (مثلكم) (٥٠)، وليس في رواية هذا الحديث النبوي إعادة الجار.

ومن النثر قول العرب، فيما حكاه قطرب: "ما فيها غيره وفرسه" (٥١)، بالجر عطفًا على الهاء المجرورة بإضافة (غير) إليها، وليس في الحكاية إعادة الجار.

وحجتهم من الشعر قول الشاعر (٥٢): [من البسيط]

فاليوم قَرَّبْتَ تَهْجُونًا وَتَشْتُمْنَا فَادْهَبْ فَمَا بَكَ وَالْأَيَّامُ مِنْ عَجَبٍ

إذ عطف الشاعر لفظ (الأيام) على الضمير المخاطب المجرور بالباء في (بك) من غير إعادة حرف الجر.

وقول الآخر (٥٣): [من الطويل]

بِنَا أَبَدًا لَا غَيْرِنَا تُدْرِكُ الْمُنَى وَتُكْشَفُ غَمَاءُ الْخُطُوبِ الْفُوَادِحِ

فقد عطف (غيرنا) بحرف الجر (لا) على الضمير المتصل المجرور محلاً بالباء في لفظة (بنا) من غير أن يعيد الجار في المعطوف عليه مع المعطوف.

وقول الآخر (٥٤): [من البسيط]

لَوْ كَانَ لِي وَزُهَيْرٍ ثَالِثٌ وَرَدَّتْ مِنْ الْجَمَامِ عَدَانًا شَرُّ مَوْرُودٍ

إذ عطف (زهير) على الضمير المجرور محلاً في (لي).

وشاهد سيبويه (٥٥): [من الرجز]

أَبِيكَ آيَةٌ بِي أَوْ مُصَدِّرٍ مِمَّنْ حُمِرَ الْجِلَّةُ جَابٍ حَشَوْرٍ

إذ عطف كلمة (مُصَدِّرٍ) على الضمير المجرور محلاً في (بي) من غير إعادة حرف الجر.

وقول الشاعر (٥٦): [من الطويل]

إِذَا أَوْقَدُوا نَارًا لِحَرْبِ عَدُوِّهِمْ فَقَدْ خَابَ مَنْ يَصَلَّى بِهَا وَسَعِيرِهَا

فقد عطف لفظة (سعيرها) بالواو على الضمير المجرور محلاً بالباء في (بها) من غير أن يعيد الجار في المعطوف عليه مع المعطوف.

وقول الشاعر (٥٧):[من الطويل]

تُعَلِّقُ فِي مِثْلِ السَّوَارِي سَيُوفِنَا وَمَا بَيْنَهَا وَالْكَعْبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

الشاهد في البيت في قوله: (فما بينها والكعب)؛ إذ عطف الكعب بالواو على الضمير المتصل المجرور بإضافة الظرف إليه في كلمة (بينها) من غير إعادة حرف الجر في المعطوف عليه مع المعطوف.

وقول الشاعر (٥٨): [من الكامل]

هَلَّا سَأَلْتُ بِذِي الْجَمَاجِمِ عَنْهُمْ وَأَبِي نُعَيْمٍ ذِي اللِّوَاءِ الْمُحْرِقِ

والشاهد في هذا البيت قوله: (عنهم وأبي نعيم)؛ إذ عطف لفظة (أبي نعيم) بالواو على الضمير المتصل المجرور محلاً بـ(عن)، من غير إعادة الجار في المعطوف عليه مع المعطوف. وقول الشاعر (٥٩):[من الوافر]

أَكْرُ عَلَى الْكَيْتِيَّةِ لَا أَبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَنْفِي أَمْ سِوَاهَا

إذ عطف(سواها) بـ(أم) على الضمير المجرور محلاً في(فيها) ، والتقدير: أم في سواها. إلى غير ذلك من الشواهد الشعرية ، التي تدل على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر.

يقول أبو حيان مؤيداً مذهب الكوفيين: "والذي نختاره أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقاً؛ لأن السماع يعضده، والقياس يقويه"(٦٠).

الوجه الثاني :

حملت هذه القراءة على حذف حرف الجر من المعطوف؛ لدلالة الأول عليه، فكأنه قال: (تساءلون به وبالأرحام) ، ثم حذف الباء الثانية لدلالة الأولى عليه.

وكان ابن خالويه أول من حمل قراءة حمزة على هذا الوجه؛ إذ قال: "قرأ حمزة وحده (والأرحام) بالجر؛ أراد تساءلون به وبالأرحام، فأضمر الخافض على قول العجاج أنه كان إذا سئل كيف تجدك؟ قال: خير، عافاك الله، يريد بخير"(٦١).

وقد تحمس ابن جني لهذا الوجه، وعقد باباً في الخصائص عنوانه: (باب في أن المحذوف إذا دلت الدلالة عليه كان في حكم الملفوظ به)، واستشهد على هذا الباب بقراءة حمزة، ورد على تلحين المبرد للقراءة قائلًا: "ليست هذه القراءة عندنا من الإبعاد والفحش والشناعة والضعف على ما رآه فيها، وذهب إليه أبو العباس، بل الأمر فيها دون ذلك، وأقرب وأخف وألطف؛ وذلك أن لحمزة أن يقول لأبي العباس: إني لم أحمل

(الأرحام) على العطف على المجرور المضمر، بل اعتقدت أن تكون فيه باء ثانية حتى كأني قلت: (وبالأرحام) ثم حذف الباء لتقدم ذكرها؛ كما حذف لتقدم ذكرها في نحو قولك: **بِمَنْ تَمَرُّرٌ أَمْرٌ، وَعَلَى مَنْ تَنْزِلُ أَنْزِلُ، وَلَمْ تَقُلْ: أَمْرٌ بِهِ وَلَا أَنْزِلُ عَلَيْهِ،** لكن حذف الحرفين لتقدم ذكرهما" (٦٢).

خرَجَ الرَّاظِي قِرَاءَةَ حَمَزَةٍ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، وَأَوْجِبَ الْقَطْعَ بِصِحَّةِ هَذِهِ اللَّغَةِ الَّتِي قَرَأَ بِهَا حَمَزَةٌ عَلَى أَنَّهَا عَلَى تَقْدِيرِ تَكْرِيرِ حَرْفِ الْجَرِّ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: تَسَاءَلُونَ بِهِ **وَبِالْأَرْحَامِ (٦٣).**

وقد حملها ابن يعيش على هذا الوجه؛ إذ قال: "والوجه الثاني أن يكون اعتقد أن قبله باء ثانية حتى كأنه قال: **وَبِالْأَرْحَامِ،** ثم حذف الباء؛ لتقدم ذكرها كما حذف في نحو قولك: **بِمَنْ تَمَرُّرٌ أَمْرٌ، وَعَلَى مَنْ تَنْزِلُ أَنْزِلُ، وَلَمْ تَقُلْ: أَمْرٌ بِهِ وَلَا أَنْزِلُ عَلَيْهِ؛** لأنها مثلها في موضع نصب" (٦٤).

وعلى هذا الوجه - أيضاً - خرَجَ ابن عصفور قراءة حمزة، قال: "وقد يتخرج ذلك على أن يكون من حذف حرف الجر" (٦٥)؛ وهو الوجه الذي رجَّحه القرطبي (٦٦)، والألوسي (٦٧).

ويقوي هذا الوجه كثرة ورود حذف حرف الجر في كلام العرب، وله شواهد متعددة. يقول ابن يعيش: "وقد كثر عنهم حذف حرف الجر" (٦٨)، ثم استشهد على ذلك بقول الشاعر (٦٩): [من الخفيف]

رَسَمِ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَقْضِي الْحَيَاةَ مِنْ جَلَلِهِ

والتقدير: رب رسم دار؛ إذ حذف حرف الجر، وبقي عمله في لفظة (رسم).

وهذه الرواية (جر رسم)، خرجها العلماء على أنه مجرور برب المحذوفة، واستأنس بهذا التخريج ابن يعيش؛ للدلالة على كثرة حذف حرف الجر في كلام العرب؛ كقول الشاعر (٧٠): [من الطويل]

مِثْلِكَ أَوْ خَيْرٍ تَرَكْتُ رَذِيَّةً تُقَلِّبُ عَيْنَيْهَا إِذَا طَارَ طَائِرٌ

ومحل الاستشهاد بالببيت قوله: (مثلك أو خير) حيث جر "مثلك" برب المحذوفة.

وقول الآخر (٧١): [من الرجز]

بَلْ جَوَزَ نَيْهَاءَ كَظْهَرِ الْجَحْفَتِ

ومثل هذا البيت في الجرب (رب) المحذوفة بعد (بل)، قول رؤية بن العجاج (٧٢): [من
الرجز]

بَلْ بَلَدٍ ذِي صُعْدٍ وَأَصْبَابٍ قَطَعْتُ أَحْشَاهُ بِعَسْفِ جَوَابٍ

أراد بَلْ رُبَّ جَوْزٍ، وَبَلْ رُبَّ بَلَدٍ، وَلَا يَقُولُ أَحَدٌ إِنَّ (بَل) تَجْر.

ولكن أبا حيان قبل ذلك، بل عنف من خطأ حمزة في قراءة الخفض، فقال:
﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]؛ أي: وبالأرحام، وتأويلها على غير العطف على
الضمير، مما يخرج الكلام عن الفصاحة، فلا يلتفت إلى التأويل. قرأها كذلك ابن
عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والنخعي، ويحيى بن وثّاب، والأعمش، وأبو رزین،
وحمزة، ومن ادعى اللحن فيها، أو الغلط على حمزة، فقد كذب، وقد ورد من ذلك في
أشعار العرب كثير يخرج عن أن يجعل ذلك ضرورة (٧٣). والحاصل هو أن عطف مجرور
على ضمير مع حذف حرف الجر جائز.

الوجه الثالث:

أن تكون الواو واو القسم، وتكون كلمة (الأرحام) مجرورة على القسم؛ لأنهم
كانوا يقسمون بالأرحام، ويعظمونها؛ فجاءت قراءة قارئ الكوفة، حمزة موافقة
للمنطوق العربي المستعمل غير المهمل، و" حُرُوفُ الْقِسْمِ إِبْمًا تَحْذِفُ حَيْثُ يَكُونُ الْقِسْمُ
بِهِ مُسْتَحَقًّا لِأَنَّهُ يُقْسَمُ بِهِ كَالْأَرْحَامِ؛ تَبْيَهًُا عَلَى صَلْتِهَا، وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى - بِالمحل
العظيم، وكانت هذه من طرائق العرب في أقسامها؛ فلا تقسم إلا بما عظم شأنه في
نفسها وأكبرته إكبارًا كبيرًا!

ولهذا خفض حمزة (الأرحام) المقسم بها تعظيمًا لها، وتأكيدًا للتبويه على أنهم قد
نسوا الله في الوفاء بحقوقها [القراءة مؤذنة] بأن صلة الرحم من الله بمكان عظيم؛
[إذ] قرنها باسمه سواء كان عطفًا - كما شرحته آية ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ.
﴾ [الإسراء: ٢٣] ... أو كان قسمًا " (٧٤).

ذكر السمعاني قول إبراهيم النخعي: تقول العرب: نشدتك بالله وبالرحم؛ والمعنى:
اتقوا الأرحام أن تقطعوها (٧٥).

وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: "أنا الرحمن، وخلقت الرحم، واشتقت لها
اسمًا من اسمي؛ فمن وصلها وصلته، ومن قطعها قطعته" (٧٦).

ذكر النحاس هذا الوجه، فقال: "وقال بعضهم: الأرحام قسم" (٧٧)، وكذا العكبري: وقيل الجر على القسم (٧٨).

وذكر ابن يعيش أوجه تخريج القراءة قائلًا: "الوجه الأول أن تكون الواو واو قسم، وهم يقسمون بالأرحام، ويعظمونها، وجاء التنزيل على مقتضى استعمالهم، ويكون قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ جوابًا للقسم" (٧٩).

تحدث البيضاوي في قراءة الجر على وجه القسم أن الله - سبحانه وتعالى - قد نبه على عظيم مقام الرحم؛ إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أن صلتها بمكان منه (٨٠).

وعنه عليه الصلاة والسلام "الرحم معلقة بالعرش تقول: ألا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعته الله" (٨١).

وقال أبو حيان: "وذهبت طائفة إلى أن الواو في (والأرحام) واو القسم، لا واو العطف، والملتقى به القسم هي الجملة بعده" (٨٢).

ثم فصل أبو حيان أسباب حمل بعض العلماء القراءة على هذا الوجه قائلًا: "ذهبوا إلى تخريج ذلك فرارًا من العطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار، وذهابًا إلى أن في القسم بها تنبيهًا على صلتها وتعظيمًا لشأنها، وأنها من الله تعالى بمكان" (٨٣).

واعترض فريق من العلماء على هذا الوجه؛ لوجود مخالفة شرعية ينهى عنها الشرع وهي أن الحلف والقسم بغير الله لا يجوز. وكان أبو إسحاق الزجاج أول من ذكر هذا الاعتراض؛ إذ قال: فأما الجر في (الأرحام) فخطأ في العربية لا يجوز إلا في اضطرار شعر، وخطأ - أيضًا - في أمر الدين العظيم؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تحلفوا بآبائكم"، فكيف يكون تساءلون به وبالرحم على ذا؟ وقد رأيت أبا إسحاق إسماعيل بن إسحاق يذهب إلى أن الحلف بغير الله جائز (٨٤)، وتابعه في ذلك كل من النحاس (٨٥)، والعكبري (٨٦).

وبعضهم اعترض على هذا الوجه من أن فيه تقريرًا لما كانت عليه الجاهلية من التساؤل بالأرحام كما يتساءل بالله.

ورد الإمام القرطبي على هذا الاعتراض بقوله: لا يبعد أن يَكُونَ (وَالْأَرْحَامُ) هَذَا مِنْ قَبِيلِ الْقِسْمِ؛ فَيَكُونُ اللَّهُ قَدْ أَقْسَمَ بِالرَّحِمِ، كَمَا أَقْسَمَ بِمَخْلُوقَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَقُدْرَتِهِ تَأْكِيدًا لَهَا حَتَّى قَرْنَهَا بِنَفْسِهِ (٨٧).

وقد أقسم الله في كتابه بالشمس والليل والضحى والنجم إلى غير ذلك لشأنها، وأنها من مخلوقاته، فلا مانع أن يقسم الله بالأرحام.

ويزاد على ما تقدم " أن الحلف بغير الله ليس ممنوعاً مطلقاً، وإنما يمنع الحلف الذي يعتقد وجوب البربه، لا ما قصد به محض التأكيد على طريقة العرب في التأكيد بصيغة القسم... [يعني] كون التساؤل قسماً بها خطأ؛ فإن السؤال بالله غير القسم بالله، والسؤال بالرحم غير الحلف بها" (٨٨).

مع تبيان آخر أن الحلف المنهي عنه - عند من رد هذا الوجه، واعترض عليه - هو الحلف بالآباء؛ وهنا الحلف بالله، ثم قرن الرحم، فأين أحدهما من الآخر؟ ولئن سلمنا أن الحلف بالرحم منهي عنه، لكن لا نسلم أنه منهي عنه مطلقاً؛ إذ المنهي عنه ما كان على سبيل التعظيم، وأما الحلف على سبيل التأكيد فلا بأس به.

خلاصة القول: أن قراءة حمزة بجر (الأرحام) قد حملت على أكثر من وجه من وجوه العربية؛ لهذا لا يصح ردها، ولا تلحينها، ولا تخطئة القراءة بها؛ لأنها قراءة اتصل سندها من الرسول الكريم إلى جيل صحابته الكرام، الذين أخذوا القرآن عن الرسول مشافهة، ثم روى جيل التابعين قراءاته عن الصحابة، ثم أخذها جيل تابعي التابعين عن التابعين وهكذا دواليك ... فصار لكل شيوخه، الذين روى عنهم، وهؤلاء رووا عن شيوخهم حتى يصل السند إلى الرسول؛ فقد عدّ رواة القراءات صحة السند القراءة شرطاً أساساً من شروط القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها" (٨٩).

ولعل الوجه الأول يقوم دليلاً دامغاً على صحة القراءة وجوازها؛ وإلا كيف نفسر كثرة الشواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب: شعراً ونثراً. يزداد على ذلك شهادة كثير من العلماء لحمزة وقراءته؛ فهو " بالرتبة السننية المانعة له من نقل قراءة ضعيفة" (٩٠)، وكذلك فإن حمزة "أحد القراءة السبعة؛ الظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك يوجب القطع بصحة اللغة، ولا التفات إلى أقيسة النحاة عند وجود السماع" (٩١).

وكذلك كانت "قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت" (٩٢).

وقد رد غير واحد من العلماء على كل من لحنّها وغلطها؛ فهذا ابن خالويه - في رده على البصريين - يقول: "وليس لحناً عندي؛ لأن ابن مجاهد حدثنا بإسناد يعزوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ (والأرحام) [بكسر الميم]، ومع ذلك كان حمزة لا يقرأ حرفاً إلا بأثر" (٩٣).

وهذا الفخر الرازي ينتصر لقراءة حمزة، ويرد الوجوه التي رد بها النحاة قراءته قائلاً: "واعلم أن هذه الوجوه ليست وجوهاً قوية في دفع الروايات الواردة في اللغات؛ لأن حمزة أحد القراء السبعة والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه، بل رواها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة، والقياس يتضاءل عند السماع لاسيما بمثل هذه الأقيسة، التي هي أوهن من بيت العنكبوت" (٩٤).

ونقل القرطبي قول القشيري، الذي رد به على كل من لحن قراءة حمزة: "ومثل هذا الكلام مردود عند أئمة الدين؛ لأن القراءات التي قرأ بها أئمة القراء ثبتت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تواتراً يعرفه أهل الصنعة، وإذا ثبت شيء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فمن رد ذلك؛ فقد رد على النبي - صلى الله عليه وسلم - واستتبح ما قرأ به وهو مقام محذور" (٩٥).

وقال ابن الخطيب: "العجب من هؤلاء النحاة أنهم يستحسنون إثبات هذه اللغة بأبيات مجهولة القائل، ولا يستحسنونها بقراءة حمزة وابن مجاهد؛ مع أنهما كانا من كبار علماء السلف في علوم القرآن" (٩٦).

وعقب البيضاوي على تضعيف البصريين قراءة حمزة بقوله: "والحق أنه ليس بضعيف؛ فقد جوزه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفاً، والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يضعف كلام البصريين، ويرجع إلى كلام رب العالمين" (٩٧).

الخاتمة

- في نهاية هذا البحث ، الذي سار في دروب القراء والقراءات أخلص إلى النتائج الآتية :
- (١) أن منهج نقل القراءة وروايتها جيلاً عن جيل ، والعرض على الشيخ والأداء في حضرته ، هو المنهج الذي صدر عنه القراء في قراءاتهم من غير النظر في أقيسة النحاة وقواعدهم.
 - (٢) كان السماع والقياس هما المعوّل عليهما في تلحين القراءات ، وردها من النحاة؛ مع أن مفهوم السماع لديهم لم يكن واضحاً؛ إذ إنّ القراءات من المسموع الموثق بأدق طريق ، فكان حرياً بالنحاة أن يجعلوا القرآن وقراءته مصدراً أولاً في التععيد النحوي ، ورسم خط سير تلك القواعد.
 - (٣) كان السبب الرئيس في الصراع ، الذي دار بين النحاة والقراء ، اختلاف مناهج التلقي عند الفريقين كليهما؛ فالنقل والرواية ، والعرض والأداء عند القراء ولا كرامة عندهم للقياس النحوي ، في الوقت الذي كان التقديس للقياس النحوي في نضجه وأوجه عند النحاة.
 - (٤) انقسام موقف النحاة من القرآن وقراءاته على قسيمين متناقضين: موقف نظري يقدس القرآن وقراءته جميعها؛ حتى الشاذة منها ، ويجعله أول النصوص الفصيحة الموثوقة في الاستشهاد ، وموقف تطبيقي (عملي) يرد القراءات ، التي تخالف الأقيسة النحوية ، ويرمي القارئ ورواة القراءة بألقاب العيب والنقص ، وعدم المعرفة بقواعد اللغة العربية.

الهوامش:

- (١) ينظر: أثر القراءات في الدراسات النحوية، ص ٥٥.
- (٢) الاقتراح، ص ٥١.
- (٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ١٢٣/١، والنشر في القراءات العشر، ١٠/١، والمنجد في القراءات ١٥ - ١٦، ومناهل العرفان في علوم القرآن ٤١٣/١.
- (٤) ينظر: التوجيهات والآثار النحوية للقراءات الثلاثة بعد السبعة، ٢٦/١.
- (٥) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية، ص ٨٣، والنحويون والقراءات القرآنية، ص ١١٠.
- (٦) ينظر: النحويون والقراءات القرآنية، ص ١٠٦، وما بعدها .
- (٧) النشر في القراءات العشر، ١٧/١.
- (٨) المرجع السابق، ٦/١ .
- (٩) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص ٣ - ٤.
- (١٠) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٢٥٢/١، ومعاني القرآن، الأخفش، ٢٤٣/١، ومعاني القرآن وإعرابه، ٦/٢، وإعراب القرآن، النحاس، ٤٣٠/١، والحجة في القراءات السبع، ص ٥٨، وإعراب القراءات السبع وعللها، ١٢٧/١، والكشاف، ٤٩٣/١، والبيان في إعراب غريب القرآن، ٢٤٠/١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٥٦/١، وتفسير القرطبي، ٢٣٧/٣، والحجة، ص ١٩٠، والبحر المحيط، ٣ / ٤٩٨، والدر المصون، ١٩٦/٢، وإتحاف فضلاء البشر، ص ٢٣٦، وغيث النفع في القراءات السبع، ص ٨٠، وروح المعاني، ٤/١٨٤.
- (١١) ينظر: المحرر الوجيز، ٤/٢، والبحر المحيط، ٣/٤٩٨، والدر المصون، ٣/٥٥٥، وتفسير القرطبي، ٥/٥، واللباب في علوم الكتاب، ١٤٧/٦، وفتح القدير، ٤٨١/١.
- (١٢) ينظر: الكشاف، ٤٦١/١، والمحرر الوجيز، ٥/٢٨٩، وتفسير الفخر، ٩/٤٨٠، وتفسير البيضاوي، ٢/٥٨.
- (١٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٢٥٢/١، ومعاني القرآن، الأخفش، ٢٤٣/١، ومعاني القرآن وإعرابه، ٦/٢، وإعراب القرآن، النحاس، ٤٣٠/١، والحجة في القراءات السبع، ص ٥٨، وإعراب القراءات السبع وعللها، ١٢٧/١، والكشاف، ٤٩٣/١، والبيان في إعراب غريب القرآن، ٢٤٠/١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٥٦/١، وتفسير القرطبي، ٢٣٧/٣، والحجة، ص ١٩٠، والبحر

- المحيط، ٤٩٨/٣، والدر المصون ١٩٦/٢، إتحاف فضلاء البشر، ص٢٣٦، وغيث النفع في القراءات السبع، ص٨٠، وروح المعاني، ١٨٤/٤.
- ١٤) ينظر:المراجع السابقة نفسها .
- ١٥) اللباب في علوم الكتاب، ١٤٤/٦، وينظر:معاني القرآن وإعرابه، ٦/٢، والدر المصون، ٥٥٤/٣، وروح البيان، ٣٩٦/١. الوجه الأول اختيار كثير من الأئمة؛ كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد، والفراء والزجاج والوجه الثاني اختيار أبي علي الفارسي وعلي بن عيسى، ينظر: تفسير النيسابوري، ٢ / ٣٤١.
- ١٦) تفسير المنار، ٤ / ٢٧٣.
- ١٧) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ٢٥٢/١، ومعاني القرآن، الأخفش، ٢٤٣/١، والكامل في اللغة والأدب، ٣٩/٢، ومعاني القرآن وإعرابه، ٦/٢، وإعراب القرآن، النحاس، ٤٣٠/١، والحجة في القراءات السبع، ٥٨، وإعراب القراءات السبع وعللها، ١٢٧/١، والكشاف، ٤٩٣/١، والبيان في إعراب غريب القرآن، ٢٤٠/١، والتبيان في إعراب القرآن، ١٥٦/١، وتفسير القرطبي، ٢٣٧/٣، والحجة لأبي زرعة، ص١٩٠، وشرح المفصل، ٧٨/٣، والبحر المحيط، ٤٩٨/٣، والدر المصون، ١٩٦/٢، وإتحاف فضلاء البشر، ص٢٣٦، وغيث النفع في القراءات السبع، ص٨٠، وروح المعاني، ١٨٤/٤، ودراسات لأسلوب القرآن، ٥٥/١.
- ١٨) معاني القرآن، ٢٥٢/١. وهذا هو الراجح في مذهب الفراء - من خلال كتابه - أنه لا يجوز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر؛ خلافاً لابن عادل في تفسيره؛ إذ نقل غير ذلك، ينظر: اللباب، ١٤٣/٦، وما بعدها.
- ١٩) تفسير القرطبي، ٢٣٨/٣، وينظر: دراسات لأسلوب القرآن، ٥٥/١.
- ٢٠) سيأتي تخريجه لاحقاً، هامش ٤٩.
- ٢١) الكامل في اللغة والأدب، ٢ / ٣٩ .
- ٢٢) ينظر: تفسير الطبري، ٧ / ٥١٩.
- ٢٣) صحيح البخاري (باب لا تحلفوا بآبائكم) ١٣٢/٨، وسنن ابن ماجه (باب النهي عن الحلف بغير الله) ٦٧٨/١، ومسنند الإمام أحمد، ١ / ٢٧٠.
- ٢٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ٦/٢، وإعراب القرآن، النحاس، ٤٣١/١.
- ٢٥) ينظر: الحجة في القراءات السبع، ١١٨/١.
- ٢٦) تفسير السمعي، ١ / ٣٩٤.
- ٢٧) ينظر: الكشاف، ٤٦٢/١، والتبيان في إعراب القرآن، ١ / ٣٢٦.

- ٢٨) التبيان في إعراب القرآن، ١/ ٣٢٧.
- ٢٩) ينظر: شرح المفصل، ٢/ ٢٨٣.
- ٣٠) المحرر الوجيز، ٢/ ٤ .
- ٣١) تفسير النيسابوري، ٢/ ٣٤١.
- ٣٢) الكتاب، ٢/ ٣٨١.
- ٣٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٦/ ١٤٥.
- ٣٤) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٧٣ - ٣٧٤، واللباب في علل الإعراب، ١/ ٤٣٢، وشرح الجمل لابن عصفور ١/ ٢٤٣، وشرح الكافية لابن فلاح، ٢/ ٩١٦.
- ٣٥) معاني القرآن وإعرابه، ٢/ ٦.
- ٣٦) الحجة في القراءات السبع، ص ٥٨.
- ٣٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ٢/ ٦ وما بعدها، والإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٧١، وشرح الكافية لابن مالك، ٣/ ١٢٤٩، وشرح الكافية لابن فلاح، ٢/ ٩١٧، والبحر المحيط ٢/ ١٥٦، وأوضح المسالك، ٣/ ٣٩٢، والدر المصون، ٢/ ٣٩٤، والمقاصد الشافية، ٥/ ١٥٦.
- ٣٨) ينظر: المراجع السابقة.
- ٣٩) ينظر: شرح الكافية الشافية، ١/ ٥٦١، وشرح التسهيل، ٣/ ٢٣٤، والبحر المحيط، ٢/ ٣٨٨.
- ٤٠) ينظر: المراجع السابقة.
- ٤١) ينظر: الكشف، ١/ ٤٩٣، والبيان في إعراب غريب القرآن، ١/ ٢٤٠، والتبيان في إعراب القرآن، ١/ ١٥٦، وتفسير القرطبي، ٣/ ٢٣٧، والبحر المحيط، ٣/ ٤٩٨، والدر المصون ٢/ ١٩٦.
- ٤٢) ينظر: شرح التسهيل لابن مالك، ٣/ ٢٣٤، والبحر المحيط، ٣/ ٤٩٨.
- ٤٣) ينظر: معاني القرآن، الفراء، ١/ ٢٥٢، ومعاني القرآن، الأخفش، ١/ ٢٤٣، والكامل في اللغة والأدب، ٢/ ٣٩، ومعاني القرآن وإعرابه، ٢/ ٦، وإعراب القرآن، النحاس، ١/ ٤٣٠، الحجة في القراءات السبع، ص ٥٨، وإعراب القراءات السبع وعللها، ١/ ١٢٧، والكشاف، ١/ ٤٩٣، والبيان في إعراب غريب القرآن، ١/ ٢٤٠، والتبيان في إعراب القرآن، ١/ ١٥٦، وتفسير القرطبي، ٣/ ٢٣٧، والحجة لأبي زرعة، ص ١٩٠، وشرح المفصل، ٣/ ٧٨، والبحر المحيط، ٣/ ٤٩٨، والدر المصون، ٢/ ١٩٦، وإتحاف فضلاء البشر، ص ٢٣٦، وغيث النفع في

- القراءات السبع، ص ٨٠، وروح المعاني، ١٨٤/٤، ودراسات لأسلوب القرآن، ٥٥/١.
- ٤٤) ينظر: ومعاني القرآن وإعرابه، ٦/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٧١، والتبيان في إعراب القرآن، ٣٩٣/١.
- ٤٥) ينظر: والإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٧١- ٣٧٢.
- ٤٦) ينظر: والتبيان في إعراب القرآن، ٤٠٨/١.
- ٤٧) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٧١، وشرح الكافية لابن مالك، ١٢٤٩/٣، وشرح الكافية لابن فلاح، ٩١٧/٢، وأوضح المسالك، ٣٩٢/٣.
- ٤٨) ينظر: تفسير الطبري، ٨٢/١٧، ومعاني القرآن وإعرابه، ٨٢٥/٣، والإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٣٧٢، والتبيان في إعراب القرآن ٧٧٩/١، وهمع الهوامع، ١٨٩/٣.
- ٤٩) صحيح البخاري (باب الإجارة إلى صلاة العصر) ٩٧/٦، وينظر: فتح الباري ٥٢٢/٤.
- ٥٠) ينظر: شواهد التوضيح والتصحيح، ص ١٠٧، وشرح التسهيل لابن مالك ٣٧٦/٣، والمقاصد الشافية، ١٥٧/٥.
- ٥١) شرح التسهيل ٢٣٤/٣، وشرح الكافية الشافية ٥٦٢/١، والبحر المحيط ٣٨٧/٢، وهمع الهوامع، ٢٢١/٣، وأوضح المسالك ٣٩٢/٣.
- ٥٢) الشاهد من غير نسبة في الكتاب ٣٨٣/٢، والكامل في اللغة والأدب، ٩٣١/٢، وإعراب القرآن، النحاس، ٤٣١/١، والإنصاف في مسائل الخلاف ص ٣٧٢، وشرح الكافية الشافية، ١٢٥٠/٣، وشرح الكافية لابن فلاح، ٩٨١/٢، وشرح الرضي ٣٣٦/٢، والدر المصون، ٣٩٦/٢.
- ٥٣) الشاهد من غير نسبة في شرح عمدة الحافظ، ص ١٢٠، وشرح التسهيل، ١٩٩/٢، وشواهد التوضيح والتصحيح، ص ٥٦، والمقاصد النحوية، ١٦٦/٤.
- ٥٤) الشاهد من غير نسبة في شرح التسهيل، ١٩٩/٢، وشواهد التوضيح والتصحيح، ص ٥٦، وفي شرح عمدة الحافظ، ص ١٢١.
- ٥٥) الرجز من غير نسبة في عمدة الحافظ، ص ١٢٠، وشرح التسهيل، ١٩٨/٢، وشواهد التوضيح والتصحيح، ص ٥٥.
- ٥٦) الشاهد من غير نسبة في عمدة الحافظ، ص ١٢٠، والبحر المحيط، ٣٨٨/٢.

- ٥٧) الشاهد لمسكين الدرامي في الديوان، ص ٥٣، وأنشده الفراء في معاني القرآن،
١ / ٢٥٣، ولم ينسبه إلى أحد وشرح عمدة الحافظ، ص ١٢٠، وشرح التسهيل،
٢ / ١٩٨.
- ٥٨) الشاهد من غير نسبة في معاني الفراء، ٢ / ٨٦، وشرح عمدة الحافظ، ص ١٢٠،
وشرح التسهيل، ٢ / ١٩٨، واللسان، ٢ / ٤٦٩، مادة (ن ع م).
- ٥٩) الشاهد للعباس بن مرداس السلمي في الديوان، ص ١١٠، والحماسة الشجرية،
١ / ١٣٣، والإنصاف في مسائل الخلاف، ص ٢٩٦.
- ٦٠) البحر المحيط، ص ٢ / ٣٨٧.
- ٦١) الحجة في القراءات السبع، ص ٥٨، وينظر: شرح المفصل، ص ٣ / ٧٩.
- ٦٢) الخصائص، ١ / ٢٨٦ - ٢٨٧.
- ٦٣) ينظر: تفسير الرازي، ٩ / ٤٨١.
- ٦٤) شرح المفصل، ٢ / ٢٨٣.
- ٦٥) شرح جمل الزجاجي، ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥.
- ٦٦) ينظر: تفسير القرطبي، ٥ / ٢.
- ٦٧) ينظر: روح المعاني، ٢ / ٣٩١.
- ٦٨) شرح المفصل، ٢ / ٢٨٣.
- ٦٩) الشاهد لجميل بن معمر في الديوان، ص ٥٣، وفي شرح عمدة الحافظ ١ / ١٧٢،
وشرح التسهيل، ٢ / ١٦٨.
- ٧٠) الشاهد من غير نسبة في كتاب سيبويه، ١ / ٢٩٤.
- ٧١) الشاهد من أرجوزة لسؤر الذئب في شرح المفصل، ٢ / ١٢٥، والرضي في شرح
الكافية، ٢ / ٢٧٧، والخصائص، ٣ / ٤٣٢.
- ٧٢) الرجز لرؤبة بن العجاج في غريب الحديث، ١ / ١٢٢، وتهذيب اللغة، ١٢ / ٨٦،
واللسان، ١ / ٥١٧، وتاج العروس، ٣ / ١٨٠.
- ٧٣) ينظر: البحر المحيط، ٣ / ٥٠٠.
- ٧٤) نظم الدرر في تناسب السور، ٥ / ١٧٦.
- ٧٥) ينظر: تفسير السمعاني، ١ / ٣٩٤.
- ٧٦) مسند الإمام أحمد، ٣ / ٢١٧.
- ٧٧) إعراب القرآن، ١ / ١٩٨.
- ٧٨) التبيان في إعراب القرآن، ١ / ٣٢٧.

- ٧٩) شرح المفصل، ٤٤٤/١.
- ٨٠) ينظر: تفسير البيضاوي، ٥٨/٢.
- ٨١) المنهاج شرح صحيح مسلم (باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها) ١٦ / ١١٢، وينظر: مسند الإمام أحمد ١١ / ٧٧.
- ٨٢) البحر المحيط، ٤٩٩/٣.
- ٨٣) المرجع السابق.
- ٨٤) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، ٦/٢.
- ٨٥) ينظر: إعراب القرآن، ١٩٨/١.
- ٨٦) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، ٣٢٧/١.
- ٨٧) ينظر: تفسير القرطبي، ٥/٥، والبحر المحيط، ٤٩٩/٣.
- ٨٨) تفسير المنار، ٢٧٤/٤.
- ٨٩) النشر في القراءات العشر، ٩/١، وينظر: النحويون والقراءات القرآنية، ص ١٠٧.
- ٩٠) الدر المصون، ٥٥٤/٣.
- ٩١) اللباب في علوم الكتاب، ١٤٧/٦.
- ٩٢) تفسير النيسابوري، ٣٤١/٢.
- ٩٣) إعراب القراءات السبع وعللها، ١٢٨/١ - ١٢٩.
- ٩٤) تفسير الرازي، ٤٨٠/٩.
- ٩٥) تفسير القرطبي، ٤/٥.
- ٩٦) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ١٤٧/٦.
- ٩٧) ينظر: السراج المنير، ٢٧٨/١.

المصادر والمراجع

- ١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطي (ت: ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، ط٣، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.
- ٢) أثر القراءات في الدراسات النحوية: عبد العال سالم مكرم، دار المعارف، ١٩٧٨م.
- ٣) إعراب القراءات السبع وعللها: أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن خالويه، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٤) إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي (ت: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٥) الاقتراح في علم أصول النحو: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمود فجال، الناشر: دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ □ ١٩٨٩م.
- ٦) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٧) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: أبو سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- ٨) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد عبد الله بن يوسف، جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت: ٧٦١هـ)، تحقيق: محمد البقاعي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت).
- ٩) البحر المحيط في التفسير: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٢٠هـ.

- ١٠) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، وعيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ١١) البيان في غريب إعراب القرآن: أبو البركات كمال الدين الأنباري، تحقيق: طه عبد الحميد، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط: ١٩٦٩م.
- ١٢) تاج العروس من جواهر القاموس: أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، الملقب بمرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، (د.ت).
- ١٣) التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د.ت).
- ١٤) تفسير السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ١٥) تفسير القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٦) تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- ١٧) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- ١٨) التوجيهات والآثار النحوية للقراءات الثلاثة بعد السبعة: على محمد فاخر، مكتبة وهبة، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٩) جامع البيان في تأويل القرآن: أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٠) حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن أحمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- (٢١) الحجة في القراءات السبع: أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١ هـ.
- (٢٢) الحماسة الشجرية: هبة الله علي بن حمزة العلوي، المعروف بابن الشجري (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.
- (٢٣) الخصائص: أبو الفتح ابن جني (ت: ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط ٢، (د.ت).
- (٢٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، (د.ت).
- (٢٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، (د.ت).
- (٢٦) ديوان العباس بن مرداس السليمي، تحقيق: الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- (٢٧) ديوان شعر مسكين الدارمي، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- (٢٨) روح البيان: أبو الفداء إسماعيل حقي بن مصطفى الحنفي (ت: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- (٢٩) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ.
- (٣٠) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ.
- (٣١) سنن ابن ماجه: أبو عبد الله ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء الكتب العربية، وفيصل عيسى البابي الحلبي، (د.ت).

- (٣٢) شرح الرضي على الكافية: لرضي الدين الاسترأبادي، تحقيق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ط٢، ١٩٩٦م.
- (٣٣) شرح الكافية الشافية: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهين مالك الطائي الجياني(ت:٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، الناشر: جامعة أم القرى مركز البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ط١، (د.ت).
- (٣٤) شرح الكافية في النحو: منصور بن فلاح اليميني، نصار بن محمد بن حسين حميد الدين، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢١هـ - ١٤٢٢م.
- (٣٥) شرح المفصل: أبو البقاء يعيىش بن علي بن يعيىش المعروف بابن يعيىش (ت:٦٤٣هـ) قدم له: إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- (٣٦) شرح تسهيل الفوائد: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الهين مالك الطائي الجياني (ت: ٦٧٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- (٣٧) شرح جمل الزجاجي(الشرح الكبير): ابن عصفور الإشبيلي(ت:٦٦٩هـ)، تحقيق: صاحب جعفر أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- (٣٨) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: أبو عبد الله جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.
- (٣٩) شَوَاهِدُ التَّوْضِيحِ وَالتَّصْحِيحِ لِمَشْكَلَاتِ الجَامِعِ الصَّحِيحِ: أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي الجياني(ت:٦٧٢هـ)، تحقيق: طه محسن، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٥هـ.
- (٤٠) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- (٤١) غرائب القرآن ورجال الفرقان: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

- (٤٢) غريب الحديث: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- (٤٣) غيث النفع في القراءات السبع: علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي (ت: ١١١٨هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- (٤٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، خرجه: محمد فؤاد عبد الباقي، وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- (٤٥) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، و دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- (٤٦) الكامل في اللغة والأدب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت: ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- (٤٧) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الملقب بسيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- (٤٨) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
- (٤٩) اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت: ٦١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الإله النهان، الناشر: دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- (٥٠) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- (٥١) لسان العرب: أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- ٥٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الراجحي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٥٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ - ١٤٢٢هـ.
- ٥٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٥) معاني القرآن: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت: ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٥٦) معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت: ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ط١، (د.ت).
- ٥٧) معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري، المعروف بالزجاج (ت: ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- ٥٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- ٥٩) المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٨ - ٢٠٠٧م.
- ٦٠) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت: ٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، (د.ت).
- ٦١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين: أبو محمد شمس الدين بن محمد الجزري، تحقيق: محمد الشنقيطي، مكتبة القدسي، ١٣٥٠هـ.
- ٦٢) النحويون والقراءات القرآنية: زهير غازي زاهد، مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد الخامس عشر، ١٩٨٧م.

- ٦٣) النشر في القراءات العشر: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت: ٨٣٣ هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى، (د.ت).
- ٦٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥ هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).
- ٦٥) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ) تحقيق: عبد الحميد هندراوي، الناشر: المكتبة التوفيقية، مصر، (د.ت).

**أثر الموارد المائية
في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة
في ساحل حضرموت**

**The Effect of Water Sources on Sustainable Agricultural
Development in the Coastal Area of Hadhramout**

د. سالم عبد الله باصريح

جامعة حضرموت، كلية الآداب، قسم الجغرافية



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

أثر الموارد المائية في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت

الملخص :

المتاحة من الأمطار، والسيول، والمياه الجوفية، التي يعتمد عليها النشاط الزراعي، ومن دراسة هذه المصادر نستعرض أهم المشكلات المرتبطة بالموارد المائية وأثرها على تحقيق التنمية الزراعية المستدامة وبناءً على تحديد المشكلات، التي تؤثر سلباً على تحقيق التنمية الزراعية في منطقة الدراسة فإنه لا بد من وضع رؤية جغرافية - اقتصادية مستقبلية لمعالجة هذه المشكلات والعمل على تنمية الموارد المائية المتاحة وترشيد استخدامها بما يحقق التنمية الزراعية المستدامة لمنطقة الدراسة .

إن التنمية الزراعية ترتبط بمجموعة من المقومات التي من شأنها أن تؤثر في مستوى القدرة على تطورها واستدامتها، ومن بين هذه المقومات تأتي الموارد المائية التي تشكل الدعامة الأساسية لنجاح هذه التنمية، ويسعى هذا البحث إلى إجراء تعريف بمنطقة الدراسة (ساحل حضرموت) ثم عرض لواقع النشاط الزراعي من خلال المقارنة لمؤشرات المساحة والإنتاج للتركيب المحصولي في المنطقة لمدتين زمنيتين ما بين العام ٢٠٠٠م والعام ٢٠١٠م لمعرفة مستوى التغيرات الواقعة أثناء هذه المدة الزمنية، ثم يعرض البحث واقع مصادر الموارد المائية

ABSTRACT

One of the most important factors that affect the agricultural development and its continuity is the water sources. This study aims at describing and introducing the study site (coastal area of Hadhramout) and the agricultural activities in this area through drawing a comparison between the space and crop production in two periods from 2000 to 2010 so as to show the changes that happened within these periods. The study describes the current state of the water sources

available from rains, floods and underground waters upon which the agricultural activities are based. Through the study of these sources, the researcher will show the problems that affect negatively the sustainable agricultural development in the study site. The researcher will recommends having a geographical economic vision to overcome all these problems and to develop the available water sources to achieve a sustainable agricultural development in the study site.

مقدمة :

يعد القطاع الزراعي ركيزة مهمة من ركائز القطاعات الإنتاجية التي تقوم عليها التنمية الاقتصادية الشاملة في المجتمع، وذلك لما لهذا القطاع من أهمية في تحقيق الأمن الغذائي المنشود، فضلاً عن توفير المدخلات وخلق الترابطات مع مختلف القطاعات الاقتصادية الأخرى .

وفي منطقة الدراسة التي تشغل الجزء الساحلي من محافظة حضرموت والتي يتركز بها نحو ٤٣.٥٪ من سكان المحافظة عام ٢٠١٠م، وينتشر بها عدد من أهم المدن وفي مقدمتها مدينة المكلا حاضرة المحافظة، وفي هذا النطاق الساحلي تنتشر عدد من الأودية الساحلية التي يقام في بطونها ودالاتها أنشطة زراعية مختلفة تقوم على تدفق مياه السيول، وتنتشر على هذا السهل الساحلي عدد من المناطق التي توجد بها الترب الجيرية، وتشهد الزراعة فيها توسعاً أفقياً كبيراً في السنوات الأخيرة يعتمد بشكل أساسي على المياه الجوفية سواء من مياه العيون أو الآبار وهذا ما زاد من استخدام الموارد المائية المتاحة على الرغم من محدوديتها، الأمر الذي أدى إلى إلحاق الضرر بها، وبخاصة الموارد المائية الجوفية سواء أكان من مياه الآبار أو مياه العيون مما كان له الأثر السلبي على التنمية الزراعية، وفي ظل ذلك التدهور للموارد المائية وعدم استغلالها بالقدر الذي يحقق الموائمة بين التوسع الزراعي القائم والمتزايد، وبين إمكانيات الموارد المائية المتاحة فإن التنمية الزراعية تظل محفوفة بالمخاطر ما لم يتم وضع المعالجات الممكنة والمتمثلة في ترشيد استخدام الموارد المائية المتاحة في المنطقة بما يحقق التنمية لزراعية المستدامة .

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في عدم قدرة الموارد المائية المتاحة على تلبية احتياجات النشاط الزراعي المتصاعد في ظل التوسع الأفقي للأراضي الزراعية من خلال استصلاح أراض جديدة، مما انعكس ذلك سلباً على طبيعة النشاط الزراعي القائم، سوى من حيث الإنتاجية أو من حيث جفاف الكثير من الأراضي الزراعية البور لعدم حصولها على الكميات المطلوبة من المياه في ظل استخدام أساليب تقليدية في عمليات الري للأراضي الزراعية .

أهمية البحث وأهدافه :

تأتي أهمية هذا البحث كونه يتناول أحد العناصر الأساسية المؤثرة في التنمية الزراعية بساحل حضرموت، حيث إن موقع محافظة حضرموت الواقع ضمن الأقاليم الجافة التي لم يتح لها مورداً مائياً آمناً، لذلك فقد توجب العمل على إبراز أهمية هذه الدراسة، التي تكمن في إبراز العلاقات القوية بين الموارد المائية وكيفية إدارتها وتميبتها، واستدامة التنمية الزراعية، وبذلك سعت هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :

- أولاً : إبراز الأهمية الجغرافية لمنطقة الدراسة .
- ثانياً: إبراز إمكانيات الموارد المائية المتوافرة .
- ثالثاً: تحديد المناطق الزراعية في المنطقة .
- رابعاً: إبراز طرق الري المستخدمة في الزراعة .
- خامساً: تحديد المشكلات المرتبطة بالموارد المائية واستخدامها .
- سادساً: تحديد رؤية مستقبلية لتطوير إدارة الموارد المائية بالشكل الذي يحقق تنمية زراعية مستدامة .

منهجية البحث

تعتمد منهجية البحث على المنهج الموضوعي، والمنهج التحليلي، لوصف وتحليل الظواهر الطبيعية والبشرية المرتبطة بموضوع الدراسة والعمل على تحليل الإمكانيات والقدرات وذلك من شأنه وضع المعالجات الممكنة لتطوير طبيعة النشاط الزراعي القائم والمأمول في هذه المنطقة .

التعريف بمنطقة الدراسة :

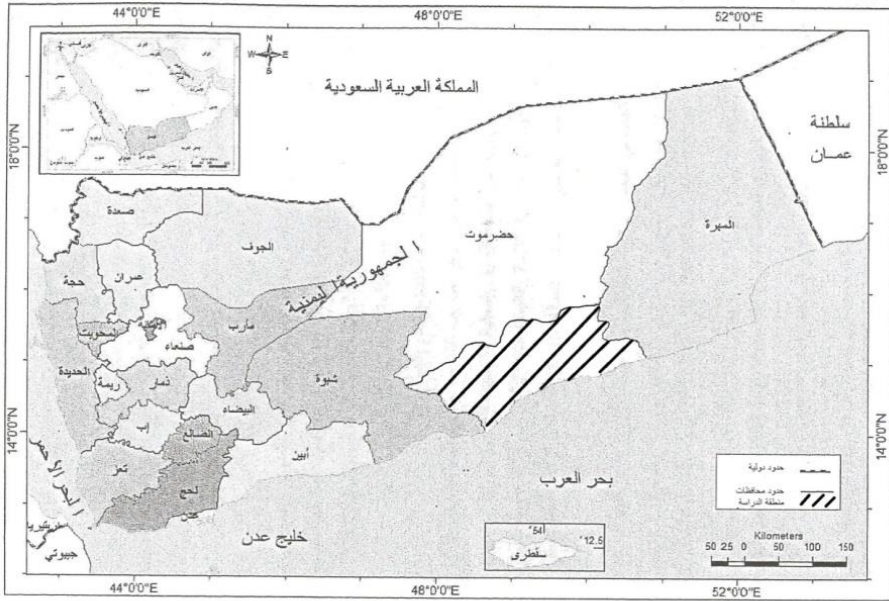
الموقع والمساحة

تشغل منطقة الدراسة النطاق الساحلي لمحافظة حضرموت والتي تقع احداثياً بين دائرة العرض 14.5° شمالاً عند الجزء الغربي لسواحلها بمحاذاة محافظة شبوة، ودائرة العرض 15.10° شمالاً عند الطرف الشرقي لسواحلها بمحاذاة محافظة المهرة، ويصل امتداد حدود منطقة الدراسة نحو الشمال إلى دائرة العرض 15.30° عند نهاية السلاسل الجبلية الساحلية، ويقطع خط الطول 51° شرقاً حدودها الساحلية الشرقية

مع محافظة المهرة، وخط الطول 48.30° شرقاً حدودها الساحلية الغربية مع محافظة شبوة (١). (خريطة رقم (١)).

ويشغل هذا النطاق مساحة قدرها ١٨٥٩٥ كم وتشكل نسبة ١٢٪ من مساحة محافظة حضرموت البالغة نحو ١٥٥٣٧٦ كم ويتكون هذا النطاق إدارياً من مديريات المكلا، وأرياف المكلا، وبروم، ميفع، وحجر، وغيل باوزير، والشحر، والريدة وقصيعر.

خريطة رقم (١) منطقة الدراسة (ساحل حضرموت)



المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء 2010م.

الملامح التضاريسية لمنطقة الدراسة

تتشكل منطقة الدراسة تضاريسياً من قسمين كبيرين يمكن عرضهما فيما يلي:

أولاً: السهل الساحلي:

يمتد السهل الساحلي لحضرموت من غرب وادي المسيلة شرقاً إلى وادي شبام غرباً ويتراوح اتساعه بين ١٠ - ٤٠ كم ويظهر في هذا السهل نمطان رئيسيان من السواحل وهي السواحل السهلية والسواحل الجبلية التي تقترب نحو الشاطئ، وتمثل امتداداً للسلاسل الجبلية الانتقالية. وتنتشر على طول هذا الساحل عدد من الملامح

الجيومورفولوجية (٢) تتمثل في براكين بئر علي عند الحدود الغربية لمنطقة الدراسة بمحاذاة محافظة شبوة، وبالاتجاه شرقاً تنتشر السواحل الرملية حتى دلتا وادي حجر التي تقع بين رأس الكلب ورأس الرجيمة وهي سهل فيضي تقدر مساحته بحوالي ٢٥٠٠ هكتار، وإلى الشرق من الدلتا تقترب السلاسل الجبلية إلى خط الساحل حتى منطقة بروم، حيث يظهر بعدها سهل صخري فسيح تحف به الكثبان الرملية الشاطئية ويستمر هذا السهل حتى رأس المكلا حيث تقترب السلاسل الجبلية نحو الشاطئ مرة أخرى، بعدها تتراجع السلاسل الجبلية ويظهر سهل ساحلي فسيح يمتد من المكلا حتى الأطراف الشرقية لساحل حضرموت، ويتراوح اتساع هذا السهل الساحلي بين ٢٠ - ٤٠ كم، وتنتشر على هذا الجزء أهم مظاهر الكارست في منطقة غيل باوزير وتباله والهامي، حيث تنتشر العيون المائية كما يتخلل هذا السهل عدد من الأودية الساحلية منها أودية بويش وحويرة وعرف وخرد، وغيرها .

ثانياً : السلاسل الجبلية الساحلية

وتقع إلى الشمال من السهل الساحلي، وهي سلسلة جبلية انتقالية إلى هضبة حضرموت الجنوبية، وتعكس هذه المنحدرات طبيعة طبوغرافية معقدة نتيجة للتصدعات التي حدثت وأدت إلى فصل المنحدرات الساحلية عن هضبة حضرموت الجنوبية، فظهرت بعض القمم العالية مثل قمة كورسيبان ٢٠٧٧ متر فوق سطح البحر (٣)، وتقع هذه السلاسل الجبلية في موقع مناسب لحركة الكتل الهوائية الرطبة ما جعلها تستقبل أمطاراً بحدود ٢٠٠ - ٣٠٠ ملم سنوياً (٤)، وفي هذا النطاق تجد الأودية الساحلية بداياتها وهي هنا عميقة وضيقة وشديدة الانحدار (٥) وتتدفق مياه هذه الأودية باتجاه الساحل ومن أهمها وادي حجر، ووادي الخربة، ووادي بويش، ووادي حويرة، ووادي عرف، ووادي عسد الجبل، ووادي سخاوي .

المناخ السائر في المنطقة

يتميز مناخ منطقة الدراسة (ساحل حضرموت) بأنه مناخ شبه جاف حار صيفاً ومعتدل شتاءً، وتعكس محطة الريان الواقعة على دائرة العرض ١٤.٣٩° شمالاً وخط الطول ٤٨.٢٥° شرقاً هذه الصفة المناخية (جدول رقم (١)؛ إذ تتراوح درجة الحرارة صيفاً (يونيو - أغسطس) بين ٣٠.٦°م - ٢٩.١°م وشتاءً (ديسمبر - فبراير) بين ٢٤.٨°م - ٢٣.٤°م، ويصل معدل مجموع التساقط المطري على ساحل حضرموت ٦٦.٨ ملم / سنة يسقط معظمها خلال فصل الشتاء (١٦.٦ ملم) وفصل الربيع (٣٣.٦ ملم)

أما المناطق الجبلية المرتفعة لهضبة حضرموت الجنوبية التي تقع عليها خط تقسيم المياه فإنها تستقبل زخات مطرية تصل إلى (٢٠٠ ملم) في السنة (٦)، كما تمتاز منطقة ساحل حضرموت بارتفاع الرطوبة النسبية حيث تصل أدناها في شهر نوفمبر ٨٥٪ وأعلىها في شهر أغسطس ٧٢٪، أما نسبة البحر فتصل إلى ٢٥٦٩ ملم / سنوياً (٧) .

المتوسطات الشهرية لدرجة الحرارة والرطوبة النسبية وكمية سقوط الأمطار بساحل

حضرموت للمدة من ١٩٠٠ - ٢٠٠٣ م

الأشهر	درجة الحرارة العظمى	درجة الحرارة الدنيا	المعدل	الرطوبة العظمى %	الرطوبة الدنيا %	الرطوبة المعدل %	مجموع معدل سقوط الأمطار
يناير	28.1	18.6	23.4	95	29	62	1.7
فبراير	28.6	19.6	24.1	94	42	68	9.9
مارس	29.9	21	25.4	95	45	70	7.1
إبريل	31.9	22.9	27.4	96	48	72	24.5
مايو	33.7	25.4	29.5	94	54	74	2
يونيو	34.9	26.3	30.6	95	49	72	0.4
يوليو	33.8	25.5	29.4	93	49	71	0.9
أغسطس	32.4	25.5	29.1	94	50	72	1
سبتمبر	32.4	26.1	29.3	96	60	78	1.6
أكتوبر	31.4	22.5	27	96	44	70	2.7
نوفمبر	30.9	20.2	25.6	94	32	63	1.5
ديسمبر	29.1	20.4	24.8	94	52	58	5

المصدر : - بارشيد، محمد عوض ، حوض وادي حجر، دراسة جيومورفولوجية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٨، ص٦٣.

الموارد المائية المتاحة في منطقة الدراسة :

تقع منطقة حضرموت ونطاقها الساحلي، في نطاق المناخ شبه الجاف مما يجعل هذه المنطقة لا تتمتع بموارد مائية وفيرة، وتظهر مواردها المائية في تدفق جريان المياه (السيول) في مواسم سقوط الأمطار المحدودة خصوصاً على المرتفعات الجبلية

الساحلية التي تتخذ من الأودية الساحلية مجارٍ لها أو تظهر هذه الموارد في المياه الجوفية التي تخزن في باطن النطاق الساحلي التي تظهر في بعض الأحيان على شكل عيون تنتشر في بعض مناطق النطاق الساحلي، وهنا يمكن عرض واقع الموارد المائية المتاحة في ساحل حضرموت في الآتي :

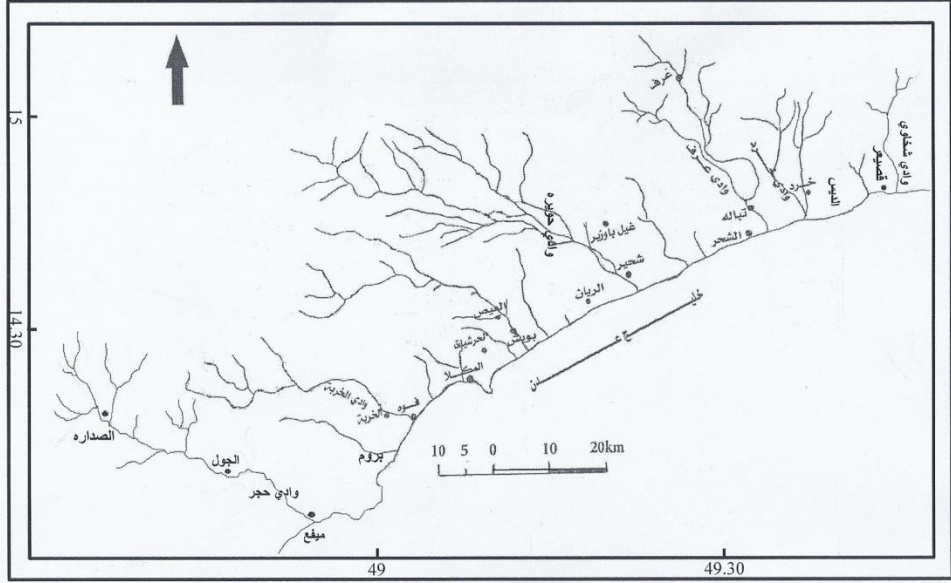
(١) مياه الأمطار :

تتميز منطقة الدراسة بقلة واضحة في تساقط أمطارها وعدم انتظام سقوطها فقد عكس الجدول (رقم ١) معدل مقدار التساقط السنوي بما لا يزيد عن ٦٦,٨ ملم في السنة يسقط معظمها خلال فصل الشتاء (نوفمبر - ديسمبر - يناير) (١٩,٤ملم) وفصل الربيع (فبراير - مارس - إبريل) (٣٩,٥ملم) وهي كميات قليلة ومحدودة ومتباينة من عام إلى آخر، كما تستقبل المناطق الجبلية المرتفعة لهضبة حضرموت الجنوبية التي يقع عليها خط تقسيم المياه بين ساحل حضرموت وواديه زخات مطرية تصل إلى ٣٠٠ملم في السنة أحياناً، ولا يعتمد على هذه الكمية من الأمطار الساقطة أي نشاط زراعي مباشر أو مراعي طبيعية ثابتة، وتتوقف الاستفادة منها على تثبيت التربة، وعلى نمو بعض الحشائش والشجيرات التي تسمح إلى حد ما بإيجاد مراعي محدودة لتربية الأغنام والماعز، وأيضاً يمكن أن تساعد على تغذية مخزون الماء الجوفي.

(٢) الموارد المتاحة من مياه السيول :

تسقط الأمطار على هضبة حضرموت الجنوبية وبمعدل سنوي يصل إلى ٣٠٠ملم، وهذا الوضع المناخي يعد العامل الرئيس لنظام التدفق المائي في الوديان الساحلية وبه تجري السيول خلال الأشهر من مارس إلى أكتوبر بقميتين بارزتين في إبريل وأغسطس عدا ذلك تجف الوديان من المياه باستثناء وادي حجر في ساحل حضرموت. وفيما يلي عرضاً لأهم الأودية الساحلية (خريطة رقم ٢) وتدفقاتها من مياه السيول :

خريطة رقم (٢) الأودية الساحلية بمنطقة الدراسة (ساحل حضرموت)



المصدر بالاعتماد على :

- الشعملي، عوض عبدالله الموارد المائية واستخداماتها في ساحل حضرموت رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة حضرموت ٢٠١٣، ص ٧٨.
- بارشيد، محمد عوض، حوض وادي حجر، رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب، جامعة النيلين، ٢٠٠٨م، ص ٦٥.

٢ - ١ وادي حجر :

يعد وادي حجر من أهم أودية محافظة حضرموت ويقع إحدائياً بين دائرتي عرض 14.5° - 15.1° شمالاً وخطي الطول 47.5° - 48.5° شرقاً ويشكل حوضه مساحة تقدر بـ ١٠٠٠٠ كم^٢ (٨) وتقع ١٠٪ من هذه المساحة على ارتفاع ٥٠٠ متر في النطاق الجبلي الساحلي الانتقالي إلى هضبة حضرموت الجنوبية (٩)، وينحدر الوادي من هضبة حضرموت الجنوبية على ارتفاع ١٦٠٠ متر ويبلغ طوله حوالي ٢٢٠ كم ويصب في بحر العرب عند رأس الكلب على بعد ٦٢ كم غرب مدينة المكلا الساحلية حاضرة محافظة حضرموت، (١٠) ويبلغ متوسط التساقط المطري السنوي على حوض الوادي حوالي ٨٠ ملم ويرتفع في الحوض الأعلى إلى حوالي ٢٠٠ ملم ويقدر حجم الماء السطحي السنوي للوادي نحو ٤٧٠ مليون متر مكعب ٤٠٪ منه ما يجري على شكل سيول و ٣٠٪ على شكل غيول و ٣٠٪ تتسرب إلى المياه الجوفية تجري على شكل تدفق تحت سطحي (١١). ويتميز وادي حجر بجريان المياه فيه طوال السنة مع وجود قمم تصريفية للمياه أثناء مواسم سقوط الأمطار في فصل الصيف على الحوض الأعلى للوادي ؛ ويبدأ

ظهور المياه من مسافة ١٥٠ كم إلى الشمال من المصب وتختفي هذه المياه في مناطق متعددة من الوادي بين الرمال والحصياء، وتجري على شكل مياه تحت سطحية ولمسافة تصل في بعض الأحيان إلى مئات الأمتار، لتظهر مرة أخرى كمجرى مائي سطحي (١٢) و يبلغ مستوى التدفق المائي عند مصب الوادي بنحو ١.٥ متر^٣/ث في المواسم شبة الجافة ونحو ٦ متر^٣/ث في مواسم تساقط الأقطار (١٣) وينتهي وادي حجر بدلتا واسعة نقدر مساحتها ب ٢٥٠٠ هكتار تقع بين رأس الكلب غربا، ورأس الرجيمة شرقا، وهي عبارة عن سهل فيضي حديث النشأة وتضم الدلتا مشروع وادي حجر الزراعي (١٤).

٢- الوديان الساحلية :

تنتشر هذه الوديان على طول المنطقة الساحلية ما بين وادي حجر في الغرب و وادي المسيلة في الشرق، وهي مجموعته من الأودية الساحلية القصيرة التي تتحدر من السلاسل الجبلية الانتقالية إلى النطاق الساحلي على البحر العربي، ونتيجة لقلّة مساحة أحواض هذه الأودية فإن المياه المتدفقة في بطونها محدودة، غير أن انحدارها الشديد الذي يصل إلى ٦.٥٪ يؤدي إلى تدفق السيول بكم تصريفية عالية فتذهب هدراً إلى البحر في ظل انخفاض كفاءة توزيع السيول (١٥)، وفي بطون هذه الأودية تنتشر المدرجات الزراعية التي تعتمد على مياه العيون، وكذلك مياه السيول المتدفقة، كما تنتشر الأراضي الزراعية في دلتاوات هذه الأودية التي تعتمد على مياه السيول والمياه الجوفية وتمتد هذه الأودية المدن الساحلية بالمنتجات الزراعية المختلفة، ومن أهم هذه الأودية وادي الخربة ووادي بويش، ووادي حويرة ووادي عرف، ووادي خرد. ويمكن استعراضها فيما يلي :

٢- ١- وادي الخربة :

يبدأ تشكل الوادي على ارتفاع ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر من مرتفعات هضبة حضرموت الجنوبية ويتفرع الجزء الأعلى للوادي إلى واديين، أحدهما يسمى وادي عضد والآخر وادي المحمدين، ثم يتحد هذان الوديان مشكلين وادي الخربة، وتبلغ مساحة هذا الوادي ٤٥٠ كم^٢ كما يبلغ طوله ٥٠ كم ويصب قرب بلدة فوة على بعد ١٢ كم غرب مدينة المكلا وتصل كمية التدفق السنوي للوادي نحو ٧ مليون متر مكعب (١٦).

٢- ٢- ٢ وادي بويش :

وينبع من هضبة حضرموت الجنوبية على ارتفاع ١٧٠٠ متر فوق سطح البحر ويتكون في جزؤه الأعلى من واديين هما وادي حمم ووادي شهوره ويلتقيان في منطقة اللبيب ليشكلا وادي بويش الذي يصب في بحيرة شاطئية على الساحل الرملي شرق مدينة المكلا بحوالي ١٦ كم وتبلغ مساحة حوض الوادي ٦٥٠ كم^٢ (١٧) ويبلغ معدل تصريف المياه فيه نحو ١٥٥ لتر/ث. ويصل متوسط التدفق المائي السنوي نحو ٤.٩ مليون متر مكعب (١٨).

٢- ٢- ٣ وادي حويرة :

يصب في منطقة شحير الواقعة إلى الشرق من مدينة المكلا بنحو ٣٥ كم ويتشكل وادي حويرة على ارتفاع ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر من المرتفعات العليا لهضبة حضرموت الجنوبية ويبلغ طول الوادي ٦٥ كم وتقدر مساحة حوضه بـ ١٧٠٠ كم^٢ ومعدل تدفق المياه به ٥٠٠ لتر/ث (١٩) ويصل متوسط التدفق المائي السنوي إلى ١٦,٧ مليون متر مكعب (٢٠).

٢- ٢- ٤ وادي عرف :

يقع إلى الشرق من مدينة الشحر التي تبعد بنحو ٧٠ كم شرق مدينة المكلا، وينبع من الهضاب المرتفعة الواقعة على ارتفاع ١٥٠٠ متر فوق سطح البحر ويشكل حوضه مساحة تقدر بـ ١٠٠ كم^٢ ويصل معدل تصريف المياه فيه إلى ٢٣٥ لتر/ث (٢١) كما يبلغ معدل التدفق السنوي نحو ٧,٤ مليون متر مكعب (٢٢).

٢- ٢- ٥ وادي خرد

ويقع إلى الشرق من مدينة الشحر بنحو ٢٠ كم وينبع من هضبة حضرموت الجنوبية على ارتفاع ١٠٠٠ متر فوق سطح البحر، وتقدر مساحة حوضه بنحو ٦٠٠ كم^٢ ويبلغ معدل التدفق السنوي نحو ٣ مليون متر مكعب، ويبلغ طوله ٣٠ كم (٢٣).

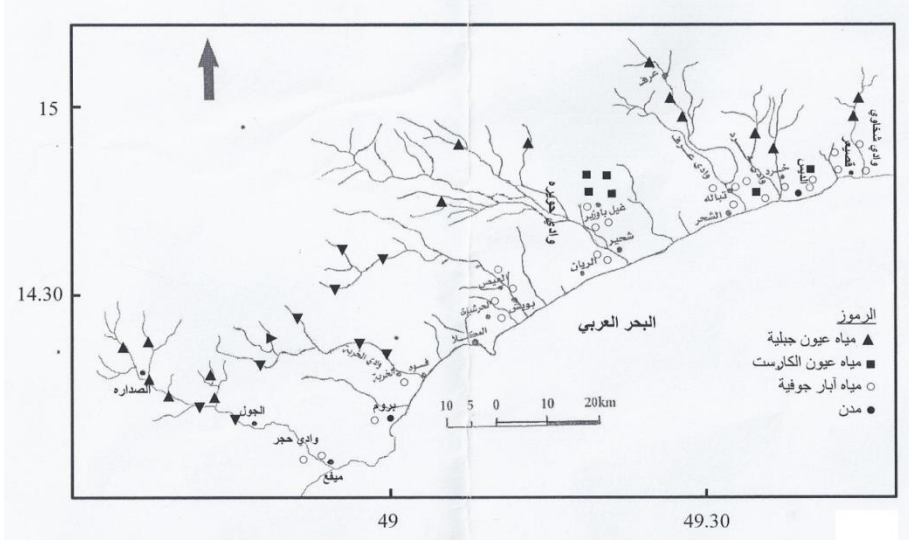
٢- ٣- الموارد المائية المتاحة من العيون :

يعد تدفق المياه من العيون المورد الرئيس الذي يُؤمّن مياه الشرب لمناطق استيطانية كثيرة في منطقة الدراسة، فضلاً عن استخدامها في إرواء المحاصيل الزراعية في كثير من المناطق الزراعية على السهل الساحلي، وكذلك في بطون الأودية الداخلية، ويعود انتشار هذه العيون في السهل الساحلي إلى توفر الظروف الجيولوجية الملائمة لانبثاقها وبخاصة في طبقات الحجر الجيري الذي يمتد على مساحات واسعة في المنطقة،

ويرتبط ظهور هذه العيون (المعالين) وانكشافها على السطح بانهيار طبقات الأوليجوسين التي تعلق خزان الكارست الجبسي في المنطقة وبقطر يتراوح بين ١٠ - ٥٠ متر (٢٤)، وتنتشر هذه العيون (المعالين) في عدد من المناطق منها غيل باوزير وتباله، والحامي، والديس، والمكلا وقد قُدِّر عددها بنحو ١١٨ معيان منها ٥٨ معيان في غيل باوزير (٢٥). وتقدر الإجمالية الإنتاجية لها حوالي ١٦ مليون متر مكعب / سنة يتراوح تصريفها بين ١٠ - ١٠٠ لتر/ث (٢٦)، وإلى الشرق من غيل باوزير تنتشر هذه العيون في كل من منطقة تباله والديس والحامي ويقدر عددها بنحو ٥٢ عيناً وهي أقل تصريفاً للمياه؛ إذ لا يتجاوز تصريفها بضعة لترات/ث وتمتاز هذه العيون بارتفاع درجة حرارتها ونسبة المعادن الكبريتية فيها، ويستفاد منها في الاستحمام والعلاج الطبيعي لبعض الأمراض وكذلك ري الأراضي الزراعية والشرب منها بعد تبريدها .

كما تنتشر العيون في بطون الأودية الساحلية في كل من أودية حجر والخربة وبويش وعرف وخرد، وقد تكونت بفعل عمليات التصدع والانكسار التي تعرضت لها الجبال الساحلية ففي وادي حجر الأعلى جول الصدارة توجد أكثر من ٨٤ عيناً يصل تصريفها إلى ١٠ لتر/ث غير أنها مجتمعة تصرف ما بين ٤٣٠ - ٨٥٠ لتر/ث (٢٧)، أما بقية الأودية الساحلية تنتشر بها مثل هذه العيون ذات التصريف المحدود، ويعتمد عليها في ري الأراضي الزراعية الموجودة في بطون الأودية الداخلية. وتبين الخريطة رقم (٣) توزيع الموارد المائية في منطقة الدراسة .

خريطة رقم (٣) توزيع الموارد المائية في ساحل حضرموت



وقد تأثرت هذه العيون بصفة عامة بعامل الجفاف الذي تعرضت له المنطقة في السنوات الأخيرة إذ نجد أن أكثر من ٦٠٪ من هذه العيون (المعالين) قد جفت، وإن عدداً آخر منها قد شارف على الجفاف من خلال انخفاض منسوب مياه هذه المعالين(٢٨).

٢ - ٤- المياه الجوفية :

على الرغم من كميات المياه الجارية في بطون الأودية الساحلية، إلا أن الظروف الهيدرولوجية المعقدة في المناطق الساحلية، ومناطق التسرب، لا تمول بسهولة مصادر المياه الجوفية مما يسمح لهذه المياه المتدفقة بالذهاب إلى البحر دون الاستفادة منها، كما أن التركيب الجيولوجي المعقد والفوالق الكتلية نتج عنها تجزئة التكاوين الجيولوجية مما سبب ذلك في عزل المنطقة بشكل كبير عن مكامن المياه الجوفية الإقليمية إلى الشمال منها التي تقع ضمن مناطق التسرب لوادي حضرموت(٢٩)، ويتواجد في هذه المنطقة الساحلية مكامن للمياه الجوفية هما (٣٠):

٢ - ٤- ١- مكنم الحجر الرملي الكرتياسي :

وهذا المكنم في المنطقة الساحلية موضعي محدود لطبيعة المنطقة الإنكسارية وانفصال تراكيبيها مما نتج عن ذلك اتصال محدود بمصادر التغذية الإقليمية، ويشكل هذا المكنم الطبقات الواقعة غرب وشمال المكلا، ويقدر المخزون الجوفي له بنحو ٧٠٠٠٠ مليون متر^٣ (٣١).

٢ - ٤- ٢- مكنم الحجر الكريتاسي :

ويقع هذا المكنم في منطقة غيل باوزير والمناطق الواقعة إلى الشرق منها، ونتيجة لتعقد المنطقة بالفوالق فقد حصل المكنم على طريق تغذية مباشرة إلى الهضبة الشمالية ويقدر إجمال المخزون الجوفي لهذا المكنم بـ ١٠,٠٠٠,٠٠٠ مليون متر^٣ (٣٢). وقد أدى اتساع موجات الجفاف في السنوات الأخيرة مع ازدياد عمليات السحب واتساع حفر الآبار، إلى تدهور الوضع المائي الجوفي في هذه المناطق بشكل كبير الأمر الذي أدّى إلى جفاف كثير من الآبار والعيون في المنطقة الساحلية .

طبيعة النشاط الزراعي في المنطقة :

تعتبر الزراعة النشاط الرئيسي لمعظم السكان في منطقة الدراسة إلى جانب الاصطياد التي يمتنها عدد من سكان المدن والقرى الساحلية . وتتركز المساحات الزراعية في منطقة الدراسة في النطاقات الآتية :

١) الأراضي المنبسطة في السهل الساحلي (الأراضي السهلية الساحلية) :

تنتشر الأراضي الزراعية في السهل الساحلي في عدد من المناطق، منها دالات الأودية الرئيسية مثل دلتا وادي حجر المتمثلة في أراضي ميفع حجر، وهي أراضي طينية واسعة تعتمد بشكل رئيسي على مياه السيول المتدفقة من وادي حجر، وكذلك على عدد من دالات الأودية الأخرى ولكنها صغيرة مقارنة بدلتا وادي حجر، مثل دلتا أودية الخربة وبويش، وحويرة وعرف، وغيرها من الأودية، كما تنتشر هذه الأراضي على السهل الساحلي حيث تنتشر التربة الجيرية في كل من غيل باوزير والشحر والحامي والريدة الشرقية، وتعتمد في ريها على المياه الجوفية (المعابين) .

٢) الأراضي الزراعية في بطون الأودية :

وتنتشر هذه الأراضي في معظم الأودية الساحلية غير أن أهمها ينتشر في وادي حجر الذي يعد أكبر وأهم الأودية الساحلية، وكذلك أودية الخربة وبويش وعرف وشخاوي وعسد الجبل، وتعتمد هذه الأراضي في زراعتها على مياه السيول والعيون المتدفقة في بطون هذه الأودية .

التركيب المحصولي للمساحات الزراعية :

تتباين مساحة الأراضي الزراعية - في منطقة الدراسة - من عام لآخر ومن مديرية لأخرى، ومن محصول لآخر، فتزداد تارة وتقلص تارة وفقاً لعدد من العوامل المؤثرة في الإنتاج الزراعي غير أن أهم العناصر المتحكمة في ذلك هو مدى توفر مصادر الري الذي يؤثر على تباين مساحة وإنتاج الأراضي الزراعية . وفيما يلي جدولاً يعكس التركيب المحصولي من حيث المساحة والإنتاج لمنطقة الدراسة .

جدول رقم (٢) التركيب المحصولي من حيث المساحة والإنتاج للأعوام ٢٠١٠م و ٢٠٠٠م

بمنطقة الدراسة

(المساحة : هكتار، الإنتاج : طن) (م : مساحة، أ : إنتاج)

خضروات				حبوب				
٢٠١٠		٢٠٠٠		٢٠١٠		٢٠٠٠		
أ	م	أ	م	أ	م	أ	م	
٦٩٥.٤	١٢٥١٥٤	٤٠	١٠	٥٨.٠٨	٥٠.١٦	٢٤	١٩	المكلا
٢٣٩.٤	٤٩.٠٢	٢٨	٧	٢١٢.٠٤	١٤١.٣٦	١٠٦	٨٤	غيل باوزير
٤٥١٤.٤	٧٥٢.٤	٥٢	١٣	٧٩٣.٤٤	٦٦١.٢	٣٠٨	٢٦٠	بروم ميفع
٣٩٠.٢	٥٧.٨	١٠٦٣	١١١	٢٥.٦٥	١٧.١	٧٣	٥٦	الشحر
٦١٥.٦	١٠٢.٦	١٣٩	٢١	٤٢.٧٥	٢٨.٥	٧	٥	الديس
١٤٣٠	٦١٧.٨٨	١٧٢	٢٥	٤١٠.٤	٣٤٢	٢٩٤	٢٢٤	الريدة وقصيعر
٩٠٢.٨٨	١٥٠.٤٨	٩٧	٢٢	٣٦٧	٣٠٦.٦٦	١٤٥	١٣٠	حجر
٨٨٧٧.٩	١٨٥٥.٧	١٥٩١	٢٠٩	١٩٠٨.٦	١٥٤٧.١	٩٥٧	٧٧٨	الإجمالي
٤.٧		٧.٦		١.٢٣		١.٢٣		

محاصيل نقدية				فواكه				
٢٠١٠		٢٠٠٠		٢٠١٠		٢٠٠٠		
أ	م	أ	م	أ	م	أ	م	
٢٤٧.٥	١٦٤١٣	١٧٦	٦٢	٩٩٦٣.٦	١٠٤٨.٨	٣٥٦٦	٢٩٩	المكلا
١٦١٥.٣	٥٣٩.٢	٢٧٢	٩٦	١١٢.٩	٢٣٩.٤	١٠٨٣	١٣٥	غيل باوزير
٦٤٦.٤	٤٣٠.٩	٢١٢	٢١٨	١٥٧٣.٢	٢٠٩.٨	٣٠٠٢	٣١٣	بروم ميفع
٣٢٣.٨	٨٠١٩	١٨٠	٦٠	١١٣٢	١٤٤.٨	١٥١٨	٢٠٧	الشحر
٢.٣	٢.٣	-	-	١٦٢٢.٢	٢٢٥.٨	٧٠٥	٧٧	الديس
٥١.٣	٣٤.٢	٨	١٥	٣٨٧٨.٢	٦١٥.٦	٣٥٩٠	٥٤١	الريدة وقصيعر
٢٠.٥	١٣.٧	٢٤	٤٥	٢٣٥٤٧	٣٩٩١.٢	٦٢٣٢	١٥٧٢	حجر
٢٩٠٨.١	١٢٦٥.٥	٨٦٢	٤٩٦	٤١٨٢٩.١	٦٥٠٥.٤	١٩٦٩٦	٣١٤٤	الإجمالي
٢.٣		١.٧		٦.٤		٦.٣		

الإجمالي				اعلاف				
٢٠١٠		٢٠٠٠		٢٠١٠		٢٠٠٠		
أ	م	أ	م	أ	م	أ	م	
١٩١٨٢.٦	٢٠٣٣.٧	٧٠٢٠	٥٥٤	٧٢١٧.١	١٦٧.٩	٣٠٩٩	١٤٨	المكلا
١٥٤٤٥.٧	١١٢٩٦.٣	٥٣٩٤	٥٨٠	١٢٩٢٧.٦	٢٨٧.٣	٣٣٦٥	٢٠٢	غيل باوزير
٢٢٢٣٣.٤	٤١٠.١	١٠٦٩٥	١٣٦٨	١٤٧٠.٦	٣٤٢	٦٠٦١	٤١٤	بروم ميفع
٥١١٩.٨	١٨١٣.٧	٦٢٥٧	٦٢٥	٣٣٤٨.٢	١٠٩.٤	٣٤٣٣	١٩١	الشحر
٢٣٣١٧	١٦٤١.٦	٣٨٠٣	٢٤٩	٢٠٧٤٧	١٤٣١.٨	٢٩٥٢	١٤٦	الديس
٢٧٣٩٠.٧	٦٢١٨.٧	١٠٧٨٨	١١٥٨	٢٢٤٣٥.٢	٥٤٧.٢	٦٧٢٤	٣٥٣	الريدة وقصيعر
٤٩٤٣١		١٨٦٧٦	٢٤٧٢	٢٤٥٩٤	١٧٥٦.٧	١٢١٧٨	٧٠٣	حجر
١٦٢١٢٠.٢		٦٢٦٣٣	٧٠٠٦	١٠٥٩٧٥.١	٥٠٩٢.٣	٣٧٨١٢	٢١٥٧	الإجمالي
١٠.٤		٨.٩		٢٠.٨		١٧.٥		

المصدر : الجمهورية اليمنية، مكتب وزارة الزراعة والري، ساحل حضرموت، قسم الإحصاء الزراعي إحصاءات ٢٠٠٠م و ٢٠١٠م .

ومن الحدود (٢) نستخلص المؤشرات الآتية :

(١) بلغت إجمالي المساحة المزروعة نحو ١٥٦٤٣.٨ هكتار توزعت على كل من مديريات المكلا وأريافها وغيل باوزير، وبروم ميفع والشحر والديس، والريدة وقصيعر وحجر بنسبة وصلت إلى ١٣٪ و ٧٪ و ١٥٪ و ٣٪ و ١٢٪ و ١٠٪ و ٨٪ و ٤٠٪ على التوالي .

(٢) جاءت مديرية حجر بالمرتبة الأولى من حيث المساحة المزروعة بنحو ٦٢١٨.٧ هكتار وهو ما يشكل نسبة ٤٠٪ تليها مديرتي بروم ميفع بنحو ٢٣٩٦.٣ هكتار وبنسبة ١٥٪ ومديرية المكلا وأريافها بنحو ٢٠٣٣.٧ هكتار وبنسبة ١٣٪ وهذه المديريات مجتمعة تمثل ما نسبته ٦٨٪ من جملة المساحة المزروعة في منطقة الدراسة .

(٣) جاءت محاصيل الفواكه في المرتبة الأولى من حيث المساحة المزروعة بنحو ٦٥٠٥.٤ هكتار وبنسبة ٤٢٪، تلتها محاصيل الأعلاف بنحو ٥٠٩٢.٣ هكتار وبنسبة ٣٣٪، فيما جاءت محاصيل الخضروات في المرتبة الأخيرة بنحو ١٨٥٥.٧ هكتار وبنسبة ١٢٪ من جملة المساحة المزروعة في العام ٢٠١٠م .

- (٤) التوسع الكبير في المساحة المزروعة إذ ارتفعت من ٧٠٠٦ هكتار في العام ٢٠٠٠ إلى نحو ١٥٦٤٣.٨ هكتار وبنسبة زيادة تصل إلى نحو ١٢٣.٣٪ في العام ٢٠١٠م، وقد حدثت أعلى نسب للزيادة في مديريات حجر وبنسبة ١٥١.٦٪ ومديرية الديس وبنسبة ٦٢٨.٤٪، ومديرية المكلا وأريافها وبنسبة ٢٦٧.١٪، فيما حدث انخفاض للمساحة المزروعة في مديرية الشحر فقط إذ انخفضت المساحة المزروعة من ٦٢٥ هكتار إلى ٤١٠.١ هكتار وبنسبة انخفاض بلغت ٣٤.٤٪ ويعود ذلك للانخفاض لعدم توفر مساحات صالحة للزراعة للتوسع فيها في هذه المديرية وانخفاض مستوى المياه الجوفية التي تعتمد عليها الأراضي المزروعة .
- (٥) على الرغم من ارتفاع إنتاجية الهكتار لكل طن في المعدل العام في العام ٢٠١٠ عن العام ٢٠٠٠م من ٨.٩ طن إلى ١٠.٤ طن للهكتار وذلك بسبب ارتفاع إنتاجية الهكتار في محاصيل الأعلاف، إلا أننا نلاحظ ثبات إنتاجية الهكتار للفترة نفسها في محاصيل الحبوب والفواكه، مع انخفاض ملحوظ لها في محاصيل الخضروات؛ إذ انخفضت إنتاجية الهكتار من ٧.٦ طن للهكتار في العام ٢٠٠٠م إلى ٤.٧ طن للهكتار في العام ٢٠١٠م .. ويعود ذلك بدرجة رئيسه إلى عدم توفر كميات المياه المطلوبة لري المحاصيل بالكميات الكافية والأوقات المناسبة .
- (٦) إن المشكلة الأساسية في العملية الزراعية هي التوسع الكبير في المساحات الزراعية، في ظل محدودية وانخفاض موارد المياه مع تعرض المنطقة للجفاف في المدة الأخيرة، مرفقاً باستنزاف المياه بشكل كبير بهدف ري المساحات المزروعة وبطرق تقليدية في عمليات الري مما يُعرِّض الزراعة والإنتاج الزراعي في منطقة الدراسة لخطر كبير* نتيجة لانخفاض مستويات منسوب المياه الجوفية في المنطقة ومن أجل استدامة التنمية الزراعية في منطقة الدراسة فإن ذلك يتطلب دراسة المؤثرات على الإنتاج الزراعي دراسة دقيقة ومن بينها الموارد المائية وكيفية استخدامها وكيف تحقق الاستفادة القصوى منها في الإنتاج الزراعي في ظل محدوديتها وانخفاض مستوياتها.

* على الرغم من التوسع الكبير في المساحات الزراعية الجديدة إلا أن المشاهدات على أرض الواقع تبين جفاف كثير من المساحات الزراعية وموت أعداد كبيرة من أشجار النخيل خصوصاً في منطقة غيل باوزير ومنطقة الحامي والديس والشحر بسبب انخفاض مستويات منسوب المياه الباطنية بشكل كبير في هذه المنطقة خصوصاً وأن هذه المناطق تعتمد في ربيها على المياه الجوفية التي تتدفق في المعايين التي جف الكثير منها أو انخفضت مستويات منسوب المياه فيها بشكل كبير .

نُظْم الرِّيِّ المستخدمة في النشاط الزراعي .

تظهر نظم الرِّيِّ الزراعية واقع استخدام الموارد المائية المتاحة في منطقة الدراسة، حيث نجد أن أنظمة الرِّيِّ المستخدمة تختلف من مكان إلى آخر تبعاً واختلاف مصدر الموارد المائية المستخدمة في العملية الزراعية، ويمكن أن نبين أنماط الرِّيِّ الزراعية السائدة على النحو الآتي:

١) نظام الري السيلي (الموسمي)

ويعتمد هذا النظام على مياه السيول المتدفقة في فترات التساقط المطري، ويشغل نحو ٤٥٤٦ هكتار وهو ما يشكل نحو ٢٩.٠٥٪ من جملة المساحة المزروعة . ويظهر بشكل رئيس في وادي حجر ودلتاه؛ إذ تشكل مياه السيول الناتجة عن سقوط الأمطار نحو ٤٠٪ من المياه المتدفقة فيه والبالغة نحو ٤٧٠ مليون متر مكعب، كما يظهر هذا النظام في مختلف الأودية الساحلية الأخرى مثل أودية الخربة وبويش وحويرة وعرف وخرد وغيرها من الأودية الساحلية، وتبلغ كمية مياه السيول المتدفقة من هذه الأودية الساحلية نحو ٣٩ مليون متر^٣، غير أن هذه الكميات المتدفقة سنوياً من الماء لا يستفاد منها في الإنتاج الزراعي أو لتغذية المخزون الجوفي سوى نسبة ١٠٪، أما ما تبقى فيذهب إلى البحر بسبب عدم وجود حواجز مائية أو سدود على تلك الأودية، وكذا ضعف التسرب إلى الخزان الجوفي نتيجة للانحدار المفاجئ لبعض هذه الأودية بسبب قرب السلاسل الجبلية من البحر (٣٣) . ويزرع تحت هذا النظام جميع محاصيل الحبوب والنخيل والسّمسم والبطيخ والشمام وتتم طريقة الري بواسطة غمر الأراضي الزراعية بمياه السيول عن طريق عدد من القنوات التي تنقل المياه من مصبات الأودية وتوزعها على الأراضي الزراعية .

٢) نظام الري بالمياه الجوفية (الري المستديم)

ويعتمد هذا النظام الرِّيِّ المستديم بواسطة المياه الجوفية ويعود من أهم مصادر الري وتعتمد عليه نحو ١١٠٨٧.٧٠ هكتار من الأرض الزراعية وهو ما يشكل نحو ٧٠.٨٧٪ من جملة المساحة المزروعة . وفي هذا النظام يظهر نمطان رئيسيان نبيينهما في الآتي :

أ) نظام الري المعتمد على الآبار :

ويشكل هذا النظام نحو ٥٧١٩.٨ هكتار من الأرض الزراعية بنسبة ٣٦.٥٦٪ من المساحة المزروعة وينتشر هذا النظام في نطاق السهل الساحلي ما بين مدينة المكلا

والريذة الشرقية ويعتمد هذا النظام الري من الآبار السطحية المفتوحة محدودة العمق مرتفعة درجة الملوحة والتي تشكل غالبية هذا النظام .

فيما يعتمد جزء من هذا النظام على الآبار العميقة التي تمتاز بمواصفات أفضل من حيث معدل تدفقها ونسبة ملوحتها، ويزرع تحت هذا النظام محصول الذرة الرفيعة وكذا محاصيل الخضار والبقوليات والفواكه ومحاصيل الأعلاف (البرسيم) .

وفيما يلي جدولاً يبيّن الآبار العاملة السطحية والمغلقة ومعدل تدفقها ونسبة ملوحتها في مختلف مناطق ساحل حضرموت .

جدول رقم (٣) يبين الآبار السطحية والعميقة في ساحل حضرموت

الآبار العميقة المغلقة			الآبار السطحية المفتوحة			عدد الآبار	المنطقة
ملوحة EC	معدل التدفق لتر / ث	العدد	ملوحة EC	معدل التدفق لتر / ث	العدد		
٦ - ٢	٧	٢	١.٨ - ١.٥	-	٥٥	٥٥	المكلا
- ١.٧ ٢.٥	٢٠	٦	١٢ - ٤	١٧.٣ - ٥	٢٠٤	٢١٠	غيل باوزير
-	-	٦	٦.٥ - ٤	-	٢٢	٢٨	فوة - بروم
٣ - ١.٥	٣٢	١٥	١١.٢ - ٥	١٨	١٠٠	١١٥	الشحر
- ٢.٥	-	-	٤.٨ - ٢.٢	١٨	٥	٥	الحامي
٣.٨	-	-	٦.٤ - ٣.٤	٩	١٥	١٥	الديس الشرقية
-	١٤	٣	١١	٩	١٠٥	١٠٨	الريذة وقصيعر
٥		٣٢			٥٠٤	٥٣٦	الإجمالي

المصدر : مكتب وزارة الزراعة والري، مشروع التنمية الريفية بوادي حجر ومديريات ساحل حضرموت .

(ب) نظام الري المعتمد على العيون :

تعد العيون أحد الموارد المائية التي تستخدم في ري الأرض الزراعية ويشغل هذا النظام ري مساحة تقدر بنحو ٥٣٧٨ هكتار ونسبة تصل إلى ٣٤,٣٧٪ من جملة المساحة

المزروعة وينتشر هذا النظام حيث تظهر طبقات الحجر الجيري والذي يتركز في المناطق الآتية (٣٤) :

- المناطق المجاورة لمدينة المكلا مثل الخربة و البقرين .
- غيل باوزير والمناطق المجاور لها مثل الصداع وحبابير والقارة وشحير والنقعة وصهوت وكثيبة .
- المناطق التابعة للشجر مثل تباله ومعين المساجدة والحيس والواسط .
- منطقة الحامي والديس الشرقية .

ويعرف هذا النظام من الرّي بالرّي بالمعنيين حيث تنقل المياه من مصادرها وبواسطة قنوات مفتوحة أو أنفاق محفورة تحت سطح الأرض مع وجود فتحات للتهوية والإضاءة (٣٥)، وتتدفق المياه في هذه القنوات من العيون بشكل طبيعي غير أنه مع انخفاض منسوب المياه الجوفية يضطر ملاك المعايين إلى تعميق هذه القنوات للوصول إلى مستوى المياه الجوفية، وقد يصل طول هذه القنوات ما بين ٤ - ٥ كم وعمقها ما بين ٦ - ١٠ متر أو أكثر عند مصدر المياه، ويقل هذا العمق بالتدرج إلى أن يصل إلى مستوى سطح الأرض (٣٦). ومن ثم يتم توزيعه عبر شبكة قنوات أخرى إلى الأرض الزراعية .

ويقدر عدد المعايين في مختلف مديريات ساحل حضرموت بحوالي (١١٨) معيان، يقع ٥٨ منها في غيل باوزير (*) و ٥٢ في الشجر والحامي و ٨ في المكلا (٣٧)، ومع تعرض المناطق لموجات الجفاف في السبعينات والثمانينات جفت أكثر من ٦٠٪ من هذه المعايين وشارفت البقية على الجفاف من خلال انخفاض منسوب المياه لهذه المعايين مما أدى إلى أن تستخدم في هذه المعايين معدات الضخ الميكانيكية لرفع المياه مما زاد الأمر سوءاً (٣٨)، وفيما يلي جدولاً يوضح أهم المعايين التي تستخدم للري ومستوى تدفق المياه وملوحتها في منطقة الدراسة .

ويزرع تحت هذا النظام مختلف أنواع المحاصيل كالذرة الرفيعة والخضار والبقوليات والفواكه ومحاصيل الأعلاف خصوصاً البرسيم، كما تظهر العيون أيضاً في بطون الأودية وبخاصة وادي حجر حيث يوجد به نحو (٨٤) عيناً وكذلك تظهر العيون في بطون الأودية الساحلية الأخرى وتتدفق المياه من التشققات الصخرية الجبلية

* أشارت بعض المصادر التاريخية بأن عدد المعايين في غيل باوزير بلغ ٣٦٠ معيان ولكن لم يتبق منها سوى العدد المذكور لانخفاض مستوى الماء الجوفي .

فيعمل السكان على حفر القنوات في المنحدرات الجبلية المحاذية لبطون الأودية حيث يتم تحويل المياه إليها ومن ثم نقلها إلى الأرض الزراعية المتواجدة في بطون تلك الأودية .

جدول رقم (٤) يبين أهم المعايين ومستوى تدفق المياه وملوحتها في منطقة الدراسة

اسم المعيان	المنطقة	معدل التدفق لتر / ث	ملوحة المياه EC
الفرات	غيل باوزير	٢٣	٣.٨
الحرث	القارة	٨٠	٣.٦
الشول	القارة	٤٠	٣.٨
السماح	كثيبة	٥	٣
وادي سرور	السفال	٢٥	٣.٥
حباير	حباير	١٣	٣.٧
الشجن	غيل باوزير	٣٥	٣.٨
النقعة	النقعة	١٨	١.٤
ذهبان	الغيل	٢٠	٣.٧
بامردوف	غيل باوزير	١٥	١.١
بن محرقة	شحير	١٣	٦
المنهالي	المعدي	٥	١.١
الحباس	عرف	١٠.٨	٢.٢
الطائف	معيان بن عابدة	٨	٣.٩
الدنيا	تبالة	٤.٢	١.٩
بامعوض	بامعوض	٧.٥	٢.٢
حسين	الحامي	٥.٦	٤.٥
الروضة	الحامي	١٨	٤.٧
أبو سالم	الحامي	٤	٤.٨
الصيف	الديس الشرقية	٣٩.٣	٣.١
صنعاء	الديس الشرقية	٢.٧	٣.٤
بكر باجابر	ثلة	٨	١.٥
المخبية	ثلة	٧	١.٥

١.٣	٨	ثلة	بامسهل
٢.٨	٦	الرقق	بارادم
٢.٨	٦	الرقق	باعامر
٢.٨	٢.٨	الرقق	العكابرة
٥.٥	٥.٥	فوة	بامقيل
١.٥	١.٥	الخربة	الخربة

المصدر : مكتب وزارة الزراعة والري م / حضرموت مشروع التنمية الريفية بوادي حجر وساحل حضرموت.

أهم المشكلات المرتبطة بالموارد المائية وأثرها على تنمية الزراعة واستدامتها

على الرغم من توافر موارد مائية أقيم عليها نشاط زراعي لخدمة التجمعات السكانية المنتشرة في منطقة الدراسة، إلا أن هذه الموارد تتعرض لعدد من المشكلات مما يؤثر على دورها في تحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت، ويمكن أن نعرض أهم المشكلات في ما يلي :

(١) شحة الموارد المائية وضعف تجديدها

لا تتوافر في منطقة الدراسة موارد مائية دائمة الجريان، وإنما تقتصر هذه الموارد على مياه السيول التي تتدفق في أيام محدودة من السنة جراء سقوط الأمطار، وكذلك على المخزون الجوي من الماء الذي يستخرج بواسطة الآبار، أو يتدفق على شكل عيون في بعض مناطق الدراسة، وهذه المصادر على شحتها فأنها تعاني من ضعف تجديدها نظراً لوجودها في حيز جغرافي جاف، إذ لا تزيد كمية التساقط المطري عن ٦٠ سم في السنة يذهب معظمه إلى البحر إذ قُدِّرَ أن ٩٠ ٪ من كمية السيول المتدفقة جراء الأمطار تذهب إلى البحر، فضلاً عن ارتفاع نسبة البحر السنوي لتصل إلى ٢٥٦٩ ملم (٣٩). ولا يستفاد منه في تغذية المياه الجوفية، وقد زاد من ضعف تجديد المياه الجوفية مرور منطقة الدراسة بفترات جفاف متلاحقة خلال السنوات الماضية .

(٢) الفيضانات

وبالنظر لطبيعة المناخ شبه الجاف لمنطقة الدراسة فإن تساقط الأمطار يكون على شكل زخات قوية ولفترات قصيرة فضلاً عن عامل قرب السلاسل الجبلية من خط الساحل وعامل الانحدار الكبير الذي يصل إلى ٦.٥ ٪ في الأودية الساحلية فأن

تدفق جريان الماء فيها يكون بقمم تصريفية عالية (٤٠) على شكل سيول مدمرة تلحق الضرر بالعملية الزراعية، إذ تعمل على جرف التربة الزراعية ودفن الآبار ومضخاتها وتدمير ودفن منشآت الري، من حواجز وقنوات مائية في ظل عدم كفاءة استغلال مياه الفيضانات والسيطرة عليها .

٣) ضعف الحصاد المائي

الحصاد المائي مصطلح شاع استخدامه في المناطق الجافة وشبه الجاف ويقصد به جمع وتخزين أكبر كمية من مياه الأمطار والاحتفاظ بها لأطول فترة ممكنة للاستفادة منها لأغراض الزراعة والأغراض الأخرى (٤١) .

وفي منطقة الدراسة نجد أن هناك ضعفاً واضحاً في عدم الاستفادة من مياه الأمطار الساقطة وتدفق وحفظ مياه السيول في بطون الأودية، إذ تفتقد كل الأودية الساحلية في أجزاءها العليا إلى وجود السدود والخزانات المائية، التي يمكن أن تسيطر على تدفق وحفظ مياه السيول، كما أن الأجزاء الدنيا تقتصر - أيضاً - إلى الحواجز الترابية أو الاسمنتية التي يمكن أن تحجز المياه وتعمل على التقليل من سرعتها بحيث تحافظ على التربة الزراعية من الجرف، وعلى منشآت الري من التدمير، وتساعد في الوقت نفسه على تغذية المياه الجوفية بدلاً من ذهابها إلى البحر دون الاستفادة منها .

٤) الاستنزاف الجائر للمياه

أدى التوسع غير المنظم لاستصلاح الأراضي الزراعية في ساحل حضرموت إلى الضغط على الموارد الجوفية، من خلال التوسع غير المنظم في حفر الآبار بهدف ري الأراضي الزراعية المستصلحة . يضاف إلى ذلك أن طرق الري المستخدمة هي طرق ري تعتمد على الري السحي وغمر الأرض بالمياه وليس وفقاً لاحتياجات المحاصيل الزراعية وهذه العملية فضلاً عن الاستخدامات البشرية الأخرى للمياه أدت إلى استنزاف المياه الجوفية بشكل كبير انعكس على انخفاض منسوب الماء الجوفي في ساحل حضرموت وبشكل سريع من ١ - ٢سم يومياً (٤٢).

ويظهر أثر انخفاض منسوب المياه الجوفية في تباعد فترات دورة ري الأرض الزراعية في كثير من المناطق من ١٥ يوم إلى أكثر من ٢٥ يوم، وفي تعميق قنوات الري القائمة على العيون من أقل من ٥ أمتار إلى ١٠ - ١٥ متر (٤٣). وربما أكثر من ذلك حتى يتم الوصول إلى المياه الجوفية . كما اضطر المزارعون إلى استخدام المضخات الآلية لسحب المياه من العيون بعد أن كانت تتدفق بشكل طبيعي في القنوات المائية،

وكذلك جفت كثير من الحُوم (الحفر الكارستية) في مناطق غيل باوزير، وأنخفض منسوب المياه في كثير من الآبار السطحية المكشوفة، وكل هذه المؤشرات الملحوظة تشير إلى استنزاف المياه الجوفية بشكل كبير في ظل عدم التجديد المستمر لها بحكم الجفاف الذي تعرضت له المنطقة في الفترات الأخيرة .

٥) انخفاض كفاءة طرق الري المتبعة

إن نُظْمَ الرِّي المتبعة في ساحل حضرموت هي نُظْمٌ تقليدية، وتتبع طريقة الرِّي السحي أي بغمر الأرض الزراعية بالمياه وهذه الطريقة تعتمد بشكل أساس على وفرة المياه وليس وفق احتياجات المحاصيل الزراعية منها (٤٤)، فنظام الرِّي بواسطة السيول وهذه الطريقة تؤدي إلى فقدان كميات كبيرة من المياه دون الاستفادة منها، وتكون كفاءة الري متدنية؛ فقد قدرت بحوالي ٣٥٪ من كمية مياه الري، أما النسبة المتبقية من المياه والتي تقدر بنسبة ٦٥٪ فإن النبات لا يستهلكها بل يفقدها أما بالبخر أو بالنفاذ إلى باطن الأرض (٤٥)، كما نجد أن كفاءة الري من المياه الجوفية تكون متدنية أيضاً فهي تقدر بنحو ٤٠٪ من كمية المياه المستخدمة في الري أما النسبة المتبقية نحو ٦٠٪ فإنه يُفقد بطرق الفقد المختلفة (البخر أو الرش) (٤٤) ومن ثم يستفيد النبات منه.

وبذلك نجد أن انخفاض كفاءة طرق الري التقليدية المتبعة والمعتمدة على الري السحي تؤدي إلى استنزاف المياه بكميات كبيرة دون أن تحقق الاستفادة المرجوة منها في زراعة المحاصيل .

٦) الإخلال بقواعد نظم الرِّي التقليدية

ظلت أنظمة الري المستخدمة في الزراعة في ساحل حضرموت وفترات زمنية طويلة مضت تلعب دوراً مهماً في استدامة وتنمية الزراعة بالمنطقة من خلال كفاءتها العالية في عملية الرِّي، غير أنه في الفترات الأخيرة ومنذ السبعينات ومع تغير السياسات الزراعية المتبعة وتحول ملكية الأرض الزراعية، من الملكية الخاصة إلى العامة (الجمعيات التعاونية) ثم عودتها إلى وضعها السابق في التسعينات والتوسع الكبير الملحوظ في الأرض الزراعية في هذه الفترة، أدى ذلك إلى الإخلال بقواعد نُظْمَ الرِّي التقليدية المتبعة، رافق ذلك موجات الجفاف التي تأثرت بها المنطقة، مما أدى إلى بروز العديد من المشكلات التي تعرضت لها نُظْمَ الرِّي والتي وتركت تأثيراتها السلبية على الإنتاج الزراعي، وفيما يلي إبراز أهم مشكلات هذه النُظْم :

١) المشكلات المتعلقة بنظام الري بالسيول

يمكن إبراز أهم مشكلات نظام الري بالسيول في الآتي :

- عدم الاهتمام بإقامة وصيانة المنشآت الواقية من الفيضانات .
- تعرض القنوات الرئيسية والفرعية للتدمير بسبب السيول الكبيرة وكذلك لعدم صيانتها .
- التوسع الأفقي للأرض الزراعية باتجاه المجاري الرئيسية للأودية مما أدى إلى تضيق تلك المجاري، والتسبب في انجراف التربة الزراعية أثناء مواسم السيول^(٤٦) .
- ضعف الصيانة لشبكات الري الرئيسية ووجود الفتحات العشوائية عليها فضلاً عن نمو الأعشاب والأشجار الضارة داخل القنوات والتقصير في محاربتها وإزالتها أدى إلى ضعف حجم المياه المتدفق عبر شبكة التوزيع للأراضي الزراعية مما يؤدي إلى عدم وصول المياه إلى الأراضي البعيدة (٤٧) .
- عدم الاستفادة من كميات كبيرة من مياه السيول المتدفقة في عملية ري الأرض الزراعية، وذهاب معظمها إلى البحر .

المشكلات المتعلقة بنظام الري من مياه العيون :

- انهيار جدران منابع العيون والقنوات الرئيسية والفرعية العميقة، وتساقط الأتربة فيها مما يؤدي إلى انسدادها وضعف تدفق المياه فيها .
- انخفاض منسوب المياه الجوفية للكثير من العيون أدى إلى استخدام المضخات لسحب المياه منها .
- عدم صيانة وتجديد القنوات أدى إلى تسرب الماء منها ونمو الأشجار الضارة عليها.
- ارتفاع درجة حرارة مياه العيون في بعض المناطق لتصل إلى ٤٠ - ٥٠ م وارتفاع نسبة المواد الكبريتية فيها .

المشكلات المتعلقة بنظام الري بواسطة الآبار :

- ارتفاع تكاليف حفر الآبار .
- استخدام المضخات المعتمدة على الديزل في رفع المياه أدى إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج.
- انخفاض منسوب المياه في الآبار نتيجة السحب منها يؤدي إلى توقف الضخ أحياناً لساعات حتى تتجمع المياه مرة أخرى .

- ارتفاع نسبة الملوحة في الآبار التي تقترب من السواحل مما يؤثر على زراعة المحاصيل وتملح التربة .

رؤية جغرافية - اقتصادية لتنمية الموارد المائية المتاحة وترشيد

استخداماتها لتحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت :

إن الآفاق المستقبلية لتنمية الموارد المائية المتاحة وترشيد استخدامها لتحقيق التنمية الزراعية المستدامة في ساحل حضرموت، ترتبط بشكل أساسي في طبيعة المشكلات المرتبطة بالموارد المائية باعتبارها مشكلات تحد من فرص التنمية الزراعية في المنطقة والتي لا يمكن معالجتها إلا عن طريق بناء منظور مستقبلي للعمل على وضع المعالجات التي من شأنها أن تحقق الاستغلال الأمثل للموارد المائية المتاحة، من خلال خلق فرص تنمية الموارد المائية، وترشيد استخدامها، وتغيير نمط الموروث الزراعي بهدف تحقيق التنمية الزراعية المستدامة.

ويمكن العمل على تنمية الموارد المائية من خلال اتجاهات ثلاثة نعرضها كما يلي :

الاتجاه الأول : زيادة المخزون الجوفي

تظل مسألة زيادة المخزون الجوفي عنصراً أساسياً في تنمية الموارد المائية من خلال الاهتمام بعملية تغذية المخزون المائي لموازنة كميات السحب القائمة للاحتياجات البشرية والاقتصادية وفي هذا الاتجاه يمكن العمل على ما يلي :

(١) إقامة السدود في بطون الأودية ❖ لخصن مياه السيول المتدفقة والاستفادة منها في عمليات الري، والتي تساعد على ارتفاع مستوى التغذية الجوفية بدلاً من ذهابها هدرًا إلى البحر .

(٢) إعلان منطقة الحفر المائية (الحوَم) - وهي كهوف كارستية معرضة للانهايار منطقة - محمية نظراً لما تحويه من مخزون مائي ضخم، ومنع التوسع في عمليات البناء في هذه المنطقة حتى لا يتم تلوين المخزون المائي الجوفي، وكذا العمل على تنظيف الشقوق الأرضية والصدوع الطبيعية في مناطق التغذية لهذه المناطق وتوجيه مياه الأمطار إليها وحمايتها من أعمال الدفن والتخريب الذي تتعرض له (٤٨) .

(٣) إقامة الحواجز الترابية والإسمنتية والحفر العميقة وبخاصة في الأجزاء الدنيا من الأودية الساحلية بهدف احتواء مياه السيول المتدفقة والسيطرة عليها وتهدئتها بغرض العمل على زيادة مستوى التغذية الجوفية .

٤) إجراء الدراسات المتعلقة بالموازنة المائية وتحديثها لتحديد معدلات التغذية، والكميات المسحوبة من المياه، وتحديد المخزون الجوفي، بهدف الاستغلال الأمثل لما هو متاح من المياه وفق سياسات مائية مدروسة .

الاتجاه الثاني : ترشيد استخدام المياه

إن عملية ترشيد استخدام المياه تشكل حجر الزاوية في تنمية الموارد المائية من خلال قدرة الإنسان على التحكم بما هو متاح لديه من موارد مائية وتحديد أوجه استخداماتها وسلامة إدارته لها يمكنه من الحفاظ على هذه الموارد للأجيال القادمة . وفي هذا الإطار يمكن العمل . بما يلي : -

- ١) إقامة وحدة لمشروع الحفاظ على المياه والتربة في ساحل حضرموت يهدف إلى تشجيع إدخال تقنيات أنظمة الري الحديثة مثل الريّ بالأنابيب البلاستيكية والري بالتنقيط والري بالرش للحد من استنزاف المياه الجوفية القائم بواسطة الري التقليدي وتوفير أكثر من ٥٠ ٪ من المياه المستخدمة في الزراعة .
- ٢) تحسين استغلال مياه السيول من خلال إقامة منشآت الريّ السيلي الحديثة وتحسين مداخل القنوات المائية الرئيسية وإقامة مهدات وكاسرات السيول لتحته المياه المتدفقة والاستفادة منها بشكل أفضل .
- ٣) إنشاء وتأسيس وحدة صيانة متكاملة تقوم بأعمال الصيانة الدورية والموسمية للمنشآت المائية والقنوات الرئيسية والفرعية والحقلية والعمل على تبطين القنوات الترابية وإغلاق الفتحات العشوائية بهدف منع تسرب المياه وتقليل الفاقد منها .
- ٤) وضع برنامج ري متكامل في كل موسم زراعي يضمن سلامة وعدالة توزيع المياه على الأراضي الزراعية .
- ٥) إعداد ووضع التشريعات والقوانين واللوائح التي تنظم عملية استغلال المياه وكيفية استخدامها وتوزيعها، ووضع العقوبات المناسبة لمواجهة المخالفات للقوانين واللوائح التي تنظم استغلال المياه بهدف حماية الموارد المائية .
- ٦) تطوير أداء الإرشاد الزراعي بما يساعد على ترشيد استهلاك المياه في العمليات الزراعية من خلال ما يلي : -

* قامت شركة سورجيا ١٩٨٠ بأجراء دراسة على مختلف أودية ساحل حضرموت لتحديد مناطق مناسبة لإقامة السدود عليها بهدف حفظ المياه والاستفادة منها، غير أنه لحد الآن لم بين أي سد على مختلف الأودية الساحلية بسبب قلة الموارد المائية .

- تشجيع المزارعين على استخدام طرق الريّ الحديثة من خلال إقامة الحقول التجريبية التي تستخدم هذه الطرق وتعريف المزارعين بها على أرض الواقع لإقناعهم باستخدامها .
- رفع الوعي المائي عند المزارعين من حيث التعريف بأهمية المياه وكيفية ترشيدها، واستغلالها من خلال النزول الميداني للمرشدين الزراعيين للحقول الزراعية .
- الدفع بتبني وسائل الأعلام المرئية والمقروءة والمسموعة توجّهات عامة لتوعية المستهلكين بأهمية المياه وترشيد استخدامها .
- إجراء الدورات التدريبية للمرشدين الزراعيين حول المياه من أجل رفع كفاءتهم الوظيفية، حتى يتمكنوا من تقديم معارفهم بكل كفاءة واقتدار في الحقول الزراعية .
- تطوير الدراسات والبحوث المائية من خلال إنشاء بنك المعلومات المائية الذي يهتم بتجميع البيانات الدقيقة المتعلقة بالمياه التي يمكن أن تكون أساساً لتخطيط وبرمجة إدارة المياه وترشيد استخدامها وتمييتها .
- تشجيع دور المشاركة الجماعية المنظمة من قبل المزارعين أنفسهم المنتفعين بالمياه، والعمل على تنظيم أنفسهم في جمعيات تهدف إلى ترشيد استخدام مياه الريّ ورفع كفاءة استخدامها وتحقيق عدالة توزيع المياه وتنظيمها وصيانة القنوات الرئيسية لشبكات الري.

الاتجاه الثالث : الموروث الزراعي

- إن إعادة التفكير في تغيير نمط الموروث الزراعي القائم والذي يعتمد بشكل أساسي على الزراعة التقليدية العشوائية وزراعة محاصيل متوارثة عبر الأجيال وبطرق تقليدية تؤثر على استهلاك المياه بكميات كبيرة، وهو أمر أساسي لخدمة تنمية الموارد المائية، ويمكن معالجة ذلك من خلال ما يلي :
- (١) تغيير نمط زراعة المحاصيل الزراعية من الطرق العشوائية غير المنتظمة في الحقول، إلى الزراعة المنتظمة في شكل خطوط وعلى مسافات منتظمة ومنتسعة من أجل الاستفادة القصوى من المساحة المزروعة بما يسهل العمليات الزراعية المختلفة ويسهل على إنشاء شبكات ونظم الري الحديثة.

- ٢) التوسع في زراعة المحاصيل التي تتجه في تركيزها إلى هذه المناطق مثل محاصيل التمياك والقطن والخضروات مثل الكوسة والفاصوليا واليامية والبادنجان، والفواكه مثل النخيل والمانجو والجوافة والليمون الحامض والموز والتي وجد أنها تتجاوب بدرجة كبيرة وحيدة للري بالتنقيط .
- ٣) عدم الإكثار والتوسع في زراعة محاصيل البطيخ والحبيب الذي يتطلب كميات كبيرة من المياه في عملية الري واقتصاد زراعتها على المناطق التي تروى بمياه السيول .
- ٤) زراعة المحاصيل التي تتحمل الملوحة مثل البرسيم وغيرها في المناطق التي ترتفع بها ملوحة المياه في المناطق السهلية التي تقترب من السواحل، حتى يتم الاستفادة منها.
- ٥) إعادة التوزيع المكاني للمحاصيل المزروعة بما يتناسب مع خاصية ملوحة المياه، حيث وُجد أن المناطق القريبة من أقدام السفوح السلاسل الجبلية قليلة الملوحة، وفي وسط السهول الساحلية متوسطة الملوحة، وفي السهول القريبة من البحر عالية الملوحة، لذا يجب إعادة التوزيع المكاني لزراعة المحاصيل بما يتناسب ومثل هذه الخاصية حيث تزرع المحاصيل التي لا تتحمل الملوحة عند سفوح الجبال، والتي تتحمل الملوحة المتوسطة في وسط السهول الساحلية، أما المحاصيل التي تتحمل الملوحة فتُزرع في المناطق الساحلية القريبة من البحر .

الهوامش :

- (١) بن ثعلب، محمد عبد الله، توزيع السكان في محافظة حضرموت، ندوة التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت، المكلا ١٩٨٧م ص٢.
- (٢) عبد الباقي قادري أحمد، المظاهر الجيومورفولوجية في محافظة حضرموت، ندوة التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت - المكلا - ١٩٨٧م، ص ٣- ٦.
- (٣) مقيبيل، محمد أبو بكر، منتجات العسل في اليمن حالة محافظة حضرموت، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية (أطروحة دكتوراة غير منشورة) جامعة أسيوط، مصر، ٢٠٠٩م، ص١٢٥.
- (٤) بامعروف، فؤاد سالم، هيدرولوجية وادي حضرموت، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد كلية التربية، بغداد، ٢٠٠١م، ص١٦.
- (٥) عبد الباقي قادري أحمد، المظاهر الجيومورفولوجية في حضرموت مرجع سبق ذكره، ص٤.
- (٦) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها في حضرموت ندوة التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت - المكلا - ١٩٨٧م، ص٤.
- (٧) بارشيد، محمد عوض، حوض وادي حجر، دراسة جيومورفولوجية أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٨م، ص٦٢.
- (٨) بارشيد، محمد عوض، المصدر نفسه ص٣- ٥.
- (٩) عبد الباقي، قادر أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٣.
- (١٠) بارشيد، محمد عوض، جيومورفولوجية ساحل حضرموت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٥، ص٧٣.
- (١١) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٤.
- (١٢) بارشيد، محمد عوض، جيومورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص٧٣.
- (١٣) بارشيد، محمد عوض، المرجع نفسه، ص٧٣ .

- ١٤) عبد الباقي، قادري أحمد، المظاهر الجيومورفولوجية في محافظة حضرموت مرجع سبق ذكره، ص٤.
- ١٥) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٥.
- ١٦) بارشيد، محمد عوض، جيومورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص٧٥.
- ١٧) بارشيد، محمد عوض، المصدر نفسه، ص٧٧.
- ١٨) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٥.
- ١٩) بارشيد، محمد عوض، جيومورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره ص٧٨.
- ٢٠) عبد الباقي، قادري أحمد موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٥.
- ٢١) بارشيد، محمد عوض، جيومورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص٧٨.
- ٢٢) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٥.
- ٢٣) بارشيد، محمد عوض، جيومورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص٧٨-٧٩.
- ٢٤) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٨.
- ٢٥) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، مكتب وزارة الزراعة م/حضرموت، مشروع التنمية الزراعية بوادي حجر ومديريات ساحل حضرموت - المكلا، ٢٠٠٠م، ص٢.
- ٢٦) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها، مرجع سبق ذكره، ص٨.
- ٢٧) عبد الباقي، قادري أحمد، المرجع نفسه، ص٩.
- ٢٨) وزارة الزراعة والري، مكتب وزارة الزراعة م/حضرموت، مشروع التنمية الزراعية بوادي حجر ومديريات ساحل حضرموت - المكلا، ٢٠٠٠م، ص٢.

- ٢٩) باعباد، عمر أحمد، مكامن ونوعية المياه الجوفية في منطقة حضرموت، بدون تاريخ، ص ٥.
- ٣٠) باعباد، عمر أحمد، المصدر نفسه، ص ٦-٧.
- ٣١) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، مكتب وزارة الزراعة م/حضرموت، مشروع التنمية الزراعية بوادي حجر ومديريات ساحل حضرموت مرجع سبق ذكره، ص ٣.
- ٣٢) وزارة الزراعة و الري، مكتب وزارة الزراعة و الري م/حضرموت، المرجع نفسه، ص ٣.
- ٣٣) بارشيد، محمد عوض، جيمورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٩.
- ٣٤) رئاسة مجلس الوزراء، مجلس حماية البيئة، الأمانة العامة فرع عدن، بن غوث، محمد سالم، دراسة توثيقية لنماذج من أنظمة الري التقليدية وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة، ١٩٩٦م، ص ٢٠.
- ٣٥) المصدر نفسه، ص ٢٠.
- ٣٦) المصدر نفسه، ص ٢٩.
- ٣٧) وزارة الزراعة والري، مكتب وزارة الزراعة م/حضرموت مشروع التنمية الريفية بوادي حجر ومديريات ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص ٢.
- ٣٨) المصدر نفسه، ص ٢.
- ٣٩) بارشيد، محمد عوض، جيمورفولوجية ساحل حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص ٤٠.
- ٤٠) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها في محافظة حضرموت، مرجع سبق ذكره، ص ٤.
- ٤١) رئاسة مجلس الوزراء، مجلس حماية البيئة، الأمانة العامة فرع عدن، بن غوث، محمد سالم، دراسة توثيقية لنماذج من أنظمة الري التقليدية وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة، مرجع سبق ذكره، ص ٧٩.
- ٤٢) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة و الري، مكتب وزارة الزراعة و الري م/حضرموت، سواد، زكي سالم، الأعراف التقليدية المتبعة في توزيع مياه العيون في مديرية غيل باوزير، ٢٠٠٠م، ص ٥.

- ٤٣) رئاسة مجلس الوزراء، مجلس حماية البيئة، الأمانة العامة فرع عدن، بن غوث، محمد سالم، دراسة توثيقية لنماذج من أنظمة الري التقليدية وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة، مرجع ساق ذكره، ص ٢٩.
- ٤٤) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، الدقيل، عبد الله سالم، مصادر المياه استخداماتها، حصادها، وتشريعها، ٢٠٠٦، ص ١٠.
- ٤٥) المصدر نفسه، ص ١١.
- ٤٦) رئاسة مجلس الوزراء، مجلس حماية البيئة، الأمانة العامة فرع عدن، بن غوث، محمد سالم، دراسة توثيقية لنماذج أنظمة الري التقليدية وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة، مرجع سبق ذكره، ص ٩٢.
- ٤٧) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، التميمي، سالمين يسلم، استمارة استبيان حول الأعراف والتقاليد المستخدمة في الري، ٢٠٠٠، ص ٢-٣.
- ٤٨) رئاسة مجلس الوزراء، مجلس حماية البيئة، الأمانة العامة فرع عدن، بن غوث، محمد سالم، دراسة توثيقية لنماذج من أنظمة الري التقليدية وطرق الحصاد المائي، في محافظتي حضرموت وشبوة، مرجع سبق ذكره، ص ٩٣.

المراجع :

- (١) بامعروف، فؤاد سالم، هيدرولوجية وادي حضرموت أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد كلية التربية، بغداد، ٢٠٠١م.
- (٢) بارشيد، محمد عوض، جيمورفولوجية ساحل حضرموت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٥م.
- (٣) بارشيد، محمد عوض، حوض وادي حجر، دراسة جيمورفولوجية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، السودان، ٢٠٠٨م.
- (٤) باعباد، عمر أحمد، مكامن ونوعية المياه الجوفية في منطقة حضرموت، بدون تاريخ.
- (٥) بن ثعلب، محمد عبد الله، توزيع السكان في محافظة حضرموت، ندوة التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت، المكلا ١٩٨٧م.
- (٦) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، مكتب وزارة الزراعة م/حضرموت، مشروع التنمية الزراعية بوادي حجر ومديريات ساحل حضرموت - المكلا، ٢٠٠٠م.
- (٧) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، مكتب وزارة الزراعة والري م/حضرموت، سواد، زكي سالم، الأعراف التقليدية المتبعة في توزيع مياه العيون في مديرية غيل باوزير، ٢٠٠٠م.
- (٨) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، الدقيل، عبد الله سالم، مصادر المياه استخداماتها، حصادها، وتشريعها، ٢٠٠٦م.
- (٩) الجمهورية اليمنية، وزارة الزراعة والري، التميمي، سالمين يسلم، استمارة استبيان حول الأعراف والتقاليد المستخدمة في الري، ٢٠٠٠م.
- (١٠) عبد الباقي قادري أحمد، المظاهر الجيمورفولوجية في محافظة حضرموت، ندوة التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت - المكلا - ١٩٨٧م.
- (١١) عبد الباقي، قادري أحمد، موارد المياه ومشاكل استغلالها في حضرموت ندوة التركيب الجغرافي والأهمية الاقتصادية لمحافظة حضرموت - المكلا - ١٩٨٧م.

- ١٢) رئاسة مجلس الوزراء، مجلس حماية البيئة، الأمانة العامة فرع عدن، بن غوث، محمد سالم، دراسة توثيقية لنماذج من أنظمة الري التقليدية وطرق الحصاد المائي في محافظتي حضرموت وشبوة، ١٩٩٦م .
- ١٣) مقبيل، محمد أبو بكر، منتجات العسل في اليمن حالة محافظة حضرموت، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية (أطروحة دكتوراة غير منشورة) جامعة أسيوط، مصر، ٢٠٠٩م.

**علو الإسلام
مظاهره وأسبابه وآثاره وأهم المسائل
المترتبة عليه**

د. إلهام بدر الجابري

أستاذ مساعد بجامعة الأمير سلطان الأهلية

المملكة العربية السعودية



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

علو الإسلام مظاهره وأسبابه وآثاره وأهم المسائل المترتبة عليه

الملخص :

والدعاة، ثم ناقش البحث بعض المسائل المهمة التي ترتبط بعلو الإسلام. ومن أبرز التوصيات لإبراز علو الأمة وإعادة صياغة وبناء الشخصية المسلمة:

- العناية بكتاب الله تعالى تعليماً وتعليماً.
- العناية باللغة العربية في المدارس والجامعات والإعلام.
- إعداد برامج تربوية مستفيدة من هدي الكتاب والسنة في التربية كالأندية اللا منهجية.
- إعادة صياغة منهج السيرة النبوية الدراسية بما يخدم الأهداف التربوية.

يبين البحث مفهوم علو الإسلام من حيث بيان معناه، وذكر مظاهره التي تجلت في علو الشريعة، وعلو الرسالة، وعلو القرآن، وعلو اللغة، وعلو الأتباع. وبيان أسباب هذا العلو كالاصطفاء، والعالمية، والوسطية، والكمال والتمام. وإيضاح ما نتج عن هذا العلو من آثار هي: انتشار الإسلام وظهوره، وتحقق العزة للمسلمين، والغيرة لهذا الدين، والشح به، والدعوة إليه. ووصف البحث المنهج الذي رسمه القرآن الكريم والسنة المطهرة لغرس مفهوم العلو في نفوس الأمة ليستفيد منه المربون والمعلمون

Abstract :

The searching shows the method who followed him the prophet in builder personal of Companions of the Prophet Mohammed Radwan Allah on them, and your his lowness through one of of situations is peace be upon him who [syq] for his period the interview raved (the Islam rises followed rises on him) and male of characteristics Muslim benefited blessing modern and her blessing of important; The Islamic glory, scarfs Muslim in debt his, and his hatred for the invalid beliefs [w'ie'raaDh] about her, and the invitations to

Allah, and his the envy for debt, and to go away from himself about the similar disbeliever.

Just as the searching shows that height of the Islam and glory Muslim in debt his injustice does not require last in any situation, [w'inmaa] appears the height in the heights in the characters raved the dealing with the people branded whatever their drinks were and in next despotic dispute of dealing Muslim with changes them from disbelieving, and the Islamic informers important for this nation clarify and which from produced her raised her on

changes her from the nations, and her slavery [llh] rose and her faith her faith in the celestial letters which the invitation to unification Allah united in rose and worldwide her Islamic letter and her observance in right path of the revelations her the book and the age in all live matters with no exclusion and worldwide her Arabic language and her balconies and her place raised.

Just as the searching shows that height of the Islam and glory Muslim in debt his injustice does not require last in any situation, [w'inmaa] appears the height in the heights in the characters raved the dealing with the people branded

whatever their drinks were and in next despotic dispute of dealing Muslim with changes them from disbelieving, and the Islamic informers important for this nation clarify and which from produced her raised her on changes her from the nations, and her slavery [llh] rose and her faith her faith in the celestial letters which the invitation to unification Allah united in rose and worldwide her Islamic letter and her observance in right path of the revelations her the book and the age in all live matters with no exclusion and worldwide her Arabic language and her balconies and her place raised.

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وبعد :

فإن الله تعالى يقول ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ الحج: ٧٥، وقال تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ الحج: ٧٨ فاجتبي سبحانه نبينا محمد ليجعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، واجتبي أمته لتكون خير الأمم وشاهدة على كل الأمم ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ وَتُعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ البقرة: ١٤٣، والخيرية لهذه الأمة والعلو لهذه الشريعة ثابت بالكتاب الكريم والسنة المطهرة.

ونحن اليوم نشهد انتحاحاً كبيراً على العالم ونواجه ثقافات متعددة وسلوكيات غريبة تُقدِّم لأجيالنا على أنها الأفضل والأمثل، فصار لزاماً علينا أن نسعى سعياً جاداً إلى الإعلام بعلو الإسلام، وإظهار الصبغة التي اختارها سبحانه للأمة الإسلامية، وتقديمها للمجتمع لينشأ على هديها الجيل المسلم. ومن أبرزها العلو والعزة التي فقدتها كثير من الشباب اليوم، وحراروا في طريق الظفر بها فمالوا يُمَنة ويسرة وشرَّقوا وغربوا، وهي عنهم ليست ببعيد، بين أيديهم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ . فإليك أخي القارئ بعض هذه الدرر؛ لعل ربوعنا تستضيء من جديد بنور العلو والعزة الإسلامية.

وقد اشتمل البحث على ستة مباحث :

المبحث الأول: فيشتمل على دراسة حديث (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) من النواحي الآتية:

- تخريج الحديث والحكم عليه.
- مناسبة الحديث
- معنى الحديث

المبحث الثاني : مظاهر علو الإسلام

المبحث الثالث : أسباب علو الإسلام

المبحث الرابع: آثار ونتائج علو الإسلام

المبحث الخامس : منهج الكتاب والسنة في تعزيز مفهوم العلو في الأمة

المبحث السادس : الأحكام الشرعية المبنية على علو الإسلام ومنها :

المسألة الأولى: النهي عن التشبه بالكفار

المسألة الثانية: لا ولاية لكافر على مسلم

المسألة الثالثة: لا يُقتل مسلم بكافر.

المسألة الرابعة: معاملة أهل الذمة ونحوهم بالإحسان لا يتنافى مع علو الإسلام.

المبحث الأول: دراسة الحديث

نص الحديث : عن عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (الإسلام يعلو ولا يعلى)

تخريج هذا الحديث :

- أخرجہ الدارقطني في سننه باب المهرح ٣٠ - ٢٥٢/٣ قال حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء حدثنا شباب بن خياط حدثنا حشرج بن عبد الله بن
- حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم^١ حدثنا أحمد بن الحسين الحذاء^٢ حدثنا شباب بن خياط^٣ حدثنا حشرج بن عبد الله بن حشرج^٤ حدثني أبي^٥ عن جدي^٦ عن عائذ بن عمرو المزني^٧ به .
- وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى^٨ باب ذكر بعض من صار مسلماً بإسلام أبويه ح١٢٥١٦ - ٢٠٥/٦- من طريق أبي العباس السراج حدثنا شباب بن خياط العصفري به مثله مع زيادة في أوله.

^١ محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو بكر الشافعي الإمام الحجة المفيد محدث العراق محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البغدادي الشافعي البزاز، سمع من أبي قلابة الرقاشي وأبي بكر بن أبي الدنيا، حدث عنه الدارقطني وعمر بن شاهين. ولد في سنة ستين ومائتين، ومات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، متفق على توثيقه. انظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تذكرة الحفاظ، ت/زكريا عميرات، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ط(١) ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - ٦٥/٣-٨٤٩.

^٢ أحمد بن الحسين بن نصر أبو جعفر الحذاء مولى همدان، سمع علي بن المديني وشباب العصفري، روى عنه عبد الباقي بن قانع وأحمد بن محمد بن ثابت الصيرفي. ولد في سنة ثمان ومائتين، وتوفي سنة تسع وتسعين ومائتين. ثقة. انظر: الخطيب، البغدادي أحمد أبو بكر، تاريخ بغداد، بيروت، دار الكتب العلمية - ١٧٤٨-٩٧/٤.

^٣ خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري التميمي، أبو عمرو البصري الملقب بشباب، روى عن حشرج بن عبد الله بن حشرج ويزيد بن زريع، وعنه البخاري وأحمد بن الحسين بن نصر الحذاء، مات سنة أربعين ومائتين. قال أبو حاتم: لا أحدث عنه، هو غير قوي، وقال ابن عدي في الكامل: شباب من متيقظي رواة الحديث وله حديث كثير وتاريخ حسن وكتاب في طبقات الرجال ... وهو مستقيم الحديث صدوق. وقال الذهبي في الكاشف: صدوق. وقال ابن حجر: صدوق ربما أخطأ وكان إخباراً علامة. وقال في التهذيب: لم يحدث عنه البخاري إلا مقروناً وإذا حدث عنه لمفرده علق أحاديثه. وقال مسلمة الأندلسي: لا بأس به. ورمز له الذهبي في الميزان (باصح). وقال ابن حبان في الثقات: كان متقناً عالماً بأيام الناس وأنسابهم. انظر: ابن حبان، أبو حاتم محمد، الثقات، ت/المسيد شرف الدين أحمد، دار الفكر للطباعة(١)، ١٣٩٥ - ١٩٧٥ - ٢٣٣٨/٨-١٣١٨. ابن أبي حاتم عبد الرحمن أبو محمد الرازي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي-بيروت ط(١) ١٧٢٨-٣-٣٧٨، الذهبي، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، مصدر الكتاب: موقع يعسوب ١٤٠٩-٣٧٥/١-١٤٠٩، الجرجاني، ابن عدي عبد الله، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق يحيى مختار غزاوي، بيروت، دار الفكر سنة النشر ١٤٠٩ - ١٩٨٨-٦٦٦-٦١٤، تذكرة الحفاظ وذويوله ٤٤٢-١٩/٢، أحمد، تقريب التهذيب، ت/ محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد سنة النشر ١٤٠٦ - ١٩٨٦-١٧٤٨ ص٢٧٢، ولابن حجر أيضاً تهذيب التهذيب دار الفكر، ط(١)، ١٤٠٤هـ، ١٣٨٠/٣-٣٠٤، المزي، يوسف أبو الحجاج، تهذيب الكمال، ت.د. بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة(١) ١٤٠٠هـ، ١٧١٩-٨/٣١٤، الذهبي، أبو عبد الله، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، مصدر الكتاب: موقع يعسوب ٢٠٥٦٤-٤٥٧/٢.

^٤ حشرج بن عبد الله بن حشرج بن عائذ بن عمرو المزني أبو صخر، روى عن أبيه، روى عنه إسحاق بن بهلول الأثباري وأبو حفص الصراف عمرو بن علي ومحمد بن المثنى - قال أبو حاتم عنه: شيخ. انظر: الجرح والتعديل ١٣١٧-٢٩٦/٣.

^٥ عبد الله بن حشرج بن عائذ بن عمرو المزني، روى عن أبيه، روى عنه ابنه حشرج بن عبد الله بن حشرج. قال أبو حاتم: لا يعرف. انظر: الجرح والتعديل ١٨٣-٤٠/٥.

^٦ حشرج بن عائذ بن عمرو المزني روى عن أبيه عائذ بن عمرو، روى عنه ابنه عبد الله بن حشرج. قال أبو حاتم: لا يعرف. انظر: الجرح والتعديل ١٣١٦-٢٩٥/٣، ابن حجر، أحمد المعقلاني، لسان الميزان، بيروت، مؤسسة الأعلمي، الطبعة(٣)، ١٤٠٦هـ، ١٣٠٠-٢٠١٨/٣١٨، ميزان الاعتدال ٢٩٦-٨٣/٨.

^٧ عائذ بن عمرو بن هلال بن عبيد بن يزيد المزني أبو هبيرة، كان ممن بايع تحت الشجرة، سكن البصرة ومات في إمارة ابن زياد. انظر: ابن حجر، أحمد المعقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ت/ علي محمد الجواوي، بيروت، دار الجيل، ط(١)، ١٤١٢-١٤٤٥٢-٦٠٩/٣، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٤١/١.

^٨ البيهقي، أبو بكر أحمد، السنن الكبرى، حيدرآباد، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة، ط(١)، ١٣٤٤ هـ.

- وأخرجه الروياني في مسنده٩ ح٧٦٤- ٤٠٢/٢ قال حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا شباب العصفري حدثنا حشرج بن عبد الله يعني: ابن حشرج حدثني أبي عن جده عن عائذ بن عمرو به . ومن طريقه أخرجه الضياء في المختارة ح ٢٩١ - ٢٩٦/٣.
- وأخرجه أبو نعيم الأصبهاني في أخبار أصبهان ١٠ ح ١٦٧ - ١٨٤/١ من طريق خليفة بن خياط ، حدثنا حشرج بن عبد الله بن حشرج به مثله مع زيادة في أوله .
- الحكم على إسناد الدرقيني:
- ضعيف لجهالة عبد الله بن حشرج وأبيه، لكن يشهد لحديث عائذ حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه أخرجه أسلم الواسطي في تاريخ واسط ١١ ص ١٥٦ قال حدثنا إسماعيل بن عيسى ١٢ حدثنا خالي عمران بن أبان ١٣ حدثنا شعبة ١٤ عن عمرو بن أبي حكيم ١٥ عن عبد الله بن بريدة ١٦ عن يحيى بن يعمر ١٧ عن أبي الأسود الدؤلي ١٨ عن معاذ بن جبل ١٩ قال رسول الله ﷺ (الإيمان يعلو ولا يعلى عليه).

^٩ الروياني، المسند، مصدر الكتاب: موقع جامع الحديث

^{١٠} الأصبهاني، أبو نعيم، أخبار أصبهان، مصدر الكتاب : موقع جامع الحديث

^{١١} الواسطي، أسلم بن سهل، تاريخ واسط، المحقق: كوركيس عواد ، عالم الكتب الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ

^{١٢} إسماعيل بن عيسى البغدادي العطار، روى عن داود بن الزريقان وخلف بن خليفة، روى عنه الحسين بن محمد بن عكرمة القطان، وقال بن أبي حاتم سمعت أبي وأبا زرعة يقولان كتبنا عنه، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وثقه الخطيب، وذكره ابن حبان في الثقات. انظر: تاريخ بغداد ٣٢٩٣-٦٢٢/٦، الثقات ٩٩/٨، الجرح والتعديل ٦٤٩-١٩١/٢، لسان الميزان ١٣٢٤-٤٢٦/١، ميزان الاعتدال ٩٢٥-٤٠٥/١.

^{١٣} عمران بن أبان بن عمران بن زياد بن ناصح ويقال صالح السليبي ويقال القرظي أبو موسى الطحان الواسطي أبو محمد بن أبان روى عن شعبة وحرز بن عثمان، روى عنه أبو داود الحراني والقاسم بن محمد بن أبي شيبه، مات سنة خمس ومئتين، قال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ضعيف، وقال في موضع آخر: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم الرازي: ضعيف الحديث، وقال العقيلي: لا يتابع، وقال العجلي فيما نقله عنه ابن خلفون: ليس بثقة، وقال ابن حجر: ضعيف، وقال في لسان الميزان: ليس بالقوي، وقال أبو أحمد ابن عدي: له أحاديث غرائب ويروي عن محمد بن مسلم الطائفي خاصة غرائب ولا أرى بحديثه بأساً ولم أر في حديثه حديثاً منكراً فأذكره، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، وقال عنه في مشاهير علماء الأمصار: من المتقين. انظر: تقريب التهذيب ص ٧٥٠، تهذيب الكمال ٤٤٧٩-٣٠٥/٢٢، الثقات ٦٧٣-٦٨/١، لسان الميزان ٤٢٢٣-٣٢١/٧، ابن حبان محمد أبو حاتم البستي، مشاهير علماء الأمصار ١٤١٠، ت/ فلايشهر، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٩٥٩م، ٢٨٢/١، ميزان الاعتدال ٦٢٢٢-٢٨٢/٥.

^{١٤} شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي، روى عن عمرو بن أبي حكيم د س وعطاء بن السائب، روى عنه يحيى بن سعيد القطان وأبو داود الطيالسي، ولد سنة اثنتين وثمانين ومات سنة ستين ومائة وله سبع وسبعون سنة. متفق على توثيقه. انظر: تقريب التهذيب ٢٧٩٠ ص ٢٦٦، تهذيب التهذيب ٥٩٠-٤٢٩/٤، تهذيب الكمال ٢٧٣٩-٤٧٩/١٢، الجرح والتعديل ١٦٠٩-٣٦٩/٤، الكاشف ٢٢٢٨-٤٨٥/١.

^{١٥} عمرو بن أبي حكيم الواسطي أبو سعيد ويقال أبو سهل ويعرف بابن الكردي، يقال له مولى لآل الزبير. روى عن عبد الله بن بريدة وعروة بن الزبير، روى عنه شعبة وعبد الوارث بن سعيد. قال أبو حاتم: صالح الحديث، وقال أبو داود والنسائي وابن معين وابن حجر: ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. انظر: تاريخ ابن معين رواية الدوري- أبوزكريا، يحيى بن معين، ت/د. أحمد محمد نور سيف، مكة المكرمة، مركز البحث العلمي، ط: ١، ١٣٩٩ - ١٩٧٩-٤٨٦٩-٣٧٨/٤، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، العراقي، أحمد بن أبي زرعة، ت/ عبد الله نواره، الرياض، مكتبة الرشد سنة النشر ١٩٩٩م- ٢٤١ص، تقريب التهذيب ص ٧٣٢، تهذيب التهذيب ٢٠٠/٨-٣٣، تهذيب الكمال ٤٣٤٩-٥٨٩/٢١، الثقات ٢١٩/٧، الجرح والتعديل ١٤١٨-٢٥٦/٦.

^{١٦} عبد الله بن بريدة بن الحضيبي الأشعري، أبو سهل المرزوي، روى عن أبي الأسود الدؤلي وعائشة رضي الله عنها، روى عنه ابنه سهل، وعمرو بن أبي حكيم الواسطي، ولد عام البرموك، وعاش مائة سنة، وتوفي سنة خمس عشرة ومائة. ثقة؛ بل قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: وهو متفق على الاحتجاج به. انظر: تذكرة الحفاظ ٩٥-٧٨/١، تقريب التهذيب ص ٤٣٥، تهذيب الكمال ٣١٧٩-٣٢٨/١٤، تهذيب التهذيب ٥٢٧-١٣٧/٥، الثقات ١٦٥/١، الجرح والتعديل ٢٠٦-١٣٦/٢، ميزان الاعتدال ٤٢٢٣-٣٩٦/٢.

ومع أن حديث معاذ رضي الله عنه إسناده ضعيف لضعف عمران بن أبان الواسطي إلا إن الحديثين بمجموعهما يرتقيان إلى الحسن لغيره، وعليه يُحمل تحسين الحافظ ابن حجر^{١٧} لحديث عائذ - أي أنه حسن لغيره - وحسنه لغيره أيضاً الشيخ ناصر الدين الألباني في إرواء الغليل^{١٨}.

مناسبة الحديث :

وردت مناسبة هذا الحديث في بعض طرق الحديث كما في طريق البيهقي رحمه الله والأصبهاني أن عائذ بن عمرو جاء يوم الفتح مع أبي سفيان بن حرب ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوله أصحابه فقالوا هذا أبو سفيان وعائذ بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « هذا عائذ بن عمرو وأبو سفيان الإسلام أعز من ذلك الإسلام يعلو ولا يُعلو » وذكر هذه المناسبة أيضاً ابن حجر رحمه الله في فتح الباري^{١٩}.

شرح الحديث :

العلو لغة^{٢٠} : علو كل شيء وعلوه وعلوه وعلأوته وعلايته وعلايته أرفعه ، والعلاء الرفعة والشرف، وذو العلاء صاحب الصفات العلاء، ورجلٌ عليٌّ؛ أي شريف، وجمعه عليّة، يقال: فلان من عليّة الناس؛ أي من أشرافهم وجلّتهم لا من سفلتهم، وعليّة الناس وعلبهم مكسورين: جلّتهم، وهي كلمة معروفة عند العرب؛ أن يقولوا لأهل الشرف في الدنيا والثروة والغنى "أهل عليين" فإذا كانوا متّضعين قالوا "سفلين".

والعليُّ: الشديدُ القويُّ، وعلا فلان فلاناً إذا قهره وغلبه، وكل من قهر رجلاً أو عدواً فإنه يقال: علاه واعتلاه واستعلاه، واستعلّى على الناس غلبهم وقهرهم وعلاهم،

^{١٧} يحيى بن يعمر البصري أبو سليمان، ويقال أبو سعيد، ويقال أبو عدي القيسي الجدي قاضي مرو. سمع ابن عباس وأبا الأسود الدؤلي، روى عنه عبد الله بن بريدة وإسحاق بن سويد، مات قبل المائة، وقيل بعدها، متفق على توثيقه. انظر: التاريخ الكبير ٣١٤/٨-٣١١، الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الصحيح ت/ د. أبو لبابة حسن، دار اللواء- الرياض، ١٤٠٦، ١٣٩٤/٣-١٣٧٩، تقريب التهذيب ٣١٩/٢، تهذيب التهذيب ٤٨٩-٢٦٦/١١، الفقات ٥٢٣/٥-٥٢٣/٦، الجرح والتعديل ١١٧-١٩٦/٩، الكاشف ٣٧٩/٢-٢٧٢٣.

^{١٨} أبو الأسود الدؤلي اسمه ظالم بن عمرو، ويقال اسمه عمرو بن ظالم، روى عن عمر ومعاذ، وعنه ابنه حرب ويحيى بن يعمر، مات سنة تسع وستين، متفق على توثيقه. انظر: تهذيب التهذيب ٨٢٦٧-١٠٠/١٢، تهذيب الكمال ٧٢٠٩-٣٧/٣٣، الفقات ٣٥٧-٤٠٠/٤، الجرح والتعديل ٢٢١٤-٥٠٣/٤، الكاشف ٦٤٩٦-٤٠٨/٢.

^{١٩} معاذ بن جبل بن عمرو أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد المشاهد كلها، وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث، روى عنه ابن عباس وابن عمر وآخرون من كبار التابعين، ومنافبه كثيرة جداً، أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على اليمن، وقدم منها في خلافة أبي بكر، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وعاش أربعاً وثلاثين سنة وقيل غير ذلك. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ٨٠٤٣-١٣٦/٦-٨.

^{٢٠} ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتب العلمي، ٢٢٠/٣.

^{٢١} الألباني، إرواء الغليل في تخرج أحاديث منار السبيل، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية - ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ح ١٢٦٨-١٠٦/٥.

^{٢٢} ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩-٢١٩/٣.

^{٢٣} انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط ص ١٦٩٤، ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، ٨٣/١٥ مادة "علا".

وعلا حاجته واستعلاها ظهر عليها ، وعلياً اسم فإمّا أن يكون من القوة وإمّا أن يكون من الرفعة والشرف.

والمقصود بـ يعلو ولا يعلى في الحديث: فضل الإسلام على غيره، وعلو أهل الإسلام على أهل الأديان في كل أمر.^{٢٤}

المبحث الثاني: مظاهر علو الإسلام

وضع النبي ﷺ معالم هذه الأمة الإسلامية وملامحها من خلال كلمات قليلة (الإسلام يعلو ولا يعلى عليه) ومن أبرز سمات علو هذه الأمة الآتي:

- علو الشريعة: عقيدة ومنهجاً؛ فالعبودية لا تكون إلا لله وحده العلي العظيم الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلا، ولا يُعبد سبحانه إلا بما شرع مما أنزله في كتابه أو أرسل به رسوله ﷺ، وجعل هذه الشريعة خاتمة الشرائع وأعلها شأنًا، فلا يقبل سبحانه من أحد شريعة سواها، قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَبْعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران ٨٥)، وهي كاملة لا يعترتها نقص، شاملة لا يلحقها قصور، قال سبحانه ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة: ٣، وهي شريعة واضحة لا غموض فيها ولا لبس، قال عليه الصلاة والسلام (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مُشْتَبِهَاتٌ لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا لكل ملكٍ حمى ألا وإن حمى الله محارمه...٢٥) ومعناه أن الأشياء ثلاثة أقسام؛ حلال بين واضح لا شك في حله، وحرام بين لا شك في حرمة، ومُشْتَبِهَاتٌ أي ليست بواضحة الحل ولا الحرمة فهذا لا يعرفها كثير من الناس ولا يعلمون حكمها، وأما العلماء فيعرفون حكمها بنص أو قياس أو استصحاب أو غير ذلك^{٢٦}. فما لا يعلمه عامة الناس يعلمه الخاصة من العلماء

^{٢٤} السيوطي، والدهلوي، شرح سنن ابن ماجه، كراتشي، قديهي كتب خانة، ١٩٦/١، النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢٠١٣٩٢-٥٢/١١، الزرقاني، محمد، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، بيروت، دار الكتب العلمية سنة النشر ١٤١١هـ/١٥٥/٣، الصنعاني، محمد أمير، سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط٤، ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م-٦٧/٤

^{٢٥} أخرجه البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، ت/د، مصطفى ديب، دار ابن كثير، ط٣، ١٤٠٧هـ، باب فضل من استبرأ لدينه ح٢٠٥٢/٢٨، وأخرجه مسلم أبو الحسين ابن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح، دار الجليل-بيروت، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ح٤١٧٨-٥٠/٥ واللفظ له.

^{٢٦} انظر: النووي أبو زكريا يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي- بيروت ط١٣٩٢ هـ ٢٨/١١/٢٨.

والفقهاء؛ ولهذا ورد الأمر بسؤالهم فيما يُشكل قال تعالى ﴿ فَتَلَوُاْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء: ٧، كما أنها شريعة يسر لا تشديد فيها قال سبحانه ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال عليه الصلاة والسلام (إن الدين يسر ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة).^{٢٧}، ولما كانت هذه الشريعة جاءت مراعية لمصالح العباد اتسمت بمرونتها واتساعها لتحتوي كل جديد مما فيه مصلحة للعباد أو دفع مضرة عنهم. قال سبحانه ﴿ وَيَجْعَلْ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمِ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ ﴾ الأعراف: ١٥٧، وهي مع كل هذا هي شريعة معصومة عن الخطأ والزلل فقد تولى سبحانه حفظ كتابه بنفسه وحفظ سنة رسوله المبينة لكتابه بتقييض أئمة هدى يجمعون صحيحها وينفون عنها الزيف والباطل، قال الشاطبي رحمه الله: " إن هذه الشريعة المباركة معصومة، كما أن صاحبها ﷺ معصوم، وكما كانت أمته فيما اجتمعت عليه معصومة^{٢٨} ".

- علو شأن الرسول: فمحمد ﷺ هو خاتم الأنبياء قال سبحانه ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، ولوالخاتم الذي لا نبي بعده كما ليس بعد خاتمة الأمر من شيء، وليس بعد ختم الكتاب نشر، وليس بعد ختم الكيس إخراج شيء منه^{٢٩}. ورسالته هي آخر الرسالات، وللناس كافة؛ قال عز وجل ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ: ٢٨)، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ قال رسول الله ﷺ (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ...^{٣٠})، ومهيمنة على سائر الرسالات والأديان؛ عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديًّا ولا نصرانيًّا ثم

^{٢٧} أخرجه البخاري باب الدين يسر ح ٢٣/١-٣٩ ومعنى لن يُشاد الدين إلا غلبه أي أن الدين لا يُؤخذ بالمغالبة فمن شاد الدين غلبه وقطعه. وفيه نبي عن التشديد في الدين بأن يحمل الإنسان نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكلفة شديدة. انظر: ابن رجب عبد الرحمن بن شهاب الدين أبو الفرج، فتح

الباري، دار ابن الجوزي - السعودية ط ٢٠٢٢ هـ ١٤٢٢/١. ١٣٦/١.

^{٢٨} الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات، ت/ أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧ هـ، ٤٤/٢.

^{٢٩} البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، شعب الإيمان، ت/ محمد زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٠ هـ- ١٧٧/٢.

^{٣٠} أخرجه مسلم باب لم يسمه ح ٦٣/٢-١١٩١.

- يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار (٣١). فاليهود والنصارى
مأمورون باتباع نبينا محمداً ﷺ ولا يُقبل منهم غير الإسلام بعد أن بلغتهم دعوته.
- علو القرآن الكريم؛ الكتاب المعجزة الخالدة إلى قيام الساعة، وهيمنتها على
سائر الكتب السابقة، قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨)؛ أي: جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر
الكتب وخاتمها؛ أشملها وأعظمها وأحكمها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله،
وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها
كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة ٣٢، فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). دون الكتب السماوية الأخرى التي أوكل حفظها إلى أصحابها
من الأحرار والرهبان كما في قوله سبحانه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ
بِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّيْبِيِّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ (المائدة: ٤٤) استحفظهم سبحانه على كتابه وجعلهم أمناء
عليه فغيروه وبدلوه ٣٣ .
- علو اللغة العربية، فقد اصطفاه سبحانه على سائر اللغات؛ فأرسل بها رسوله،
وأنزل بها كتابه، وشرع بها شرائع دينه، قال سبحانه ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَلُوقُهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
(آل عمران: ١٦٤) وقال ﴿وَإِنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ
الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥) تأمل كيف اجتمعت هذه
الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل
الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة
أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو اللسان العربي المبين ٣٤.
ولذلك كان واجباً على المسلم تعلم اللغة العربية بقدر ما يقيم بها عبادته، ويفقه
دينه، وقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أبي موسى ﷺ: أَمَا بَعْدُ فَتَفَقَّهُوا فِي

^{٣١} أخرجه مسلم باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس ونسخ المثل بملته ح ٤٠٣-١/١٠٣.

^{٣٢} انظر: ابن كثير إسماعيل بن عمر أبو الفداء القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ت/ سامي سلامة، دار طيبة، الطبعة ٢٠١٤٢٠ هـ-١٤٢٠/٣.

^{٣٣} انظر السعدي عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام الرحمن، ت/ عبد الرحمن اللويحي، مؤسسة الرسالة ط ١٤٢٠ هـ/ ٢٣٢٧.

^{٣٤} انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٥٩٧.

السُّنَّةُ ، وَتَفَقَّهُوا فِي الْعَرَبِيَّةِ ، وَأَعْرَبُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ^{٣٥} ، وقد كره العلماء استعمال الأسماء الأعجمية من دون حاجة وعدوه انتقاصاً من اللغة العربية؛ فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، ولذلك نجد أن العرف المتبع في جميع دول العالم منذ عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا أن تُدَوَّن المحررات الدبلوماسية باللغة الرسمية للبلد المرسل، وتُترَفَق معها ترجمة غير رسمية بلغة البلد المرسلة إليه، ويُتوخى في الرسول معرفة هذه اللغة حتى يقوم بالتوضيح اللازم، فهيبة الدولة من احترامها للغتها، ومن ثم راعى النبي ﷺ ذلك؛ فكانت جميع رسائله إلى الأمم والملوك باللغة العربية^{٣٦}.

- علو شأن المسلمين القائلين بدينهم خير قيام، إذ هم أعظم الأمم إيماناً وأحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم رحمةً، وأشدّهم إصلاحاً، وعدلاً وإنصافاً، وهم بذلك خير أمة أُخرجت للناس، قال سبحانه ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران : ١١٠) ، والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس^{٣٧}. وقد حكمت الأمة الإسلامية العالم قروناً طويلة، وعاش الناس في كنفها وتحت ظلها ينعمون بالعدل والسلام والرخاء. والتاريخ والحضارة الإسلامية شاهد على ذلك. وهذه الخيرية حاصلة للمسلمين المتمسكين بدينهم في الدنيا والآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم" ^{٣٨} وقال أيضاً مبيناً فضل أمته على سائر الأمم وما تحوزه من الأجر والثواب المضاعف (إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، أُوتي أهل التوراة التوراة فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُوتي أهل الإنجيل الإنجيل فعملوا إلى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطاً قيراطاً، ثم أُوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس، فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً ونحن كنا أكثر عملاً، قال الله: هل ظلمتكم من أجركم من شيء؟ قالوا: لا. قال: فهو فضلي أوتيته من أشياء) ^{٣٩}.

^{٣٥} أخرجه ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد في مصنفه تحقيق: محمد عوامة. طبعة دار القبلة. باب ما جاء في إعراب القرآن ح ٣٠٥٢٤.

^{٣٦} انظر: آل سعود فيصل بن مشعل، الدبلوماسية والمراسيم الإسلامية، ط (١) ١٤٢٧هـ، ص ٨٤ بتصرف شديد.

^{٣٧} انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٩٣/٢.

^{٣٨} أخرجه البخاري ك الجمعة باب فرض الجمعة ٨٣٦-٢٩٩/١. ومسلم باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ح ٢٠١٨-٧/٣.

^{٣٩} أخرجه البخاري ك مواقيت الصلاة ب ١٧ من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب ح ١٣٩٠/١-٥٥٧. ومعناه أن نسبة مدة بقاء هذه الأمة إلى مدة من تقدم من الأمم مثل ما بين صلاة العصر وغروب الشمس إلى بقية النهار. والمراد بالقيراط النصيب انظر فتح الباري ٣٩٢/٢ و ٤٤٦/٤.

المبحث الثالث: أسباب علو الإسلام :

أولاً الاصطفاء:

فإن الله سبحانه وتعالى اصطفى هذا الدين قال سبحانه ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ آل عمران: ١٩، وهذا إخبار منه سبحانه بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام^{٤١}، واصطفانا له ورضيه لنا قال سبحانه ﴿ وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ المائدة: ٣، وقال عز وجل ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ﴾ سورة الحج: ٧٨ أي اختاركم -يا معشر المسلمين - من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل، فقابلوا هذه المنحة العظيمة بالقيام بهذا الدين حق القيام^{٤٢}، والاصطبغ به كما في قوله سبحانه ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَكِيدُونَ ﴾ البقرة: ١٣٨. فلا أحسن صبغة من صبغته، وفيه حث على القيام بهذا الدين والاصطبغ به ظاهراً وباطناً حتى يصير الدين طبيعة بمنزلة الصبغ التام^{٤٣}.

قال القرطبي رحمه الله: " وأصل ذلك أن النصراني كانوا يصبغون أولادهم في الماء، وهو الذي يسمونه المعمودية، ويقولون: هذا تطهير لهم ... فرد الله تعالى عليهم بأن قال "صبغة الله" أي: صبغة الله أحسن صبغة وهي الإسلام، فسمى الدين صبغة استعارة ومجازاً من حيث تظهر أعماله وسمته على المتدين، كما يظهر أثر الصبغ في الثوب^{٤٤}.

ثانياً: العالمية

المقصود بالعالمية ما اتسم به هذا الدين من السعة والشمول والصلاح والملاءمة لجميع خلق الله تعالى في كل زمان وأينما كانوا^{٤٥}. ومما يدل على عالمية هذا الدين أمور هي:

١ - الإخبار بأن رسالة محمد ﷺ للناس كافة وقد سبق الاستدلال على ذلك^{٤٥}.

^{٤١} ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٠.

^{٤٢} انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٥٤٦.

^{٤٣} انظر: السعدي كتاب تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١/٦٨١ بتصرف.

^{٤٤} القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد أنصاري شمس الدين القرطبي، كتابه الجمع لأحكام القرآن تحقيق هشام البخاري، دار عالم الكتب-الرياض، ط١٤٢٣هـ/٢٠٠٢، وانظر السعدي إسحاق بن عبد الله كتابه تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه سلسلة الرسائل الجامعية لجامعة الإمام محمد بن سعود ١/٢١٣ و٥٧٩.

^{٤٥} انظر: السعدي إسحاق، تميز الأمة الإسلامية ١/٦٧٨ بتصرف.

٢ - أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين وعلى أتباعهم أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينصروه، قال سبحانه ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَتَنْصُرُنَّهُ. قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ آل عمران: ٨١.

قال ابن كثير رحمه الله: يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم ﷺ إلى عيسى ﷺ، لهما أتى الله أحدهم من كتاب وحكمة، وبلغ أي مبلغ، ثم جاءه رسول من بعده ليؤمن نبيه ولينصره، ..قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس ﷺ: ما بعث الله نبياً من أنبيائه إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمداً وهو حي ليؤمن نبيه ولينصره، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمن نبيه ولينصره[٤٦].

٣ - أن الذين يؤمنون برسالة محمد ﷺ يؤمنون بجميع الرسالات ويؤمنون بجميع الأنبياء والرسل قال سبحانه ﴿ قُلْ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٨٤.

ثالثاً الوسطية

فالإسلام هو الدين الوسط ٤٧ المعتدل المستقيم المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم من أديان أهل الانحراف كاليهود والنصارى والمشركين ٤٨. قال تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام: ١٦١.

وقد جعل سبحانه هذه الأمة وسطاً بأن خصّها بأكمل الشرائع، وأقوم المناهج وأوضح المذاهب ٤٩، قال الله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ

^{٤٥} انظر مظاهر علو الإسلام علو رسالة محمد ﷺ.

^{٤٦} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٦٧/٢.

^{٤٧} في اللغة استعمل العرب كلمة وسط اضافة إلى معنى الظرفية: بمعنى الخيار والعدل والفضل والشرف . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة وسط ٤٢٦/٧.

^{٤٨} انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٢٨٢/١.

^{٤٩} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤٥٤/١.

عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿ البقرة: ١٤٣. فكانت بذلك خير الأمم
قال رسول الله ﷺ (إنكم وفيتم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله^{٥٠}).

رابعاً : الكمال والتمام

قال الله تعالى ﴿ أَيُّومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾
المائدة: ٣: أي لأكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري عليكم
ونهيي، وحلالي وحرامي، وتزليلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بيئت
لكم منه بوحياي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبته لكم على جميع ما بكم
الحاجة إليه من أمر دينكم، فأنتمت لكم جميع ذلك فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم^{٥١}
وقال النبي ﷺ (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كرجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا
موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟
فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)^{٥٢}.

وفيه بيان لفضل النبي محمد ﷺ على سائر الأنبياء وأن الله ختم به المرسلين
وأكمل به شرائع الدين.^{٥٣}

المبحث الرابع : آثار علو الإسلام

الأثر الأول: ظهور الإسلام وانتشاره

وقد دلّ على ذلك عدد من الآيات الكريمة في كتاب الله منها قول الله تعالى
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة: ٣٣. وقال عليه الصلاة والسلام (بشر هذه الأمة بالسنة والدين
والرفعة والنصر والتمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في
الآخرة نصيب^{٥٤})، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام (إن الله زوى لي الأرض فرأيت
مشاركها ومغاربيها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين

^{٥٠} أخرجه ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني، السنن، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر-بيروت، ك الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ح٤٢٨٨-١٤٣٣/٢-١٤٣٣
وقال محققه الألباني: حسن، وأخرجه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد، السنن، ت/ أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي-بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ،
باب في قول النبي ﷺ أنتم آخر الأمم ح٢٧٦-٤٠٤/٢-٤٠٤ وقال محققه حسين سليم أسد: إسناده جيد، وأخرجه أحمد بن حنبل، المسند، ت/ شعيب
الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ح١٠٦٠-٥٠٢٠٠/٥ وقال محققه: إسناده حسن.

^{٥١} الطبري، جامع البيان في تأويل آبي القرآن ٥١٨/٩.

^{٥٢} أخرجه البخاري باب خاتم النبيين ﷺ ح٣٣٤٢-١٣٠٠/٣-١٣٠٠، ومسلم باب كونه خاتم النبيين ح٦٠٩٩-٦٤/٧.

^{٥٣} انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥٥٩/٦ وفيه اللبنة بفتح اللام وكسر الموحدة أو سكوتها هي القطعة من الطين تعجن وتجبل وتعد للبناء.

^{٥٤} أخرجه ابن حبان محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي، كتابه صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-
بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ باب الإخلاص ح٤٠٥-١٣٢/٢-١٣٢ وقال محققه: إسناده حسن، وأخرجه أحمد ح٢١٢٥٨-١٣٤/٥.

الأحمر والأبيض...)° وعن تميم الداري ؓ سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَيُبْلَغَنَّ هَذَا النَّامِرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَيْرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ بَعْرًا عَزِيزًا أَوْ بَدَلًا ذَلِيلًا عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَدُلًّا يَذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ وَكَانَ تَمِيمُ الدَّارِيُّ يَقُولُ قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ الْخَيْرُ وَالشَّرْفُ وَالْعِزُّ وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّعَارُ وَالْجِزْيَةُ ٥٦.

والمقصود انتشار الإسلام على وجه الأرض ودخول الناس فيه (بعز عزيز) أي يعزه الله بها حيث قبلها من غير سبي وقتال، (وذُل ذليل) أي أو يذله الله بها حيث أبأها بذل سبي أو قتال حتى ينفادون لها طوعاً أو كرهاً، أو يذعن لها ببذل الجزية.°٧

وقد وعد الله سبحانه عباده المؤمنين بالنصر والتمكين، قال سبحانه ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:٥٥).

قال ابن كثير رحمه الله: [هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولاية عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلن بعد خوفهم من الناس أمناً وحكما فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك وله الحمد والمنة.... - ثم ذكر رحمه الله كلاماً طويلاً عن انتشار الإسلام وعزة أهله في السابق وختم كلامه بقوله: - فالصحابة رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل، وأطوعهم لله - كان نصرهم بحسبهم، وأظهروا كلمة الله في المشارق والمغرب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وتتحكموا في سائر العباد والبلاد، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر نقص ظهورهم بحسبهم] ٥٨.

°° أخرجه مسلم باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ح. ٧٤٤-١٧١/٨. والمقصود بالكافرين: قال العلماء: الذهب والفضة. انظر شرح النووي ١٣/١٨ .
°٦ أخرجه أحمد ح ١٦٩٥٧- ١٥٤/٢٨، وابن حبان في صحيحه باب إخباره ﷺ عما يكون ح. ١٠٦٧-٩٣/١٥. نحوه، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح، والحاكم أبو عبد الله، في المستدرک على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ، في ك الفتن ح ٨٣٢٦- ٤٧٧/٤ مثله وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى باب إظهار دين النبي ﷺ ح. ١٩٠٩- ١٨١/٩، والطحاوي أبو جعفر، بيان مشكل الآثار، ت/ شعيب الأرنؤوط، ح. ٣٨٧/١٣-٣٨٩، وقال البيهقي نور الدين علي بن أبي بكر، في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الفكر، ١٤١٢ هـ ١٤/٦: رجال أحمد رجال الصحيح، وصححه الألباني ناصر الدين، في السلسلة الصحيحة، مكتبة المعارف- الرياض، ح ٣٢/١-٣ .

°٧ التبريزي، محمد الخطيب، مشكاة المصابيح، تحقيق الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ ح ٣٠٧/١-٤٢. وفيه (بيت مدر ولا وير) أي المدن والقرى والبوادي، وهو من وير الأبل أي شعرها لأنهم كانوا يتخذون منه ومن نحوه خيامهم غالباً، والمدر جمع مدرة وهي قطعة الطين اليابس.

°٨ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٧/٦ و٧٧٠٨ .

الأثر الثاني: العزة :

العزة لغة: هي القوة والغلبة والحمية والأنفة، يقال: رجل عزيز أي منيع لا يغلب ولا يقهر، ويقال عزَّ الرجل إذا قَوِيَ بعد ذلة وصار عزيزاً وأعزه الله^{٥٩}.

قال عز وجل ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون: ٨
قال القرطبي رحمه الله: لا توهموا أن العزة بكثرة الأموال والأولاد فبين الله أن العزة والمنعة والقوة لله^{٦٠}؛ فإنه كلما ازداد العبد إيماناً ازداد علواً وعزة، وكلما نقص إيمانه وضعف نقص من عزته وأصابه من الذل بقدر ما نقص من إيمانه. وتتمام هذه العزة في العبودية التامة لله عز وجل والتجرد والتخلص من عبودية الأهواء والشهوات والعباد، فالمسلم إذا أيقن أن الله هو ربه وخالقه والقادر على كل شيء ورازقه وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ لم تتحن رقبته ذلاً ومهانة للعباد رجاء جلب نفع أو دفع ضرر، ولم يرجو ولم يخف غير الله، ولم يتطلع إلى ما عند الخلق؛ فهو غني بالله عز وجل، فقير إليه، حوائجه كلها بيديه.

وهذه العزة تتبع من محبة العبد لربه وإيمانه بدينه يقول الله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُمْ أَذَلَّةً عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ المائدة: ٥٤
فمن صفات المؤمنين أنهم أذلة على المؤمنين أي أرقاء عليهم رحماء بهم، وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يحبون أحبائه ويعودون عليهم بالعطف والرحمة، وأنهم أعزة على الكافرين أي أشداء عليهم غلظاء بهم، وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يبعضون أعداءه وذلك من لوازم المحبة الصادقة^{٦١}.

وقد حصر سبحانه وتعالى العزة له ولرسوله ولمن آمن بهما فقال سبحانه ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨) فمهما بحث الإنسان عن العزة فلن يجدها في غير هذا الدين .

الأثر الثالث : الغيرة لدين الله

الغيرة بالفتح لغة هي الحمية والأنفة، يقال رجل غيور وامرأة غيور، قال القاضي عياض وغيره: هي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين هذا في حق الآدميين. أما في حق الله

^{٥٩} ابن منظور، لسان العرب، ٢/٧٦٤ مادة (عزز).

^{٦٠} القرطبي، أبو عبد الله محمد، الجامع لأحكام القرآن، المحقق: هشام البخاري، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ١٨/١٢٩.

^{٦١} الطبري، أبو جعفر محمد، جامع البيان في تأويل القرآن، ت/أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ج ٦/١٨٥.

تعالى فقال الخطابي: أحسن ما فُسرَّ به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ وَمِنْ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ الْغَيْرَةَ فِي الرَّيْبَةِ وَالْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ الْغَيْرَةَ فِي غَيْرِ رَيْبَةٍ وَالْخِيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ اخْتِيَالُ الْعَبْدِ بِنَفْسِهِ لِلَّهِ عِنْدَ الْقِتَالِ وَاخْتِيَالُهُ بِالصَّدَقَةِ وَالْخِيَلَاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ الْخِيَلَاءُ فِي الْفَخْرِ وَالْكَبْرِ).^{٦٢}

وقد أخذت النبي صلى الله عليه وسلم الغيرة على دين الله لأجل كلمات فيها تقديم ذكر اسم الكافر على المسلم، فسارع إلى بيان علو الإسلام وتصحيح الكلمات وإعادة ترتيب المفردات؛ (بل جاء عائذ بن عمرو وأبو سفيان).

ويوم الخندق أحاط اليهود بالمسلمين من الداخل -أي داخل المدينة -وكفار قريش وقبائل العرب من الخارج، يفصلهم عنهم الخندق الذي أشار بحفره سلمان الفارسي رضي الله عنه، واستمر الحصار مدة شهر، فرغب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكف أذى اليهود عن المسلمين، فأراد أن يصالح عبيدة بن حصن والحارث بن عوف رئيسي غطفان على ثلث ثمار المدينة على أن ينصرفا بقوتهم، وهذا من شأن الأعلى الشريف إذا أراد أن يكف أذى الأدنى عنه لم يكلف جداله وقتاله وأعطاه من المال يكفه. واستشار سعد بن عبادة زعيم الخزرج وسعد بن معاذ سيد الأوس رضي الله عنهما، فقالا وقد أخذتهما الحمية لدين الله والغيرة له: يا رسول الله! إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة، وإن كان شيئاً تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه، لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك نعطيهم أموالنا! والله، لا نعطيهم إلا السيف.

فصوب رأيهما، وقال (إنما هو شيء أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة).^{٦٤}

وعلى المسلم الغيور لدينه أن لا تذهب به شدة الغيرة عن حد الاعتدال وسلوك منهج الإسلام في معالجة الأمور. فأحياناً تشدد بالإنسان الغيرة والحمية فلا يدرك الأمور على

^{٦٢} انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، ت/محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٤١٥ - ١٩٩٥ باب الغين ص٤٨٨، الجزري، أبو السعادات المبارك، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ، ٧٥٤/٣، المباركفوري، محمد، تحفة الأخوي بشرح جامع الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٧٧/٤، شرح النووي لصحيح مسلم ١٣٢/١٠.

^{٦٣} أخرجه أحمد ح١٠-٢٣٨/٥٤٤ وقال الأناؤوط: حسن لغیره، والدارمي في سننه باب في الغيرة ح٢٢٢٦-٢٠٠/٢، والطبراني سليمان بن أحمد أبو القاسم، في المعجم الكبير، ت/ حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم-الموصل، ط١٤٠٤ - ١٩٨٣ ح١٧٧٣-١٨٩.

^{٦٤} انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ٢٧٢/٣.

نحو ما هي عليه وهذا يذكرنا بقصة صلح الحديبية التي كانت فتحاً للمسلمين، وقد جاء في هذا الصلح شروطاً منها أنه من جاء رسول الله ﷺ مسلماً أو كافراً من أهل مكة يرده إليهم، ومن جاءهم من المسلمين لا يردونه، وأن يرجع المسلمون إلى المدينة ولا يدخلوا مكة معتمرين عامهم هذا، فعظم ذلك في صدور بعض المسلمين؛ كيف يُرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟! ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: فأتيت النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، ألسنت نبي الله حقاً؟ قال (بلى) قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال (بلى) فقلت: علام نعطي الدنية في ديننا إذاً، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال (إني رسول الله، وهو ناصرني، ولست أعصيه) قلت: أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال (بلى، أفأخبرت أنك تأتيه العام؟) قلت: لا، قال (فإنك آتية ومطوف به) قال: فأتيت أبا بكر فقلت له كما قلت لرسول الله ﷺ، وردّ علي أبو بكر كما ردّ علي رسول الله سواء، وزاد: فاستمسك بفرزه حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً - أي صالحة ليكفر الله عنه ما قال -⁷⁰

والمسلم الغيور يشعر أن قلبه يضطرم حرقة وغضباً كلما رأى حرمات الله تنتهك ويسارع إلى تغييره وإنكاره وهو مع هذا ممتثل لقوله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥) لا كمن يمر على المنكرات وهو واسع الصدر بارد القلب غير مبالي ولا آبه ثم يدعي حباً لله وإيماناً يبلغ الجبال!

الأثر الرابع : شح المرء بدينه

حتى يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يُقذف في النار، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (ثلاثة من كن فيه وجد حلاوة الإيمان؛ أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)⁷¹، " فمن اعتقد ديناً ثم لم يكن في نهاية الشح به والإشفاق عليه كان ذلك دلالة على أنه لا يعرف قدره، ولا موضع الحظ لنفسه فيه، ومن كان الحق عنده حقيراً لم يسكن الحق قلبه. والشح بالدين

⁷⁰ انظر: زاد المعاد ٢/٢٩٥.

⁷¹ أخرجه البخاري ك الإيمان باب حلاوة الإيمان.

ينقسم قسمين؛ أحدهما: الشح بأصله كيلا يذهب، والآخر: الشح بكماله كيلا ينقص^{٦٧} .

وقد قصّ لنا سبحانه قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك^{٦٨}، وآثروا الصدق خشية النقص على دينهم، وصبروا على ما لاقوا، وثبتوا على دينهم حتى جاءتهم البشرى بقبول توبتهم؛ قال سبحانه ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ﴾ التوبة: ١١٨ وفي القصة؛ أن ملك غسان لما علم أن رسول الله ﷺ نهى المسلمين عن كلام الثلاثة خمسين يوماً بعث إلى كعب بن مالك - أحد الذين خُلفوا - كتاباً يواسيه ويدعوه للحاق بأرضه، فما كان منه إلا الاستعلاء بدينه والحمية له، فيمّم بكتاب ملك غسان التور فأحرقه^{٦٩} .

وهذا عبد الله بن حذافة شاب من أصحاب النبي ﷺ، أسره الروم في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، فذهبوا به إلى ملكهم فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد، فقال له الطاغية: هل لك أن تتصر وأشركك في ملكي وسلطاني؟ قال له عبد الله: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت. قال: إذا أقتلك! قال: أنت وذاك. قال: فأمر به فصلب، وقال للرماة: ارموه قريباً من يديه قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه وهو يأبى، ثم أمر به فأُنزل، ثم دعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ثم دعا بأسيرين من المسلمين فأمر بأحدهما فألقى فيها، وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقي فيها، فلما ذهب به بكى، فقيل له: إنه قد بكى، فظن أنه جزع، فقال: ردّوه. يعرض عليه النصرانية، فأبى. قال: فما أبكاك إذا؟ قال: أبكاني إن قُتلت هي نفس واحدة تلقى الساعة في هذه القدر فتذهب فكنت أشتهى أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفس تلقى هذا في الله. قال له الطاغية: هل لك أن تُقبّل رأسي وأُخلي عنك؟ قال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين. قال: وعن جميع أسارى المسلمين. قال عبد الله: فقلت في نفسي عدو من أعداء الله أُقبّل رأسه يخلي عني وعن أسارى المسلمين لا أبالي. قال: فدنا منه فقبّل رأسه. قال: فدفع إليه الأسارى، فقدم بهم على عمر، فأخبر عمر بخبره. فقال:

^{٦٧} انظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البهقي، شعب الإيمان، تحقيق محمد بسبوني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ، ٢٣٥/٢، بتصرف، راجعه فيه كلام نفيس.

^{٦٨} وهي غزوة العسرة كانت في قبض شديد مع قلة الزاد والراحلة، وعدو شديد، في شهر رجب سنة تسع قبل حجة الوداع ابن حجر فتح الباري ج/١١١.

^{٦٩} القصة تماماً أخرجها البخاري باب حديث كعب بن مالك ج٤١٥٦-٣/١٦٠، ومسلم باب حديث توبة كعب بن مالك ج٧١٩٢-٨/١٠٥.

حق على كل مسلم أن يُقبَل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ، فقام عمر فقبل رأسه.^{٧٠}

والقصة غنية عن التعليق وقد سقناها بطولها ليتبين للمسلم كيف كان ثبات أولئك الصحابة؛ يُغرون بزينة الدنيا ليركوا دينهم فيأبون، ويهددون بالقتل والحرق فيأبون ترك دينهم طرفة عين، ومن الناس من يتنازل عن بعض شعائر دينه مجاملة للكفار وربما عن دينه كله لعرض من الدنيا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الأثر الخامس: إظهار الدين والدعوة إليه

إن استشعار العلو يحمل صاحبه على تحمل الأذى في سبيل إظهار دينه وشعائره، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما أسلم قال: يا رسول الله على ما تُخفي ديننا ونحن على الحق، ويظهر دينهم وهو على باطل؟! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عمر إننا قليل، قد رأيت ما لقينا! فقال عمر: فو الذي بعثك بالحق لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإيمان.^{٧١} وهو الذي قال أيضاً العبارة المشهورة [إننا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله].^{٧٢}

ومن مقتضيات علو الإسلام إظهاره والدعوة إليه كما جاء في وصف هذه الأمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران: ١١٠ وقال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت: ٣٣). واحتمل الدعاة المشاق وقطعوا المسافات الطويلة لنشر دين الله وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، شعارهم في ذلك شعار ربي بن عامر رضي الله عنه [الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام].^{٧٣}

المبحث الخامس: منهج الكتاب والسنة في تعزيز مفهوم العلو في الأمة

أولاً: اتباع منهج القرآن الكريم في غرس هذه العزة

لقد سلك القرآن الكريم طرقاً عدة لجعل المسلم عزيزاً فخوراً بدينه إذ نجد أن المرتبطين بكتاب الله الذين يتلونه آناء الليل وأطراف النهار هم من أكثر الناس

^{٧٠} ابن عساکر، تاریخ دمشق ٢٧/٢٥٨، الذهبي، سير أعلام النبلاء ٢/١٤، آل عیسی، عبد السلام بن محسن، دراسة نقدية في الروايات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ٢/١٠٨.

^{٧١} ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر الكتاب موقع يعسوب ٣/٣١٣.

^{٧٢} أخرجه الحاكم ك الإيمان ح٢٠٧-١٣٠/١٣٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لاحتجاجهما جميعاً بأبيوب بن عائد الطائي وسانر رواه ولم يخرجاه، وله شاهد من حديث الأعمش عن قيس بن مسلم، ووافقه الذهبي.

^{٧٣} الطبري محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت، دار الكتب العلمية ط١٤٠٧-١٠٤٠/٤٠٧.

اعتزازاً بدينهم ونبيلهم وكتابهم، وهم أعلى الناس شأنًا؛ مصداقاً لقوله ﷺ « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ الْآخَرِينَ ۗ » . وهذا المنهج هو الآتي:

١. تقديم المؤمن في الذكر على غيره، وهذا يدل على شرفه وفضله، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢). ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة: ٦٩). ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: ١٧).

٢. بيان علو شأن المؤمن وعدم استوائه مع الفاسق والكافر في الدنيا والآخرة قال عز وجل ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (السجدة: ١٨)، وقال ﴿أَفَجَعَلُ الْمُؤْمِنِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (القلم: ٣٥-٣٦).

٣. الإخبار بأن الله لا يقبل غير الإسلام قال عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥) وهو الدين الذي أتمه وأكمله وارتضاه لعباده فقال سبحانه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣).

٤. أن النصر والغلبة للمؤمنين يقول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ المائدة: ٥٦. وقال سبحانه ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ غافر: ٥١، والآيات في هذا المعنى كثيرة، والإيمان بأن المستقبل لهذا الدين يجعل المسلم عزيزاً قوياً يهاب جانبه ولا يهاب.

٥. دعوة المؤمن إلى الإحساس بالاستعلاء والقوة التي تتبع من إيمانه بالله وبقينه بنصره قال سبحانه ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَنُنِيرُكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (محمد: ٣٥) وقال سبحانه ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُونَ كَمَا تَأْمُونُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٠٤). أي أنتم وأعداءكم سواء فيما يصيبكم وإياهم من جراح وآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبة والنصر

^{٢٤} أخرجه مسلم باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ح ١٩٣-٢٠١/٢.

والتأييد، والله معكم ومولاكم، وهم لا يرجون شيئاً من ذلك، فشدوا من عزائمكم وقوا همتمكم في إقامة دين الله وإعلائه. وأنه لا ينبغي ولا يليق بالمؤمنين الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان^{٧٥}، ولهذا قال تعالى ﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٩

٦. بيان حاجة الناس إلى الإسلام: فالقرآن الكريم كثيراً ما يصور لنا حال المؤمنين وما هم عليه من الطمأنينة والحياة الطيبة وحال الكفار وما هم عليه من ضلال وضيق قال سبحانه ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٥) فتارة يضرب الله تعالى للمؤمن والكافر مثلاً بالأعمى والأصم والسميع والبصير قال تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يُسَوِّيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (هود: ٢٤).

وتارة بالحي والميت قال سبحانه ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢) قال ابن كثير رحمه الله لهذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتاً في الضلالة هالكاً حائراً فأحياه الله؛ أي أحيا قلبه بالإيمان وهداه له ووقفه لاتباع رسله (كمن مثله في الظلمات) أي الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة (ليس بخارج منها) أي لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص مما هو فيه^{٧٦}.

وصور لنا القرآن صورة أخرى للعابد لشهواته وأهوائه فهو يتخبط في الأرض في سبيل إشباعها أو في سبيل طاعة من عبد مع الله أياً كان صنماً أم هوى أم بشراً فشبهه بالعبد المشترك قال سبحانه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يُسَوِّيانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: ٢٩) وهكذا يبين لنا القرآن الكريم أن المخرج من ذلك الضلال وذلك التخبط هو اعتناق الإسلام، فالناس أجمعون بحاجة إلى هذا الدين ليعيشوا أحراراً من ذل عبودية العباد والأهواء فينجوا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. قال سبحانه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧).

^{٧٥} انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/٢، ٤٠٤. والسعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ١٤٩/١.

^{٧٦} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/٣٣٠.

ثانياً: منهج النبي ﷺ في ترسيخ العلو في نفوس المسلمين

١. تقديم المسلم في الذكر للدلالة على فضله وشرفه، كما هو في مناسبة ورود الحديث، قال ابن حجر رحمه الله: (وفي هذه القصة أن للمبدأ به في الذكر تأثيراً في الفضل لما يفيد من الاهتمام وليس فيه حجة على أن الواو ترتب ثم وجدته من قول ابن عباس كما كنت أظن^{٧٧}).

٢. كما أن فيه لفت انتباه المسلمين إلى ضرورة الابتعاد عن كل لفظ فيه رفع لشأن الكافر على المسلم، وعدم الاستهانة بأثر الكلمات وفعالها في الأنفس؛ فإن لبعضها وقع أشد من وقع السنان، من ذلك نهي النبي ﷺ عن توجيه كلمة سيد ومولى ونحوها مضافة إلى ياء المتكلم للكافر، فلا يقال: سيدي ومولاي، ولا سيدنا ومولانا، فعن بريدة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ (لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدًا فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ^{٧٨})، وإنما السيد المستحق للسؤدد هو الذي معه الأسباب العالية التي يستحق بها ذلك، ولا يكون ذلك إلا للمسلم.

٣. أرشد ﷺ المسلمين إلى أن الكرم والشرف إنما يكون بالإسلام، فحينما قدموا ذكر أبي سفيان على عائذ لشرف نسبه؛ أرشدهم إلى تقديم ذكر عائذ على أبي سفيان لشرف دينه الذي يعلو ولا يعلى عليه، كما قال ﷺ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَأَفْضَلُ لِعَرَبِيٍّ عَلَيَّ أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَيَّ عَرَبِيٍّ وَلَا لِحَمْرٍاءٍ عَلَيَّ أَسْوَدٍ وَلَا أَسْوَدٍ عَلَيَّ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى^{٧٩}).

٤. تبشير النبي ﷺ الصحابة رضي الله عنهم بل المسلمين جميعاً بأن العاقبة لهذا الدين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (بيننا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا قطع السبيل فقال (يا عدي هل رأيت الحيرة)؟ قلت: لم أرها وقد أُبْتُت عليها قال (فإن طالت بك الحياة لترين الطعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا الله) - قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دُعَار طيء الذين قد سَعَرُوا في البلاد - ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى). قلت كسرى بن هرمز؟ قال (كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه... قال عدي: فرأيت

^{٧٧} ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دارالمعرفة ٢٢٠/٣.

^{٧٨} أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، ت/ الألباني، دار الكتاب العربي-بيروت، باب لا يقول الملوك ربي وربّي ح ٤٩٧٩-٤٥١٤/٤ قال الألباني: صحيح.

^{٧٩} أخرجه أحمد ح ٢٣٥٣٦-٤١١/٥ قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

الظلعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن
افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالبت بكم الحياة لترون ما قال أبو القاسم رضي الله عنه
(يخرج ملء كفه)^{٨٠}.

٥. إظهار فضيلة المسلم وضلال الكافر، وفي هذا مناسبة ورود الحديث، فلا مقارنة
بين مسلم وكافر؛ إذ الميزان هو التقوى، وإليكم هذا الموقف الذي يرينا كم
كان هذا الميزان راسخاً في نفوس صغار الصحابة رضي الله عنهم! عن عراق بن
مالك [أن حكيم بن حزام قال: كان محمد النبي أحب الناس إلي في الجاهلية فلما
تتبأ و خرج إلى المدينة خرج حكيم بن حزام الموسم فوجد حلة لذي يزن تباع
بخمسين درهما فاشتراها ليهديا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقدم بها عليه وأراده على
قبضها فأبى عليه قال عبيد الله: حسبت أنه قال: إنا لا نقبل من المشركين شيئاً
ولكن أخذناها بالثمن فأعطيها إياه حتى أتى المدينة فلبسها فرأيتها عليه على
المنبر فلم أر شيئاً قط أحسن منه فيها يومئذ ثم أعطاها أسامة بن زيد فرآها
حكيم على أسامة فقال: يا أسامة أنت تلبس حلة ذي يزن؟ قال: نعم لأنا خير من
ذي يزن ولأبي خير من أبيه ولأمي خير من أمه قال حكيم: فانطلقت إلى مكة
أعجبهم بقول أسامة]^{٨١}.

٦. أرشد عليه الصلاة والسلام صحابته إلى الانتماء إلى الإسلام، وذلك ظاهر من
مناسبة ورود الحديث، حيث إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم عائداً قدمه فقط لأجل
إسلامه، لا لنسب ولا لحسب ولا لغيرهما، وهو بذلك يدل على أن هذه الأمة تذوب
فيها كل فوارق الجنس واللون وسائر الاعتبارات الأرضية ويبقى الإسلام هو
الرابط الوحيد الذي يجمع أصحابه، عن أبي عقبة رضي الله عنه وكان مولى من أهل فارس
قال: [شَهِدْتُ مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم يَوْمَ أُحُدٍ فَضَرَبْتُ رَجُلًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ فَقُلْتُ خُذْهَا
مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ الْفَارِسِيُّ فَبَلَغَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم فَقَالَ هَلَّا قُلْتَ خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الْغُلَامُ
الْفَارِسِيُّ] [٨٢].

^{٨٠} أخرجه البخاري باب علامات النبوة ح. ١٣١٦/٣-٣٤٠٠.

^{٨١} أخرجه بتمامه الحاكم، باب ذكر مناقب حكيم بن حزام ح. ٥٥١/٣-٦٠٥٠ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، والطبراني في المعجم الكبير ح. ٢٠٢/٣-٣١٢٥ بنحوه، وأخرجه أحمد مختصراً دون حديث أسامة لحكيم ح. ٤٠٢/٣-١٥٣٥٨ قال محققه الأرنؤوط: إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين غير عتاب بن زياد فمن رجال ابن ماجه وعبيد الله بن المغيرة - وهو ابن معيقب السبي - فمن رجال الترمذي وابن ماجه وهما ثقتان.

^{٨٢} أخرجه أبو داود باب في العصبية ح. ٤٩٤/٤-٥١٢٥ قال الألباني: ضعيف، وابن ماجه باب النية في القتال ح. ٩٣١/٢-٢٧٨٤، وأحمد ح. ٢٢٥٦٨/٥-٢٩٥٠ قال الأرنؤوط: ضعيف.

فهذا إرشاد من النبي ﷺ لأبي عقبة إلى الانتساب إلى الأنصار الذين ناصرُوا الإسلام ورسوله وآووا إخوانهم المهاجرين . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :
أرشد رسول الله ﷺ إلى الانتساب إلى الأنصار وإن كان بالولاء وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصرافة وهي نسبة حق ليست محرمة ويشبه والله أعلم أن يكون من حكمة ذلك أن النفس تُحامي عن الجهة التي تنتسب إليها فإذا كان ذلك لله كان خيراً للمرء ٨٢٤ ورحم الله القائل :

أبي الإسلام لا أبا لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

المبحث السادس: أحكام تتعلق بعلو الإسلام

المسألة الأولى: النهي عن التشبه بالكفار

والتشبه لغة مأخوذ من المشابهة وهي المماثلة والمحاكاة والتقليد ، والمتشابهات هي المتماثلات ،

يقال: أشبه فلان فلاناً؛ أي ماثله وحاكاه وقلده^{٨٢}. والذي نهى عنه هو مماثلة الكافرين بشتى أصنافهم في عقائدهم أو عباداتهم، أو عاداتهم، وفي أنماط السلوك التي هي من خصائصهم. ومن أدلة النهي عن التشبه بغير المسلمين :

(١) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ^{٨٥}) فهذا الحديث كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:٥١)^{٨٦}.

(٢) نهى النبي ﷺ صحابته عن تقليد الكفار والمشركين وأهل الكتاب في زيهم وعاداتهم، من ذلك ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ثَوْبَيْنِ مُعَصَّرَيْنِ فَقَالَ (إِنَّ هَذِهِ مِنْ ثِيَابِ الْكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسُهَا)^{٨٧}. وعن ابن عباس: أن

^{٨٢} ابن تيمية، أحمد ، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ت/محمد الفقي، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة، ط:٢، ١٣٦٩، ص٧٣.

^{٨٤} انظر: لسان العرب ٥٠٣/١٣ مادة (شبه).

^{٨٥} أخرجه أبو داود باب في لبس الشهرة ح٤٠٣٣-٧٨/٤ قال الألباني: حسن صحيح.

^{٨٦} ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص٨٣.

^{٨٧} أخرجه مسلم باب النبي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ح١٤٣/٦-٥٥٥٥.

رسول الله ﷺ كان يسدل شعره، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم، وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء، ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه^{٨٨}. والفرق أن يجعل شعره فرقتين، كل فرقة ذؤابة، والسدل أن يسدله من ورائه ولا يجعله فرقتين^{٨٩}.

(٣) قوله ﷺ (لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرٍ ضَبٌّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ). قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ قَالَ: فَمَنْ^{٩٠}، والاتباع هو الاقتفاء والاستئناس، وهو لفظ خبر معناه النهي عن اتباعهم ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام لأن شرعته نسخت الشرائع، والمراد الموافقة في المعاصي لا في الكفر، ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى الشرع عنه وذمه^{٩١}.

بعض أهم أسباب وقوع المسلمين في التشبه بالكافرين :

(١) الهزيمة النفسية التي يعاني منها كثير من المسلمين المغترين بالحضارة الغربية، وما ذلك إلا لضعف الإيمان في قلوبهم؛ ذلك الإيمان الذي يُبصر صاحبه بحقيقة الإنسان والحياة، وبالتالي يدرك قيم الأشياء ويستطيع أن يميز به بين الحسن والقبيح، ويدرك أن تأخر المسلمين التقني والعمراني ونحوهما هو بسبب بعدهم عن دينهم وتعاليمه العظيمة التي تدعوهم إلى العلم والعمل والتفكير في الكون وعمارته، لا في التمسك بأذيال الحضارة الغربية التي عمرت الأرض ودمرت الإنسان. وشأن الضعيف التشبه بالقوي كما في قول ابن خلدون في مقدمته: لأن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه: إما لنظره بالكمال بما وفر عندها من تعظيمه، أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي إنما هو لكمال الغالب^{٩٢}.

^{٨٨} أخرجه الترمذي محمد بن عيسى، في الشمائل، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط: ١٠، ١٤١٢، باب ما جاء في شعر النبي ﷺ ح ١٠٣/٥٠. زاد المعاد ١/١٧٥.

^{٩٠} أخرجه البخاري باب قول النبي ﷺ (لتتبعن سنن من كان قبلكم) ح ٦٨٨٩/٦-٢٦٦٩، ومسلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ح ٦٩٥٢/٥٧/٨. انظر: ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٦، شرح صحيح مسلم للنووي ١/٢٢٠، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/٢٠٠، المناوي، فيض القدير، بيروت، دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ٥/٣٣٣.

^{٩٢} ابن خلدون، المقدمة، مصدر الكتاب موقع الوراق ص ٧٣.

٢) الغزو الفكري والانفتاح الكبير على العالم عبر وسائل الاتصالات السريعة، والتي أخذت تسقي أطفال المسلمين الثقافات الغربية والشرقية البعيدة عن الإسلام كل البعد منذ نعومة أظفارهم، ويتلقونها على أنها الأمتل والأفضل؛ فينشأ الناشئ وقد اصطبغ بغير صبغة الإسلام في فكره ومنطقه وفعله .

قواعد في التشبه :

١) لا يحل لنا أن نشابه الكفار فيما لم يكن من ديننا لا أصل ولا وصفاً وتفصيلاً ذلك أن أعمالهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مشروع في ديننا مع كونه كان مشروعاً لهم أو لا نعلم أنه كان مشروعاً لهم لكنهم يفعلونه الآن فهنا نتبع المخالفة في الصفة، مثال ذلك: صوم يوم عاشوراء، كان العرب يصومونه قبل الإسلام، ويعظمه اليهود والنصارى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال (حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم نعتظمه اليهود والنصارى. فقال رسول الله ﷺ « فإذا كان العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع » . قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ^{٩٣} .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: [فتدبر هذا يوم عاشوراء يوم فاضل يكفر صيامه سنة ماضية، وصامه رسول الله وأمر بصيامه ورغب فيه، ثم لما قيل له قبيل وفاته، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى أمر بمخالفتهم بضم يوم آخر إليه وعزم على فعل ذلك^{٩٤}] وهذا القسم منه المحرم ومنه المكروه.

القسم الثاني: ما كان مشروعاً لهم ثم نُسح بالكلية كتحریم أكل الشحم وكل ذي ظفر وكالسبت فلا يجوز لأحد فعل ذلك على وجه التدين بل الموافقة والمشابهة فيه أقرب من المشابهة والموافقة فيما هو مشروع. وهذا القسم المشابهة فيه محرمة.

القسم الثالث: وهو ما أحدثوه من العبادات أو العادات أو كليهما فهذه بدع محدثة وقد نهينا عن البدع فكيف بمشابهة الكافرين أيضاً فيه؟!

٢) ما لم يكن من خصائص الكفار، ولا من عقائدهم ولا من عاداتهم، ولا من عباداتهم، ولم يعارض نصاً أو أصلاً شرعياً ولم يترتب عليه مفسدة فإنه لا يكون من التشبه.

^{٩٣} أخرجه مسلم باب أي يوم يصام في عاشوراء ح ٢٧٢٢-٣/١٥١.

^{٩٤} اقتضاء الصراط المستقيم ص ٨٧.

٣) كما أننا منهيون عن التشبه بالكافرين؛ مأمورون بمخالفتهم قال عليه الصلاة والسلام (إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ^{٩٥}).

المسألة الثانية: لا ولاية لكافر على مسلم

المراد بالولاية هنا: حق تنفيذ القول على الغير شاء الغير أم أبى^{٩٦}. ومنه الولاية الخاصة: وهي الولاية على أشخاص معينين في النفس أو المال أو فيهما جميعاً.
والولاية العامة: وهي الولاية على أشخاص غير معينين؛ كولاية القاضي وولاية أمير المؤمنين^{٩٧}.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وجميع الولايات في الإسلام مقصودها أن يكون الدين لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، فإن الله تعالى خلق الخلق لذلك، وبه أنزل الكتب، وبه أرسل الرسل، وعليه جاهد الرسول والمؤمنون، قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ﴾ (الذاريات: ٥٦)...وجميع هذه الولايات هي في الأصل ولاية شرعية ومناصب دينية^{٩٨}

وللولاية العامة عدة رتب وتوضيحا كالآتي:

- إمامة المسلمين ويشترط فيه الإسلام إجماعاً^{٩٩} فلا يتحقق المقصد من الولاية بغيره، قال سبحانه ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١).
- رتبة القضاء^{١٠٠}: ويشترط فيه شروطاً أهمها الإسلام لكونه شرطاً في جواز الشهادة مع قول الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٤١) فلا يجوز أن يُقْلَدَ الكافر القضاء على المسلمين^{١٠١}.
- الوظائف التي فيها اطلاع على دواخل المسلمين، وفيه قيام بمصالحهم، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عَنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾

^{٩٥} أخرجه البخاري باب الخضاب ج٥٥٥٩/٥٠٢٢١، ومسلم باب في مخالفة اليهود في الصبغ ج٥٦٣٢/٦٠١٥٥.

^{٩٦} انظر: الجرجاني، علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دارالكتاب العربي - بيروت، ط: ١، ١٤٠٥، ص٣٢٩.

^{٩٧} معجم لغة الفقهاء ص١٢٥.

^{٩٨} ابن تيمية، كتاب الحسية، موقع الإسلام، ص١٣ و١٢.

^{٩٩} انظر: النووي شرح صحيح مسلم ٢٢٩/١٢.

^{١٠٠} انظر: المواردي، كتاب الأحكام السلطانية، موقع الإسلام، ص١١٠، ابن جماعة محمد بن إبراهيم، كتاب تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق

فؤاد عبد المنعم، دار الثقافة- قطر، ط ١٤٠٨ هـ ص٨٨،

^{١٠١} علي بن نايف الشجود، كتاب المفصل في شرح الشروط العمرية، ١٩٢/١ و٣٦٤.

(آل عمران: ١١٨)، وقال رسول الله ﷺ (مَنْ وَلَّى أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ فِيهِمْ مَنْ هُوَ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ، وَأَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسَنَةَ نَبِيِّهِ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)^{١٠٢} فكيف بتولية غير المسلم!

وعن ابن الدهقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن هاهنا غلاماً من أهل الحيرة، حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتباً فقال: قد اتخذت إذا بطانة من دون المؤمنين^{١٠٣}.
وقدم أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنه بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه، وجاء عمر كتاب، فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال: لم! أجنب هو؟ قال: إنه نصراني؛ فانتهره عمر وقال: لا تُدْنِهِمْ وَقَدْ أَقْصَاهُمْ اللَّهُ، وَلَا تُكْرِمِهِمْ وَقَدْ أَهَانَهُمُ اللَّهُ، وَلَا تَأْمَنَّهُمْ وَقَدْ خَوَّنَهُمُ اللَّهُ. وعن عمر رضي الله عنه قال: لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرِّشَاءَ، واستعينوا على أموركم وعلى رعييتكم بالذين يخشون الله تعالى^{١٠٤}.

ففي هذه الآثار مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استتالة على المسلمين وإطلاع على دواخل أمورهم التي يخشى أن يُفْشَوْهَا إِلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ؛ ويشمل أيضاً جميع المراكز والوزارات على اختلاف مسمياتها المختصة بمصالح الرعية -، ولأن هذا العمل ولاية شرعية^{١٠٥}، ومن شروط مُتَوَلِّي هذه الأعمال الأمانة والنصح للمسلمين، والحرص على مصالحهم، وهذه الشروط غير متحققة في المشركين، قال الله تعالى ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (البقرة: ١٠٥)، وقال تعالى ﴿ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ المتحنة: ٢

^{١٠٢} انظر: أخرجه أبو بكر محمد بن خلق الضبي الملقب بـ وكيع، كتاب أخبار القضاة، المحقق عبد العزيز المراني، المكتبة التجارية الكبرى، ط ١٣٦٦هـ، ٦٨/١، والعقبلي في كتابه الضعفاء الكبير، ح ٢٠٠/٢٣٩٣، وضعفه، وبنحوه أخرجه الحاكم أبو عبد الله في كتابه المستدرک على الصحيحين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ١٤١١هـ، ح ٧٠٢٣/٤٠٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأخرجه البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر في السنن الكبرى، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الباز- مكة، ط ١٤١٤هـ، باب لا يولي الوالي امرأة ولا فاسقاً ح ٢٠١٥١-١١٨/١. من طريق أخرى ضعيفة لضعف ابن لهيعة، لكن الطريقتين يتقويان ببعضهما ويشهد له حديث أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً (من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم) أخرجه الحاكم ح ٧٠٢٤/٤٠٤، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^{١٠٣} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ١٠٧/٢.

^{١٠٤} القرطبي كتاب الجامع لأحكام القرآن ١٧٩/٤.

^{١٠٥} قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الحسبة [والولايات كلها: الدينية مثل إمرة المؤمنين، وما دونها: من ملك، ووزارة، ودبوانية، سواء كانت كتابة خطاب، أو كتابة حساب لمستخرج أو مصرف أو أزواق المقاتلة أو غيرهم، ومثل إمارة حرب، وقضاء وحسبة] ص ٣٤

والولاية الخاصة ومن أنواعه ما يأتي:

النوع الأول: ولاية النكاح وهو النظر في أمر النكاح والإذن فيه أو المنع منه^{١٠٦}. وقد أجمع العلماء رحمهم الله على عدم ثبوت ولاية النكاح لكافر على مسلمة، ونقل الإجماع عنهم ابن المنذر رحمه الله فقال: [أجمع عامة من نحفظ عنه من أهل العلم على هذا]^{١٠٧}

وقال ابن رشد رحمه الله: [وأما النظر في الصفات الموجبة للولاية والسالبة لها، فإنهم اتفقوا على أن من شرط الولاية الإسلام والبلوغ والذكورة، وأن سوابها أضرار هذه أعني الكفر والصغر والأنوثة]^{١٠٨}.

وقال الإمام الشافعي: [ولا يكون الكافر ولياً لمسلمة وإن كانت ابنته؛ قد زوج ابن سعيد بن العاص النبي ﷺ أم حبيبة وأبو سفيان حي لأنها كانت مسلمة وابن سعيد مسلم لا أعلم مسلماً أقرب بها منه، ولم يكن لأبي سفيان فيها ولاية لأن الله تبارك وتعالى قطع الولاية بين المسلمين والمشركين]^{١٠٩}.

وما ذلك إلا لأن ولاية النكاح فيها سلطة ولا يكون هذا لكافر على مسلم قال سبحانه ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (سورة النساء: ١٤١) والإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

وكذلك لا يحل لمسلمة النكاح بغير مسلم لقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَعَبَدُوا مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١) ولأن الزوج له حق القوامة على الزوجة ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ (النساء: ٣٤) والقوامة تشريف وولاية ولا تكون لكافر على مسلمة؛ فالإسلام يعلو ولا يعلى، وبه قال عامة الفقهاء^{١١٠}.

قال الإمام السرخسي رحمه الله: [وإذا تزوج الذمي مسلمة حرة فرق بينهما لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَعَبَدُوا مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢١) ولقوله

^{١٠٦} المرجع السابق.

^{١٠٧} نقله عنه ابن قدامة عبد الله بن أحمد أبو محمد المقدسي، كتاب المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر-بيروت، ط ١٤٠٥هـ، ٤٦٥/٩.

^{١٠٨} ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد أبو الوليد القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مطبعة مصطفى البابي-مصر، ط ١٣٩٥هـ، ١٢/٢.

^{١٠٩} الشافعي محمد بن إدريس أبو عبد الله، الأم، دارالمعرفة-بيروت، ١٣٩٣هـ، ١٦/٥.

^{١١٠} السرخسي، شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل، المبسوط، ت/خليل معي الدين الميس، دار الفكر-بيروت، ط ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م ٨٠/٥، الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، الناشر دار الفكر مكان النشر بيروت/١٦٤٣، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/٣٠٥/٦.

ﷺ: "الإسلام يعلو ولا يعلى"، فاستقر الحكم في الشرع على أن المسلمة لا تحل للكافر¹¹¹.

النوع الثاني: الحضانة

والحضانة : بفتح الهاء وكسرهما، والفتح أشهر مصدر حضنت الصغير حضانة تحملت مؤنثه وتربيته مأخوذة من الحضن - بكسر الحاء - وهو الجنب لأن الحاضنة تضم الطفل إلى جنبها¹¹².

وفي الشرع : حفظ من لا يستقل بأمور نفسه عما يؤذيه لعدم تمييزه كطفل وكبير مجنون والقيام بتربيته وبما يصلحه من طعام وشراب ولباس ونحو ذلك¹¹³.

حكم حضانة الطفل :

واجبة لأنه يهلك بتركه، فيجب حفظه عن الهلاك كما يجب الإنفاق عليه وإنجاؤه من المهالك، ويتعلق بها حق لقرابته لأن فيها ولاية على الطفل واستحقاقاً له فيتعلق بها الحق إلا أن يكون هذا القريب كافراً فلا تثبت له الحضانة على مسلم لما ذكرنا من أن الحضانة ولاية ولا ولاية لكافر على مسلم؛ فقد قطع سبحانه الولاية بين المؤمنين والكافرين فقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (سورة التوبة: ٧١) والإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

وإذا كانت الحضانة لا تثبت لفاسق على مسلم لأنه غير موثوق به، فلا تثبت لكافر من باب أولى.

كما أن الحضانة إنما جُعِلت لحظ الولد، ولا حظ للولد في حضانة الكافر لأنه ينشأ على طريقتة ويفتته عن دينه ويعلمه الكفر وهذا من أعظم الضرر. وهو مذهب الشافعية والحنابلة وغيرهم¹¹⁴. ومذهب الحنفية¹¹⁵ والمالكية¹¹⁶ أنه لا يشترط إسلام

¹¹¹ السرخسي، المبسوط، ٨٠/٥.

¹¹² انظر: الصحاح في اللغة ١٣٥/١ مادة حضن، لسان العرب ١٢٢/١٣ مادة حضن، مختار الصحاح ١٦٧ باب الحاء. المناوي محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ت.د. محمد رضوان الدابة، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٠هـ، ٢٨٣/١ فصل الضاد، التعريفات ١١٩/١ باب الحاء.

¹¹³ انظر: نحو هذا التعريف في ابن نجيم زين الدين الحنفي، كتاب البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة-بيروت ١٨٢/٤، الحطاب الزُّعيني شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي، كتاب مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، تحقيق زكريا عميرات، دار عالم الكتب، ط١٤٢٣هـ، ٥٩٣/٥، الديمياطي أبو بكر ابن السيد محمد شطرا، حاشية إغانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين، دار الفكر-بيروت، ١٠/٤، مغني

المتناج ٤٥٢/٣، أبو النجا الحجاوي شرف الدين موسى، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ت/عبد اللطيف السبيكي، دار المعرفة-بيروت، ١٥٧/٤.

¹¹⁴ انظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، كتاب المجموع شرح المهذب، موقع مكتبة المسجد النبوي ٣٢٠/١٨، المغني ٢٩٧/٩.

¹¹⁵ انظر: ابن نجيم، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ١٨٢/٤، والكاساني علاء الدين، كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتاب العربي- بيروت، ط ١٩٨٢، ٤٢/٤.

¹¹⁶ انظر: الدردير أبو البركات أحمد بن محمد العدوي، كتاب الشرح الكبير، ٥٢٩/٢، ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ٥٩٨/٥.

الحاضنة واستدلوا بحديث رافع بن سنان أنه أسلم وأبَت امرأته أن تُسلم فأبَت النَّبِيُّ ﷺ فقالت ابنتي وهى فطيم أو شبهه وقال رافع ابنتي. فقال له النَّبِيُّ ﷺ «أفعد نأحية» وقال لها «أفعدى نأحية». قال وأفعد الصبيَّة بينهما ثم قال «ادعواها» فمالت الصبيَّة إلى أمها فقال النَّبِيُّ ﷺ «اللهم اهدها» فمالت الصبيَّة إلى أبيها فأخذها^{١١٧}. قالوا: والتخيير دليل على جواز حضانة الكافر للمسلم.

والراجع والله تعالى أعلم: عدم ثبوت حق الحضانة للأم الكافرة على الولد إذا كان أبوه مسلماً؛ لقوة أدلة أصحاب هذا القول، ولما علم من قواعد الشريعة الإسلامية من سد الذرائع، وحضانة الكافر للولد ذريعة قوية لفتنته عن دينه. وأما بالنسبة للحديث الذي استدل به أصحاب القول الثاني فيُجاب عنه بعدة أجوبة منها:

١. أنه منسوخ^{١١٨}.

٢. أنه محمول على أن النبي ﷺ علم أنها تختار أباهها بدعوته فكان ذلك خاصاً في حقه وقصد من التخيير استمالة قلب أمها ونحوه إذ لو كان لأمه حق الحضانة لأقرها عليه ولما دعا^{١١٩}.

النوع الثالث: تبعية الأولاد إذا كان أحد الأبوين مسلماً

يتبع الأولاد المسلم من الأبوين لأن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، كما أن الإسلام هو دين الفطرة، وأما الكفر فيعرض بعد ذلك قال سبحانه «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» (سورة الروم: ٣٠) وقال عليه الصلاة والسلام (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصره أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء)^{١٢٠} فعلى هذا يتبع الولد الدين الحق الإسلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمى من المستضعفين؛ أنا من الولدان وأمى من النساء^{١٢١} ولم يكن ابن عباس مع أبيه العباس على دين قومه، إذ أن إسلام العباس ﷺ كان بعد وقعة بدر. وقال الحسن وشريح وإبراهيم

^{١١٧} أخرجه أبو داود باب إذا أسلم أحد الأبوين ... ج٢٤٠/٢-٢٢٤٦/٢٠٠٠ وصححه الألباني، النسائي باب إسلام أحد الزوجين.. ح١٨٥/٦-٣٤٩٥ وصححه الألباني وفي السنن الكبرى ح٦٣٨٦-٨٢/٤، وابن ماجه باب تخيير الصبي بين أبويه ح٧٨٨/٢-٢٣٥٢ وصححه الألباني، وأحمد ح٤٤٧/٥-٢٣٨١٠ وقال الأرناؤوط: صحيح.

^{١١٨} انظر: مغني المحتاج ٤٥٥/٣، المجموع ٣٢٠/١٨.

^{١١٩} انظر: المغني ٢٩٨/٩، مغني المحتاج ٤٥٥/٣.

^{١٢٠} أخرجه البخاري باب ما قيل في أولاد المشركين ح١٣١٩-١٠١٦٥، ومسلم باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ح٦٩٢٦-٥٢/٨.

^{١٢١} أخرجه البخاري باب إذا أسلم الصبي ... ح١٢٩١-٤٥٥/١٠.

وقتادة: إذا أسلم أحدهما فالولد مع المسلم. وهذا مذهب الحنابلة^{١٢٢} والشافعية^{١٢٣} والحنفية^{١٢٤}.

وقال بعض المالكية^{١٢٥}: يتبع الولد دين أبيه مسلماً كان أبوه أو كافراً. واستدلوا على ذلك بأن الولد يشرف بشرف أبيه وينسب إلى قبيلته دون قبيلة أمه فوجب أن يتبع أباه في دينه أي دين كان.

النوع الرابع: العمل (مؤاجرة المسلم نفسه من المشرك^{١٢٦}).

يختلف الحكم في هذه المسألة فيما لو كانت المؤاجرة في أرض الإسلام أو أرض الكفر على النحو الآتي:

إذا كانت المؤاجرة في أرض الإسلام فإن لها ثلاثة أنواع:

أحدها الإجارة على عمل معين في الذمة كخياطة الثوب أو قصارته ونحو ذلك فهذه جائزة لأنه لا ولاية للذمي على المسلم فيها وليس فيها إذلال للمسلم، قال ابن قدامة رحمه الله في هذه الصورة: بغير خلاف نعلمه^{١٢٧}.

وقال ابن المنير رحمه الله: لاستقرت المذاهب على أن الصناعات في حوانيتهم يجوز لهم العمل لأهل الذمة، ولا يعد ذلك من المذلة بخلاف أن يخدمه في منزله وبطريقة التبعية له^{١٢٨}.

الثاني: إجارة الخدمة وهذه غير جائزة لأن فيها حبس للمسلم على الكافر وإذلال له وإهانة تحت يد الكافر فلم يجز كبيع العبد المسلم للكافر، ولأنها بيع منافع والمنافع أجري مجرى الأعيان، فلا يجوز بيع رقبته ولا بعضها ولا منفعه من الذمي.

^{١٢٢} انظر: المغني ٩١/١٠.

^{١٢٣} انظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، كتاب المجموع شرح المذهب، موقع مكتبة المسجد النبوي، ٣٢٦/١٩.

^{١٢٤} انظر: السرخسي، كتاب المبسوط ١٠٧/١٠، الزيلعي فخر الدين عثمان بن علي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، ط ١٣١٣هـ، ٢٤٣/١.

^{١٢٥} انظر: ابن عبد البر أبو عمرو يوسف القرطبي، الكافي في فقه أهل المدينة، ت/ محمد محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، ط ١٤٠٠هـ، ص ٢٩٧، ابن عبد البر يوسف بن عبد الله أبو عمر، كتاب الاستدكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت، ط ٢٠٠٠م، ١١٦/٣.

^{١٢٦} انظر: علي بن نايف الحشود، المفصل في الشروط العمرية ١٨٩/١، الفحطاني محمد بن سعيد، كتاب الولاء والبراء، ٣١٤/١، ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر الزرعي أبو عبد الله، كتاب أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف البكري، دار ابن حزم-الدمام، ط ١٤١٨هـ، ٨٥/١ وما بعدها.

^{١٢٧} المغني ١٣٨/٦.

^{١٢٨} نقله عنه ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٤٥٢/٤.

الثالث: إجارة نفسه على عمل غير لخدمة مدة معلومة فهذه جائزة؛ إذ ليس فيها حبس للمسلم على الكافر ولا إذلال له، كبناء حائط ونحوه، وقد أجر علي بن أبي طالب رضي الله عنه نفسه ليهودي يستقي له كل دلو بتمر، وأكل النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك التمر^{١٢٩}. هذا كله إذا كان الإيجار لعمل لا يتضمن تعظيماً لدينهم وشعائره أو إعانة لهم على أداء عبادتهم فإن كان كذلك لم يجز.

أما إذا كانت الإجارة في أرض الحرب فقد أجازها أهل العلم مع الكراهة إلا للضرورة مستدلين بحديث خباب رضي الله عنه الذي يقول فيه: كنت رجلاً قيناً^{١٣٠}، فعملت للعاص بن وائل فاجتمع لي عنده مال فأتيته أتقاضاه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: أما والله حتى تموت ثم تُبعث فلا، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟! قلت: نعم، قال: فإنه سيكون لي ثم مال وولد، فأقضيك. فأنزل الله تعالى ﴿أُفْرَأَتَ الَّذِي كَهَرَ بَابَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ (سورة مريم: ٧٧)^{١٣١} فخباب رضي الله عنه إذ ذاك كان مسلماً والعاص مشرك وكان عمله عنده في مكة وهي يومئذ دار حرب.

ويُشترط للعمل عند الكافر في حال الضرورة شرطان هما:

(١) أن يكون عمله فيما يحل للمسلم فعله.

(٢) أن لا يعينه على ما يعود ضرره على المسلمين.

وله أن يوالئهم في الظاهر دون الباطن لقوله ﴿لَا تَخْذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرِكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨) ويزاد في حال الحاجة شرط ثالث لأن الحاجة دون الضرورة وهو أن لا يوالئهم بأي نوع من الموالاة إلا ما يقتضيه عمله من المخالطة ونحوها.

ويحسن بنا أن نذكر ما هي الضروريات وما هي الحاجيات حتى يكون على بينة من أمره، أما الضرورية فهي ما لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وفوت حياة وفي الأخرى فوت

^{١٢٩} القصة أخرجها الترمذي محمد بن عيسى بن سورة في سننه-المجتبى، دار الكتب العلمية ط ٢٠١٤، ٢-هـ مطولة باب لم يسمه ح ٢٤٧٣-٦٤٥/٤ وقال: حسن غريب. وضعفه الألباني.

^{١٣٠} أصل القين الحداد ثم صار كل صانع عند العرب قينا. انظر فتح الباري ٣/٣١٨.

^{١٣١} أخرجه البخاري باب هل يوأجر المسلم نفسه من مشرك ح ٢١٥٥/٢-٧٩٥، ومسلم باب سؤال اليهود النبي عن الروح ح ٧٢٤٠/٨-١٢٩.

النجاة، أما الحاجة فهي ما افتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق، مؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب^{١٣٢}.

المسألة الثالثة: لا يقتل مسلم بكافر

اتفق جمهور العلماء^{١٣٣} من المالكية والشافعية والحنابلة على عدم قتل المسلم بالكافر لحديث أبي جحيفة قال: سألت علياً رضي الله عنه هل عندكم شيء مما ليس في القرآن؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال العقل وفكك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر^{١٣٤}. قال ابن المنذر: لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر يعارضه. ولأنه لا يقاد المسلم بالكافر فيما دون النفس بالإجماع كما قال ابن عبد البر فالنفس بذلك أولى.

وروي ذلك أيضاً عن عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت ومعاوية رضي الله عنهم، عن أبي المليح؛ أن رجلاً من قومه رمى رجلاً يهودياً بسهم فقتله، فرفع إلى عمر بن الخطاب، فأغرمه أربعة آلاف، ولم يُقد منه^{١٣٥}. وعن علي قال: من السنة أن لا يقتل مؤمن بكافر، ولا حر بعبد^{١٣٦}. والمسلم لا يكافئه الكافر، والإسلام يعلو ولا يُعلى. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فأما الذمي فجمهور العلماء على أنه ليس بكفء للمسلم كما أن المستأمن الذي يقدم من بلاد الكفار رسولاً أو تاجراً ونحو ذلك ليس بكفء له وفاقاً. ومنهم من يقول: بل هو كفء له^{١٣٧}.

ل وسئل -رحمه الله تعالى - : عن رجل يهودي قتله مسلم: فهل يقتل به؟ أو ماذا يجب عليه؟ فأجاب: الحمد لله، لا قصاص عليه عند أئمة المسلمين ولا يجوز قتل الذمي بغير حق؛ فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال { لا يقتل مسلم

^{١٣٢} الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات، المحقق: أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفا، ط: ١، ١٤١٧هـ، ١٧/٢ وما بعده

^{١٣٣} انظر: القرافي شهاب الدين أحمد، الذخيرة، ت/ محمد حجي، دار الغرب-بيروت، ١٩٩٤م، ٣١٨/١٢، المجموع شرح المهذب ٣٥٤/١٨، مغني المحتاج ١٦/٤، المغني ٣٤٢/٩، حاشية الروض المربع ١٩٠/٧، الجزيري عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة ١٣٦/٥. خلافاً للحنفية الذين يقولون بقتل المسلم بالذمي خاصة دون الحربي والمستأمن مستلدين بعموم قوله تعالى (النفس بالنفس) وبما روى ابن البيلماني أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاد مسلماً بذمي وقال: أنا أحق من وفي بذمته [ولأنه معصوم عصمة مؤبدة فيقتل به قاتله كالمسلم لكن هذا الحديث ضعيف قال الدارقطني عن الحديث: برويه ابن البيلماني وهو ضعيف إذا أسند فكيف إذا أرسل؟

انظر البحر الرائق ٣٣٧/٨، المبسوط للسرخسي ٤٣/١٠.

^{١٣٤} أخرجه البخاري باب لا يقتل مسلم بكافر ح ٦٥١٧-٦٥٣٤.

^{١٣٥} أخرجه ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد، المصنف، ت/ محمد عوامة، الدار السلفية الهندية، باب من قال لا يقتل مسلم بكافر ح ٢٨٠٤٥-٢٩٤/٩.

^{١٣٦} أخرجه ابن أبي شيبة أيضاً ح ٢٨٠٤٨-٢٥٩/٩.

^{١٣٧} ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن محمد قاسم، دار عالم الكتب، ط ١٤١٢هـ، ٣٧٨/٢٨.

بكافر} ". ولكن تجب عليه الدية. فقيل: الدية الواجبة نصف دية المسلم. وقيل: ثلث ديته. وقيل: يفرق بين العمد والخطأ فيجب في العمد مثل دية المسلم ويروى ذلك عن عثمان بن عفان: أن مسلماً قتل ذمياً فغلظ عليه وأوجب عليه كمال الدية، وفي الخطأ نصف الدية^{١٣٨}، ففي السنن عن النبي ﷺ أنه جعل دية الذمي نصف دية المسلم^{١٣٩}. وعلى كل حال تجب كفارة القتل أيضاً وهما عتق رقبة مؤمنة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين^{١٤٠}.

لكن لا يعني هذا هدر دم الذمي والمعاهد وأنه لا حرمة له، فقتله ظلماً حرام وتجب ديته، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال رسول الله ﷺ « المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم ويُجير عليهم أقصاهم وهم يدٌ على من سواهم يرد مشدهم على مُضعفهم ومُتسرعهم على قاعدتهم لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده^{١٤١} ».

قال ابن القيم: كقوله لا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده فإنه لما نفي قتل المسلم بالكافر أوهم ذلك إهدار دم الكافر وأنه لا حرمة له فرفع هذا الوهم بقوله ولا ذو عهد في عهده ولما كان الاقتصار على قوله (ولا ذو عهد) يوهم انه لا يقتل إذا ثبت له العهد من حيث الجملة رفع هذا الوهم بقوله (في عهده) وجعل ذلك قيذا لعصمة العهد فيه^{١٤٢}

المسألة الرابعة: معاملة أهل الذمة ونحوهم بالإحسان لا ينال في علو الإسلام

إن من علو الإسلام علو أخلاقه وسموه حتى مع أعدائه؛ فالإسلام يأمر بالوفاء بالعهد والأمانة وسائر الأخلاق الحميدة دون تفريق بين مسلم وكافر، فكان ﷺ إذا أمر أميراً على سرية أو صاح في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً ثم قال:

^{١٣٨} قال الإمام الترمذي في سننه ٢٥/٤: [اختلف أهل العلم في دية اليهودي والنصراني فذهب بعض أهل العلم في دية اليهودي والنصراني إلى ما روي عن النبي ﷺ وقال عمر بن عبد العزيز دية اليهودي والنصراني نصف دية المسلم وهذا يقول أحمد بن حنبل وروي عن عمر بن الخطاب أنه قال دية اليهودي والنصراني أربعة آلاف درهم ودية المجوسي ثمانمائة درهم وهذا يقول مالك بن أنس و الشافعي وإسحق وقال بعض أهل العلم دية اليهودي والنصراني مثل دية المسلم وهو قول سفيان الثوري وأهل الكوفة]

^{١٣٩} أخرجه الترمذي باب دية الكفار ح١٤١٣-٢٥/٤ بلفظ (دية عقل الكافر نصف دية عقل المؤمن) وقال: حديث حسن، وقال الألباني: حسن صحيح.

والنسائي باب كم دية الكافر ح٤٨٠-٤٥/٨ وقال الألباني: حسن. مجموع الفتاوى ١٤٦/٣٤.

^{١٤١} أخرجه أبو داود باب في السرية ترد على أهل العسكر ح٣٧٥٣-٣٤/٣ وقال الألباني: حسن صحيح. وأحمد ح ١٨٠/٢-٦٦٩. قال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد حسن.

^{١٤٢} ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣ تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد ٣٤٢/٤.

اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا ولا شيخاً فانياً ولا امرأة^{١٤٣}.

وحين أراد عليه الصلاة والسلام الهجرة إلى المدينة خلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مكة ليرد الأمانات التي عنده إلى أهلها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم^{١٤٤}.

وحدث الإسلام على الوفاء بالعهود والمواثيق حتى مع الأعداء من المشركين ، قال سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لِيهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٤).

ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إيذاء الكفار بأي نوع من الأذى ما داموا على العهد ، بل توعد من قتل معاهداً ظلماً فقال صلى الله عليه وسلم (من قتل نفساً معاهدة لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)^{١٤٥}.

وأمر الله تعالى بصلة الوالدين وبرهما وإن كانا كافرين إلا في معصية الله ، قال تعالى ﴿وَأَنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة لقمان:١٥). وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستفتيت رسول الله ، قلت: إن أمي قدمت وهي راغبة ، أفأصل أمي ؟ قال (نعم صلي أمك)^{١٤٦}.

والإحسان إلى القريب بالنفقة والصلة^{١٤٧}. فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام أرضعته ثؤيبية جارية أبي لهب؛ وكان يعرف ذلك لثؤيبية ويصلها من المدينة ، فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح ، فأخبر أنها ماتا ، وسأل عن قرابتها ، فلم يجد أحداً منهم حياً^{١٤٨}.

^{١٤٣} الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، الناشر دار المعرفة سنة النشر ١٤٠٠ مكان النشر بيروت ١٣٥٠/٣، وكان عليه الصلاة والسلام ينهى عن قتل النساء والصبيان أخرجه البخاري باب النبي عن قتل النساء ح ٢٨٥٢-٣/١٠٩٨.

^{١٤٤} السيرة الحلبية ٢٠٥/٢، الروض الأنف ٢/٣١٤.

^{١٤٥} أخرجه البخاري ك الجزية والمواذعة باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم ح ٢٦٩/٦-٣١٦٦ مع الفتح وانظر شرحه في فتح الباري .

^{١٤٦} أخرجه البخاري باب الهدية للمشركين .. ح ٢٤٧٧/٢-٩٢٤ ، ومسلم باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ح ١٠٠٣/٢-٦٩٦.

^{١٤٧} انظر: ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، تحقيق يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧ص ٢٩١، ٢٩٢.

^{١٤٨} انظر: البهيمي، القاضي أبو الفضل عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، موقع يعسوب ١/١٢٩، الروض الأنف للسبلي، موقع الإسلام ١/٢٨٣.

وقد أجاز الإسلام صلة الكافر بالهدية والزيارة والعيادة والتلطف بالكلام معه والتهنئة بغير ما يختص بشعائر دينه - كتهنئته بزوجة أو ولد ونحو ذلك - لترغيبه في الإسلام، أو كف شره، ونحوها من المصالح الشرعية^{١٤٩}، لقوله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة الممتحنة: ٨). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول (الحمد لله الذي أنقذه بي من النار) ١٥٠.

أما ما يتعلق بالسلام^{١٥١} فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تبدعوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه"^{١٥٢}، يدل الحديث على كراهة ابتدائهم بالسلام لغير حاجة من دعوة للإسلام أو ترغيب فيه ونحو ذلك، فالنبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى ملوك الكفار وابتدأ كتبه بسلام على من اتبع الهدى. فإن ابتدأ الكافر بالسلام ردّ عليه المسلم بقوله وعليكم لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه مر يهودي برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السام عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وعليك). فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتدرون ما يقول؟ قال السام عليك). قالوا يا رسول الله ألا نقتله؟ قال (لا إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم)^{١٥٣}.

وإنما النهي عن المحبة والتوادد، قال سبحانه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ (سورة المجادلة: ٢٢)^{١٥٤} فلا تجوز محبة الكافر والتودد إليه، ولا اتخاذه صديقاً، إلا المحبة الفطرية كمحبة الوالد المسلم لولده الكافر وعكسه محبة الولد المسلم لوالده الكافر، والزوج المسلم لزوجته الكتابية، وكذا محبة كل قريب مسلم لقريبه الكافر.

^{١٤٩} انظر: الجلعود، محماس، المواالات في الشريعة الإسلامية، ٧٣٠/٢، فتح الباري ٢١٩/٣ و ١١٩/١٠، وأحكام أهل الذمة ص ١٤٩-١٥٤.

^{١٥٠} أخرجه البخاري باب إذا أسلم الصبي فمات... ح ٤٥٥/١-١٢٩.

^{١٥١} انظر أحكام أهل الذمة ص ١٤٣ وما بعدها، والمواالات ٧٢٦/٢.

^{١٥٢} أخرجه مسلم ك السلام باب النبي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح ٥٧٨٩/٥.

^{١٥٣} أخرجه البخاري باب إذا عرض الذمي بسبب النبي صلى الله عليه وسلم ح ٦٥٢٢/٦-٢٥٣٨، ومسلم ك السلام با النبي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ح ٥٧٨١/٤.

^{١٥٤} سورة المجادلة آية ٢٢. وانظر تفسير السعدي للآية.

وكذلك لا يجوز اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (سورة آل عمران: ١١٨) قال الإمام الطبري رحمه الله: " لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم "من دونكم" يقول: من دون أهل دينكم وملئكم، يعني من غير المؤمنين. وإنما جعل "البطانة" مثلاً لخليل الرجل، فشبّهه بما ولي بطنه من ثيابه، لحلوله منه - في إطلاعه على أسرارها وما يطويه عن أبعده وكثير من أقاربه - محلّ ما ولى جسده من ثيابه. فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أصدقاء وأوصياء، ثم عرفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة، وبغيتهم إياهم الغوائل، فحذرهم بذلك منهم ومن مخالفتهم^{١٥٥} .

ونهى الإسلام أيضاً عن مدهانة الكفار، والمدهانة هي ترك ما يجب لله من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغافل عن ذلك لغرض دنيوي وهو نفساني، وهي أيضاً المعاشرة والاستئناس مع وجود المنكر والقدرة على الإنكار، قال الله تعالى ﴿فَلَا تَطْعِ الْمُكَذِبِينَ، وَدُؤًا لَوْ تَدُهْنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ (سورة القلم: ٨-٩) قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي لو تُرَخَّصَ لهم فَيُرَخَّصُونَ^{١٥٦} .

وهذا ما يقع فيه بعض المسلمين الذين يسافرون إلى الكفار لأي غرض كان، فيعاشرون الكفار ويرافقوهم وهم يواقعون المنكرات دون إنكار ويَدْعُونَ أن هذا من باب المداراة الجائزة، وشَتَان بين الأمرين، قال ابن حجر رحمه الله: " قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة، وظن بعضهم أن المداراة هي المدهانة فغلط، لأن المداراة مندوب إليها والمدهانة محرمة، والفرق أن المدهانة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويسترباطنه، وفسرها العلماء بأنها معايشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولاسيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك^{١٥٧} .

^{١٥٥} الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٤٠٧/٧.

^{١٥٦} ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دارطبية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، ١٩٠/٨.

^{١٥٧} فتح الباري، ١/ ٥٢٨.

الخاتمة :

نستخلص في نهاية البحث الفوائد والنتائج الآتية:

- (١) حاجة الأمة الإسلامية إلى الرجوع إلى كتاب ربها وسنة رسولها لإعادة صياغة شخصيتها وفق هدي الوحيين، اللذين لا نجاة ولا فلاح لها بدونهما.
- (٢) إن من أبرز سمات هذه الأمة هو علوها على غيرها من الأمم، والذي ظهر في علو الشريعة، وعلو الرسالة، وعلو القرآن، وعلو اللغة العربية، وعلو المسلمين.
- (٣) من أسباب علو هذه الأمة؛ اصطفاء الله تعالى لها، وعالمية الرسالة، ووسطية الدين، وكماله.
- (٤) نتج عن هذا العلو انتشار الإسلام وظهوره، تحقق العزة للمسلمين، ظهور الغيرة على الدين، والشح به، والدعوة إليه.
- (٥) رسم القرآن الكريم والسنة النبوية منهجاً لترسيخ مفهوم العلو والعزة وتحقيقها في نفوس المسلمين، مما يُحتم على المرابين والدعاة والمصلحين الاهتداء بهذا المنهج لتربية الأمة على أسس سليمة.
- (٦) إن علو الإسلام واعتزاز المسلم بدينه لا يقتضي ظلم الآخرين بأي حال، وإنما يظهر هذا العلو بالعلو في الأخلاق وسمو التعامل مع الناس أيّاً كانت مشاربهم.
- (٧) من أبرز التوصيات لإعادة صياغة الأمة وبناء الشخصية المسلمة:

- العناية بكتاب الله تعالى تعلماً وتعليماً.
- العناية باللغة العربية في المدارس والجامعات والإعلام بكافة أنواعه.
- إعداد برامج تربوية مستفادة من هدي الكتاب والسنة في التربية.
- إعادة صياغة منهج السيرة النبوية الدراسية بما يخدم الأهداف التربوية.
- إبراز جوانب الاقتداء بنبينا محمد ﷺ وصحابته الكرام بمختلف وسائل الدعوة والإعلام.

فهرس المراجع :

- (١) الأصبهاني، أبو نعيم، أخبار أصبهان، موقع جامع الحديث الكتاب.
- (٢) الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي ط: ٢٠٠٥، ١٤٠٥هـ.
- (٣) الألباني، محمد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، الرياض، مكتبة المعارف.
- (٤) الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، المحقق: د. أبو لبابة حسن، الرياض، دار اللواء للنشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- (٥) البخاري، أبو عبد الله إسماعيل الجعفي، الجامع الصحيح، ت/ د. مصطفى، دار ابن كثير - بيروت، ط ٣ ١٤٠٧هـ .
- (٦) البخاري، أبو عبد الله إسماعيل الجعفي الحافظ، التاريخ الكبير، بيروت، دار الكتب العلمية.
- (٧) البكري، أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي، حاشية إعانة الطالبين، موقع يعسوب.
- (٨) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، ت/ محمد عبد القادر عطا، مكة المكرمة، مكتبة دار الباز، ١٤١٤ - ١٩٩٤.
- (٩) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، ت/ محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.
- (١٠) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، السنن، بيروت، دار إحياء التراث، ت/ أحمد محمد شاكر.
- (١١) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، الشمائل، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ.
- (١٢) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
- (١٣) الجزري، أبو السعادات محمد، النهاية في غريب الأثر، ت/ طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ط ١٣٩٩هـ.

- ١٤) الجرجاني، عبد الله بن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٩ - ١٩٨٨.
- ١٥) الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة.
- ١٦) الجلعود، محماس، الموالاتة في الشريعة.
- ١٧) الجوهري، الصحاح في اللغة، موقع الوراق.
- ١٨) الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ت/ مصطفى عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٤١١هـ.
- ١٩) الحربي، أبو إسحاق إبراهيم، غريب الحديث، تحقيق د. سليمان العايد، مكة، جامعة أم القرى، ط ١٤٠٥هـ، ١هـ.
- ٢٠) الخطاب الرعيني، شمس الدين أبو عبد الله محمد، مواهب الجليل شرح لمختصر خليل، ت/ زكريا عميرات، دار عالم الكتب، ط ١٤٢٣هـ.
- ٢١) الحلبي، علي بن برهان الدين، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٠.
- ٢٢) الخطيب، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت .
- ٢٣) الخطيب، التبريزي محمد بن عبد الله، مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٥ - ١٩٨٥
- ٢٤) الدارقطني، علي أبو الحسن الدارقطني، السنن، ت/ السيد عبد الله يمان، دار المعرفة.
- ٢٥) الدارمي، سعيد، السنن، ت/ فواز زمرلي والسبع، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ١٤٠٧هـ
- ٢٦) الدوري، تاريخ ابن معين، ت/ د. أحمد سيف، مكة، مركز البحث العلمي، ط: ١، ١٣٩٩هـ.
- ٢٧) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، ت/ زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩ - ١٩٩٨م.
- ٢٨) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السنة، ت/ محمد عوامة و أحمد الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط(١) ١٤١٣هـ

- ٢٩) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٩٩٥.
- ٣٠) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- ٣١) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر، بيروت، مكتبة لبنان ١٤١٥هـ.
- ٣٢) الروياني، أبو بكر محمد بن هارون، المسند، موقع جامع الحديث.
- ٣٣) الزرقاني، شرح موطأ مالك، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١٤١١هـ.
- ٣٤) الزيلعي، فخر الدين عثمان بن علي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، دار الكتب الإسلامي - القاهرة، ط ١٣١٣هـ.
- ٣٥) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، السنن، ت/ ناصر الدين الألباني، دار الكتاب العربي - بيروت
- ٣٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية.
- ٣٧) السعدي، إسحاق بن عبد الله، تميز الأمة الإسلامية مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين منه، سلسلة الرسائل الجامعية لجامعة الإمام محمد بن سعود.
- ٣٨) آل سعود، فيصل بن مشعل، الدبلوماسية والمراسيم الإسلامية، ط ١، ١٤٢٧هـ.
- ٣٩) السهلي، أبو القاسم، الروض الأنف، موقع الإسلام.
- ٤٠) السيوطي، والدهلوي، شرح سنن ابن ماجه، كراتشي، قديمي كتب خانة.
- ٤١) السيوطي، طبقات الحفاظ، موقع الوراق.
- ٤٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الموافقات، ت/ أبو عبيدة مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ٤٣) الشافعي، محمد بن إدريس أبو عبد الله، الأم، دار المعرفة، ط ١٣٩٣.
- ٤٤) الشحوذ، علي بن نايف، المفصل في شرح الشروط العمرية.

- ٤٥) الشربيني، محمد الخطيب، مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج، دار الفكر - بيروت.
- ٤٦) الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
- ٤٧) الصنعاني، عبد الرزاق أبو بكر عبد الرزاق بن همام، المصنف، تحقيق: الأعظمي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣.
- ٤٨) الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير، سبل السلام، مكتبة مصطفى الحلبي، ط ٤، ١٣٧٩.
- ٤٩) الضياء المقدسي، أبو عبد الله، محمد، الأحاديث المختارة، ت/ عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة المكرمة، مكتبة النهضة الحديثة، ط: ١، ١٤١٠.
- ٥٠) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، الموصل، مكتبة العلوم، ط ٢، ١٤٠٤.
- ٥١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤٠٧.
- ٥٢) الطحاوي، أبو جعفر أحمد، شرح مشكل الآثار، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٨ هـ.
- ٥٣) العاصمي، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، ط ١، ١٣٩٧ هـ.
- ٥٤) العراقي، أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين، ذيل ميزان الاعتدال، ت/ علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
- ٥٥) آل عيسى، عبد السلام بن محسن، دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٢٣/٢٠٠٢ م.
- ٥٦) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط.
- ٥٧) القاضي عياض، أبو الفضل اليحصبي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، موقع يعسوب.

- ٥٨) القرأني، شهاب الدين أحمد، الذخيرة، ت/ محمد حجي، دار الغرب -بيروت، ط١٩٩٤ .
- ٥٩) القحطاني، محمد بن سعيد، الولاء والبراء، تقديم الشيخ عبد الرزاق عفيفي.
- ٦٠) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، مكتبة الرياض الحديثة.
- ٦١) قلعه جي، محمد رواس و قتيبي حامد صادق، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- ٦٢) الماوردي، أبو الحسن، الأحكام السلطانية، موقع الإسلام.
- ٦٣) المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم، تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي، بيروت، دار الكتب العلمية.
- ٦٤) المزى، أبو الحجاج يوسف الحافظ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف دار الفكر المعاصر.
- ٦٥) المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١ ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- ٦٦) المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ت/د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، ط١، ١٤١٩هـ.
- ٦٧) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، المجتبى، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات، ط٢ ١٤٠٦هـ
- ٦٨) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث - ط٢ ١٣٩٢هـ.
- ٦٩) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، المجموع شرح المهذب، موقع يعسوب.
- ٧٠) النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، الصحيح، ت/فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث -بيروت.
- ٧١) الواسطي، أسلم بن سهل الرزاز، تاريخ واسط، المحقق: كوركيس عواد، عالم الكتب، ط١.

- ٧٢) وكيع الضبي، أبو بكر محمد بن خلف، أخبار القضاة، ت/ عبد العزيز المراغي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط١، ١٣٦٦.
- ٧٣) الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي.
- ٧٤) أبو زرعة، الرازي ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم، تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، ت/عبد الله نواره، الرياض، مكتبة الرشد - سنة النشر ١٩٩٩م.
- ٧٥) أبو النجا الحجاوي، شرف الدين موسى، الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، ت/عبد اللطيف السبكي، دار المعرفة - بيروت.
- ٧٦) أبو يعلى الموصلي التميمي، المسند، ت/حسين أسد، دمشق، دار المأمون، ط١، ١٤٠٤هـ.
- ٧٧) ابن أبي حاتم عبد الرحمن أبو محمد الرازي، الجرح والتعديل، حيدر آباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٧٢هـ.
- ٧٨) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد العبسي، المصنف، تحقيق: محمد عوامة. ط: الدار السلفية الهندية و دار القبلة.
- ٧٩) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، ت/أنور الباز - عامر الجزائر، دار الوفاء - الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ / ٢٠٠٥ م.
- ٨٠) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ت/ محمد حامد الفقي، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية.
- ٨١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الاستقامة، ت/ د. محمد رشاد، المدينة المنورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١٤٠٣، ١.
- ٨٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الحسبة، موقع الإسلام.
- ٨٣) ابن جرير، محمد الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر.
- ٨٤) ابن حبان، أبو حاتم محمد البستي، الثقات، ط(٢) ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٦ م.
- ٨٥) ابن حبان، محمد البستي، الصحيح، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ ط٢.
- ٨٦) ابن حبان، محمد البستي، مشاهير علماء الأمصار، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٥٩م.

- ٨٧) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، تقريب التهذيب، ت/محمد عوامة، سوريا، دار الرشيد، ١٤٠٦.
- ٨٨) ابن حجر، العسقلاني، أحمد بن علي، لسان الميزان، دائرة المعارف النظامية الهند، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط:٣، ١٤٠٦ - ١٩٨٦
- ٨٩) ابن حجر، العسقلاني أحمد بن علي، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة.
- ٩٠) ابن حجر العسقلاني، أحمد، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي، بيروت، دار الجيل، ط:١، ١٤١٢
- ٩١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر دار المعرفة بيروت ١٣٧٩هـ.
- ٩٢) ابن حنبل، أحمد أبو عبد الله الشيباني، المسند، ت/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
- ٩٣) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، موقع الوراق - الكتاب مرقم آليا.
- ٩٤) ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، مطبعة مصطفى البابي - مصر، ط٤، ١٣٩٥هـ.
- ٩٥) ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف، الاستيعاب في أسماء الأصحاب.
- ٩٦) ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف، الاستذكار، ت/ سالم محمد عطا، محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- ٩٧) ابن عبد البر، أبو عمر، يوسف، الكافي في فقه أهل المدينة، ت/ محمد محمد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- ٩٨) ابن عدي، عبد الله الجرجاني، الكامل في ضعفاء الرجال، ت/ يحيى مختار غزاوي، دار الفكر - بيروت، ط١٤٠٩هـ.
- ٩٩) ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي، تاريخ دمشق، ت/علي شيري، دار الفكر.
- ١٠٠) ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد أبو محمد، المغني في فقه الإمام أحمد، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ١٠١) ابن قدامة المقدسي، عبد الله بن أحمد أبو محمد، الشرح الكبير، موقع يعسوب.

- ١٠٢) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد الزرعي، زاد المعاد في هدي خير العباد، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥/١٩٩٤م.
- ١٠٣) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد الزرعي، بدائع الفوائد، ت/ هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد - أشرف أحمد الج - مكة، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط:١، ١٤١٦ - ١٩٩٦م.
- ١٠٤) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد الزرعي، أحكام أهل الذمة، ت/ يوسف البكري، دار ابن حزم - الدمام، ط١، ١٤١٨هـ.
- ١٠٥) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد الزرعي، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ت/ طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل - بيروت، ط١٩٧٣ .
- ١٠٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، موقع يعسوب.
- ١٠٧) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ت/ سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ - ١٩٩٩ م
- ١٠٨) ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، السنن، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- ١٠٩) ابن منظور، الإفريقي، المصري، محمد، لسان العرب، دار صادر - بيروت ط١
- ١١٠) ابن نجيم، زين الدين الحنفي، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دار المعرفة - بيروت.